

التفسير البسيط

أبي الحسن علي بن محمد بن محمد الوائلي

ت (٤٦٨ هـ)

التفسير البسيط

لأبي الحسين علي بن أحمد بن محمد اللؤلؤي

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء التاسع عشر

من أول سورة الصافات إلى آخر سورة ص

تحقيق

الدكتور محمد بن عبد الله بن صالح الطيار

من أول سورة الزمر إلى آخر سورة الشورى

تحقيق

الدكتور علي بن عمر السحيباني

دققه ونقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

تركيب بن سميح بن محمد اللؤلؤي

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن سميح بن محمد اللؤلؤي

٢ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الواحدى، أبو الحسن علي أحمد
التفسير البسيط. / أبو الحسن علي أحمد
الواحدى. - الرياض، ١٤٣٨هـ - ٢٥ مج.
٥١٢ ص: ١٦, ٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٥٠٩-٠٢٣-٠ (مجموعة)
٩٧٨-٦٠٣-٥٠٩-٠٤٢-١ (ج ١٩)

١. الواحدى، علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ (المؤلف).
٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سطاتم.
- العتيبي، تركي بن سهو، (تدقيق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٢٢٧,٣ - ٣٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

نشر وتوزيع العبيكان
Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦٦ + فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦٦ +

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سطاتم بن عبدالعزيز آل سعود. ولا
يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما
في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير

سورة الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ قالوا جميعاً: يعني الملائكة ، وهو قول عبدالله ومسروق ومجاهد وقتادة ومقاتل^(١).

قال ابن عباس: يريد الملائكة صفوفاً ، لا يعرف كل ملك منهم من إلى جانبه ، لم يلتفت منذ خلقه الله^(٢) ، وقال الكلبي: الملائكة صفوف في السماء كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة^(٣) . وذكرنا معنى الصف عند قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ [الحج: ٣٦] . وهذا قَسَمٌ أقسم الله تعالى بالملائكة التي تصف^(٤) نفسها صفاً .

(١) انظر: الطبري ٣٣/٢٣ ، والثعلبي ٣/٢٣٩ ب ، والماوردي ٣٦/٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٧/٦ .

(٢) انظر: الوسيط ٣/٥٢١ ، وزاد المسير ٧/٤٤ .

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر: البغوي ٤/٢٢ ، والقرطبي ١٥/٣٦١ ، ومجمع البيان ٨/٦٨٣ .

(٤) في (ب): (تصفا) ، وهو خطأ .

قال أبو إسحاق : أي هم مصطفىون^(١) في السماء^(٢) .

وذكر أهل المعاني في القسم^(٣) وجهين ؛ أحدهما : أن القسم بالله - عز وجل - على تقدير ورب الصافات كقوله : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ ﴿ وَالشَّمْسِ ﴾ ﴿ وَاللَّيْلِ ﴾ إلا أنه حُذِفَ لما في العلم من أن التعظيم بالقسم لله .

والثاني : أن هذا على ظاهر ما أقسم به ؛ لأنه ينبئ عن تعظيمه بما فيه من العبرة الدالة على ربه ، وذكر أيضاً في التفسير أن المراد بهذا الصف أن الملائكة تصف أجنتها في الهواء واقفة لأمر الله حتى يأمرها بما يريد^(٤) . والصافات : جمع الصف ، يقال : جماعة صافة ثم يجمع صافات .

٢ . قوله تعالى : ﴿ فَالزَّجْرَتِ زَجْرًا ﴾ قال الليث : زجرت البعير فأنا أزجره زجراً ، إذا حبسته ليمضي ، وزجرت فلاناً عن سوء فأنزجر ؛ أي نهيته فأنتهى^(٥) .

قال الشاعر :

وليس يزجركم ما توعظون به والبهم يزجرها الراعي فتزجر^(٦)

(١) هكذا في النسخ ، والذي في معاني القرآن للزجاج مطيعون .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٧ / ٤ .

(٣) لم أقف عليه في معاني القرآن للأخفش والفراء والزجاج .

(٤) انظر : الماوردي ٣٦ / ٥ ، والقرطبي ٦١ / ١٥ ، وزاد المسير ٤٤ / ٧ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (زجر) ٦٠٢ / ١٠ .

(٦) البيت من البسيط ، وهو لسابق البربري .

فالزجر للإنسان كالنهي وللبعير كالحث ، ويقال : زجرته وازدجرته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَزْجِرْ ﴾ [القمر : ٩] . قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد ومقاتل : يعني الملائكة^(١) .

قال ابن عباس : يريد ملائكة وكلوا بالسحاب يزجرونها ، ونحو هذا قال الكلبي ومقاتل والسدي^(٢) : إن هذا الزجر للسحاب في سوقه وتأليفه .

وقال أهل المعاني : الملائكة تزجر عن المعاصي زجراً ، يوصل الله مفهومه إلى قلوب العباد كما يوصل مفهوم إغواء الشيطان إلى قلوبهم ليصح التكليف^(٣) .

وقال قتادة : الزاجرات زواجر القرآن ، وهي كل ما ينهى ويزجر عن القبيح المحظور^(٤) .

٣ . قوله تعالى : ﴿ فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا ﴾ قال ابن مسعود ومسروق ومجاهد ومقاتل : هم الملائكة^(٥) .

قال ابن عباس : يريد ملائكة يتلون ذكر الله عز وجل^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ١٠٩ ب ، وتفسير مجاهد ٥٣٩ . انظر : الطبري ٣٣ / ٢٣ ، والماوردي ٣٧ / ٥ ، وزاد المسير ٤٥ / ٧ .

(٢) انظر : المصادر السابقة .

(٣) لم أقف عليه في كتب معاني القرآن .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ١٤٧ / ٢ ، والطبري ٣٤ / ٥٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٨ / ٦ .

(٥) انظر : الطبري ٣٤ / ٢٣ ، والماوردي ٣٧ / ٥ ، وزاد المسير ٤٥ / ٧ .

(٦) انظر : المصادر السابقة .

وقال مقاتل : هو جبريل يتلو القرآن على الأنبياء من ربهم ، وهو الملقيات ذكراً يلقي الذكر على الأنبياء^(١) ، وعلى هذا المراد جبريل ، وذكر بلفظ الجمع إشارة إلى أنه كبير الملائكة ، فهو لا يخلو من أعوان وجنود له من الملائكة يعرجون بعروجه وينزلون بنزوله^(٢) .

وقال السدي : هم الملائكة يتلون الذكر على الأنبياء^(٣) .

وقال الكلبي : هو قراءة الكتاب^(٤) .

قال أبو إسحاق : ﴿ فَأَلْتَلَيْتَ ذِكْرًا ﴾ جازئ أن يكون الملائكة وغيرهم ممن يتلون ذكر الله عز وجل^(٥) .

قال قتادة : (التاليات ذكراً) ما يتلى من آي القرآن^(٦) ، وهذا يحمل على تفسير الذكر ؛ لأن التاليات لا يكون ما يتلى . وأما هذه الفاءات هاهنا وفي سورة الذاريات والمرسلات ، فالفاء في العطف تؤذن أن الثاني بعد الأول بخلاف الواو ، فإنه لا يدل على المبدوء به والفاء تدل كقولك : دخلت الكوفة فالبصرة ، فالفاء هاهنا تؤذن أن دخول الكوفة كان قبل دخول البصرة^(٧) ، وفي هذه الآية يدل على أن الله تعالى ذكر القسم أولاً بالصافات ثم بالزاجرات ثم بالتاليات .

(١) تفسير مقاتل ١٠٩ ب .

(٢) انظر : القرطبي ٩٢ / ١٥ ، وفتح القدير ٣٨٦ / ٤ .

(٣) انظر : الطبري ٣٤ / ٢٣ ، وبحر العلوم ١١٠ / ٣ ، ومجمع البيان ٦٨٤ / ٨ .

(٤) انظر : الوسيط ٥٢١ / ٣ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٧ / ٤ .

(٦) انظر : الطبري ٣٤ / ٢٣ ، والماوردي ٣٧ / ٥ ، وزاد المسير ٤٥ / ٧ .

(٧) انظر : الكشاف ٢٩٥ / ٣ .

وذكر صاحب النظم أن الفاء هاهنا جواب وما قبله سبب له ، كما تقول قام فمر ، واضطجع فنام ، فالقيام سبب للمرور والاضطجاع سبب للنوم . وتأويل الآية : والتي تصف صفاً فتزجر زجراً ، فالصف سبب الزجر والزجر سبب التلاوة .

قال : ويدل على هذا قوله : ﴿ وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا ۝١٠ ۖ فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا ۝١١ ﴾ [المرسلات : ١- ٢] ، ثم استأنف قسماً آخر منقطعاً مما قبله غير منسوق عليه بالواو فقال : ﴿ وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا ۝١٢ ﴾ هذه الواو واو قسم ، وعلى ما ذكره يجب أن يكون الصافات والزاجرات والتاليات جنساً واحداً وعصبة من الملائكة اجتمعت فيهم هذه الصفات ^(١) ، ولا يجوز أن يكون الزاجرات غير الصافات ^(٢) ، وعلى ما ذكر أولاً يجوز أن يكون كل من الصافات والزاجرات والتاليات عصبة سوى الأخرى ، وهو ظاهر قول المفسرين .

وأما التاءات التي في الصافات والزاجرات والتاليات فإنها تقرأ بالإظهار ، وأدغمها حمزة في ما بعدها ، وهو قراءة عبدالله ، وإدغام التاء في الصاد حسن لمقاربة الحرفين ، ألا ترى أنها من طرف اللسان وأصول الثنايا ، ويجتمعان في الهمس ، والمدغم فيه يزيد على المدغم بالإطباق والصغير ، وحسن أن يدغم الأنقص في الأزيد ، ولا يجوز أن يدغم الأزيد صوتاً في الأنقص ، وإدغام التاء في الزاي حسن أيضاً ؛ لأن التاء مهموسة والزاي مجهورة ، وفيها زيادة صغير كما كان في الصاد ، وكذلك حسن إدغام التاء في الذال في قوله : ﴿ فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا ۝١٣ ﴾ لاتفاقهما في أنها من طرف اللسان وأصول الثنايا . وأما من قرأ بالإظهار وترك الإدغام فذلك لاختلاف المخارج ، وأن المدغم فيه ليس بلازم ، فلم يدغموا لتباين

(١) في (أ) : (الصافات) .

(٢) في (ب) تقديم وتأخير هكذا : (الصافات غير الزاجرات . . .) .

المخارج وانتفاء اللزوم ، ألا ترى أنهم يثبتون نحو [أفعل^(١)] وإن كان من كلمة واحدة لما لم يلزم التاء هذا البناء ، فما كان من كلمتين منفصلتين أجدر بالبيان^(٢) .

٤ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَهَهُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ جواب القسم ، قال ابن عباس : يريد نفسه لا شريك^(٣) له .

وقال مقاتل : إن كفار مكة قالوا لمحمد : اجعل الآلهة إلهاً واحداً ، فأقسم الله بهؤلاء الملائكة أنه واحد ليس له شريك^(٤) .

٥ . ثم^(٥) نفسه عن شركهم فقال : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من شيء من الآلهة وغيرها . ﴿ وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾ ؛ أي مطالع الشمس . قال السدي : المشارق ثلاثمائة وستون مشرقاً وكذلك المغارب عدد السنة ، تطلع الشمس كل يوم في مشرق وتغرب كل يوم في مغرب^(٦) . ونحو هذا قال قتادة في المشارق والمغارب^(٧) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد ثمانين ومائة مشرق في الشتاء وثمانين ومائة مشرق في الصيف ؛ لأن الشمس في كل يوم تشرق من موضع غير الذي طلعت منه بالأمس^(٨) .

(١) ما بين المعقوفين مطموس في النسخ جميعها ، وما أثبت من الحجة : لأبي علي ؛ لأن الكلام قد يكون

بنصه منقولاً عنها من قوله : وأما التاءات التي في الصافات . الحجة ٤٩ / ٦ ، ٥٠ ،

(٢) انظر : الحجة ٤٩ / ٦ ، وعلل القراءات ٥٧٣ / ٢ ، والحجة : في القراءات السبع ٣٠٠ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) تفسير مقاتل ١٠٩ ب .

(٥) هكذا في النسخ ، ويظهر - والله أعلم - أن هناك كلمة ساقطة : ثم نزه نفسه .

(٦) انظر : الطبري ٣٥ / ٢٣ ، والماوردي ٣٧ / ٥ ، وزاد المسير ٤٥ / ٧ .

(٧) انظر : المصادر السابقة .

(٨) لم أقف عليه عن ابن عباس وقد ذكره الماوردي في تفسيره ٣٧ / ٥ ، وعن يحيى بن سلام ، وذكره هود بن محكم في تفسيره ٤٤٤ / ٣ ، ولم ينسبه .

وقال في رواية عكرمة : إن الشمس تطلع كل سنة في ثلاثمائة وستين^(١) كوة تطلع في^(٢) كل يوم في كوة لا ترجع إلى تلك الكوة إلى ذلك اليوم من العام المقبل^(٣)(٤) . وأراد المشارق والمغارب فاكتفى بذكر المشارق كقوله : ﴿تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل : ٨١] .

٦ . وقوله تعالى : ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ قال ابن عباس : يريد التي تلي الأرض^(٥) .

وقال مقاتل : إنها سميت الدنيا لأنها أدنى السماء من الأرض^(٦) .

وقوله : ﴿بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ أن يحسنها ، وقال ابن عباس : بضوئها^(٧) . وعلى هذه القراءة المصدر يضاف إلى المفعول به كقوله : ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [فصلت : ٤٩] ، ﴿سُؤَالِ نَجْنِكَ﴾ [ص : ٢٤] .

وقرأ حمزة (بزينة) منونة وخفض الكواكب ، وهي قراءة مسروق والأعمش^(٨) .

(١) في (ب) : (وستون) ، وهو خطأ .

(٢) في (ساقطة من (ب) .

(٣) في (ب) : (القابلي) .

(٤) انظر : القرطبي ١٥ / ٦٣ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) تفسير مقاتل ١٠٩ ب .

(٧) انظر : بحر العلوم ٣ / ١١١ ، والبغوي ٤ / ٢٣ .

(٨) انظر : الحجة ٦ / ٥٠ ، ٥١ ، والطبري ٢٣ / ٣٤٥ .

قال الفرّاء : وهو رد معرفة على نكرة^(١) . وقال الزّجاج : الكواكب بدل من الزينة^(٢) . وقال أبو علي : «جعل الكواكب بدلاً من الزينة ؛ لأنها هي كما تقول مررت بأبي عبدالله زيد» .

وقرأ عاصم بالتنوين في الزينة ونصب الكواكب^(٣) . قال الفرّاء : بتزيينا الكواكب^(٤) .

قال أبو إسحاق : «ويجوز أن يكون الكواكب في النصب بدلاً من قوله : ﴿زَيْنَةٍ﴾ في موضع نصب»^(٥) .

وقال أبو علي : [أعمل]^(٦) عاصم الزينة في الكواكب ، والمعنى إنا^(٧) زينا الكواكب فيها ، ومثله قوله : ﴿أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ﴾^(٨) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿[البلد : ١٤-١٥]^(٨) . وهذا شرح ما ذكره الفرّاء .

وقال [أبو علي]^(٩) صاحب النظم : «التأويل إنا زينا السماء الدنيا ؛ أي بتزيينا الكواكب وتزيين الكواكب ضوئها ونورها وتأليفها في منازلها^(١٠)» .

(١) معاني القرآن ٢ / ٣٨٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٩٨ .

(٣) انظر : الحجة ٦ / ٥٠ ، ٥١ .

(٤) معاني القرآن ٢ / ٣٨٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٩٨ .

(٦) ما بين المعقوفين مكرر في (ب) .

(٧) في (ب) : (إن) .

(٨) الحجة ٦ / ٥٠ ، ٥١ .

(٩) ما بين المعقوفين غير مثبت في (أ) .

(١٠) انظر : القول في الحجة ٦ / ٥١ ، وغير منسوب لصاحب النظم .

٧. قوله تعالى : ﴿ وَحِفْظًا ﴾ قال أبو إسحاق وغيره : وحفظناها حفظاً^(١) .

قال المبرّد : « إذا ذكرت فعلاً ثم عطفت عليه مصدر فعل آخر نصبت المصدر ؛ لأنه قد دل على فعله ، وذلك قوله : افعل وكرامة ؛ لأنه لما قال افعل علم أن الأسماء لا تعطف على الأفعال ، فالمعنى افعل ذلك وأكرم كرامة ، وكذلك لا أفعل ذلك ولا كيداً ولاهما ؛ أي ولا أكيد ولا أهم^{(٢)(٣)} » .

قال ابن عباس : يريد وحفظاً للسماء ﴿ مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ يريد الذي تمرد على الله^(٤) .

وقال مقاتل : وحفظاً للسماء بالكواكب^(٥) .

قال الكلبي : حفظاً للسموات من كل شيطان شديد متمرد ، يُرمون بها ولا تُخْطِئهم^(٦) ، وذكرنا تفسير المارد عند قوله : ﴿ مَرَدُّوْاْ عَلَى الْغَفَاكِ ﴾ [التوبة : ١٠١] ، وقوله : ﴿ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج : ٣]^(٧) .

٨. قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ المعنى لئلا يسمعون ، فلما حذف الناصب عاد الفعل إلى الرفع ، قال الفراء : ولو كان في موضع (لا) (أن) لصلح ذلك كما قال : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ [النساء : ١٧٦] . وكما قال :

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٨ / ٤ .

(٢) في (ب) : (ولا هم) .

(٣) لم أقف على قول المبرّد .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٩ ب .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) قال في هذا الموضع من البسيط : المريد الذي يتمرد على الله عز وجل ، وقال أهل اللغة في المريد قولين ؛ أحدهما : إنه المتجرد للفساد ، والثاني : إنه العاري من الخير .

﴿رَوَيْكَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾^(١). ويصلح في لا^(٢) على هذا المعنى
الجزم، والعرب تقول: ربطت الفرس لا تفلت بالجزم، وأوثقت
عبدى لا يفرق^(٣)، وأنشد:

وحين رأينا أحسن الود بيننا مساكنة لا يقرِف الشر قارف^(٤)
وبعضهم^(٥) يقول: «لا يفرق والرفع لغة أهل الحجاز وبذلك جاء
القرآن»^(٦). هذا كلامه، ونحو هذا قال صاحب النظم.

ويموز أن يكون هذا ابتداء إخبار^(٧) عن الشياطين بأنهم لا يسمعون، ولا يحتاج
إلى إضمار شيء، وذلك أنهم إذا منعوا عن السماء بالحراسة لم يسمعوا، وهذا الوجه
أبين على قراءة من قرأ بالتخفيف، ومن قرأ بالتشديد لم يظهر هذا الوجه؛ لأنهم
يتسمعون ثم يمتنعون بالرمي^(٨)، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ
فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿الشعراء: ٢٠٠-٢٠١﴾.
واختار أبو عبيد^(٩) التشديد في يسمعون قال: لأن العرب^(١٠) تسمعت إلى فلان.

(١) جزء من آية في سورة النحل: الآية ١٥، ومن سورة لقمان: الآية ١٠.

(٢) في (أ): (ألا)، وهو خطأ.

(٣) هكذا في النسخ، والصواب كما في معاني الفراء (يفر).

(٤) البيت من الطويل، وهو لبعض بني عقيل في معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٣، والكافية الشافية ١٥٥٦،
والطبري ٣٩/٢٣.

(٥) في (ب): زيادة (لا)، وهو خطأ.

(٦) معاني القرآن ٢/٣٨٣.

(٧) في (ب): (إخباراً).

(٨) انظر: الحجة ٦/٥٢، والحجة في القراءات السبع ٣٠٧، وحجة القراءات ٦٠٥.

(٩) انظر: الدر المصون ٥/٤٩٥، والقرطبي ١٥/٦٥، وفتح القدير ٣/٣٨٧.

(١٠) الكلام هنا فيه اضطراب، ويظهر أن كلمة ساقطة لابد منها تُقَدَّر تقول.

وقال صاحب النظم : قد يعدى السمع بإلى ، واحتج بقول الشاعر :

اسْمَعْ إِلَى مَنْ يَسُوْمُنِي الْعِلَلَا^(١)

وقال أبو علي الفارسي : «يقال : سمعت الشيء واستمعته ، كما يقال حقرته واحتقرته ، وشويته واشتويته ، ثم يعدى باللام وإلى [كما]^(٢) قال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] ، وقال : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ [الأنعام: ٢٥] ، وهذا كما نقول في الإيحاء والهداية ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [النحل: ٦٨] ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا رَّبُّكَ أَوْحَىٰ لَهُآ ﴾ [الزلزلة: ٥] ، ﴿ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٧] ، ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ [الأعراف: ٤٣] ، ولا فصل بين فعلت وافتعلت في ذلك لاتفاقهما في التعدي^(٣) ، فإذا حسن استمع إليه حسن أيضاً سمع^(٤) إليه . وأما وجه القراءتين ، فمن قرأ بالتشديد أدغم التاء في السين ، وهو أبلغ ، إلا أنه إذا نفى التسمع عنهم فقد نفى سمعهم ، وحجة من خفف قوله : ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٢] . والسمع مصدر سمع ، وهذا الوجه هو اختيار ابن عباس ، روى ذلك عن مجاهد ، قال : إنهم كانوا يتسمعون ولا يسمعون ، يريد الشياطين ، يتسمعون إلى الملاء الأعلى ثم يمنعون ولا يسمعون فنفي السماع أولاً^(٥) من نفى التسمع^(٦) .

(١) لم أهتد إلى تمامه ولا قائله .

(٢) ما بين المعقوفين غير مثبت في (أ) .

(٣) الحجة ٦/ ٥٢ ، ٥٣ .

(٤) في (ب) : (استمع) ، وهو خطأ .

(٥) هكذا في النسخ ، والصواب : (أولى) .

(٦) انظر : الطبري ٢٣/ ٣٦ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢/ ٢٢١ ، وحجة القراءات ٦٠٥ ، والمحزر الوجيز ٤/ ٤٦٦ .

قال الكلبي : لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى لكي لا يسمعون إلى الكتبة من الملائكة^(١) .

وقال السدي : الملائكة الذين هم في السماء الدنيا^(٢) .

وقال عطاء : الملائكة الأشراف^(٣) .

قوله : ﴿ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ ٨ ﴿ دُحُورًا ﴾ قال ابن عباس ومقاتل^(٤) والمفسرون : ويرمون من كل ناحية ، وذكرنا معنى القذف في ما تقدم^(٥) ، والمفعول الثاني مقدر على تقدير ويقذفون من كل جانب بالشهب ، يدل عليه قراءة أبي عبد الرحمن السلمي دحوراً بفتح الدال . قال الفراء : « كأنه قال يقذفون بداحر وبما يدحر » . قال : ولست أشتهي الفتح ؛ لأنه لو وجه ذلك على صحته لكان فيها التاء كما تقول : يقذفون بالحجارة ، ولا تقول يقذفون الحجارة وهو جائز كما قال :

نُغَالِي اللَّحْمَ لِلْأَضْيَافِ نِيًّا^(٦)

(١) انظر : الوسيط ٣/ ٥٢٢ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٨٥ .

(٢) انظر : الماوردي ٥/ ٣٩ ، وأورده غير منسوب الطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٦٨٥ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) لم أقف على هذا القول عن ابن عباس أو مقاتل أو غيرهم ، ويكادون يجمعون - حسب علمي - على

أن معنى الدحور هو : الطرد وليس الرمي كما فسره المؤلف - رحمه الله - فلعله وهم منه ، والله أعلم .

(٥) ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي الْتَابُوتِ فَأَقْذِفِهِ فِي آلِيٍّ ﴾ [طه : ٣٩] . قال : ومعنى القذف

في اللغة الرمي بالسهم والحصى والكلام وكل شيء ، ويقال للسب القذف لأنه رمي بالقيح من القول .

(٦) صدر بيت وعجزه :

وَنُرْخِصُهُ إِذَا نَضِجَ الْقَدِيرُ

ولم أهتد لقائله .

انظر : في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١/ ١٩١ ، والمحتمسب في تبين وجوه =

اي يغالي باللحم^(١) .

٩ . قوله تعالى : ﴿ دُحُورًا ﴾ قال الكلبي^(٢) : يدحرونهم فيباعدونهم عن تلك المجالس التي يسترقون فيها السمع .

وقال مقاتل : يعني طرداً بالشهب من الكواكب^(٣) .

وقال عطاء عن ابن عباس : دحوراً بشهب النار^(٤) .

وذكرنا معنى الدحور في سورة الأعراف^(٥) عند قوله : ﴿ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّتَحَوْرًا ﴾ . قال المبرد : الدحور هو أشد الصغار وأبين الذل^(٦) .

قال ابن قتيبة : ذكرته دحراً ودحوراً دفعته وطرده^(٧) . وانتصب دحوراً بالمصدر على معنى يدحرون دحوراً ، ودل على المصدر الفعل قوله : ﴿ وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ ، وإن شئت قلت الدحور ثم حذف اللام .

= شواذ القراءات ٢/٢١٩ ، والدر المصون ٣/٤٤٤ ، وتهذيب اللغة ٦/١٣٢ ، ٧/١٣٥ ، ٨/١٩١ ، واللسان ١٥/١٣١ .

(١) معاني القرآن ٢/٣٨٣ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) تفسير مقاتل ١٠٩ ب .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٤٧ ، ونحوه عن قتادة .

(٥) الآية ١٨ . قال المؤلف هناك : الدحر في اللغة : الطرد والإقصاء والتباعد ، يقال : دحره دحراً ودحوراً إذا طرده وبَعَّده .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) تفسير غريب القرآن ٣٦٩ .

وقال مجاهد : دحوراً مطرودين^(١) ، فعلى هذا هو حال سميت بالمصدر^(٢) كالركوع والسجود والحصور .

قوله تعالى : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ قالوا كلهم : دائم . وقد مر في سورة النحل^(٣) . ومن فسر الواصب بالشديد والوجع ، فهو معنى وليس بتفسير ، قال مقاتل : يعني دائماً إلى النفخة الأولى فهي تجرح ولا تقتل^(٤) ، فقد بين مقاتل أن المراد بهذا العذاب عذاب الدنيا .

١٠ . قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ قال صاحب النظم : يجوز أن يكون هذا استثناء من قوله : ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ فيكون في موضع الرفع ؛ لأنه استثناء من النفي . قال : ويجوز أن يكون قوله : ﴿وَيُقَذَّفُونَ﴾ فصلاً مستأنفاً ، ويكون ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ﴾ في موضع نصب على الاستثناء منه . هذا كلامه ، والمعنى إذا جعلت من استثناء من يقذفون أنهم يرمون بالشهب ولا يمكنون^(٥) من السمع ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ قال ابن عباس : اختلس الكلمة^(٦) .

وقال الكلبي : خطف الخطفة مسارقة^(٧) .

-
- (١) تفسير مجاهد ٥٣٩ .
 (٢) في (ب) : (سميت به المصدر) .
 (٣) عند قوله تعالى : ﴿وَلَهُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ آية ٥٢ . قال : والواصب الدائم يقال صب وصوباً إذا دام ، ويقال واصب على الشيء وواظب عليه إذا دام عليه .
 (٤) تفسير مقاتل ١٠٩ ب .
 (٥) في (ب) : (يتمكنون) .
 (٦) لم أقف عليه عن ابن عباس بهذا اللفظ . انظر تنوير المقباس ٣٧٤ بهامش المصحف .
 (٧) لم أقف عليه عن الكلبي ، انظر القرطبي ٦٦ / ١٥ ، وزاد المسير ٤٨ / ٧ .

وقال مقاتل : يعني يخطف من كلام الملائكة^(١) . وذكرنا معنى الخطف في سورة الحج^(٢) .

قال الزجاج : وهو أخذ الشيء بسرعة^(٣) .

قوله : ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾ ؛ أي لحقه وأصابه . قال المفسرون : لا يخطفه ، يقتل أو يحرق أو يخبل^(٤) ، يقال تبعه وأتبعه إذا مضى في أثره ، وأتبعه إذا لحقه ، ومنه قوله : ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف : ١٧٥] ، وقد مر .

قوله تعالى : ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : نار مضيئاً يحرقه^(٥) .

قال الحسن وقتادة : ثاقب مضيء^(٦) .

قال الليث^(٧) : الثقوب مصدر . النار الثاقبة والكوكب الثاقب ، يقال ثقب يثقب ثقباً وهو شدة ضوئه وتلألؤه ، والخشب الثاقب الصريح النقي^(٨) .

وقال أبو عبيدة : الثاقب النير المضيء ، ويقال أثقب ناراً ؛ أي أضاءها ، والثقوب ما يذكى به النار ، ومنه قول أبي الأسود :

-
- (١) تفسير مقاتل ١٠٩ ب .
 (٢) عند قوله تعالى : ﴿حَقَّاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ الآية ٣١ . قال : خطف يخطف إذا أخذ بسرعة .
 (٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٩ / ٤ .
 (٤) انظر : الثعلبي ٢٤٠ / ٣ ب ، الطبري ٤٠ / ٢٣ ، والبغوي ٢٣ / ٤ ، والقرطبي ٦٧ / ١٥ .
 (٥) تنوير المقياس ٤٤٦ بهامش المصحف ، تفسير مقاتل ١٠٩ ب .
 (٦) انظر : الطبري ٢٣ / ٤٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ١٣ / ٦ ، والقرطبي ٦٧ / ١٥ .
 (٧) انظر : تهذيب اللغة (ثقب) ٨٣ / ٩ ، واللسان (ثقب) ٢٣٩ / ١ .
 (٨) انظر : المصادر السابقة ، القاموس المحيط ٨١ .

أذاعَ به في الناسِ حتى كأنهُ بعلياءِ نارٍ أوقدتْ بثقوبِ^(١)(٢)
ونظير هذه الآية قوله : ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾^(٣) [الحجر : ١٨] ،
وذكرنا الكلام هناك مستقصى في^(٤) معنى الشهاب ، ومعنى الآية .

١١ . قوله تعالى : ﴿فَاسْتَفْنِهِمْ﴾ قال ابن عباس : قل يا محمد لقومك^(٥) .

وقال أبو إسحاق : فسألهم^(٦) سؤال تقرير . ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ ؛ أي أحكم
صنعة ﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ من غيرهم ، يعني من الأمم السالفة ، يريد أنهم ليسوا
بأحكم خلقاً من غيرهم من الأمم وقد أهلكناهم بالتكذيب ، فما الذي يؤمنهم
من العذاب ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء^(٧) .

وقال مقاتل : ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ بعد الموت ، وذلك أنهم كفروا بالبعث^(٨) .
﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ يعني السموات والأرض والجبال ، وهذا قول مجاهد وسفيان^(٩) ،
والمعنى : ليس خلقهم بعد الموت بأشد من خلق السموات والأرض والجبال ،
وقد علموا أن الله خلق هذه الأشياء ، فهو أيضاً يقدر على خلقهم بعد الموت .

(١) البيت من الطويل لأبي الأسود في ديوانه ٤٥ ، ومجاز القرآن ١ / ١٣٣ ، ٢ / ١٦٧ ، والدر المصون
٤٠٢ / ٢ .

(٢) مجاز القرآن ١٦٧ / ٢ .

(٣) في (ب) : (ثاقب مبین) ، وهو خطأ .

(٤) قال - رحمه الله - هناك : والشهاب شعلة نار ساطع ، ثم يسمى الكوكب شهاباً والستان شهاباً لبريقهما
يشبهان النار ، فقال المفسرون : إن الشهاب لا يخطئه أبداً ، وإنهم ليرمون فإذا توارى عنكم فقد
أخطأه .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٣٧٤ بهامش المصحف .

(٦) هكذا في النسخ ولعل الصواب : فسألهم ؛ لأن عبارة أبي إسحاق : أي سلهم . معاني القرآن وإعرابه
٢٩٩ / ٤ .

(٧) لم أقف عليه . انظر : القرطبي ٦٨ / ١٥ ، وزاد المسير ٤٩ / ٧ .

(٨) تفسير مقاتل ١١١ أ .

(٩) تفسير مجاهد ٥٤٠ ، ولم أقف عليه عن سفيان .

وقال الكلبي: ﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ يقول: أم من عندنا من الملائكة^(١). ومن على قول مقاتل ومجاهد بمعنى: ما.

ثم ذكر خلق الإنسان فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ قال عطاء: يريد الذي يلصق^(٢).

وقال مجاهد عن ابن عباس: من طين لازب قال جيد^(٣).

وقال السدي: الذي يلزق بعضه ببعض^(٤).

وقال عكرمة: اللزوج^(٥). وقال الكلبي: الطين الجيد اللاصق^(٦). وأكثر أهل اللغة على أن الباء في اللازب بدل من الميم، يقال: لازم ولازب، وهو قول أبي عبيد^(٧) والفراء.

وقال الكسائي: لزب يلزب بالكسر ولزب بالضم لغتان لزوباً^(٨). وعلى هذا يجوز أن يكون اللازب لغة بنفسه من غير أن تكون الباء مبدلة من الميم.

والمعنى: قال مقاتل: فالذي خلق من الطين أهون خلقاً عند هذا المكذب بالبعث من خلق السموات والأرض^(٩). وعلى القول الأول في معنى الآية: أراد

(١) لم أقف عليه. انظر: القرطبي ٦٨/١٥، وزاد المسير ٤٩/٧، وفقد ذكر القول من دون نسبه.

(٢) لم أقف عليه عن عطاء وقد روى عن ابن عباس. انظر: الطبري ٤٣/٢٣، ومجمع البيان ٦٨٦/٨.

(٣) انظر: الطبري ٤٣/٢٣، والمحزر الوجيز ٤٦٧/٤، وزاد المسير ٤٩/٧.

(٤) لم أقف عليه عن السدي وينسب للضحاك وقتادة وابن زيد. انظر: الطبري ٤٢/٢٣، والقرطبي ٦٩/١٥.

(٥) انظر: الطبري ٤٣/٢٣، والماوردي ٤٠/٥، والقرطبي ٦٩/١٥.

(٦) لم أقف عليه عن الكلبي، انظر: المصادر السابقة.

(٧) انظر: معاني القرآن ٣٨٤/٢، وتهذيب اللغة ٢١٥/١٣، وعن الفراء. تاج العروس ٢٠٥/٤.

(٨) لم أقف عليه. انظر: القرطبي ٦٩/١٥.

(٩) تفسير مقاتل ١١٠ أ.

الإخبار عن التسوية بينهم وبين غيرهم من الأمم ، يعني أن هؤلاء خلقوا مما خلق منهم الأولون ، فليسوا بأشد خلقاً منهم .

١٢ . قوله تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ الكلام في معنى بل قد تقدم عند قوله : ﴿ بَلْ زَعَمْتَ ﴾ [الكهف : ٤٨] ^(١) ، وأما عجت ففيه قراءتان : ضم التاء وفتحها ، والضم قراءة ابن عباس وابن مسعود والأعمش ، وقراءة قراء الكوفة واختيار أبي عبيد ، وكان شريح يقول : بل عجت ، ويقول إن الله لا يعجب من شيء إنما يعجب من لا يعلم . قال الأعمش : فذكرت ذلك لإبراهيم فقال : كان شريح يعجب بعلمه ، وكان عبد الله أعلم منه وكان يقرأ : (بل عجت) ^(٢) ^(٣) .

قال أبو عبيد : والشاهد مع هذا قول الله : ﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجْبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ [الرعد : ٥] أخبر جل جلاله أنه عجب ، ومما يزيده تصديقاً الحديث المرفوع : «لقد عجب الله البارحة من فلان وفلانة» ^(٤) .

(١) انظر : البسيط قال : بل هنا لتؤذن بتحقيق ما سبق وتوكيد ما يأتي بعده ، وقد تحيىء بل في الكلام لترك ما سبق من غير إبطال له .

(٢) أورده عبدالرزاق في تفسيره ١٤٨/٢ بسنده عن الثوري عن الأعمش عن أبي وائل ، والفراء في معاني القرآن ٣٨٤/٢ .

(٣) انظر : حول هذه القراءة . الحجة ٥٣/٦ ، وعلل القراءات ٥٧٤/٢ ، والطبري ٤٢/٢٣ .

(٤) هذا جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ، باب ويؤثرون على أنفسهم ١٨٤٥/٤ رقم ٤٦٠٧ ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : «أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أصابني الجهد ، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : ألا رجل يُضَيِّقُه هذه الليلة ، فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، فذهب إلى أهله فقال لامرأته : ضيف رسول الله ﷺ لا تدخره شيئاً . قالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية . قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنؤمهم وتعالى فاطفتي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت . ثم غدا الرجل على النبي ﷺ فقال : لقد عجب الله عز وجل ، أو ضحك من فلان وفلانة» فأُنزل الله عز وجل : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

وقال الفرّاء : «العجب وإن أسند إلى الله فليس معناه من الله كمعناه من العباد ، ألا ترى أنه قال : ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة : ٧٩] . وليس السُّخْرِيّ من الله كمعناه من العباد»^(١) .

وقال أبو إسحاق : (العجب من الله خلاف العجب من الآدميين هذا كما قال : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ، وقال : ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة : ٧٩] ، وقال : ﴿ وَهُوَ خَدِرُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٢] ، والمكر من الله والخداع خلافه من الآدميين . وأصل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال عجبت من كذا وكذا ، وكذلك إذا فعل الآدميون ما ينكره الله - عز وجل - جاز أن يقول : عجبت . والله - عز وجل - قد علم الشيء قبل كونه ، ولكن الإنكار والعجب الذي به تلزم الحجة عند وقوع الشيء) . انتهى كلامه^(٢) .

وقد ثبت جواز إضافة العجب إلى الله ، وهو على وجهين : عجب مما يرضى وعجب مما يكره ، فالعجب بما يرضى معناه في صفة الله الاستحسان وأخبر عن تمام الرضى ، والعجب بما يكره الإنكار والذم له ، وذهب قوم إلى أنه لا يجوز العجب في وصف الله ، وقالوا في قوله : ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ [الرعد : ٥] ؛ أي فعجب عنكم ، وقالوا في هذه القراءة : معناها أن هذه الحالة وهي إنكارهم البعث مع وضوح الدلالة عليه وهو الابتداء والإنشاء حلت محل الشيء الذي إذا ورد عليكم عجبتم منه ، ويقول سامعها عجبت ، كما أن قوله : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [مريم : ٣٨] معناه أن هؤلاء مما [يقولون أنتم فيه هذا النحو من الكلام ، وكذلك قوله : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ [البقرة : ١٧٥] . عند من لم يجعل اللفظ على الاستفهام ، وعلى هذا النحو قوله : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه : ٤٤]^(٣) .

(١) معاني القرآن ٢ / ٣٨٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٠٠ .

(٣) ما بين المعقوفين يبدو أنه كلام لا علاقة له بالسباق فلعله وهم من النساخ .

قالوا: «ولا يجوز العجب في وصف القديم»^(١) كما يكون في وصف الإنسان؛ لأن العجب منا إنما يكون إذا شاهدنا ما لم نشاهد مثله ولم نعرف سببه، وهذا منتف عن القديم سبحانه وتعالى، وهذا مذهب المعتزلة. ومذهب أهل السنة أن العجب قد ورد مضافاً إلى الله في كثير من الأخبار كما روى: عجب ربكم من إلكم وقنوطكم، وعجب ربكم من شاب ليست له صبوة»^(٢) ومعناه ما ذكرنا. والعجب الذي ذكروا أنه لا يجوز في وصف الله لا نجوزه نحن، ولكن من حيث اللفظ قد ورد العجب في وصفه، وتأويله ما ذكرنا^(٣).

وأما معنى الآية والمفسرون على فتح التاء فذكروا فيه قولين؛ أحدهما: عجبت يا محمد من القرآن حين أوحى إليك ﴿وَسَخَّرُونَ﴾، يعني كفار مكة سخرُوا من النبي حين سمعوا منه القرآن، هذا قول مقاتل^(٤).

(١) وصف الله - جل وعلا - بالقديم مما أدخله المتكلمون في أسماء الله تعالى وليس من أسماؤه الحسنى؛ لأن القديم في لغة العرب هو المتقدم على غيره، وقد جاء الشرع المظهر باسمه الأول، وهو أحسن من القديم؛ لأنه يشعر أن ما بعده آيل إليه. انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٧٧/١.

(٢) أخرج ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٦١/١ أول الحديث وفي ١١/٣ آخر الحديث، وعجب ربكم من شاب ليست له صبوة. والزنجشري في الفائق ٥٢/١، وأول الحديث: عجب ربكم من إلكم وقنوطكم. وابن الجوزي في غريب الحديث ٣٦/١ أول الحديث، وإلكم من الإل، قال ابن الأثير في النهاية ٦١/١ الإل: شدة القنوط، ويجوز أن يكون رفع الصوت بالبكاء. وقال الزنجشري في الفائق ٥٢/١ الإل والألل والألئل رفع الصوت بالبكاء. والمعنى أن إفراطكم في الجوار والنحيب فعل القانطين من رحمة الله مستغرب مع ما ترون من آثار الرأفة عليكم.

(٣) تأويل المؤلف لصفة العجب الذي يشير إليه بقوله ما ذكرنا لم أقف عليه. والذي يظهر لي - والله أعلم - أن المؤلف - رحمه الله - قد اضطرب في فهم هذه الصفة أو في إثباتها، فمذهب الأشاعرة هو تأويل هذه الصفة، أما أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون لله - جل وعلا - ما أثبتته لنفسه وما أثبتته له نبيه ﷺ من الصفات من غير تكيف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل. انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٦٠/١.

(٤) تفسير مقاتل ١١٠ أ.

وقال قتادة^(١) : عجب نبي الله من هذا القرآن حين أنزل عليه وضلال بني آدم ، والمعنى أنه ﷺ كان يظن أن كل من يسمع منه القرآن يؤمن به ، فلما سمع المشركون القرآن فسخروا منه وتركوا الإيمان به عجب محمد ﷺ من ذلك ، فقال الله - تعالى - عجبت يا محمد من نزول الوحي وتركهم الإيمان ، وهو معنى قوله : ﴿ وَيَسْخَرُونَ ﴾ ؛ لأن سخرتهم من ترك الإيمان به .

والقول الثاني : عجبت من إنكارهم البعث وهم يسخرون منك ويستهزئون من تعجبك ، وهذا قول الكلبي^(٢) ، ومعنى قول ابن عباس^(٣) في رواية عطاء ، وذكر أبو إسحاق^(٤) القولين جميعاً .

وعلى القول الأول : العجب من نزول الوحي وسخرتهم بالنبي ﷺ والقرآن . والواو في : ﴿ وَيَسْخَرُونَ ﴾ واو الحال ، والتقدير : بل عجبت وهم يسخرون أن وقع العجب منك في هذه الحال منهم .

وعلى القول الثاني : العجب من إنكارهم البعث ، والواو في : ﴿ وَيَسْخَرُونَ ﴾ واو الاستئناف .

وأما معنى الآية على قراءة من قرأ بالضم فقد ذكرنا فيه قولين ، فمن أجاز إضافة العجب إلى الله على معنى الإنكار ، كان تأويل الآية أن الله تعالى ذكر إنكاره عليهم ما هم فيه من الكفر والتكذيب ، وسخطه عليهم وهم يسخرون ويستهزئون ولا يتفكرون . وعلى قول من لم يصف العجب إلى الله معنى الآية كمعناها في قراءة من قرأ بالفتح^(٥) .

(١) انظر : تفسير عبدالرزاق ١٤٨ / ٢ ، والطبري ٤٤ / ٢٣ ، ومعاني النحاس ١٥ / ٦ .

(٢) انظر : زاد المسير ٤٩ / ٧ .

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر القرطبي ٦٩ / ١٥ ، وزاد المسير ٤٩ / ٧ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٠ / ٤ .

(٥) انظر : الحجة ٥٣ / ٦ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٥٧٤ / ٢ .

١٣-١٥. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا دُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ ؛ أي إذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون به ، ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ قال ابن عباس ومقاتل : يعني انشقاق القمر بمكة ^(١) ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ ، قال أبو عبيدة ^(٢) : يستسخرون ويسخرون سواء ، وهو قول المفسرين ، قالوا كلهم : يسخرون ويستهنئون ويقولون : هذا عمل السحرة وهو قوله : ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ، قال ابن قتيبة : (يقال سخر واستسخر كما يقال قر واستقر ، وعجب واستعجب ، وأنشد قول أوس :

وَمُسْتَعَجِبٌ مِّمَّا يَرَى مِنْ أَنَاتِنَا ^(٣)

قال : ويجوز أن يكون يسألون غيرهم من المشركين أن يسخروا من النبي ﷺ ، كما تقول استعنته أي سألته العتبي واستوهبته ^(٤) ونحو ذلك .

وقال أبو إسحاق في قوله : «﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ؛ أي جعلوا ما يدل على التوحيد مما يعجزون عنه سحراً» ^(٥) .

(١) انظر : بحر العلوم ١١٢/٣ ، والبغوي ٢٤/٤ ، وتفسير مقاتل ١١٠ أ .

(٢) مجاز القرآن ١٦٧/٢ .

(٣) عجز بيت وصدره :

ولو زبنته الحرب لم يترمرم

وهو من الطويل لأوس بن حجر في ديوانه ١٢١ ، وتفسير غريب القرآن ٣٧٠ ، واللسان ٦٩/٢ ،

١٤٧/١٥ ، والكامل ١١٤٣/٢ .

(٤) تفسير غريب القرآن ٣٧٠ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٠/٤ .

١٦ . قوله تعالى : ﴿إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا﴾^(١) الآية . الكلام في نظير هذه الآية قد تقدم في سورة الرعد^(٢) ، ثم في سورة النمل^(٣) ، والعنكبوت^(٤) . قال أبو إسحاق المعنى : أنبعث إذا كنا تراباً وعظاماً^(٥) ؟ وهذا استفهام إنكار وتعجب .

١٧ . قوله تعالى : ﴿أَوَّابًا﴾ قال مقاتل^(٦) : أو يبعث آباؤنا ، وهذه ألف الاستفهام دخلت على حرف العطف . وقرأ نافع هاهنا وفي سورة الواقعة^(٧) ساكنة الواو . وذكرنا الكلام في هذا في سورة الأعراف عند قوله : ﴿أَوَّابًا أَمَّا الْقَرْنَى﴾^(٨) .

(١) قوله : (وكنا تراباً) غير مثبت في (أ) .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿وَلِإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذْ ذَا كُنَّا تُرَابًا لَّيْ خَلْقِي جَدِيدٍ﴾ الآية ٥ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ ذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ الآية ٦٧ .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير ﴿الآيتان ١٩-٢٠ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٠٠ .

(٦) تفسير مقاتل ١١٠ أ .

(٧) آية ٤٨ قوله تعالى : ﴿أَوَّابًا وَالْأُولُونَ﴾ .

(٨) آية ٩٨ . وقد ذكر المؤلف - رحمه الله - هناك كلاماً طويلاً منقولاً بنصه من الحجة : كما قال د . محمد الفايز ، انظر : الحجة ٤ / ٥٤ .

١٨ . قال مقاتل : فقال الله لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ لَكَفَّارِ مَكَّةَ ﴾ ﴿ نَعَمْ ﴾ تبعثون ﴿ وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ ﴾ ؛ أي صاغرون^(١) ، وقال أبو عبيدة والمفضل^(٢) : الدخور أشد الصغار ، يقال داخر صاغر ، وأنشد أبو عبيدة قول ذي الرمة ، فقال :

فلم يبقَ إلَّا داخِرٌ في مخيِّشٍ ومنحجِرٍ في غيرِ أَرْضِكَ في حُجَرٍ^{(٣)(٤)}
وذكرنا تفسير هذا عند قوله : ﴿ سَجَدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَخِرُونَ ﴾ [النحل: ٤٨]^(٥) .

١٩ . ثم ذكر أن بعثهم يقع بزجرة واحدة ، وذلك قوله : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ ﴾ [وهي ضمير على أن شريطة التفسير]^(٦) وقد مضت هذه المسألة ، والمعنى وإنها قصة البعث زجرة واحدة .

قال مقاتل : يعني صيحة واحدة من إسرائيل^(٧) .

-
- (١) تفسير مقاتل ١١٠ أ .
(٢) لم أقف على قول المفضل .
(٣) البيت من الطويل وهو لذي الرمة في ديوانه ٢٧٥ ، وانظره منسوباً إليه في مجاز القرآن ١٦٨ / ٢ .
والدخور هو التواضع ، والمخييش : السجن ، والمنحجر الداخل في الحجر . انظر : الدر بتحقيق الخراط ٢٣٣ / ٧ .
(٤) مجاز القرآن ١٦٨ / ٢ .
(٥) قال هناك : داخرون ؛ أي صاغرون هذا لفظ المفسرين ، يقال دخر يدخر دخوراً ؛ أي صغر يصغر صغراً ، وهو الذي يفعل ما يؤمر به شاء أم أبى .
(٦) هذه الجملة يظهر لي - والله أعلم - أنها مدرجة وأنها خطأ ووهم من النساخ .
(٧) تفسير مقاتل ١١٠ أ .

وقال ابن عباس : يريد نفخة البعث^(١) . ومعنى الزجر في اللغة الصيحة التي يزجر بها ، كالزجرة بالغنم وبالإبل^(٢) عند الحث ، ثم كثر استعمالها حتى صارت بمعنى الصيحة وإن لم يكن فيها معنى الزجر عن الشيء كالتي في هذه الآية^(٣) .

قوله تعالى : ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ قال مقاتل : ينظرون إلى البعث الذي كذبوا به^(٤) .

وقال الكلبي : إذا سمعوا بالصيحة الآخرة زجروا من قبورهم فاستووا على ظهر الأرض قياماً ينظرون^(٥) ما يؤمرون به .

قال أبو إسحاق : «أي يبعثون بصراء ينظرون» ، فلما عاينوا البعث ذكروا قول الرسل في الدنيا أن البعث حق فدعوا بالويل .

٢٠ . ﴿وَقَالُوا بَيِّنَاتٌ﴾ قال^(٦) : من العذاب ﴿هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾ يعني يوم الحساب والجزاء ، قاله الكلبي ومقاتل وعطاء^(٧) .

وقال أبو إسحاق : يوم نجازى فيه بأعمالنا^(٨) .

(١) تفسير ابن عباس ٣٧٤ بهامش المصحف .

(٢) في (ب) : (والإبل) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ١٠/٦٠٢ ، واللسان (زجر) ٤/٣١٨ .

(٤) تفسير مقاتل ١١٠ أ .

(٥) لم أقف عليه عند الكلبي . انظر : القرطبي ١٥/٧٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٠١ .

(٧) تفسير مقاتل ١١٠ أ ، ولم أقف عليه عند الكلبي وعطاء ، انظر : الماوردي ٥/٤٢ ، وزاد المسير ٧/٥٢ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٠١ .

٢١. قال مقاتل : «فردت عليهم الملائكة فقالوا : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ يعني يوم القضاء . ﴿ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ بأنه غير كائن»^(١) ، ونحو هذا قال الكلبي^(٢) . فيقال لهم : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ .

وقال ابن عباس : يريد اليوم الذي يفصل بين العباد^(٣) .

وقال أبو إسحاق : هذا يوم الفصل فيه بين المحسن والسيء ويجازى كل بعمله^(٤) .

٢٢. قوله تعالى : ﴿ أَخْشَرُوا ﴾ ؛ أي يقال في ذلك اليوم : ﴿ أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ قال ابن عباس : الذين أشركوا من بني آدم^(٥) .

وقوله : ﴿ وَأَزْوَجَهُمْ ﴾ أكثر المفسرين على أن المراد بالأزواج هاهنا الأمثال والأشباه والضرباء ، وهو قول عمر بن الخطاب وابن عباس وابن زيد وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والشعبي ، قالوا هؤلاء كلهم : أمثالهم وأشباههم وأشياءهم وأتباعهم وضرباؤهم^(٦) ، ونحو ذلك قال الكلبي^(٧) . كل من عمل مثل عملهم وهو من قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ ؛ أي أشكالا وأشباهاً ، وهذا القول اختيار أبي إسحاق قال : «المعنى ونظراؤهم وضرباؤهم ، تقول عندي من

(١) تفسير مقاتل ١١٠ أ .

(٢) لم أقف على قول الكلبي ، وقد ذكره القرطبي ٧٢ / ١٥ ولم ينسبه ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٥٢ / ٧ .

(٣) تفسير ابن عباس ٣٧٤ بهامش المصحف .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٠١ / ٤ .

(٥) انظر : تفسير ابن عباس ٣٧٤ بهامش المصحف ، وذكر القول ولم ينسبه البغوي ٢٥ / ٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٥٢ / ٧ .

(٦) انظر : تفسير عبدالرزاق ١٤٨ / ٢ ، والطبري ٤٦ / ٢٣ ، والثعلبي ٢٤٠ / ٣ ، الب ، الماوردي ٤٣ / ٥ ، وزاد المسير ٥٢ / ٧ .

(٧) لم أقف عليه عن الكلبي ، انظر : المصادر السابقة .

هذا أزواج ؛ أي أمثال ، وكذلك زوجان من الجفاف ؛ أي كل واحد نظير صاحبه ، وكذلك الزوج المرأة والزوج الرجل ، قد تناسبا بعقد النكاح وكذلك ، قوله : ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجَ﴾ [ص: ٥٨] انتهى كلامه ^(١) ، وعلى هذا يجب أن يكون المراد بالذين ظلموا الرؤساء والقادة ؛ لأنك إذا جعلت الذين ظلموا عامًّا في كل من أشرك لم يكن للأزواج معنى .

وقال ابن عباس ^(٢) في رواية عطاء : ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ قرناؤهم من الشياطين ، وهو قول مقاتل ^(٣) ؛ قال : يعني الشياطين الذين أضلوهم ، وكل كافر مع شيطان في سلسلة واحدة ، وقال الحسن ^(٤) ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ قال : يعني ضرباؤهم من الجن .

قوله عز وجل : ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؛ أي من الأوثان والطواغيت . وقال مقاتل : يعني إبليس وجنده ^(٥) ، واحتج بقوله : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَتَبِعِيْءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠] .

٢٣ . قوله تعالى : ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ قال ابن عباس : دلوهم ^(٦) . وهو اختيار المفضل ^(٧) قال : المعنى اذهبوا بهم .

قال أهل المعاني : وإنما استعملت الهداية هاهنا ؛ لأنه جعل الهداية إلى الجنة كما قال : ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١ ، التوبة: ٣١ ، الانشقاق: ٢٤] ، فوقعت

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٠١ / ٤ .

(٢) تفسير ابن عباس ٣٧٥ بهامش المصحف . انظر : الماوردي ٤٣ / ٥ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٠ أ .

(٤) لم أقف عليه عن الحسن ، ونسبه أكثر المفسرين للضحاك ومقاتل . انظر : البغوي ٢٥ / ٤ ، والقرطبي ٧٣ / ١٥ ، وزاد المسير ٥٢ / ٧ .

(٥) تفسير مقاتل ١١٠ أ .

(٦) تفسير ابن عباس ٣٧٤ بهامش المصحف . انظر : البغوي ٢٥ / ٤ .

(٧) لم أقف على اختيار المفضل .

البشارة بالعذاب لهؤلاء بدل البشارة بالنعيم لأولئك^(١). وروي عن ابن عباس في قوله: ﴿فَأَهْدُوهُمْ﴾ فسوقوهم^(٢).

وقال مقاتل والكلبي والضحاك^(٣): فادعوهم، وهو معنى وليس بتفسير.

وقال ابن كيسان: قدموهم^(٤) وهودوهم؛ لأنه يقال هذا إذا تقدم، ومنه الهادية والهوادي وهاديات الوحش، ولا يقال هدى بمعنى قدم.

٢٤-٢٥. قوله تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ﴾ يقال: وقفت الدابة أقفها وقفاً فوقفت هي وقوفاً^(٥). قال الزجاج^(٦): احبسوهم.

وقال الكلبي: وقفوا قبل ذلك وحوسبوا حين قدموا على الله^(٧). يعني أن في الكلام تقدماً وتأخيراً، والأمر بوقفهم يكون قبل الأمر بسوقهم إلى صراط الجحيم، روي عن ابن عباس أنه قال: وقفوا قبل ذلك.

قال المفضل^(٨): يجوز أن يكون التقديم والتأخير: قفوهم واهدوهم.

(١) لم أقف عليه عند أهل المعاني، وقد ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٦٨٨/٨.

(٢) أورده السيوطي في الدر ٨٤/٧، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. قلت: ولم أقف عليه عند ابن جرير.

(٣) تفسير مقاتل ١١٠، ولم أقف عليه عن الكلبي والضحاك، وأورده الماوردي ٤٣/٥، ونسبه للسدي.

(٤) انظر: تفسير الثعلبي ٣/٢٤٠ ب، والبغوي ٢٥/٤.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (وقف) ٣٣٣/٩، ومقاييس اللغة (وقف) ١١٠١.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٢/٤.

(٧) انظر: القرطبي ٧٤/١٥.

(٨) لم أقف على قول المفضل.

وقال مقاتل : فلما سيقوا إلى النار حبسوا^(١) . وعلى هذا الحبس كان^(٢) بعد السوق والكلام على وجهه ونظمه ، كأنه قيل : واهدوهم إلى صراط الجحيم ، فإذا انتهوا إلى الصراط قبل وقفوهم^(٣) للسؤال على الصراط .

﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ قال ابن عباس : عن أعمالهم في الدنيا وأقاولهم^(٤) .

وقال مقاتل^(٥) : سألتهم خزنة جهنم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٦) [الزمر: ٧١] ، ويجوز أن يكون هذا السؤال ما ذكر بعد وهو قوله : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ ؛ أي إنهم مسؤولون توبيخاً لهم ، فيقال : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾^(٧) أي لا تتناصرون .

قال ابن عباس : لا ينصر بعضهم بعضاً كما كتتم في الدنيا ، وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر : نحن جميع منتصر ، فقبل لهم ذلك اليوم : ما لكم غير متناصرين^(٨) .

وقال مقاتل^(٩) : يقول للكفار ما لشركائكم لا يمنعونكم من العذاب .

(١) تفسير مقاتل ١١٠ ب .

(٢) في (أ) : (كانوا) ، وهو خطأ .

(٣) في (أ) : (وقفوهم السؤال) ، وهو خطأ .

(٤) انظر : البغوي ٢٥ / ٤ ، والقرطبي ٧٤ / ١٥ ، وزاد المسير ٥٣ / ٧ .

(٥) تفسير مقاتل ١١٠ ب .

(٦) قوله : (ألم يأتكم رسل منكم) غير مثبت في (أ) ، وعدم إثباته خطأ .

(٧) سقط من (أ) قوله : (لا) .

(٨) ذكره الثعلبي في تفسيره ٢٤٠ / ٣ ب ، والبغوي ٢٥ / ٤ ، والقرطبي ٧٤ / ١٥ .

(٩) تفسير مقاتل ١١٠ ب .

٢٦. قال الله تعالى : ﴿بَلْ هُمْ أَتَمَّ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ يقال : استسلم للشيء إذا انقاد له وخضع . قال أبو عبيدة : والمستسلم الذي يعطى بيده ^(١) .

وقال الكسائي ^(٢) : ملقون بأيديهم . وقال المفضل ^(٣) : أذلاء منقادون لا حيلة لهم في أنفسهم ، لا العابد ولا المعبود . وقال ابن عباس : ألقوا بأيديهم وضلت حجتهم ^(٤) .

وقال أبو صالح : استسلم العابد والمعبود عند ذلك وعرفوا أنه الحق ^(٥) . ومعنى استسلم : طلب السلامة بترك المنازعة .

٢٧. قوله تعالى : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ قال ابن عباس : يريدهم والشیاطين ^(٦) ، وقيل الرؤساء والأتباع ^(٧) .

وقوله : ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ ؛ أي يسأل بعضهم بعضاً ، قال مقاتل ^(٨) والكلبي ^(٩) : يتكلمون في ما بينهم ؛ أي يختصمون ، وهذا التساؤل عبارة عن التخاصم والتكلم ، وهو سؤال التأنيب ، يقولون : غررتمونا ، وتقول أولئك لهم : قبلتم منا . وقال في موضع آخر : ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوَّمُونَ﴾ [القلم : ٣٠] ، وهذا

(١) مجاز القرآن ١٦٨/٢ .

(٢) لم أقف على قول الكسائي ، وأورده الشوكاني في فتح القدير ٣٧٩/٤ ونسبه للأخفش .

(٣) لم أقف على قول المفضل ، وأورده الشوكاني في فتح القدير ٣٧٩/٤ ، ولم ينسبه .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وأورده الطبرسي ٦٨٩/٨ ، ولم ينسبه .

(٥) لم أقف عليه عن أبي صالح .

(٦) تفسير ابن عباس ٣٧٥ بهامش المصحف .

(٧) ذكره الماوردي ٤٥/٥ ، ولم ينسبه ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٥٤/٧ .

(٨) تفسير مقاتل ١١٠ ب .

(٩) لم أقف عليه عن الكلبي ، وقد ذكره الماوردي ٤٥/٥ عن ابن عباس ، وذكره البغوي ٢٦/٤ غير منسوب لأحد .

التساؤل متضمن لمعنى التلاوم وليس ذلك تساؤل المستفهمين ، بل هو تساؤل التوبيخ فهو نفس التلاوم .

٢٨ . ثم ذكر ذلك التخاصم والتلاوم وهو قوله : ﴿ قَالُوا ﴾ ؛ أي الكفار للشياطين أو الأتباع للرؤساء : ﴿ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ ، قال ابن عباس^(١) : يريد من قبل الحق ، وهو لفظ مقاتل^(٢) .

وقال الكلبي^(٣) : يقول تأتوننا من قبل الدين ، فترينون لنا ضلالتنا التي كنا عليها ، ونحو ذلك قال الضحاك^(٤) .

وقال قتادة : كنتم تفتنوننا عن طاعة الله^(٥) .

قال الفراء : « يقول : كنتم تأتوننا من قبل الدين ؛ أي تحذعوننا بأقوى الوجوه ، واليمين : القدرة والقوة ، قال الشماخ :

تلقاها عرابة باليمين^(٦)

(١) انظر : القرطبي ١٥ / ٧٥ ، وذكره الماوردي ٥ / ٤٦ ، ونسبه لمجاهد .

(٢) تفسير مقاتل ١١٠ ب .

(٣) انظر : الماوردي ٥ / ٤٥ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٤١ أ ، والبغوي ٤ / ٢٦ ، وزاد المسير ٧ / ٥٤ .

(٥) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ١٤٨ ، والطبري ٢٣ / ٤٩ ، وأورده السيوطي في الدر ٧ / ٨٦ ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٦) هذا عجز بيت من الوافر وصدره :

إذا ما راية رفعت لمجد

للشماخ في ديوانه ٣٣٦ ، ومعاني القرآن للفراء ٢ / ٣٨٥ ، وتهذيب اللغة ٨ / ٢٢١ ، ١٥ / ٥٢٣ ، واللسان ١٣ / ٤٦١ .

قال : يريد القدرة^(١) والقوة^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «أي كنتم تأتوننا من قبل الدين فترونا أن الدين والحق ما تعلنونا به»^(٣) .

فاليمين على ما ذكروا عبارة عن الحق والدين ، غير أن قول أبي إسحاق غير قول الآخرين ؛ لأن معنى قوله : كنتم تزينون لنا الدين الذي كنتم عليه وهو الكفر . ومعنى قول الآخرين : كنتم تمنعوننا بإضلالكم عن الدين الذي هو الحق .

وشرح ابن قتيبة قول المفسرين في هذه الآية فقال : «يقول المشركون لقرنائهم من الشياطين : إنكم كنتم تأتوننا عن أياننا لأن إبليس قال : ﴿ثُمَّ لَا يَنبَغُ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧] ؛ فشياطينه^(٤) تأتيهم من كل جهة من هذه الجهات ، يعني التأكيد والإضلال ، قال المفسرون : فمن أتاه الشيطان من قبل الشمال أتاه من قبل الشهوات ، ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ، ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف من بعده ، فلم يصل رحماً ولم يؤد زكاة . فقال^(٥) المشركون لقرنائهم : إنكم كنتم تأتوننا في الدنيا من جهة الدين فتشبهون علينا فيه حتى أضللتهمونا»^(٦) .

(١) في (أ) : (القوة والقدرة) .

(٢) معاني القرآن ٢ / ٣٨٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٠٢ .

(٤) هكذا في النسخ وفي تأويل المشكل لابن قتيبة (فشياطينهم) ، وهو الصواب .

(٥) في (ب) : (قال) سقطت الفاء .

(٦) تأويل مشكل القرآن ٣٤٨ .

وقال أبو القاسم^(١) الرَّجَّاجِي : أجود ما قيل في هذا أنه من قول العرب : فلان عندي باليمن ؛ أي بالمنزلة الحسنة ، وفلان عندي بالشمال ؛ أي بالمنزلة الخسيصة الدنية^(٢) . فقال هؤلاء الكفار [لأئمتهم]^(٣) الذين أضلوهم وزينوا لهم الكفر : إنكم كنتم تخدعوننا وترونا^(٤) أننا عندكم بمنزلة اليمن ؛ أي بالمنزلة الحسنة ، فوثقنا بكم وقبلنا عنكم ؛ أي أتيتمونا من ذلك الجانب .

قال : وقال بعض أصحابنا وهو قول قوي : إن أئمة المشركين كانوا قد أخافوا^(٥) هؤلاء المستضعفين أن ما يدعونهم إليه هو الحق ، فوثقوا بأيامهم وتمسكوا بعهودهم التي عهدوها . فمعنى قوله : ﴿ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ ؛ أي من ناحية المواثيق والأيمان التي قدمتموها لنا ، فقال لهم قباؤهم : ﴿ بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ أي لم تكونوا على حق فنشبهه عليكم ونزيلكم عنه إلى باطل ؛ أي ما كنتم مؤمنين فرددناكم عن الإيمان ؛ أي إنما الكفر من قبلكم .

٣٠ . وقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ ؛ أي من قدرة فنقهركم ونجبركم . وقال مقاتل : يعني من ملك فنكرهكم على مبايعتنا^(٦) . ﴿ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴾ قال ابن عباس : ضالين^(٧) .

(١) في (ب) : (أبو الغنيم) ، وهو خطأ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٤) في (ب) : (وترونا) .

(٥) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (قالوا) .

(٦) تفسير مقاتل ١١٠ ب .

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : القرطبي ١٥ / ٧٥ ، وزاد المسير ٧ / ٥٥ ، ومجمع البيان ٨ / ٦٨٩ .

٣١. وقال الكلبي : فوجب علينا جميعاً قول ربنا بالسخط^(١) . وقال مقاتل^(٢) : يعني قول الله لإبليس : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] ، وقال أبو إسحاق : أي حقت علينا كلمة العذاب^(٣) .

قوله تعالى : ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ ؛ أي العذاب الأليم ، قاله ابن عباس^(٤) ومقاتل والكلبي .

وقال أبو إسحاق : أي إن الجماعة المضل والضال^(٥) في النار^(٦) .

٣٢. قوله تعالى : ﴿فَأَغْوَيْنَكُمْ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : فأضللناكم عن الهدى^(٧) .

وقال الكلبي : دعوناكم^(٨) إلى ما كنا عليه فأضللناكم^(٩) .

وقال عبدالله بن مسلم : أي بالدعاء والوسوسة . ومثله : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] الآية^(١٠) .

(١) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : المصادر السابقة .

(٢) تفسير مقاتل ١١٠ ب .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٢ / ٤ .

(٤) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٥ ، ولم أقف على هذا القول منسوباً لمقاتل والكلبي .

انظر : تفسير الثعلبي ٢٤١ / ٣ ب ، ومعاني القرآن للنحاس ٢٣ / ٦ .

(٥) في (ب) : (الضال والمضل) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٢ / ٤ .

(٧) تفسير مقاتل ١١٠ ب ، وتفسير ابن عباس ٣٧٥ ، وانظر : القول غير منسوب في بحر العلوم

٣ / ١١٤ ، والبغوي ٤ / ٢٦ ، وزاد المسير ٧ / ٥٥ .

(٨) في (ب) : (دعوناكم) .

(٩) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : زاد المسير ٧ / ٥٥ ، ومجمع البيان ٨ / ٦٩٠ .

(١٠) تأويل مشكل القرآن ٣٤٩ .

٣٣. قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ قال ابن عباس ومقاتل ^(١) : يريد الشياطين والإنس .

وقال الكلبي : هم والذين أطاعوهم في الضلالة شركاء ^(٢) في النار .

٣٤-٣٧. ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ قال ابن عباس : يريد المشركين الذين جعلوا لله أنداداً وشركاء ^(٣) ، وهو قول الكلبي ^(٤) وعامة المفسرين ، أن المراد بالمجرمين هاهنا المشركين ^(٥) خاصة ، يدل عليه قوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ، قال ابن عباس : يريد لا يقولونها ^(٦) .

وقال مقاتل : يعني يتكبرون عن الهدى ^(٧) .

وقال أبو إسحاق : يستكبرون عن توحيد الله عز وجل ^(٨) .

وفي الآية إضمار على تقدير : إذا قال لهم قولوا لا إله إلا الله .

قال مقاتل : وذلك أن الملائكة من قريش اجتمعوا عند أبي طالب ، فقال لهم النبي ﷺ يومئذ : «قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم» ،

(١) تفسير مقاتل ١١٠ ب ، ولم أقف عليه عن ابن عباس ، وذكره أكثر المفسرين . انظر : بحر العلوم ١١٤ / ٣ ، والبغوي ٢٦ / ٤ ، والقرطبي ٧٥ / ١٥ .

(٢) أورده الطبرسي في مجمع البيان ٨ / ٦٩٠ غير منسوب لأحد .

(٣) انظر : البغوي ٢٦ / ٤ ، ومجمع البيان ٨ / ٦٩٠ .

(٤) لم أقف عليه عن الكلبي .

(٥) في (أ) : (المشركون) ، وهو خطأ .

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : بحر العلوم ١١٤ / ٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢٣ / ٦ .

(٧) تفسير مقاتل ١١٠ ب .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٢ / ٤ .

فأبوا وقالوا : ﴿ أَتَيْنَا لَتَارِكُوا إِلَهَيْنَا ﴾ ؛ أي نترك^(١) عبادتها لهذا الشاعر المجنون ،
يعنون محمداً ﷺ فكذبهم الله ورد عليهم بقوله : ﴿ بَلْ ﴾ ؛ أي ليس الأمر كما قالوا
﴿ جَاءَ ﴾ محمد ﷺ ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ قال الكلبي : بالقرآن^(٢) . وقال مقاتل : بالتوحيد^(٣) .

﴿ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ قال ابن عباس : يريد الذين كانوا قبله^(٤) . والمعنى أنه
أتى بما أتوا به من التوحيد فهو موافق لهم .

٣٨-٣٩ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ قال الكلبي يعني العابد والمعبود^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا ؛ أي إلا بما ﴿ كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴾ ؛ أي ما تجزون في الآخرة إلا بما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك .

٤٠ . قال مقاتل : ثم^(٦) استثنى فقال : ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ ، قال عطاء
والكلبي عن ابن عباس : هم الموحدون^(٧) ، أهل لا إله إلا الله ، وهم
الذين استخلصهم الله لنفسه .

٤١ . قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴾ قال الكلبي : مقدار غدوة
وعشية^(٨) ، وليس ثم بكرة وعشية يدل على هذا قوله : ﴿ وَلَهُمْ

(١) تفسير مقاتل ١١٠ ب .

(٢) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : بحر العلوم ٣ / ١١٤ ، والقرطبي ١٥ / ٧٦ ، وزاد المسير ٧ / ٥٥ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٠ ب .

(٤) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٥ . انظر : المصادر السابقة .

(٥) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : بحر العلوم ٣ / ١١٤ .

(٦) تفسير مقاتل ١١٠ ب .

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : بحر العلوم ٣ / ١١٤ ، والبخاري ٤ / ٢٧ ، وزاد المسير ٧ / ٥٥ .

(٨) انظر : القرطبي ١٥ / ٧٧ ، وزاد المسير ٧ / ٥٦ .

رَزَقَهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ [مريم: ٦٢] ، وقال مقاتل : يعني بالمعلوم حين يشتهونه ^(١) .

وقال قتادة : الرزق المعلوم الجنة ^(٢) .

وقال غيره : رزق معلوم أي بعلم الله .

٤٢ . ثم بين الرزق فقال : ﴿ فَوَكَّهُ ﴾ ، وهذا يوجب أن يكون الرزق المعلوم الفواكه ؛ لأنه فسر به ، والفواكه جمع الفاكهة ، وهي الثمار كلها رطبها ويابسها ، وتفكه إذا أكل الفاكهة ، وفكَّهت ؛ أي أطعمتهم الفاكهة ^(٣) . وقال بعض أهل المعاني : الفاكهة طعام يؤكل للذة لا للقوت ^(٤) ، والفاكه الذي كثرت فاكهته .

٤٥ . قوله تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴾ قال أبو عبيدة : الكأس الإناء بما فيه ^(٥) ، وقال أبو إسحاق : «الكأس الإناء إذا كان فيه خمر ، ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه» ^(٦) . والمفسرون فسروا الكأس بالخمير ، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل ^(٧) .

وقال الضحاك : كل كأس في القرآن إنما عني به الخمر ^(٨) . وهذا منهم توسع ، وذلك أنهم لما كان المراد بإدارة الكأس إدارة ما فيه لا الإناء ، فسروه بما هو المراد .

(١) تفسير مقاتل ١١٠ ب .

(٢) انظر : الطبري ٥٢ / ٢٣ ، والقرطبي ٧٧ / ١٥ ، وزاد المسير ٥٥ / ٧ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (فكه) ٢٥ / ٦ ، واللسان (فكه) ٥٢٣ / ١٣ .

(٤) في (ب) : (لا لقوت) ، وهو خطأ .

(٥) مجاز القرآن ١٦٩ / ٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٣ / ٤ .

(٧) لم أقف عليه عن عطاء والكلبي . انظر : تفسير مقاتل ١١٠ ب .

(٨) انظر : المحرر الوجيز ٤٧١ / ٤ ، والقرطبي ٧٧ / ١٥ ، وزاد المسير ٥٦ / ٧ .

وقوله: ﴿مِنْ مَّعِينٍ﴾ مضى الكلام مستقصى في تفسير المعين عند قوله: ﴿ذَاتِ قُرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] ^(١).

قال الكلبي ^(٢): يطوف عليهم خدمهم بخمر بيضاء من معين، والمعين الظاهر.

وقال مقاتل: من معين يعني الجاري ^(٣).

وفي المعين قولان؛ أحدهما ^(٤): أنه الظاهر الذي تراه العيون. والثاني: أنه الجاري السايح وقد ذكرناهما.

٤٦. وقوله: ﴿بِضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن ^(٥).

وقوله: ﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ يجوز أن يكون اللذة مصدراً سمي به. قال الليث: «اللذ واللذيذ يجريان مجرى واحد في النعت، يقال شراب لذ ولذيذ» ^(٦). قال الله تعالى: ﴿بِضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿مَنْ خَرَّ لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: ١٥]، وبذلك سمي النوم ^(٧) الاستلذاذة، وعلى هذا لذة بمعنى اللذيذة. وقال أبو إسحاق: أي ذات لذة ^(٨). فعلى هذا حذف المضاف.

(١) قال: قال ابن عباس في رواية عكرمة يعني أنهار دمشق، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: المعين الماء، وروى جابر عنه أنه الماء الجاري، وهو قول مقاتل.

(٢) لم أقف على قول الكلبي.

(٣) تفسير مقاتل ١١١ أ.

(٤) في (أ): (أحدها).

(٥) انظر: معاني القرآن للنحاس ٢٤/٦، والبغوي ٢٧/٤، ومجمع البيان ٦٩٢/٨.

(٦) انظر: تهذيب اللغة (لذ) ٤٠٩/١٤.

(٧) في (أ): زيادة (إلى)، وهو خطأ.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٣/٤.

٤٧. قوله تعالى : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ قال الفرّاء : العرب تقول ليس فيها غيلة وغائلة وغول^(١) سواء .

وقال أبو عبيدة : (الغول أن تغتال عقولهم وأنشد قول مطيع بن إياس^(٢) :

وما زالت الكأس تغتالهم وتذهب بالأول الأول^(٣)

وقال ابن قتيبة : أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها ، يقال الخمر غول للعلم ، والحرب غول للنفوس^(٤) ، وغالني هؤلاء ؛ أي أذهبني .

وقال الليث : الغول الصداع يقال ليس فيها صداع^(٥) ، هذا كلام أهل اللغة في الغول ، وحقيقة الإغلال^(٦) . يقال غاله غولاً ؛ أي أهلكه ، والغول والغائلة المهلكة ، ثم يسمى الوجع غولاً ؛ لأنه يؤدي إلى الهلاك^(٧) .

وأكثر المفسرين قالوا في الغول : إنه الوجع في البطن والرأس ، وهو قول مجاهد وقتادة قالوا : لا يوجع^(٨) .

(١) معاني القرآن ٣٨٥ / ٢ .

(٢) مطيع بن إياس الكتاني من بني ليث بن بكر ، وقيل من بني الدليل بن بكر ، يكنى أبا مسلم ، شاعر ظريف حلو العشرة ، مليح النادرة ، وكان متهماً بالزندقة ، أدرك الدولتين الأموية والعباسية ، ولاء المهدي العباسي الصدقات بالبصرة ومات فيها .

انظر : معجم الشعراء ٤٨٠ ، وخزانة الأدب ٢٢٣ / ١٠ ، وسمط اللآلئ ٦٠٠ ، والأعلام (غول) ٥٠٩ / ١١ ، والدر المصون ٥٠٢ / ٥ ، والبحر المحيط ٣٥٠ / ٧ .

(٣) مجاز القرآن ١٦٩ / ٢ .

(٤) تفسير غريب القرآن ٣٧٠ .

(٥) لم أقف على القول منسوباً لليث . انظر : تهذيب اللغة ١٩٢ / ٨ ، واللسان (غول) ٥٠٩ / ١١ .

(٦) في (أ) : (الإهلاك) ، وهو تصحيف ، وهكذا أثبت في (ب) ، ولعله تصحيف أيضاً والصواب (الغول) .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (غول) ١٩٢ / ٨ .

(٨) انظر : تفسير مجاهد ٥٤١ ، وتفسير عبدالرزاق ١٤٨ / ٢ ، وتفسير الطبري ٥٤ / ٢٣ .

وقال مقاتل : لا يوجع الرأس كفعل خمر^(١) الدنيا^(٢) . وهو قول الحسن قال :
غول صداع^(٣) .

وقال الشعبي : لا يغتال عقولهم فيذهب بها^(٤) .

وذكر أبو إسحاق القولين جميعاً في الغول فقال : لا تغتال عقولهم ولا يصيبهم
منها وجع^(٥) .

قوله : ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ وقرأ بكسر الزاي . قال الفراء : «من كسر
الزاي فله معنيان ، يقال أنزف الرجل إذا فنيته خمره ، وأنزف إذا ذهب عقله من
السكر . ومن فتح الزاي فمعناه : لا تذهب عقولهم ؛ أي لا يسكرون ، يقال نزف
الرجل فهو منزوف^(٦) ونزيف» .

ونحو هذا قال أبو إسحاق في من فتح ، وقال في قراءة من كسر الزاي لا
يُنْفِدُونَ شراهم وهو دائم أبداً لهم ، قال : ويجوز أن يكون يُنْزَفُونَ يسكرون ،
وأنشد هو وأبو عبيدة وغيرهما فقال :

لعمري لئن أنزفتم أو صحتم لبئس الندامي كنتم آل أبجرا^{(٧)(٨)}

(١) في (ب) : (كفعل الخمر في الدنيا) .

(٢) تفسير مقاتل ١١١ أ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤١ ب ، والبغوي ٤/ ٢٧ ، والقرطبي ١٥/ ٧٩ .

(٤) انظر : المصادر السابقة .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٣ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٨٥ .

(٧) في (ب) : (آل بجر) .

(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٣ ، ومجاز القرآن ٢/ ١٦٩ .

والبيت من الطويل مختلف في نسبه فهو للأبيرد والرياحي في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩ ، والصاح
(نزف) ٤/ ١٤٣١ ، واللسان (نزف) ٩/ ٣٢٧ ، والمحزر الوجيز ٤/ ٤٧٢ . وللحطيئة في تفسير =

وحقق أبو علي الكلام في هذه الآية فقال : «أنزف الرجل على معنيين ؛ أحدهما : أنه يراد به السكر ، وأنشد البيت ، وقال : ومقابلته له بصحوتهم يدل على أنه يراد به سكرتم ، والآخر : أنزف إذا نفذ شرابه والمعنى : صار ذا نفاذٍ لشرابه ، كما أن الأول معناه النفاذ في عقله ، فقول من كسر الزاي يجوز أن يراد به لا يسكرون عن شربها ، ويجوز أن يراد به لا ينفذ ذلك عنهم كما ينفذ شراب أهل الدنيا ، فإذا كان معنى لا ينفذ شرابهم لأنك إن حملته على أنهم لا يسكرون صرت كأنك كررت لا يسكرون مرتين ؛ وإن جعلت لا فيها غول على لا^(١) تغتال صحتهم ولا يصيبهم عنها العلل التي تحدث عن شربها حملت ينزفون على أنهم لا يسكرون ، وعلى أنهم لا ينفذ شرابهم ، ومن فتح الزاي أراد لا يسكرون من نزف فهو منزوف إذا سكر ، وليس من أفعل ، ألا ترى أن أنزف بالمعنيين جميعاً لا يتعدى إلى المفعول به ، فإذا لم يتعد إلى المفعول به لم يجوز أن يبنى له»^(٢) انتهى كلامه .

وأصل النزف في اللغة الاستخراج ، يقال نزفت البئر إذا استقيت ماءها ، ونزف فلان دمه إذا استخرجه بحجامة أو فصد ، وهذا هو الأصل ، ونزف الرجل إذا سكر معناه استخرج عقله ، وأنزف إذا سكر ؛ أي صار إلى حالة نزف العقل عنه ، وأنزف إذا نفذ شرابه معناه أنه صار إلى حالة نفاذ الشراب بنزفه وإنفاذه^(٣) . واختار أبو عبيد كسر الزاي لاحتمال المعنيين^(٤) . وأما المفسرون فإنهم فسروا لا

= الثعلبي ٣/ ٢٤١ ، والقرطبي ١٥/ ٧٩ . وللأسود في الدر المصون ٥/ ٥٠١ . وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١٣/ ٢٢٦ ، وعلل القراءات ٢/ ٣١٨ ، والمحتسب ٢/ ٣٠٨ .

(١) في (أ) : (ألا) ، وهو خطأ .

(٢) الحجة ٦/ ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) انظر : مقاييس اللغة (نزف) ١٠٢٢ ، وتهذيب اللغة (نزف) ١٣/ ٢٢٥ ، واللسان (نزف) ٩/ ٣٢٥ .

(٤) لم أقف على اختيار أبي عبيد .

ينزفون لا يسكرون ولا تذهب عقولهم ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والكلبي ومقاتل^(١) .

٤٨ . قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ أَلْفُ عَيْنٍ ﴾ معنى القصر في اللغة الحبس . قال الزّجاج والمبرد وابن قتيبة : أي قصرن طرفهن على أزواجهن ، فلا يرون غيرهم ولا يطمحن إلى غيرهم^(٢) . وهذا كقوله : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ أَلْفُ أَرْبَابٍ ﴾ [ص: ٥٢] ، وأنشد لامرئ القيس^(٣) :

من القاصراتِ الطرفِ لو دبَّ مُحُولٌ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ مَقْصُورَتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢] ؛ أي محبوسات . والطرف إطباق الجفن على الجفن . وقال الليث : «الطرف تحريك الجفون في النظر يقال شخص بصره في ما يطرف»^(٤) . والمعنى أنهم يحبسن نظرهن فلا ينظرن إلى غير أزواجهن . وقال أبو عبيدة : ﴿ قَصْرَتْ أَلْفُ عَيْنٍ ﴾ راضيات^(٥) . وهذا معنى وليس بتفسير ، يعني أنهم راضين بأزواجهن حيث لم يطمحن إلى غيرهم . والمفسرون قالوا في قاصرات الطرف نحو ما ذكرنا من قول أهل المعاني .

(١) انظر : تفسير مجاهد ٥٤٠ ، وتفسير عبدالرزاق ١٤٨/٢ ، والطبري ٥٥/٢٣ ، وتفسير مقاتل ١١١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢٤/٦ ، ولم أقف عليه عن الكلبي .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣٠٤/٤ ، وتفسير غريب القرآن ٣٧١ ، ولم أقف على قول المبرد .

(٣) هذا صدر بيت من الطويل ، وعجزه :

من الذرِّ فوقَ الإتبِ منها لأثرا

لامرئ القيس في ديوانه ٦٨ ، وانظره منسوباً له في القرطبي ٨٠/١٥ ، والدر المصون ٥٠٢/٥ ، ٥٥٦/٦ ، والماوردي ٤٨/٥ ، ومقاييس اللغة ٥٣/١ ، ولسان العرب (قصر) ٩٩/٥ ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٨/٣٥٩ ، ومعنى البيت أنه يصف امرأة بأنها ممن قَصُرَتْ أعينهن عن النظر إلى من ليس لها من الرجال ، والمحول من الذر هو الصغير جداً منه ، والإتب هو القميص غير المخيط الجانبين الذي كانت تلبسه لأثر في جسمها ، وهذا نهاية الرقة واللفظ ، شرح ديوان امرئ القيس ٩١ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (طرف) ١٣/٣٢٠ .

(٥) مجاز القرآن ٢/١٦٩ .

وقوله : ﴿عَيْنٌ﴾ قال أبو إسحاق : كبار الأعين حسانها ، واحدها عيناء ^(١) .
وقال الكلبي ومقاتل : حسان ^(٢) الأعين .

٤٩ . قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ المكنون معناه في اللغة : المستور ،
يقال كننت الشيء وأكننته وقد سبق ^(٣) الكلام فيه .

وقال أبو عبيدة : «المكنون المصون وكل لؤلؤ أو بيض أو متاع صنته فهو
مكنون» ^(٤) .

قال أبو إسحاق : «يقال كننت الشيء إذا سترته وصنته فهو مكنون» ^(٥) .

قال الحسن وابن زيد : شبههن ببيض النعام يكنها بالريش من الريح
والغبار ^(٦) .

وقال الكلبي : كأنهن بيض قد خبي من الحر والقر ^(٧) . وذكر قوم من
المفسرين في هذا التشبيه ما لا يصح ولا يكون له وجه من حيث اللفظ ما ذكره
الحسن وابن زيد .

قال أبو إسحاق : أي كأن ألوانهن ألوان بيض النعام يكنه ريش النعام ^(٨) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٤ / ٤ .

(٢) تفسير مقاتل ١١١ أ ، ولم أقف عليه عن الكلبي .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام : ٢٥] .

(٤) مجاز القرآن ١٧٠ / ٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٤ / ٤ .

(٦) انظر : الطبري ٧٥ / ٢٣ ، والماوردي ٤٨ / ٥ ، والقرطبي ٨٠ / ١٥ ، وزاد المسير ٥٨ / ٧ .

(٧) لم أقف عليه عن الكلبي ، وهو في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٥ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٤ / ٤ .

وقال المبرّد : العرب تشبه المرأة الناعمة في ضيائها وحسنها وصفوة النعمة عليها ببيضة .

قال الراعي :

كَأَنَّ بَيْضُ نَعَامٍ فِي مَلَا حِفْهَا إِذَا اجْتَلَاهَنَّ قَيْظُ لَيْلُهُ وَمَدُّ^(١)

وقال ابن الرقيات :

وَأَوْضَحَ لَوْنَهَا كَبَيْضَةِ ادْحَى لَهَا فِي النَّسَاءِ خَلْقٌ عَمِيمٌ

وقال أبو داود^(٢) :

مَمْكُورَةٌ تَجْلُو الظَّلَامَ رَكْلَةً رِيَا الْعِظَامِ كَبَيْضَةِ النَّغْصِ^(٣)

(١) البيت من البسيط ، وهو للراعي في ديوانه ٥٥ ، وتهذيب اللغة ١٤ / ٢١٨ ، واللسان ٣ / ٤٧٠ ، والكمال ٢ / ٧٦٧ .

والملاحف هي الأغطية . والوقد هو ندى يجيء في صميم الحر من قبل البحر مع سكون الريح ، وقيل هو الحر أيّ كان مع سكون الريح . انظر : الكامل ٢ / ٧٦٧ .

(٢) أبو داود لم أستطع تحديده ، وهناك أكثر من شاعر يكنى أبا داود :

أ- أبو داود الإيادي ، وهو جويرية بن الحجاج ، وقيل جارية . تقدمت ترجمته .

ب- أبو داود الرواس زيد بن معاوية بن عمرو بن قيس بن روااس بن كلاب شاعر فارس . انظر : المؤلف والمختلف ١١٦ .

أما البيت فلم أقف عليه .

(٣) علق في هامش كلا النسختين : (والنفس : النعام) .

وقال آخر^(١) :

وهتكتُ بني الليلِ عنْ بيضِ السوالفِ والصفاحِ
فكأنها ضحكتُ سجو فُ الربطِ عن بيضِ الأداحي

وقال امرؤ القيس^(٢) :

صادتُ فؤادك بالدلالِ جريرةٌ صفراءُ رادعةٌ عليها اللؤلؤُ
كعقيلةِ الأدحى باتَ يحفها ريشُ النعامِ وزالَ عنها الجؤجؤُ

أراد بعقيلة الأدحى : بيض النعام . وعلى هذا المعنى حمل [قول]^(٣)
الكندي^(٤) :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها

وقال ابن زيد في هذه الآية : البيض بيض النعام أكنة الريش ، فلو أنه أبيض في
صفرة^(٥) . قالوا : وهذه أحسن ألوان النساء أن تكون بيضاء مشربة صفرة .

٥٣-٥٠ . وقال سعيد بن جبير والسدي : إن الله تعالى شبههن ببطن البيض قبل
أن تمسه الأيدي^(٦) ، وليس بالوجه .

(١) نسب البيت بن عبد الصمد بن المعذل ، ورواية الصدر في الأول :

وهتكتُ بني الليلِ عني

والسوالف أعلى العنق . والشجف هو السُّتر ولا يسمّى سحفاً إلا أن يكون مشقوق الوسط . اللسان
(سحف) ١٤٤/٩ ، واللسان (سلف) ١٥٩/٩ .

(٢) البيتان من الكامل ، وهما لامرئ القيس ، ولم أقف عليهما في ديوانه .

(٣) ما بين المعقوفين مكرر في (ب) .

(٤) لم أهد إليه ، ولم أقف على بيته .

(٥) انظر : الطبري ٥٧/٢٣ ، ومجمع البيان ٦٩٢/٨ ، وزاد المسير ٥٨/٧ .

(٦) انظر : الماوردي ٤٨/٥ ، والقرطبي ٨٠/١٥ ، وزاد المسير ٥٨/٧ .

قوله تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ يعني أهل الجنة . ﴿ يَسْأَلُونَ ﴾ ، قال مقاتل : يعني يتكلمون يكلم بعضهم ^(١) بعضاً .

وقال الكلبي : يتحدثون في الجنة عن أهل الدنيا ^(٢) . والمعنى يسأل هذا ذاك وذاك هذا عن أحوال كانت في الدنيا . يدل عليه ما ذكر الله - عز وجل - عن بعضهم أنه أخبر عن حال قرينه [معه] ^(٣) كيف كانت في الدنيا ، وهو قوله : ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ ﴾ يعني أهل الجنة ﴿ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ ^(٤) يعني أخاً كان له في الدنيا ينكر البعث وهو قوله : ﴿ يَقُولُ ﴾ ؛ أي يقول لي : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ لِمَنِ الْمَصَدِّقِينَ ﴾ بالبعث .

والمفسرون مختلفون في هذين ، فمنهم من قال : كانا أخوين ، وهو قول مقاتل والكلبي ^(٥) . ومنهم من قال : كانا شريكين ، وهو قول عطاء والسدي ^(٦) ، وقد قصَّ الله قصتهما في سورة الكهف ، وهو قوله : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ ﴾ ^(٧) الآيات .

قال صاحب النظم : قوله : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ لِمَنِ الْمَصَدِّقِينَ ﴾ يقتضي مفعولاً للتصديق فلم [] ^(٨) حتى قال : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ لِمَنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا ﴾ ، وهذا أيضاً يقتضي جواباً فلما قال : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ لِمَنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا ﴾ كان هذا جواباً لهما على تأويل أنك لمن المصدقين ، إنا لمدينون ،

(١) تفسير مقاتل ١١١ أ .

(٢) لم أقف عليه عن الكلبي ، وذكر هذا القول غير منسوب . انظر : القرطبي في تفسيره ٨٣ / ١٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٥٩ / ٧ .

(٣) ما بين المعقوفين غير مثبت في (ب) .

(٤) في (ب) : (إنه) بدلاً من (إني) ، وهو خطأ .

(٥) تفسير مقاتل ١١١ أ . انظر : القرطبي ٣٩٩ / ١٠ ، والماوردي ٣ / ٣٠٥ .

(٦) انظر : القرطبي ٤٠٠ / ١٠ ، وأورده السيوطي في الدر ٩٠ / ٧ ، وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر عن عطاء ، ولا بن أبي حاتم عن السدي .

(٧) آية ٣٢ ، وما بعدها .

(٨) في النسخ جميعها مقدار كلمة غير واضحة ، ويمكن تقدير المحذوف بنحو (يذكره) .

فيكون موضع (إننا) نصباً وكسرت ألفها لدخول اللام في خبر إن ، وهذا الذي ذكره يصح على قراءة من قرأ إننا لمدينون بغير [ألف]^(١) استفهام ، فأما من قرأ بالاستفهام فمفعول التصديق مضمّر على تقدير أنك لمن المصدقين بالبعث^(٢) ، ودل عليه ما ذكر بعده من إنكاره البعث .

قال أبو إسحاق : المعنى : كان لي قرين يقول أنك ممن يصدق بالبعث بعد أن نصير تراباً وعظاماً^(٣) ، وهو قوله : ﴿أَءَاثَرُ مِنَّا﴾ الآية .

قوله : ﴿لَمَّيْتُوْنَ﴾ ؛ أي مجزيون ومحاسبون . قاله المفسرون^(٤) ، ومضى الكلام في الدين^(٥) .

٥٤ . قال مقاتل : ثم قال المؤمن لإخوانه في الجنة : ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ إلى النار لينظر كيف^(٦) منزلة أخيه ، ونحو هذا قال الكلبي^(٧) .

وروى عطاء عن ابن عباس قال : تقول الملائكة^(٨) : ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ . والظاهر هو القول الأول ، وهو أن قوله : ﴿قَالَ﴾ إخبار عن المؤمن الذي قصّ خبره مع القرين . وأطلع افتعل من الطلوع ، يقال أطلعت على الأمر فاطّلع عليه ؛ أي أشرف .

(١) ما بين المعقوفين غير مثبت في (أ) .

(٢) انظر : المبسوط في القراءات العشر ٣١٦ ، وإرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي ٣٨٥ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٠٤ .

(٤) انظر : الطبري ٢٣ / ٦٠ ، وبحر العلوم ٣ / ١١٥ ، والماوردي ٥ / ٤٩ ، والبغوي ٣ / ٢٨ .

(٥) مضى عند تفسير المؤلف - رحمه الله - للفاتحة . قال المؤلف - رحمه الله - هناك قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ﴾ ، قال الضحاك وقتادة : الدين الجزاء ، يعني يوم يدين الله العباد بأعمالهم ، تقول العرب : دنته بها فعل ؛ أي جازيته ، ومنه قوله : ﴿أَوَّانَا لَمَّيْتُوْنَ﴾ .

(٦) تفسير مقاتل ١١١ أ .

(٧) انظر : مجمع البيان ٨ / ٦٩٤ .

(٨) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره القرطبي ولم ينسبه ١٥ / ٨٢ .

قال كعب^(١) : إن بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له في الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى . ونحو هذا قال مقاتل^(٢) .

وقال قتادة^(٣) : بلغنا أنه سأل ربه أن يطلعه .

٥٥ . قوله تعالى : ﴿ فَاطَّلَعَ ﴾ قال مقاتل : إنه لما قال لأهل الجنة هل أنتم مطلعون ، قالوا له إنك أعرف به منا ، فاططلع أنت فاططلع فرأى أخاه في سواء الجحيم^(٤) .

قال ابن عباس والجماعة : في وسط الجحيم^(٥) .

قال أبو عبيدة : « سمعت عيسى بن عمر يقول : كنت أكتب بالليل حتى ينقطع سوائي أي وسطي »^(٦) .

وقال أبو إسحاق : سواء كل شيء : وسطه^(٧) .

وقال أهل المعاني : إنما قيل للوسط سواء لاستوائه في مكانه بأن صار بدلاً منه^(٨) .

(١) انظر : القرطبي ٨٣ / ١٥ ، وذكره البغوي ٢٨ / ٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦٠ / ٧ عن ابن عباس ،

وذكره الطبرسي في مجمع البيان ٦٩٤ / ٨ عن الكلبي .

(٢) تفسير مقاتل ١١١ أ .

(٣) انظر : الطبري ٦٠ / ٢٣ ، وأورده السيوطي في (الدر) وعزاه لعبد الرزاق - ولم أجده في تفسيره - وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٤) تفسير مقاتل ١١١ أ .

(٥) انظر : الطبري ٦٠ / ٢٣ ، والماوردي ٥٠ / ٥ ، والقرطبي ٨٣ / ١٥ .

(٦) مجاز القرآن ١٧٠ / ٢ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٤ / ٤ .

(٨) لم أقف عليه عندهم بهذا اللفظ . انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٠٤ / ٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣٠ / ٦ .

وروى قتادة عن خلود^(١) قال : لولا أن الله عرفه إياه ما عرفه ، لقد تغير خيره وسبره فعند ذلك قال : ﴿إِنْ كِدْتَ لِتُزِينَ﴾^(٢) ؛ أي ما أردت إلا أن تهلكني .

قال مقاتل : والله لقد كدت أن تغويني فأنزل منزلتك^(٣) . وقال الكلبي : لتغوين ، تقول : اترك دينك واتبعني^(٤) . وقال ابن عباس : تضلني^(٥) .

وقال أبو عبيدة والزجاج : ترديني وتهلكني^(٦) . والإرداء : الإهلاك ردى إذا هلك ، وأرديته أهلكته ، والإغواء والإضلال معنى وليس بتفسير ، وذلك أن من أغوى إنساناً فقد أهلكه .

٥٧ . قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ قال ابن عباس : يريد حيث هداني^(٧) .

وقال مقاتل : يعني لولا ما أنعم الله علي بالإسلام^(٨) .

وقال الكلبي : لولا النعمة بالإسلام^(٩) .

(١) خلود بن عبد الله العصري أبو سليمان البصري ، روى عن الأحنف بن قيس وعلي ابن أبي طالب ، وسلمان الفارسي ، وأبي الدرداء وأبي ذر الغفاري ، وروى عنه أبان بن أبي عياش وعوف الأعرابي وقتادة وغيرهم ، روى له مسلم حديثاً وأبو داود حديث آخر ، وذكره ابن حبان في الثقات .
انظر : تهذيب الكمال ٣٠٩ / ٨ ، والتاريخ الكبير ١٩٨ / ٣ ، وحلية الأولياء ٢٣٢ / ٢ ، وتاريخ بغداد ٣٤٠ / ٨ .

(٢) تفسير عبدالرزاق ١٤٩ / ٢ ، وزاد المسير ٦٠ / ٧ ، وأورده السيوطي في الدر ٩٤ / ٧ ، وعزاه لعبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٣) تفسير مقاتل ١١١ أ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٦ .

(٦) مجاز القرآن ١٧١ / ٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٠٦ / ٤ .

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : الماوردي ٥٠ / ٦ ، والقرطبي ٧٨٤ / ١٥ ، وزاد المسير ٦٠ / ٧ .

(٨) تفسير مقاتل ١١١ أ .

(٩) لم أقف عليه عن الكلبي ، انظر : المصادر السابقة .

﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِّينَ﴾ قالوا جميعاً: أي معك في النار، وهو قول مقاتل^(١) وقتادة.

وقال ابن عباس: من المعذبين^(٢). ومعناه من المحضرين العذاب.

وقال أبو إسحاق: أي أحضر العذاب كما أحضرت^(٣).

وقال الفرّاء: لكنت معك في النار محضراً^(٤).

وقال صاحب النظم: لما قال ولولا نعمة ربي، دلّ هذا الإحضار ليس هو لخير إنما هو لشر، وهذا مقتضى من قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٦]، ومن قوله: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨]، ومما جاء في مثله قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَتَتْهُمْ لُحُضْرُونَ﴾ [الصفات: ١٢٧]، وهذا أيضاً مُسْتَدَلٌّ عليه بقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾؛ لأن جزاء التكذيب لا يكون إلا شراً. وقوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِي﴾ [المؤمنون: ٩٨]، والحضور قد يكون للخير والشر إلا أن قوله: ﴿أَعُوذُ بِكَ﴾ يدل على أنه للشر، ومنه قول النبي ﷺ: «إن هذه الحشوش محتضرة»^(٥)؛

(١) تفسير مقاتل ١١١ أ، وتفسير عبدالرزاق ١٤٩/٢.

(٢) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٧.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٦/٤.

(٤) لم أقف عليه في معاني القرآن. انظر: القول منسوباً له في القرطبي ٨٤/١٥.

(٥) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٦٩-٣٧٣، وأبو داود في (سننه)، كتاب: الطهارة، باب: ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء ١/٢ رقم ٦، وابن ماجه في (سننه)، أبواب الطهارة، باب: ما يقول إذا دخل الخلاء ٩/١ رقم ٢٩٤، والحاكم في (المستدرک) كتاب: الطهارة، باب: إذا دخل أحدكم الخلاء الغائط فليقل: أعوذ بالله من الرجس النجس الشيطان الرجيم ١/١٨٧، وقال: صحيح على شرط الصحيح، ولم يخرجاه، وافقه الذهبي.

أي الشياطين تحضر من يدخلها ، وكذلك قوله : «اللبن محتضر»^(١) ، وكذلك قول الناس : حضر فلان ؛ أي دنا موته^(٢) .

٥٨-٦٠ . قوله تعالى : ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى ﴾ قال مقاتل : عرف المؤمن أن كل نعيم معه الموت فليس بتام ، فأقبل على أصحابه فقال : أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى التي كانت في الدنيا وما نحن بمعذبين ، فقل له : لا موت فيها ، فقال عند ذلك : ﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(٣) . وعلى هذا كان هذا المؤمن لا يعلم أن أهل الجنة لا يموتون ، فاستفهم عن ذلك فقال : ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا ﴾ سوى موتتنا التي حلت بنا في الدنيا ، وإلا ها هنا بمعنى سوى ، ونحو هذا قال الحسن^(٤) ، إلا أنه جعل هذا عن قول جميع أهل الجنة لا عن قول المؤمن الواحد ، فقال : قالوا أفما نحن بميتين ؛ قيل لا . قالوا : إن هذا هو الفوز العظيم .

وقال الكلبي^(٥) : يؤتى بالموت فيذبح ، فإذا أَمِنَ أهل الجنة أن يموتوا وفرحوا بذلك قالوا : أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى التي كانت في الدنيا ، وما نحن بمعذبين . فقل لهم : لا . فعند ذلك قالوا : إن هذا هو النجاة .

(١) ذكر هذا القول الأزهري في تهذيب اللغة (حضر) ٢٠١ / ٤ ، وابن منظور في اللسان (حضر) ١٩٩ / ٤ ، وعن الأصمعي قال : العرب تقول : اللبنة محتضرة يعني تحضره الدواب وغيرها من أهل الأرض .

(٢) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (حضر) ٢٠٠ / ٤ .

(٣) تفسير مقاتل ١١١ أ .

(٤) أورده السيوطي في الدر ٩٥ / ٧ ، وعزاه لابن أبي حاتم عن الحسن .

(٥) انظر : زاد المسير ٦١ / ٧ .

٦١-٦٢. قال مقاتل^(١): ثم انقطع كلام المؤمن بقول الله: ﴿لِيُثِلَ هَذَا﴾ النعيم الذي ذكر من قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ إلى قوله: ﴿بَيَضٌ مَّكُونٌ﴾، ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾.

وبعضهم^(٢) يجعل هذا من كلام المؤمن للقرين، ويجعل قوله: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُزْلاً﴾ ابتداء من كلام الله تعالى. قال أبو عبيدة: «النزول والنزل واحد، وهو الفضل، يقال هذا طعام له نُزِلَ^(٣) ونَزَلَ؛ أي ريع»^(٤).

قال المفضل: ليس هذا موضع الفضل^(٥). وكأنه رأى هذا غلطاً منه.

قال أبو إسحاق: «أي أذلّك خير في باب الإنزال التي يتقرب بها ويمكن معها الإقامة أم نزل أهل النار. قال: ومعنى أقمت لهم نزلهم: أقمت لهم ما يصلحهم ويصلح أن ينزلوا عليه»^(٦). والنزل مما تقدم تفسيره^(٧).

قوله تعالى: ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ لم يذكر المفسرون للزقوم تفسيراً إلا ما ذكر الكلبي: أن ابن الزبيري قال: أكثر الله في بيوتكم الزقوم^(٨). فإن أهل اليمن

(١) تفسير مقاتل ١١١ أ.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي ١٢٤٢/٣، وزاد المسير ٦١/٧.

(٣) في (ب): (نزل ونزل)، وهو خطأ.

(٤) مجاز القرآن ١٧٠/٢.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٦/٤.

(٧) عند قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزْلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ٩٨]. قال المؤلف هناك: النزل: ما يهبأ لضيء أو لقوم إذا نزلوا موضعاً.

(٨) أكثر المفسرين ذكروا قول ابن الزبيري، ولم أقف على من نسبه للكلبي. انظر: بحر العلوم ١١٦/٣، والثعلبي ١٢٤٢/٣، والبغوي ٢٩/٤، والقرطبي ٨٥/١٥، ومجمع البيان ٦٩٦/٨.

يدعون التمر والزبد الزقوم . فقال أبو جهل لجاريته : ويحك زقمينا ، فأتته بزبد وتمر ، فقالت : تزقموا^(١) .

وقال الليث : لما نزلت آية الزقوم لم يعرفه قريش ، فقدم رجل من أفريقية فسئل عنه ، فقال : الزقوم بلغة أفريقية التمر والزبد^(٢) . فهذا الذي ذكروا معلوم أن الله - تعالى - لم يرد الزقوم هاهنا الزبد والتمر .

قال أهل المعاني : الزقوم ثمر شجرة مرة الطعم جداً ، من قولهم : تزقم هذا الطعام إذا تناوله على تكرّره ومشقّة شديدة^(٣) .

وقال ابن زيد : إن يكن للزقوم اشتقاق^(٤) فمن التزقم ، وهو الإفراط من أكل الشيء ، حتى يُكره ذلك . يقال : بات فلان^(٥) يتزقم . الكسائي وأبو عمرو : الزقم واللقم واحد ، هذا كلامهم^(٦) . وإذا كان الزقم بمعنى اللقم ، كان معنى التزقم تناول الشيء بِكره ، والزقوم ما يكره تناوله ، والذي أراد الله هو شيء مرّ كرهه يكره تناوله ، وأهل النار يُكرهون على تناوله ، فهم يتزقمونه على أشد كراهيته .

٦٣ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾ ذكر المفسرون وجهين للفتنة في شجرة الزقوم ؛ أحدهما : أنهم أنكروا أن يكون في النار شجرة ،

(١) انظر : المصادر السابقة ، القرطبي ٦٣ / ٢٣ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (زقم) ٨ / ٤٤١ ، وأورده ابن منظور في اللسان (زقم) ١٢ / ٢٦٨ عن ابن سيده .

(٣) لم أقف على قول أهل المعاني .

(٤) في (ب) : (اشتقاقاً) .

(٥) جهمرة اللغة ٣ / ١٤ . انظر : تهذيب اللغة (زقم) ٨ / ٤٤٠ .

(٦) لم أقف على كلام الكسائي وأبو عمرو عنهما . انظر : تهذيب اللغة (زقم) ٨ / ٤٤٠ ، وجهمرة اللغة ٣ / ١٤ .

والنار تحرق الشجر^(١). والآخر: أنهم قالوا إن الزقوم الثمر والزبد ، وهذا قول قتادة ومجاهد ومقاتل^(٢).

قال أبو إسحاق: فتنة؛ أي خبرة للظالمين، افتنوا بها وكذبوا بكونها^(٣)، فصارت فتنة لهم.

٦٤. وقال قتادة: لما ذكر الله - عز وجل - هذه الشجرة افتن بها الظلمة فقالوا: أيكون في النار شجرة، والنار تأكل الشجرة، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾^(٤). قال مقاتل: تخرج تنبت^(٥).

قوله: ﴿فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ قال قتادة: أخبرهم أن عذابها من النار إن عذبت بالنار^(٦). وقال الحسن: أصلها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركات^(٧). وعلى ما قال قتادة الآية جواب لإنكارهم بل هي إخبار عن منبت الشجرة، وأما جواب إنكارهم فقال ابن قتيبة: «قد تكون شجرة الزقوم بيتاً من النار أو من جوهر لا يأكله النار، وكذلك سلاسل النار وأغلاها وأنكالها وعقاربها وحياتها، ولو كانت على ما يعلم لم يبق على النار، وإنما دلنا الله على الغائب عنده بالحاضر عندنا، فالأسماء متفقة الدلالة والمعاني مختلفة، وما في الجنة من شجرها^(٨) وثمرها وفرشها وآلاتها جميعها على مثل ذلك»^(٩).

(١) انظر: الطبري ٦٣/٢٣، وبحر العلوم ١١٦/٣، وزاد المسير ٦٣/٧.

(٢) لم أقف عليه عن قتادة. انظر: تفسير مجاهد ٥٤٢، وتفسير مقاتل ١١١ ب، وانظر: المصادر السابقة.

(٣) هكذا وردت في النسخ، وفي معاني القرآن ٣٠٦/٤ قال: وكذبوا بها فصارت.

(٤) انظر: تفسير عبدالرزاق ١٤٩/٢، والطبري ٦٣/٢٣، وزاد المسير ٦٣/٧.

(٥) تفسير مقاتل ١١١ ب.

(٦) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢١٦/١٠ عن قتادة نحوه.

(٧) انظر: البغوي ٢٩/٤، وزاد المسير ٦٣/٧، ومجمع البيان ٦٩٦/٨.

(٨) في (ب): (أشجرها)، وهو خطأ.

(٩) تأويل مشكل القرآن ٧٠.

٦٥. قوله : ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ قال مقاتل والكلبي : ثمرها^(١) .

وقال ابن قتيبة : (سمي طلوعها لطلوعه كل سنة ، ولذلك قيل : طلع النخل لأول ما يخرج من ثمره)^(٢) .

قوله : ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ذكر الفراء والزجاج في هذا التشبيه ثلاثة اقوال :

أحدها : أن الشياطين حيات لها رؤوس وأعراف ، وهي من أقبح الحيات ، وبها يضرب المثل في القبح ، كما قال الشاعر يذم امرأة :

عنجرٌ دُ تحلفُ حينَ أحلفُ كمثِلِ شيطانِ الحماطِ أعرفُ^(٣)

عنجر د : سليطة وثأبة ، والحماط : شجر ، وأعرف : ذو عرف . والعرب تقول إذا رأت منظرًا قبيحاً كأنه شيطان الحماطة .

القول الثاني : وهو القول المعروف ؛ أنه أراد الشياطين بأعيانها موصوفة بالقبح وإن كانت لا تُرى ، والشيء إذا استقبح^(٤) شبه بالشياطين ، فيقال : كأنه شيطان ، والشيطان لا يُرى ولكنه يُستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء لورئي لرئي في أقبح صوره ، قال امرؤ القيس :

أَيَقْتَلْنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زَرَقُ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ^(٥)

(١) تفسير مقاتل ١١١ ب ، ولم أقف عليه عن الكلبي .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٣٨٨ .

(٣) البيت من الرجز ، ولم أقف على قائله ، وقد ذكره غير منسوب للفراء في معاني القرآن ٣٨٧/٢ ، والطبري في تفسيره ٦٤/٢٣ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٧٦/٤ ، والسمين الحلبي في الدر ٥٠٥/٥ ، والأزهري في التهذيب ٣٧٠/٣ ، ٤٠٢/٤ ، ٣١٣/١١ ، وابن منظور في اللسان ٣١١/٣ .

(٤) في (ب) : (إذا استقبح) ، سقطت الهمزة .

(٥) البيت من الطويل لامرئ القيس في ديوانه ٣٣ ، وتهذيب اللغة ٨/١٩٣ ، واللسان (غول) ١١/٥٠٨ ، (شطن) ١٣/٣٣٨ ، وجمهرة اللغة ٩٦١ .

ولم ير الغول ولا ناهبا ولكن التمثيل بما يستقبح . والقول الثالث : أن رؤوس الشياطين نبت معروف قبيح الرؤوس .

قال الفرّاء : والأوجه الثلاثة تقرب إلى معنى واحد في القبح ^(١) .

٦٦ . قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا كُؤْنَ مِنْهَا ﴾ قال مقاتل : يعني من ثمرها ^(٢) .

٦٧ . قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ قال أبو إسحاق : على أكلها لشوباً ^(٣) . الشوب : الخلط العام في كل شيء ، وكل شيء خلطته بشيء فقد شُبْتُ به .

قال مقاتل وقتادة : يعني لخلطاً ومزاجاً ^(٤) ، وزاد مقاتل : يعني لشراباً ؛ يريد أنهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم ، وهو الماء الحار الذي قد انتهى خيره ، فيشرب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوباً لهم .

٦٨ . قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ﴾ قال مقاتل : أي بعد الزقوم وشرب الحميم ^(٥) . وهذا يدل على أنهم على شرب الحميم لم يكونوا في الجحيم ، وهو يحتمل أن يكون الحميم ، في موضع خارج عن الجحيم لشربه ، كما تورد الإبل إلى الماء ، ثم يردون إلى الجحيم وهذا القول اعتمده مقاتل ، واحتج بقوله : ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ ^(٦) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ ﴿ [الرحمن : ٤٣] ، وهذه الآية تدل على المعنى الذي ذكرنا . ودُكر في هذه الآية أوجه فاسدة تركت ذكرها .

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٨٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٦ .

(٢) تفسير مقاتل ١١١ ب .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٧ .

(٤) تفسير مقاتل ١١١ ب . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٥٠ ، والطبري ٢٣/ ٦٥ .

(٥) تفسير مقاتل ١١١ ب .

٦٩. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَفْوَءٌ أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ قال مقاتل: وجدوا آباءهم ضالين عن الهدى.

٧٠. قوله تعالى: ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ قال: يسعون في مثل أعمال آبائهم^(١).

وقال الكلبي: يعملون بمثل عملهم^(٢).

وقال ابن عباس وقتادة: يسرعون^(٣). وقال مجاهد: كهيئة الهرولة^(٤). قال الفرّاء: الإهراع الإسراع فيه شبيه بالرّعدة^(٥).

وقال الزّجاج: يتبعون آبائهم اتباعاً في سرعة، كأنهم يزعمون إلى اتباعهم، يقال: هرع وأهرع إذا استحث وأسرع^(٦).

وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله تعالى: ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٧٨].

قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ قال ابن عباس: قبل قومك^(٧). (أكثر الأولين) يريد: الأمم الخالية. قال الكلبي: من لدن آدم فهلم جرا إلى محمد ﷺ^(٨).

(١) تفسير مقاتل ١١١ ب.

(٢) انظر: الوسيط ٥٢٧/٣، والبغوي ٢٩/٤.

(٣) انظر: الطبري ٦٦/٢٣، ومعاني القرآن للنحاس ٣٦/٦، ومجمع البيان ٦٩٨/٨.

(٤) تفسير مجاهد ٥٤٢.

(٥) معاني القرآن ٣٨٧/٢.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٧/٤.

(٧) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٦، وانظر: الوسيط ٥٢٧/٣، ومجمع البيان ٦٩٨/٨، وزاد

المسير ٦٤/٧.

(٨) لم أقف عليه.

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ ﴾ قال ابن عباس : في من مضى من الأمم ^(١) .
﴿ مُنْذِرِينَ ﴾ يريد : مرسلين ^(٢) . قال الكلبي : معنى أرسلنا فيهم كما أرسلنا إلى قومك .

قوله : ﴿ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ ؛ أي الذين أُنذروا العذاب .

قال مقاتل : يقول كان عاقبتهم العذاب يحذر كفار مكة تكذيباً بمحمد ﷺ ، فنزل بهم العذاب في الدنيا كما نزل بالأمم الخالية ^(٣) .

ثم استثنى ، فقال : ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ يعني الأمم الموحدين ، نجوا من العذاب في الدنيا بالتوحيد . قال ابن عباس : يريد الذين استخلصهم الله من الكفر ^(٤) .

قال أبو عبيدة : إلا عباد الله ، نصبها الاستثناء من المنذرين ^(٥) . هذا قوله وهو كما ذكره مقاتل ، ويجوز أن يكون قوله : ﴿ إِلَّا عِبَادَ ﴾ استثناء من قوله : ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ ^(٦) قال الكلبي : يقول دعا ربه على قومه ^(٧) . قال مقاتل : يعني قوله ^(٨) : ﴿ فِدَاعَا رَبِّهِ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴾

(١) لم أقف عليه . انظر : بحر العلوم ١١٧/٣ ، والوسيط ٥٢٧/٣ ، ومجمع البيان ٦٩٩/٨ ، وفقد ذكروا نحوه من دون نسبة لأحد .

(٢) لم أقف عليه ، انظر : المصادر السابقة .

(٣) تفسير مقاتل ١١١ ب .

(٤) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٦ .

(٥) مجاز القرآن ١٧١/٢ .

(٦) قوله (نادانا) غير مثبت في (ب) ، وهو خطأ .

(٧) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : البغوي ٢٩/٤ ، ومجمع البيان ٦٩٨/٨ ، وزاد المسير ٦٥/٧ .

(٨) تفسير مقاتل ١١١ ب .

[القمر: ١٠]. ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ قال ابن عباس : يريد فأجبتة وعظم نفسه^(١) .
وقال أبو إسحاق : المعنى ونعم المجيبون نحن^(٢) .

٧٦. وقوله : ﴿وَنَجِّنَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ قال الكلبي ومقاتل وعطاء : يريد من الغم العظيم وهو الغرق^(٣) . وهذا مفسر في سورة الأنبياء^(٤) .

٧٧. قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس : يريد أخرجت جميع الخلق من ذريته^(٥) .

وروى الضحاك عنه قال : لما خرج نوح - عليه السلام - مات من معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم ، فذلك قوله^(٦) : ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ ونحو هذا قال مقاتل^(٧) .

قال الكلبي : إن أهل سفينة نوح ماتوا ولم يكن لهم نسل غير ولد نوح ، فكان الناس من ولد نوح ، يدل على صحة هذا ما روى الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ في هذه الآية قال : «سام وحام ويافث»^(٨) ، فسر الذرية الباقية بهؤلاء الثلاثة ثم قال : «سام أب العرب ، وحام الحبش ، ويافث أب الروم»^(٩) .

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : البغوي ٤ / ٣٠ ، ومجمع البيان ٨ / ٦٩٩ ، وزاد المسير ٧ / ٦٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٠٧ .

(٣) تفسير مقاتل ١١١ ب ، ولم أقف عليه عن الكلبي وعطاء .

(٤) الآية ٧٦ ، وقوله تعالى : ﴿فَنَجِّنَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ .

(٥) انظر : الماوردي ٥ / ٥٣ ، والقرطبي ١٥ / ٨٩ ، ومجمع البيان ٨ / ٦٩٩ .

(٦) انظر : المصادر السابقة .

(٧) تفسير مقاتل ١١١ ب .

(٨) الحديث أخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير ، سورة الصافات ٥ / ٤٣ رقم ٣٢٨٣ عن سمرة ،

وقال : هذا حديث حسن غريب ، وابن جرير الطبري ٢٣ / ٦٧ عن سمرة .

(٩) أخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير ، سورة الصافات ٥ / ٤٣ رقم ٣٢٨٤ ، والإمام أحمد في مسنده =

٧٨-٧٩. قوله تعالى : ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ قال الكلبي ومقاتل وابن عباس : تركنا عليه ثناءً حسناً لا يذكره أحد إلا بخير إلى يوم القيامة^(١) . وعني بالآخرين الذين يحيئون من بعده ، وذلك قوله : ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ يعني بالسلام : الثناء الحسن .

قال الفرّاء : «أي تركنا عليه هذه الكلمة كما تقول : قرأت الحمد لله رب العالمين ، فتكون الجملة في معنى نصب ، وإنما يرفعها بالكلام كذلك : سلام على نوح ترفعه بعلى في تأويل نصب ، فلو كان سلاماً بالنصب كان صواباً»^(٢) . وكذا هو في قراءة عبدالله^(٣) .

وقال أبو إسحاق : أي تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة ، وذلك الذكر قوله : ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ﴾ ؛ أي تركنا عليه في الآخرين أن^(٤) يصلّي عليه إلى يوم القيامة^(٥) .

٨٠. قوله تعالى : ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ قال مقاتل : جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين^(٦) .

٥/٩-١٠-١١ عن سمرة ، والحاكم في المستدرک کتاب التاريخ ، باب ذکر نوح النبي ﷺ ٥٤٦/٢
عن سمرة ، إلا أنه لم يذكر عن سام أنه أبو العرب ، ولا حام أنه أبو الحبش ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(١) تفسير مقاتل ١١١ ب . انظر : البغوي ٢٣/٦٨ ، ومجمع البيان ٨/٦٩٩ .

(٢) معاني القرآن ٢/٣٨٧ .

(٣) انظر : الدر المصون ٥/٥٠٧ ، والبحر المحيط ٧/٣٤٩ .

(٤) في (أ) : (أي نصلي) ، وهو خطأ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٠٨ .

(٦) تفسير مقاتل ١١٢ أ .

٨٣. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾ ؛ أي من شيعة نوح ؛ أي من أهل ملته ودينه ومنهاجه وسنته: ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾ ، وهذا من قول قتادة ومجاهد والمفسرين^(١) .

وقال الكلبي : يقول من شيعة^(٢) محمد ﷺ^(٣) ، وهذا اختيار الفراء ، قال : يقول : إن من شيعة محمد ﷺ لإبراهيم ، يقول على دينه ومنهاجه ، فهو من شيعته وإن كان سابقاً له^(٤) . وتفسير الشيعة قد سبق عند قوله : ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]^(٥) .

٨٤. وقوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قال الكلبي ومقاتل : خالص من الشرك وهو قول المفسرين^(٦) ، والمعنى أنه سلم من الشرك فلم يشرك بالله .

وقال أبو إسحاق : سليم من كل دنس^(٧) . وروى عطاء عن ابن عباس ، قال : كان يحب للناس ما يحب لنفسه ، وسلم كل الناس من غشمه وظلمه ، وأسلم الله بقلبه ولسانه ولم يعدل به [أحداً]^(٨)^(٩) . ويدل على أن المراد سلامته من الشرك أنه ذكر بعد إنكاره على قومه الشرك بالله .

(١) انظر : الطبري ٦٩/٢٣ ، والثعلبي ٢٤٢/٣ ب ، وبحر العلوم ١١٧/٣ ، وتفسير مجاهد ٥٤٢ .

(٢) في (أ) : (شيعته) .

(٣) انظر : بحر العلوم ١١٧/٣ ، وزاد المسير ٦٦/٧ .

(٤) معاني القرآن ٣٨٨/٢ .

(٥) شيعة الرجل هم جماعته وأنصاره . انظر : اللسان (شيع) ١٨٨/٨ .

(٦) تفسير مقاتل ١١٢ أ ، ولم أقف عليه عن الكلبي . انظر : الطبري ٧٠/٢٣ ، وبحر العلوم ٤٧٦/٢٢ ، والبغوي ٣/٣٩٠ ، وزاد المسير ١٣٠/٦ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٨/٤ .

(٨) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٩) لم أقف عليه .

٨٥. قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ ، وهذا استفهام توبيخ كأنه وبخهم على عبادة غير الله .

٨٦. فقال: ﴿أَيُّكَ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ قال المبرد: الإِفْكُ أسوأ الكذب^(١) ، وهذا مما سبق تفسيره .

وقوله: ﴿تُرِيدُونَ﴾ قال ابن عباس: تعبدون ، وتقدير الآلهة^(٢): أتأفكون إفكاً وتعبدون آلهة سوى الله^(٣) .

٨٧. وقوله: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال مقاتل والكلبي: ما ظنكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره^(٤) . كأنه قال: ما ظنكم أنه يصنع بكم ، هذا قول المفسرين^(٥) .

وذكر أهل المعاني وجهاً آخر: وهو أن المعنى أي شيء ظنكم بالله حيث عبدتم معه آلهة من دونه^(٦) . كأنه قال أظنون به أن عبادة غيره تجوز وأنه لا ينقم عليكم ذلك .

قال أبو إسحاق: أي شيء ظنكم برب العالمين وأنتم تعبدون غيره^(٧) .

٨٨-٩٠. قوله تعالى: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ ﴿قَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال: كانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم من

(١) انظر: القرطبي ٩٢/١٥ ، وفتح القدير ٤٠١/٤ .

(٢) هكذا جاءت في النسخ ، وهو خطأ لأن السياق يقتضي أن يكون وتقدير الآية .

(٣) في (ب): (دون الله) .

(٤) تفسير مقاتل ١١٢ أ ، ولم أقف عليه عن الكلبي .

(٥) انظر: الطبري ٧٠/٢٣ ، وبحر العلوم ١١٧/٣ ، والبغوي ٣٠/٤ ، والقرطبي ٩٢/١٥ .

(٦) معاني القرآن للنحاس ٣٩/٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٠٨/٤ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٨/٤ .

حيث كانوا لئلا ينكروا عليه^(١)، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم لتلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، وأنها لا تصلح أن تعبد وكان لهم من الغد يوم عيد يخرجون إليه، فأراد أن يتخلف عنهم فاعتل بالسقم، وهو قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقد ذكرنا هذه القصة عند قوله: ﴿وَتَأَلَّوْا لَكِيدَنْ أَصْنَمَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧] الآيات. فنظر إلى النجوم يريهم أنه مستدل بها على حاله فلما نظر إليها قال: إني سقيم؛ أي سأسقم، قال مقاتل: أي وجع غدا من نظره إلى الكواكب^(٢). فاعتل بذلك ليخلفوا^(٣) من بعدهم، وأكثر المفسرين على أن تفسير السقم هاهنا يريد مطعون، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وابن إسحاق^(٤).

ومطعون من الطاعون لا من الطعن. قال ابن إسحاق: كانوا يهربون منه إذا سمعوا به. وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا ليلغ من أصنامهم الذي يريد^(٥).

وقال عطاء عن ابن عباس: كان في ذلك الزمان نجم يطلع بالطاعون، وكان إذا طعن رجل منهم هربوا منه^(٦). وعلى هذا معنى قوله: ﴿فَنَظَرَنَّا فِي النُّجُومِ﴾ ليريهام ذلك النجم طلع وأنه مصاب^(٧) بالطاعون.

(١) انظر: البغوي ٣٠/٤، وأورد قول ابن عباس ولم ينسبه له ابن الجوزي في زاد المسير ٦٧/٧، والطبرسي في مجمع البيان ٧٠٢/٨.

(٢) تفسير مقاتل ١١٢ أ.

(٣) هكذا جاءت في النسخ، ولعل الصواب: ليتخلف.

(٤) انظر: الطبري ٧١/٢٣، ومعاني القرآن للنحاس ٤٢/٦، وبحر العلوم ١١٨/٣، والقرطبي ٩٣/١٥.

(٥) انظر: الطبري ٧١/١٢٣.

(٦) انظر: البغوي ٣١/٤، والمحرم الوجيز ٤٧٨/٤.

(٧) في (أ): (مصيب)، وهو خطأ.

قال الأزهري : «وَأُثْبِتَ لَنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى أَنَّهُ قَالَ : هُوَ جَمْعُ نَجْمٍ ، وَهُوَ مَا نَجْمٌ مِنْ كَلَامِهِمْ لَمَّا سَأَلُوهُ أَنْ يُخْرِجَ مَعَهُمْ إِلَى عِيدِهِ فَنَظَرَ نَظْرَةً ، وَنَظَرَ هَاهُنَا تَفَكَّرَ لِيَدْبِرَ حُجَّةً فَقَالَ : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ؛ أَي سَقِيمٌ مِنْ كُفْرِهِمْ .

وقال الليث : يقال للإنسان إذا تفكر ليدبر حجة وينظر في أمر كيف يدبره نظر في النجوم . قال : وهكذا ما جاء ^(١) عن الحسن في تفسيره ؛ أي فكر ما الذي يصرفهم عنه إذا كلفوه الخروج معهم ^(٢) وعلى هذا معنى ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ أي تفكر وتدبر ولم يكن هناك نجم ولا ينظر فيه . وعلى قول الضحاك ^(٣) واختيار الزَّجَّاج ^(٤) . وهذا كما أنك تقول لمريض إذا استدلت على صحته بشيء : إنك صحيح ؛ أي ستصح ، وتقول لمن رأيته على أوقات السفر : إنك مسافر ^(٥) ، وتأول في السقم أن كل واحد وإن كان معافى لا بد وأن يسقم ويموت ، قال الله [تعالى] ^(٦) ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر : ٣٠] ؛ أي إنك ستموت في ما يستقبل . وذكرنا الكلام في هذا مستقصى عند قوله : ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء : ٦٣] ، قال أبو إسحاق : «أو همهم أن به الطاعون ﴿فَنَوَلُوا عَنْهُ مُدِيرِينَ﴾ فراراً من أن يعدى إليهم الطاعون» ^(٧) . قال ابن عباس : مدبرين هاربين ^(٨) .

وقال الكلبي ومقاتل : ذاهبين إلى عيدهم ^(٩) .

-
- (١) هكذا في النسخ ، والصواب كما في تهذيب اللغة من دون ما .
 - (٢) تهذيب اللغة (نجم) ١٢٨ / ١١ .
 - (٣) انظر : معاني القرآن للنحاس ٤٢ / ٦ ، والقرطبي ٩٣ / ١٥ .
 - (٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٨ / ٤ .
 - (٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٤٨ / ٢٦ .
 - (٦) ما بين المعقوفين غير مثبت في (أ) .
 - (٧) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٨ / ٤ .
 - (٨) لم أقف عليه عن ابن عباس ، انظر : الطبري ٧٢ / ٢٣ ، والقرطبي ٩٣ / ١٥ .
 - (٩) تفسير مقاتل ١١٢ أ ، وانظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٧ .

٩١-٩٣. قوله تعالى : ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِنَّ﴾ قال المفسرون : مال إليها وهو ميل في خفية ، يقال راغ إليه أي مال إليه سرّاً^(١) .

قوله : ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ قال مقاتل : يعني الطعام الذي كان بين أيديهم^(٢) .

وقال أبو إسحاق والكلبي : وإنما يقول هذا استهزاء بها وتحقيراً في شأنها^(٣) . وكذلك قوله : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ . ثم أقبل عليهم ضرباً كما قال الله : ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : يريد فأقبل عليهم^(٤) . وهذا معنى وليس بتفسير ، وتفسيره : مال عليهم بالضرب ، قاله الزّجاج والمبرد وابن قتيبة .

وقال الزّجاج : المعنى فمال إلى الأصنام يضربهم ضرباً^(٥) .

وقال المبرد : مال عليهم بالضرب^(٦) .

وقال ابن قتيبة : مال عليهم يضربهم^(٧) .

قوله : ﴿بِالْيَمِينِ﴾ قال الكلبي : يضربهم بيمينه بالفأس^(٨) .

(١) انظر : الطبري ٧٢/٢٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٢/٦ ، والقرطبي ٩٤/١٥ ، والدر المصون ٥٠٨/٥ .

(٢) تفسير مقاتل ١١٢ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٩/٤ ، ولم أقف على من نسبته للكلبي ، وقد ذكر هذا القول أكثر المفسرين . انظر : المحرر الوجيز ٤٧٩/٤ ، وتفسير البغوي ٣١/٤ ، والقرطبي ٩٤/١٥ ، وزاد المسير ٦٨/٧ ، والبحر المحيط ٣٥١/٧ .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره الماوردي ٥٧/٥ ، والقرطبي ٩٤/١٥ عن الكلبي . انظر : تفسير مقاتل ١١٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٩/٤ .

(٦) لم أقف على قول المبرد .

(٧) تفسير غريب القرآن ٣٧٢ .

(٨) لم أقف على هذا القول عن الكلبي .

قال مقاتل : يعني اليمنى ^(١) نحو ما قال الكلبي . وهو قول أبي إسحاق والضحاك والربيع والأكثرين ^(٢) .

وقال السدي بالقوة والقدرة ^(٣) .

وذكر أبو إسحاق ^(٤) القولين ، وذكر في تفسير اليمين ها هنا أنه الحلف الذي ذكره حين قال : ﴿وَتَأْتِيهِ لَآكِيْدَةٌ أَصْنَمَكُمْ﴾ فجعل يضربها بتلك اليمين التي سبقت منه ^(٥) . وروى عطاء عن ابن عباس : باليمين يريد بالحق ^(٦) .

٩٤ . قوله تعالى : ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾ قال الزَّجَّاج : «يسرعون ، وأصله من زفيف النعامة وهو ابتداء غدوه» ^(٧) . والنعامة يقال له زفوف ، قال ابن حِلْزَة ^(٨) :

بزفوف كأنها هقلة أم مُ رئالٍ دويّة سقفاء

(١) تفسير مقاتل ١١٢ أ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣٠٩ / ٤ ، والطبري ٧٢ / ٢٣ ، والماوردي ٥٧ / ٤٥ ، والقرطبي ٩٤ / ١٥ ، والمحزر الوجيز ٤٧٩ / ٤ ، وزاد المسير ٦٨ / ٧ ، والبحر المحيط ٣٥١ / ٧ .

(٣) انظر : زاد المسير ٦٩ / ٧ ، ومجمع البيان ٣٠٧ / ٨ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٩ / ٤ .

(٥) انظر : بحر العلوم ١١٨ / ٣ ، والماوردي ٥٧ / ٥ ، وزاد المسير ٦٩ / ٧ ، والقرطبي ٩٤ / ١٥ .

(٦) لم أقف عليه . انظر : القرطبي ٩٤ / ١٥ ، ومجمع البيان ٣٠٧ / ٨ .

(٧) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : عدوها كما في معاني القرآن وإعرابه : للزَّجَّاج ٣٠٩ / ٤ .

(٨) البيت من الخفيف وهو للحارث بن حلزة في ديوانه ٢١ ، وتهذيب اللغة ١٣ / ١٧٠ ، وخزانة الأدب ٣ / ٤١٥ ، والمغني الكبير ١ / ٣٤٣ . والزفوف بفتح الزاي : الناقة السريعة من الزفيف وهو السرعة ، والهقلة أنثى النعام ، والرئال بكسر الراء جمع رأل وهو ولد النعام ، والدويّة بتشديد الواو منسوبة إلى الدو ، وهي الأرض البعيدة الواسعة . يقول : أستعين على قضاء همي بناقة مسرعة ، كأنها في إسراعها نعمة لها أولاد . الخزانة ٣ / ٤١٨ .

وقرأ حمزة : (يُزفون) يزفون بضم الياء ، وهي قراءة الأعمش^(١) .

قال الفرّاء : ولم يُسمع إلا زَفَّ ، يقال للرجل : جاء يزف ، ولعل قراءة الأعمش من قول العرب : أَطَرَدَتِ الرجل [أي صيرته طريداً ، فيكون يزفون]^(٢) ؛ أي جاءوا على هذه الهيئة ، وأنشد :

تمنى حصين أن يسودَ جذاعةً فأمسى حُصينٌ قد أذلَّ وأقهر^(٣)
أراد صار إلى [حال]^(٤) قهره^(٥) .

ونحو هذا قال أبو إسحاق^(٦) في قراءة حمزة .

وقال أبو عبيد : «تقول للنعامه : تَزُفُّ وهو من أول عدوها وآخر مشيها ، وجاء الرجل يَزُفُّ زفيف النعامه ؛ أي من سرعته [وأنشد]^(٧) للفرزدق :

وجاءَ قريعُ الشولِ قبلَ إفالها
زفيفاً وجاءتْ خلفه وهي زُفَفٌ^(٨) .

(١) انظر : الحجة ٥٦ / ٦ ، وعلل القراءات ٥٧٨ / ٢ .

(٢) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) .

(٣) البيت من الطويل وهو للمخبت السعدي يهجو الزبرقان وقومه في ديوانه ٢٩٤ ، وتهذيب اللغة (قهر) ٣٩٥ / ٥ ، واللسان (قهر) ١٢٠ / ٥ .

(٤) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٥) معاني القرآن ٣٨٩ / ٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٩ / ٤ .

(٧) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٨) البيت من الطويل وهو للفرزدق في ديوانه ٢٧ / ٢ ، ومقاييس اللغة : ١ / ١١٩ ، ولسان العرب (قرع) ٢٦٧ / ٨ والبيت في المصادر هكذا :

وجاءَ قريعُ الشولِ قبلَ إفالها يزفُّ وجاءتْ خلفه وهي زُفَفٌ
والقريع من الإبل الذي يأخذ بذراع الناقة فينيخها ، اللسان (قرع) ٢٦٧ / ٨ . والشول جمع شائلة ، وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها ، اللسان (شول) ٣٧٤ / ١١ . ولم أقف على قول أبي عبيد .

وقال أبو علي : «يقال زفت الإبل تزف إذا أسرعت» .

قال الهذلي :

وزفتِ الشول من بردِ العشيِّ كما زفَّ النعامُ إلى حَقَّانِهِ الرُّوحُ^(١)
وقرأ حمزة : يُزِفُّون ، يحملون غيرهم على الزفيف . قال الأصمعي : أزفت
الإبل إذا حملتها على أن تزف . قال : وهو سرعة الخطو ومقاربة المشيء والمفعول
محذوف على قراءته ، كأنهم حملوا ظهورهم على الجد والإسراع في المشيء^(٢) . هذا
كلامه .

ومعنى يزفون في قول أهل اللغة : يسرعون ، وهو لفظ ابن زيد^(٣) من
المفسرين . قال ابن عباس : يمشون إليه متعمدين^(٤) .

وقال مقاتل : يمشون إلى إبراهيم ليأخذوه بأيديهم^(٥) .

وقال الكلبي : يمشون إليه جميعاً يريدونه^(٦) . ونحو هذا قال السدي^(٧) .

والإسراع تفسير أهل اللغة ، والمشي تفسير المفسرين .

(١) البيت من البسيط ، وهو لأبي ذؤيب الهذلي . انظر : شرح أشعار الهذليين ١ / ١٢١ ، وانظره منسوباً
له في الحجة ٦ / ٥٦ ، والمحتسب ٢ / ٢٢١ ، واللسان (روح) ٢ / ٤٦٦ ، والمحزر الوجيز ٤ / ٤٧٩ ،
ومجمع البيان ٨ / ٧٠٠ .

الحَقَّان صغار النعام والإبل ، اللسان (حف) ٨ / ٥٢ . والرَّوح اتساع ما بين الفخذين أو سعة في
الرجلين . اللسان (روح) ٢ / ٤٦٦ .

(٢) الحجة ٦ / ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) انظر : القرطبي ١٥ / ٩٥ ، ومجمع البيان ٨ / ٣٠٧ .

(٤) لم أقف عليه بهذا المعنى عن ابن عباس . انظر : القرطبي ١٥ / ٩٥ ، ومجمع البيان ٨ / ٣٠٧ .

(٥) تفسير مقاتل ١١٢ أ .

(٦) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ١٥٠ .

(٧) انظر : الطبري ٢٣ / ٧٤ ، والقرطبي ١٥ / ٩٥ .

وقال الضحاك : يسعون^(١) .

٩٥-٩٧ . فقال إبراهيم لهم : ﴿ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ بأيديكم من الأصنام ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ، قال ابن عباس : يريد خلق ما تعملون فاعبدوا الذي خلقكم^(٢) .

وقال الكلبي : وما تعملون بأيديكم^(٣) وأنتم تعبدون هذه الآلهة التي جعلتم بأيديكم .

وقال مقاتل : يعني وما تنحتون بأيديكم من الأصنام^(٤) ، فهذا يدل على أن أصنامهم كانت معمولة لهم ، اتخذوها من النحاس والحديد والخشب [فأخبر الله]^(٥) عنهم . وتلك الأصنام مخلوقة لله فلما لزمتهم الحجة [قالوا]^(٦) قوله : ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ قال ابن عباس : بنوا حائطاً من حجارة وطين طوله في السماء ثلاثون ذراعاً ، وعرضه عشرون ذراعاً ، وملؤوه ناراً وطرحوه فيها^(٧) . وذلك قوله : ﴿ فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ وهي النار العظيمة .

قال أبو إسحاق : كل نار بعضها فوق^(٨) جهنم . والألف واللام في الجحيم بدل عن الكناية ، والمعنى : في جحمه ؛ أي في جحيم ذلك البنيان ، وهو النار التي توقد فيه .

(١) انظر : الماوردى ٥/ ٥٧ ، والقرطبي ١٥/ ٩٥ .

(٢) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٧ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) تفسير مقاتل ١١٢ ب .

(٥) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٦) ما بين المعقوفين غير مثبت في (أ) .

(٧) انظر : القرطبي ١٥/ ٩٧ ، ومجمع البيان ٨/ ٨٠٤ .

(٨) هكذا وردت العبارة في النسخ ، وهو وهم من النساخ ، ففي العبارة سقط ، وهي في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٠ هكذا : كل نار بعضها فوق بعض . وهي حَجْمٌ .

٩٨. قوله تعالى : ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ قال مقاتل : شراً أن يحرقوه بالنار^(١) .

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ قال الكلبي : المدحوض حجتهم يعني أنه علاهم^(٢) بالحجة ، حيث رد الله كيدهم وجعل النار عليه برداً وسلاماً ، وهذا معنى قول المفسرين .

قال مقاتل : علاهم إبراهيم فسلمه الله وحجزهم عنه فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى أهلكهم الله^(٣) .

٩٩-١٠٠. قوله تعالى : ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ قال ابن عباس : مهاجر إلى ربي ، والمعنى أهاجر ديار الكفر وأذهب إلى حيث أمرني كما قال الله^(٤) : ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ قال مقاتل : يعني إلى رضاء ربي بأرض المقدس^(٥) . وهو أول من هاجر من الخلق^(٦) . وقال الكلبي : ذاهب بعبادتي إلى ربي^(٧) . وهذا معنى قول قتادة : ذاهب بعمله وقلبه وهمته^(٨) ، وعلى هذا ذهابه إليه بالعمل ، وعلى القول الأول بالهجرة ، وهو الصحيح إن شاء الله ؛ لأن المراد الإخبار عن هجرته أرض قومه وذهابه إلى حيث أمر من الشام .

(١) تفسير مقاتل ١١٢ ب .

(٢) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : الطبري ٧٥ / ٢٣ ، والقرطبي ٩٧ / ١٥ ، وزاد المسير ٧٠ / ٧ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٢ ب .

(٤) انظر : مجمع البيان ٨ / ٧٠٤ ، وذكر القول ولم ينسبه لأحد الطبري ٧٥ / ٢٣ ، والماوردي ٥٩ / ٥ .

(٥) تفسير مقاتل ١١٢ ب .

(٦) وهذا قال مقاتل . انظر : تفسيره ١١٢ ب ، والقرطبي ٩٧ / ١٥ .

(٧) انظر : الطبري ٧٦ / ٢٣ ، ومجمع البيان ٨ / ٧٠٤ .

(٨) انظر : الطبري ٧٦ / ٢٣ ، وزاد المسير ٧١ / ٧ .

قوله : ﴿سَيِّدِينَ﴾ قال ابن عباس : سير شدي^(١) .

وقال الكلبي : سينجيني منهم^(٢) .

وقال مقاتل : سيهدين لدينه^(٣) . وقول الكلبي أقرب إلى المعنى ؛ لأن المراد سيهدين إلى حيث أمرني بالمصير إليه ، وفي ذلك إنجاء له منهم ، وقول مقاتل سيهدين لدينه فيه بعد ؛ لأنه كان على الدين في ذلك الوقت ، إلا أن يحمل على التثبيت على الدين والهداية ، وقول ابن عباس يحتمل المعنيين : الإرشاد إلى الدين ، والإرشاد إلى الطريق ، والأولى أن يحمل على الإرشاد إلى طريق مُهَاجِرِهِ .

قال مقاتل : فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه^(٤) الولد ، فقال : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال المفسرون وأصحاب المعاني : الآية مختصرة والتقدير هب لي ولداً صالحاً من الصالحين^(٥) . قال الفراء : «وهذا بمنزلة قولك أدن فأصب من الطعام يجتزأ بمن عن المضمَر»^(٦) .

١٠١ . فاستجاب الله له بقوله : ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ قال الكلبي : يقول بغلام في صغره حلیم في كبره^(٧) .

(١) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٧ .

(٢) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : الماوردي ٥٩/٥ ، وزاد المسير ٧١/٧ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٢ ب .

(٤) تفسير مقاتل ١١٢ ب .

(٥) انظر : الطبري ٧٦/٢٣ ، والثعلبي ٢٤٣/٣ ب ، وبحر العلوم ١١٩/٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٨٩/٢ ، ٣١٠/٤ ، ومعاني القرآن للفراء ٣٨٩/٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٨٩/٢ .

(٧) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٧ ، وبحر العلوم ١١٩/٣ ، والبغوي ٣٢/٤ .

قال أبو إسحاق : « هذه البشارة تدل على أنه غلام ، وأنه يبقى حتى يوصف بالحللم »^(١) ، والمعنى أنه لما بشر بغلام دل على أنه مفسر بابن ذكر ، ولما وصف بالحللم دل على أنه ينتهي في السن حتى يبلغ الحللم ، هذا معنى ما ذكره الكلبي وأبو إسحاق ونحو هذا قال^(٢) : يريد في كبره .

وقال مقاتل : يعني حلماً والحلم من موجبات العلم فهو يدل على العلم^(٣) .

وقال أهل المعاني : الحللم المتأني في الأمر وضده السفه ، فيجوز أن يكون غلاماً حلماً في حالة واحدة^(٤) .

١٠٢ . قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى ﴾ قال مجاهد : لما شب وأدرك سعيه سعى إبراهيم^(٥) . وهذا قول أهل المعاني . قال الفراء : يقول طاق أن يعينه على عمله وسعيه وكان يومئذ ابن ثلاثة عشر سنة^(٦) .

وقال الزجاج : أدرك معه العمل^(٧) .

وقال أبو عبيدة : أدرك أن يسعى على أهله معه وأعانه^(٨) .

وقال ابن قتيبة : أي بلغ أن يتصرف معه ويعينه^(٩) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣١٠ .

(٢) هكذا في النسخ ، والذي يظهر أنه سقط القائل ، وهذا القول ذكره الفراء في معاني القرآن له ٢ / ٣٨٩ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٢ ب .

(٤) لم أقف عليه عند أهل المعاني .

(٥) تفسير مجاهد ٥٤٤ .

(٦) هكذا هي في النسخ ، والصواب ثلاث عشرة سنة . انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٨٩ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣١٠ .

(٨) مجاز القرآن ٢ / ١٧١ .

(٩) تفسير غريب القرآن ٣٧٣ .

وروي عن ابن عباس أنه قال : يعني المشي مع أبيه إلى الجبل^(١) . وهو قول مقاتل^(٢) . وكان أبوه قد ذهب به معه إلى الجبل .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد العمل لله تعالى وهو الاحتلام^(٣) . وهذا قول الكلبي ، قال في معنى السعي : إنه العمل لله^(٤) . ونحو هذا قال الحسن ومقاتل وابن زيد ، قالوا : هو العبادة والعمل الذي تقوم به الحجة ، وهو ما بعد البلوغ^(٥) .

قوله : ﴿إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ قال مقاتل : رأى ذلك إبراهيم ثلاث ليال متتابعات^(٦) .

وقال محمد بن كعب : كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله أيقاظاً ورقوداً^(٧) ، وذلك أن الأنبياء لا تنام قلوبها . وقال عبيد بن عمير : رؤيا الأنبياء وحي .

وقال السدي : كان إبراهيم حين بشر بإسحاق قبل أن يولد له قال : هو إذاً لله ذبيح^(٨) . فقليل لإبراهيم في منامه : قد نذرت نذراً فف بنذرك ، فلما أصبح قال : ﴿يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ .

(١) انظر : البغوي ٣٢/٤ ، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ١١٩/٣ ، ولم ينسبه لأحد .

(٢) تفسير مقاتل ١١٢ ب .

(٣) انظر : القرطبي ٩٩/١٥ ، وأورده الشوكاني في فتح القدير ٤٠٣/٤ ولم ينسبه لأحد .

(٤) انظر : البغوي ٣٢/٤ ، ومجمع البيان ٧٠٦/٨ .

(٥) انظر : الطبري ٧٧/٢٣ ، والبغوي ٣٢/٤ ، والقرطبي ٩٩/١٥ .

(٦) تفسير مقاتل ١١٢ ب .

(٧) انظر : القرطبي ١٠١/١٥ ، وقد ذكر القول مقاتل في تفسيره ١١٢ ب ، وذكره البغوي ٣٣/٤ عن مقاتل .

(٨) انظر : البغوي ٣٣/٤ ، والقرطبي ١٠٢/١٥ .

وقال أبو إسحاق : رؤيا الأنبياء وحي بمنزلة الوحي إليهم في اليقظة^(١) . هذا كلام أهل التفسير في ظاهر [الرؤيا]^(٢) . وظاهر اللفظ دل على أنه رأى في المنام أنه يذبح ابنه ، والتفسير يدل على أنه رأى في المنام ما يوجب أنه يذبح ابنه في اليقظة ، فيكون تقدير اللفظ : إني أرى في المنام ما يوجب أني أذبحك ، فموجب الذبح رؤي في المنام لا الذبح ، وذكر في الظاهر أنه رأى الذبح ؛ لأن موجب الذبح كأنه رأى الذبح حيث لا يجوز له أن يخالف ذلك ، ألا ترى أن ابنه قال له : ﴿ أَفَعَلَ مَا تُوَمِّرُ ﴾ فدل أنه أمر في المنام بذبح ابنه . وقد صرح مقاتل بما ذكر فقال : يقول إني أمرت في المنام أني أذبحك^(٣) .

وقال ابن قتيبة : «لم يرد أنه ذبحه في المنام ، ولكنه أمر في المنام بذبحه ، فقال : ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾ ؛ أي أني سأذبحك ، ومثل هذا رجل رأى في المنام أنه يؤذن ، والأذن دليل الحج ، فقال : إني رأيت في المنام أني أحج أي سأحج^(٤) . واختلفوا في الذبيح من هو من ابني إبراهيم ، فالأكثر على أنه إسحاق ، وهو قول علي وابن مسعود وكعب وقتادة ومجاهد في بعض الروايات وعكرمة وابن عباس ، وهؤلاء قالوا : كانت هذه القصة بالشام^(٥) .

وقال سعيد بن جبیر لما رأى إبراهيم في المنام ذبح إسحاق ، سار به مسيرة شهر في غداة واحدة ، حتى أتى المنحر ، فلما صرف الله عنه الذبح وذبح الكبش ، سار به مسيرة شهر في غداة واحدة طويت له الأودية والجبال^(٦) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣١٠ .

(٢) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٣) تفسير مقاتل ١١٢ ب .

(٤) تفسير غريب القرآن ٣٧٣ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣ / ٨١ ، ٨٢ ، وبحر العلوم ٣ / ١١٩ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ٢٤٣ ب ، والقرطبي ١٥ / ٩٩-١٠١ ، والبغوي ٤ / ٣٢ .

(٦) انظر : البغوي ٤ / ٣٢ ، والقرطبي ١٥ / ١٠٠ ، وأورده السيوطي في الدر ٧ / ١٠٩ ، وعزاه لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن سعيد بن جبیر .

وقال آخرون : الذي أمر بذبحه إسماعيل ، وهو قول سعيد بن المسيب والشعبي والحسن ومجاهد في رواية ابن أبي نجيح ، وابن عباس في رواية عطاء ، وعامر ومجاهد بن كعب ومحمد بن إسحاق^(١) . وسياق هذه الآيات تدل على أنه إسحاق ؛ لأنه قال : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ ، ولا خلاف^(٢) أن هذا إسحاق . قال : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى ﴾ فعطف بقصة الذبح على ذكر إسحاق ، وقوله بعد ذكر هذه القصة : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ ﴾ قال عكرمة : بشر بنوته^(٣) .

وقال قتادة : بعد الذي كان من أمره^(٤) ، غير أن محمد بن كعب احتج على أنه إسماعيل بقوله : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ قال : يقول بابن وابن ابن ، فلم يكن يأمره بذبح إسحاق ولد من الله من الموعود ما وعده^(٥) . وقد قال أبو إسحاق : « الله أعلم أيهما الذبيح »^(٦) .

(١) انظر : الطبري ٨٢ / ٢٣ ، وبحر العلوم ١١٩ / ٣ ، وتفسير الثعلبي ٢٤٣ / ٣ ب ، والقرطبي ٩٩ / ١٥ - ١٠١ ، والبغوي ٣٢ / ٤ .

(٢) قول المؤلف - رحمه الله - هنا ولا خلاف أن هذا إسحاق . فيه نظر إذ الخلاف مشهور جداً في تحديد الذبيح ، وإن كان الراجح - والله أعلم - أنه إسماعيل كما سيأتي معنا .

(٣) انظر : الطبري ٨٩ / ٢٣ ، والقرطبي ١٠١ / ١٥ ، وزاد المسير ٧٨ / ٧ .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ١٥٤ / ٢ ، وزاد المسير ٨٧ / ٧ .

(٥) أخرجه : الطبري في تفسيره ٨٤ / ٢٣ ، والحاكم في المستدرک : كتاب التاريخ ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما ٥٥٥ / ٢ ، ووافقه الذهبي . وأورده السيوطي في الدر ١٠٦ / ٧ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد عن محمد بن كعب .

(٦) اختلف العلماء قديماً وحديثاً في تعيين الذبيح من هو من ولدي إبراهيم ، هل هو إسماعيل أم إسحاق إلى ثلاثة أقوال : فمنهم من يرى أنه إسماعيل ، وقد ذكر المؤلف بعضاً ممن قال بهذا القول . ومنهم من يرى أنه إسحاق ، وقد ذكر المؤلف كذلك بعضاً ممن قال بهذا القول ، وذهب بعضهم إلى التوقف في المسألة نظراً إلى طول الخلاف فيها وقدمه ، ولعدم وجود دليل صريح وواضح من الكتاب أو السنة حسب فهمهم يفيد تعيين الذبيح من هو ، ومن هؤلاء الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله ، يقول في آخر كتابه القول الفصيح في تعيين الذبيح ٨٦ بعد أن ذكر القولين : وأنا الآن متوقف في ذلك ، والله أعلم . وكذا الشوكاني ، فقد قال في فتح القدير ٣٩٢ / ٤ بعد أن ذكر القولين وأدلة كل فريق ، قال : وكل ذلك يحتمل المناقشة .

ولعل الراجع - والله أعلم - هو القول القائل بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ، والقائلون بهذا القول يستدلون بالشواهد التاريخية ، وبما عند أهل الكتاب في التوراة والإنجيل ، وكذلك بالقرآن . ونحن هنا نذكر أدلة هؤلاء من وجهة النظر الإسلامية بعيداً عن الشواهد التاريخية وما يستنبط من التوراة والإنجيل ، وذلك من أجل الاختصار والإيجاز ويُعدّ عن الإطالة ، ومن أراد الاستزادة من الأدلة فليرجع إلى المراجع التي سوف أشير إليها بعد ذكر أدلة القول الراجع .

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - في زاد المعاد في هدي خير العباد ١ / ٧١ : وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً ، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدّس الله روحه ، يقول : هذا القول - أن الذبيح إسحاق - إنما هو متلقى من أهل الكتاب ، مع أنه باطل بنص كتابهم ، فإن فيه أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره وفي لفظ وحيد ، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده . والذي غرّ أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم اذبح برك ووحيدك ، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف . . . ثم قال : وكيف يسوغ أن يقال إن الذبيح إسحاق والله - تعالى - قد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب ، فقال تعالى عن الملائكة أنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى : ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (٧٠) وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَتَسَرَّنَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ ﴿ (هود ٧٠-٧١) فمحال أن يبشرها بأنه يولد له ولد ثم يأمر بذبحه .

ويبدل عليه أيضاً أن الله سبحانه لما ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح في سورة الصافات قال : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ (١٤) وَتَدَبَّرْنَاهُ أَنْ يُتَّخِذَ بِهِ ﴿ (١٥) قَدْ صَدَّقَ الرُّبُّ بِإِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٥) هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الَّذِي ﴿ (١٦) وَقَدَرْنَاهُ بِذَنْبِ عَقِيبٍ ﴾ (١٦) وَرَكَّنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿ (١٧) سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (١٧) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ (١٨) إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٣-١١١] ، ثم قال تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات : ١١٣] ، فهذه بشارة من الله تعالى له شكراً على صبره على ما أمر به ، وهذا ظاهر جداً في أن المبشر به غير الأول بل هو كالنص فيه . . .

وأيضاً فلا ريب أن الذبيح كان بمكة ، ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها ، كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار ، تذكيراً بشأن إسماعيل وأمه ، وإقامة لذكر الله ، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة من دون إسحاق وأمه . . .

وأيضاً فإن الله - سبحانه - سمى الذبيح حليماً ؛ لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه ، ولما ذكر إسحاق سماء علياً في قوله : ﴿ وَبَشَّرُوهُ يُغْلِبُ عَلَيَّرِ ﴾ [الذاريات : ٢٨] .

هذه بعض أدلة القائلين بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام . وأما القائلون بأنه إسحاق ؛ فاستدلوا بآثار عن بعض الصحابة والتابعين ، وهي ضعيفة كلها لا ترقى لقوة أدلة مخالفيهم .

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤ / ١٧ بعد أن ذكر أقوال بعض الصحابة والتابعين في أن الذبيح إسحاق يقول : وهذه الأقوال - والله أعلم - كلها مأخوذة عن كعب الأحبار ، فإنه لما أسلم في الدولة =

قوله : ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ وقرأ حمزة والكسائي : (تري) بضم التاء وكسر الراء . قال إبراهيم : «ماذا تُرى تأمر وماذا تُرى تشير»^(١) .

قال أبو علي الفارسي : «من فتح التاء كان مفعول ترى أحد شيئين ؛ أحدهما : أن يكون ما مع ذا بمنزلة اسم واحد ، فيكونان في موضع نصب بأنه مفعول ترى ، والآخر أن يكون ذا بمنزلة الذي ، والهاء محذوفة من الصلة ، ويكون ترى على هذه القراءة الذي معناه الرأي وليس إدراك المرى^(٢) كما تقول فلان يرى ما رأى أبو حنيفة^(٣) . والتقدير ما الذي تراه ، فتصير ما في موضع ابتداء ، والذي في موضع خبره ، ويكون المعنى : ما الذي تذهب إليه في ما ألقى إليك ، هل تستسلم وتتلقاه بالقبول أو تأتي غير ذلك . وأما قول حمزة : ماذا تُرى فإنه يجوز أن يكون ماذا بمنزلة اسم واحد ، ويكون في موضع نصب ، والمعنى : أجلاً ترى على ما تُحمل عليه أم خَوَراً^(٤) .

العمرية جعل يحدث عمر - رضي الله عنه - عن كتب قديمة ، فربما استمع له عمر - رضي الله عنه - فترخص الناس في استماع ما عنده ، ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها ، وليس لهذه الأمة حاجة إلى حرف واحد مما عنده . اهـ .

انظر : في هذه المسألة بتوسع : تفسير ابن جرير الطبري ٢٣ / ٨١ وما بعدها ، مجموع فتاوى ابن تيمية ٤ / ٣٣١ وما بعدها ، روح المعاني ٢٣ / ١٣٤ ، وزاد المعاد في هدي خير العباد ١ / ٧١ وما بعدها ، تفسير ابن كثير ٤ / ١٧ ، والكمال في التاريخ لابن الأثير ١ / ١٠٨ ، وتفسير القاسمي محاسن التأويل ٨ / ١٢٠ ، والقول الفصيح في تعيين الذبيح للسيوطي ، ومعه كتاب القول الصحيح في تعيين الذبيح لإبراهيم الحازمي ، كُتب من القطع الصغير بحدود ٩٠ صفحة ، ذكر فيه مؤلفه - رحمه الله - ومحققه - وفقه الله - الأقوال وأدلتها بشيء من التوسع .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣١٠ .

(٢) في الحجة : (إدراك الحاجة) .

(٣) في (أ) : (أبي) ، وهو خطأ .

(٤) في (ب) : (خوراً) ، وهو خطأ .

ويجوز أن يجعل ما مبتدأ وذا بمنزلة الذي ويعود إليه الذكر المحذوف من الصلة ، والفعل منقول من رأى زيد الشيء وأريته الشيء إلا أنه من باب أعطيت ، فيجوز أن يقتصر على أحد المفعولين دون الآخر كما أن أعطيت كذلك^(١) . وقال الفراء : ماذا ترى معناه : ماذا ترى من خبرك أو جزعك^(٢) .

وقال أبو إسحاق : ولا أعلم أحداً قال هذا ، وفي كل التفسير ماذا ترى ماذا تشير^(٣) . واختار أبو عبيدة القراءة الأولى ، وقال : لا يعلم أحداً قال في موضع المشورة والرأي ما ترى في كذا وكذا ، وإنما يقولون هذا في رؤية العين ، ولا موضع لرؤية العين هاهنا^(٤) .

وأما وجه مشاورته الابن في ما أمر به ، فيجوز أن يكون أمر بأن يطلع ابنه على ذلك ويشاوره ليعلم صبره لأمر الله ، فيكون في ذلك قرّة عين لإبراهيم ؛ حيث يرى من ابنه طاعته في أمر الله وصبره على أعظم المكروه ، وهو القتل في رضا الله ورضاء أبيه ، ويكون فيه أيضاً ثواب للابن وثناء حسن يبقى له ، حيث قال في جوابه لأبيه^(٥) : ﴿يَتَابَتِ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ﴾ قال ابن عباس : يريد ما أوحى إليك من ربك^(٦) .

(١) الحجة ٥٧/٦ ، ٥٨ .

(٢) معاني القرآن ٢/٣٩٠ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣١٠ .

(٤) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢/٤٣٣ ، والقرطبي ١٥/١٠٣ ، وفتح القدير ٤/٤٠٤ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/٧٩ ، والماوردي ٥/٦٠ ، والقرطبي ١٥/١٠٣ .

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : الماوردي ٥/٦١ ، والبغوي ٤/٣٣ ، والقرطبي ١٥/١٠٣ .

قال أبو علي : « التقدير ما تؤمر به ، فحذف الجار فوصل الفعل إلى الضمير ، فصار تؤمره ، ثم حذفت الهاء من الصلة كما حذفت من قوله ^(١) : ﴿ وَسَلِّمْ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَىٰ ﴾ [النمل : ٥٩] ؛ أي اصطفاهم » ^(٢) .

﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ على بلاء الله .

١٠٣ . قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ قال المبرد : استسلما لأمر الله وأذعنا له ^(٣) ^(٤) .

قال ابن قتيبة نحوه ، قال : ومثله سلما ^(٥) .

وقال الفراء : فَوْضًا وَأَطَاعًا . وفي قراءة عبدالله : (فلما سلما) ^(٦) .

وقال أبو إسحاق : استسلم للذبح واستسلم إبراهيم لذبحه ^(٧) .

قال مقاتل : يقول سلما لأمر الله ^(٨) .

وروى إبراهيم التيمي عن ابن عباس أنه كان يقرأ : فلما سلما وأسلم الأمر لله ، بمعنى سلم ^(٩) ، كما تقول إذا أصابك مصيبة : فسلم لأمر الله ؛ أي فارضى به ، ويكون أسلم بمعنى استسلم ؛ أي دخل في السلم ، كأنه انقاد ورضي .

(١) زيدت من هنا في (ب) .

(٢) الحجة ٩٩ / ٦ .

(٣) في (أ) : (وأذعناه) ، وهو خطأ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) تفسير غريب القرآن ٣٧٣ .

(٦) معاني القرآن ٣٩٠ / ٢ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣١١ / ٤ .

(٨) تفسير مقاتل ١١٢ ب .

(٩) تروى هذه القراءة كذلك عن ابن مسعود . انظر : القرطبي ١٥ / ١٠٤ ، والمحاسب ٢ / ٢٢٢ ، ومعاني القرآن للفراء ٣٩٠ / ٢ .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : أسلم إسماعيل صحبته ونفسه لله عز وجل ،
وأسلم إبراهيم ابنه وبكره واحده ^(١) لله ، وعلى هذا الإسلام بمعنى الترك .

وقوله : ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ قال أبو عبيدة : أي صرعه ، وللوجه جبينان والجهة
بينهما ، ونحو هذا قال المبرّد ، وأنشد :

شككتُ له بالرمح جنبي قميصه فخرّ تليلاً لليدين وللنم ^(٢)
وقال ابن قتيبة : صرعه على الأرض على أحد جنبيه ^(٤) .

وقال ابن الأعرابي : التليل والمتلول المصروع ، والمتلى الذي يتلى به ؛ أي
يصرع ^(٥) . قال ابن عباس : أضجعه على جنبيه على الأرض ^(٦) . وهو قول
قتادة ^(٧) . وقال مقاتل : كبّته لجهته ^(٨) .

وقال مجاهد وابن جريج : وضع وجهه للأرض ^(٩) . والصحيح أنه أضجعه
على أحد شقيه ؛ لأن الجبين غير الجهة كما ذكرنا .

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وهذا القول نسبته أكثر المفسرين لقتادة ، وزاد الطبري نسبته لعكرمة .
انظر : الطبري ٧٩ / ٢٣ ، وتفسير الثعلبي ٢٤٧ / ٣ ، والماوردي ٦١ / ٥ ، وبحر العلوم ١٢١ / ٣ ،
والبغوي ٣٣ / ٤ ، والقرطبي ١٠٤ / ١٥ .

(٢) مجاز القرآن ١٧١ / ٢ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو لجابر بن جني في شرح المفضل ٤٣٤ ، ولربيعه بن مكرم في الأغاني ٧٥ / ١٦ ،
ولعصام بن المقشعر في معجم الشعراء ٢٧٠ ، وللأشعث الكندي في الأزهية ٢٨٨ .

(٤) تفسير غريب القرآن ٣٧٣ .

(٥) تهذيب اللغة (تل) ١٥٢ / ١٤ . انظر : اللسان (تلل) ٧٨ / ١١ .

(٦) انظر : الماوردي ٦١ / ٥ ، والبغوي ٣٣ / ٤ ، والقرطبي ١٠٤ / ١٥ .

(٧) انظر : تفسير عبدالرزاق ١٥١ / ٢ ، والطبري ٨٠ / ٢٣ ، والقرطبي ١٠٤ / ١٥ .

(٨) تفسير مقاتل ١١٢ ب .

(٩) انظر : تفسير مجاهد ٥٤٤ ، والطبري ٨٠ / ٢٣ ، ولم أقف عليه عن ابن جريج .

١٠٤-١٠٥ . ﴿وَنَذِيْنَتُهُ أَنْ يَتَّبِعْتَهُ﴾ ١٠٤ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ هذا جواب فلما عند الفراء والكوفيين ، والواو مقمحة زائدة ، وعند البصريين لا يجوز ذلك . والجواب مقدر على تقدير : فلما فعل ذلك سَعَدَ وأتاه الله نبوة ولده ، وأجزل له الثواب في الآخرة . وذكر^(١) ذلك أبو إسحاق^(٢) . وهذه المسألة ذكرناها في مواضع .

قال المفسرون : لما أضجعه للذبح نودي من الجبل : يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا .

قال مقاتل : عرف الله منهما الصدق^(٣) . يعني أن إبراهيم قصد الذبح بما أمكنه ، وابنه طاعه ومكن من الذبح ، وعرف الله منهما الصدق فلذلك قال : ﴿صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ ، وإن لم يتحقق الذبح^(٤) .

وقال قوم إنه [رأى في]^(٥) المنام معالجة الذبح من شد اليدين والرجلين وإمرار السكين على الحلق ، وفعل في اليقظة ما رأى في النوم^(٦) فلذلك قيل له : ﴿صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ فهذان وجهان في قوله : ﴿صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ .

وذكر أهل المعاني أوجهاً ، منها : أنه أمر في المنام أن يقعد منه مقعد الذابح ، وينتظر الأمر بإمضاء الذبح ، ففعل ما رأى في منامه ، وهو أنه أمر بذلك على شرط التحلية والتمكين ، وقصد ذلك ولكن لم يمكن منه^(٧) .

(١) في (ب) : (وذلك) ، وهو خطأ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣١١ / ٤ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٢ ب .

(٤) انظر : الطبري ٢٣ / ٨٠ ، وبحر العلوم ٣ / ١٢١ ، وزاد المسير ٧ / ٨٦ .

(٥) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٦) انظر : الماوردي ٥ / ٦١ ، وزاد المسير ٧ / ٧٦ .

(٧) لم أقف عليه عند أحد من أهل المعاني . انظر : الماوردي ٥ / ٦١ ، وزاد المسير ٧ / ٧٦ .

قال السدي : ضرب الله على قفاه صفحة نحاس ، فجعل يحز ولا يقطع شيئاً ، ونودي من الجبل : يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا^(١) .

وقال محمد بن إسحاق : لم يحك السكين وانقلبت من حدة^(٢) إلى مثنة^(٣) . ومنها أنه ذبح ووصل الله ما قرى بلا فصل^(٤) . وهذا أضعف الوجوه ؛ لأنه لم يثبت بهذا رواية^(٥) .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَذَبْنَاكَ ﴾ ابتداء إخبار من الله ، وليس يتصل بما قبله من الكلام الذي نودي به إبراهيم ، والمعنى : أنا كما ذكرنا من العفو عن ذبح ولده ﴿ تَجْرَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، قال مقاتل : جزاه الله بإحسانه وطاعته في أمر الذبح ومضيه على أمر الله العفو عن ابنه إسحاق^(٦) .

١٠٦ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ ؛ أي الاختيار الظاهر ، حيث أخبره بذبح بكره وواحد ، وهذا معنى قول ابن عباس وغيره ، جعلوا البلاء هاهنا بمعنى الاختبار^(٧) .

(١) انظر : البغوي ٤ / ٣٤ ، ولم أقف عليه عن السدي عند غيره ، وذكره بعض المفسرين غير منسوب لأحد . انظر : الماوردي ٥ / ٦١ ، وبحر العلوم ٣ / ١٢١ ، والقرطبي ١٥ / ١٠٤ .

(٢) في (ب) : (فنجده) ، وهو خطأ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) ذكره الماوردي ٥ / ٦١ .

(٥) هذه الآثار التي ذكرها المؤلف - رحمه الله - في قصة الذبح وكيف تمت وكيف امتنع الذبح ، هل قطع ثم عاد ما قطع ، أو لم تتمكن السكين من القطع إلى غير ذلك ، كلها روايات منكرة لم يصح سندها ولا متنها ، كما قال جمال الدين القاسمي - رحمه الله - في تفسيره ٨ / ١٢٠ قال : يروي المفسرون في قصة الذبح روايات منكرة لم يصح سندها ولا متنها ، بل ولم تحسن ، فهي معضلة تنتهي إلى السدي وكعب . والسدي حاله معلوم في ضعف مروياته وكذلك كعب اهـ .

ولعل أكثر ما يروى في هذه القصة هو مما كان يحدث به كعب الأخبار حينما أسلم .

(٦) تفسير مقاتل ١١٣ أ .

(٧) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٧ ، وينسب هذه القول أيضاً لابن زيد وابن قتبية ، انظر : الطبري ٢٣ / ٨٠ ، والماوردي ٥ / ٦٢ ، وزاد المسير ٧ / ٧٧ .

وقال مقاتل : البلاء النعمة ، وهو أن كف عن ولده وفدي بالكبش^(١) . وقد ذكرنا معنى البلاء عند قوله : ﴿ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ٤٩]^(٢) .

١٠٧ . قوله تعالى : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ؛ أي جعلنا الذبح فداء له وخلصناه من الذبح ، والذبح مصدر ذبحت ، والذبح ما يذبح . واختلفوا في هذا الذبح ، فقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد الكبش الذي تقرب به هابيل بن آدم إلى الله تعالى فقبله ، وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله به إسماعيل^(٣) . وقال آخرون : أرسل إليه كبشاً من الجنة قد رعى أربعين خريفاً ، وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : بكبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً ، وهو قول معمر وقتاد^(٤) .

وروى جعفر بن إياس^(٥) عن ابن عباس قال : خرج عليه كبش من الجنة ، وقد رعاها قبل ذلك بأربعين خريفاً^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ١١٣ أ .

(٢) انظر : البسيط : رسالة دكتوراه إعداد : د . محمد الفوزان ٣ / ٨٦٦ .

(٣) انظر : الماوردى ٥ / ٦٢ ، والبغوي ٤ / ٣٥ ، والقرطبي ١٥ / ١٠٧ .

(٤) انظر : المصادر السابقة ، تفسير عبدالرزاق ٢ / ١٥٢ .

(٥) جعفر بن إياس البشكري البصري الواسطي ، أحد الأئمة الحفاظ ، حدث عن بشر بن ثابت والشعبي ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وطاووس وعن خلق غيرهم . وعنه الأعمش وشعبة وأبو عوانة وشعبة الحجاج وغيرهم . وثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن معين وغيرهم ، مات سنة ١٢٤ هـ ، وقيل ١٢٣ هـ ، وقيل ١٢٥ هـ . انظر : تهذيب الكمال ٥ / ٥ ، وسير أعلام النبلاء ٥ / ٤٦٥ ، والطبقات الكبرى ٧ / ٢٥٣ .

(٦) انظر : الماوردى ٥ / ٦٢ ، والبغوي ٤ / ٣٥ ، والقرطبي ١٥ / ١٠٧ ، وتفسير عبدالرزاق ٢ / ١٥٢ .
كلهم عن ابن عباس .

وقال السدي : نودي إبراهيم فالتفت فإذا هو بكبش أملح انحط من الجبل ، فقام عند ذلك إبراهيم فأخذه وذبحه وخلّى عن ابنه ، وأعتق ابنه ، وقال : يا بني اليوم وُهِبَ لي ، قال : وبلغنا أن الكبش رعى في الجنة أربعين خريفاً^(١) .

وقال مقاتل : وكان رعى في الجنة أربعين سنة قبل أن يذبح ، وكان من غير نسل^(٢) . وقال آخرون : كان ذلك الذبح ، وعلا انحط عليه من الجبل .

قال الحسن : ما فدى إسماعيل إلا بتيس من الأروى ، انحط عليه من جبل ثبير^(٣) ، فذبحه إبراهيم فداء عن ابنه^(٤) ، فضحوا عباد الله ، وأعلموا أن الذبح يدفع منية السوء .

وروي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال في قوله : (بذبح) قال : كبشُ أعين أقرن أملح مربوط بسمرة في ثبير^(٥) . وهذا قول الكلبي في رواية أبي صالح عن ابن عباس^(٦) .

(١) لم أقف عليه عن السدي .

(٢) تفسير مقاتل ١١٣ أ .

(٣) ثبير : جبل بمكة يشرف على منى . انظر : معجم البلدان ٧٣ / ٢ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٤٧ ب ، والبيهقي ٤ / ٣٥ ، والقرطبي ١٥ / ١٠٧ ، وزاد المسير ٧ / ٧٧ ، وابن كثير ٤ / ١٦ ، ومجمع البيان ٨ / ٧٠٨ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣ / ٨٦ ، وتفسير ابن كثير ٤ / ١٦ .

(٦) انظر : المصادر السابقة ، تفسير الثعلبي ٣ / ٢٤٧ ب . وقد أورد هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٧ / ١٠٥ ، وعزاه لأحمد وابن جرير وابن حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في شعبه عن ابن عباس .

وقوله : ﴿عَظِيمٍ﴾ قال مجاهد : متقبل^(١) . وعلى هذا سمي عظيماً لعظم قدره ، حيث قبل فداء عن إبراهيم . وعند غيره سمي عظيماً لعظمه وسمنه ، قال سعيد بن جبير : حق له أن يكون عظيماً وقد رعى في الجنة أربعين خريفاً^(٢) .

١٠٨ . قوله : ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ مفسر في قصة نوح^(٣) إلى قوله : ﴿كَذَلِكَ﴾ وقد ذكرنا في هذه القصة ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ، والمراد بذلك جزاء إبراهيم وابنه حين أطاعا في ما ابتليا به ، فجوزيا بالعفو والفداء .

١١٠ . والمراد بقوله : ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ جزاء إبراهيم وحده . قال مقاتل : جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في الناس^(٤) .

١١٢ . قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ، من جعل الذبيح إسماعيل جعل معنى قوله : ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ أن الله تعالى بشره بولد نبي بعد هذه القصة جزاءً لطاعته ، ومن جعل الذبيح إسحاق قال : بشر بنبوته ، وهذا قول عكرمة^(٥) .

ونحو ذلك قال مقاتل^(٦) : بشر إبراهيم بنبوته إسحاق بعد العفو عنه .

١١٣ . قوله تعالى : ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ يعني كثرة ولدهما وذريتهما ، وهم الأسباط كلها .

(١) تفسير مجاهد ٥٤٥ .

(٢) انظر : الطبري ٨٧ / ٢٣ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ٢٤٧ ب ، وزاد المسير ٧ / ٧٧ .

(٣) عند الآية ٧٨ من هذه السورة .

(٤) تفسير مقاتل ١١٣ أ .

(٥) انظر : الطبري ٨١ / ٢٣ ، والبغوي ٤ / ٣٤ ، وزاد المسير ٧ / ٧٢ .

(٦) تفسير مقاتل ١١٣ أ .

١١٤-١١٥ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ ؛ أي أنعمنا عليهما بالنبوة ، قاله مقاتل^(١) وغيره^(٢) . وقوله : ﴿ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ أكثر المفسرين على أنه الغرق ، أغرق الله فرعون وقومه ونجى بني إسرائيل . ويذهب بعضهم إلى أنه نجاهم من استعباد فرعون إياهم ، وما كان يصيبهم من جهته من البلاء^(٣) ، وهو قوله : ﴿ يُذِخُّونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٩] .

١٢٣ . قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ أكثر أهل التفسير على أن إلياس نبي من أنبياء بني إسرائيل ، وقصته مشهورة مع قومه ، وروي عن ابن مسعود أنه قرأ : (وإن إدريس) ، وقال : إلياس هو إدريس^(٤) نحو إسرائيل ويعقوب . وهذا قول عكرمة^(٥) . وقرأ ابن عامر : (وإنَّ اليَّاسَ) بغير همز ، وله وجهان ، أحدهما : أنه حذف الهمزة من إلياس حذفاً كما حذفها ابن كثير من قوله : ﴿ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُتُبِ ﴾ [المدثر : ٣٥] وكقول الشاعر :

وِيلَمَّهَا فِي هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبَةً^(٦)

-
- (١) تفسير مقاتل ١١٣ أ .
 (٢) ذكر هذا القول كثير من المفسرين من دون نسبة لأحد . انظر : الطبري ٢٣ / ٩٠ ، وبحر العلوم ١٢٢ / ٣ ، وتفسير الثعلبي ٢٤٧ / ٣ ب .
 (٣) انظر : المصادر السابقة ، وكذلك : البغوي ٣٥ / ٤ ، وزاد المسير ٧٩ / ٧ ، ومجمع البيان ٧١١ / ٨ .
 (٤) انظر : الماوردي ٦٤ / ٥ ، والبغوي ٣٦ / ٤ ، وزاد المسير ٧٩ / ٧ .
 (٥) انظر : البغوي ٣٦ / ٤ ، والقرطبي ١١٥ / ١٥ .
 (٦) هذا صدر بيت لامرئ القيس وعجزه :

ولا كهذا الذي في الأرض مَطْلُوبُ

والبيت من البسيط وهو لامرئ القيس في ديوانه ٢٢٧ ، وخزانة الأدب ٩١ / ٤ ، وسر صناعة الإعراب ٢٣٥ ، والكتاب ٢٩٤ / ٢ .
 والشاهد فيه قوله : ويلمها والأصل ويل أمها فحذف الهمزة استخفافاً ، ثم أتبع حركة اللام حركة الميم .

وسنذكر الكلام هناك إن شاء الله تعالى^(١).

والآخر : أنه جعل الهمزة التي تصحب اللام للتعريف كقوله : (وليسع) .
والوجه قراءة العامة ؛ لأن إلياس ليس بموضع تحذف فيه الهمزة ، إنما هو
موضع تجعل فيه بين بين في التخفيف كما يخفف سئم وبئس ، ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾
[البقرة : ٢٥٨] . ويقوي ثبات الهمزة قوله : ﴿ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴾ ، فهذا يدل على أن
الهمزة ثابتة في إلياس بثبوتها في آل ياسين^(٢) .

١٢٤ . قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ ﴾ ، إذ يتعلق بمحذوف ، كأنه
قيل لمحمد عليه السلام : اذكر لقومك إذ قال لقومه ونحو هذا كثير ،
وذكرنا الكلام فيه عند قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ ﴾ [البقرة : ٣٠٠]
الآية . قال ابن عباس : ألا تخافون الله^(٣) !

وقال مقاتل : ألا تعبدون الله^(٤) !

وقال الكلبي : ألا تتقون عبادة غير الله^(٥) !

(١) ذكر المؤلف هناك كلاماً نقله عن أبي علي الفارسي . انظر : الحجة ٦ / ٣٣٩ .

(٢) انظر : علل القراءات ٢ / ٥٧٩ ، والحجة ٥ / ٥٩ ، ٦٠ ، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات
٣ / ٢٢٣ .

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : الوسيط ٣ / ٥٣١ ، وزاد المسير ٧ / ٨٠ .

(٤) تفسير مقاتل ١١٣ أ .

(٥) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٨ .

١٢٥. قوله تعالى: ﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد كان لهم صنم يعبدونه^(١). وقال مقاتل: وكان من ذهبٍ ببعل بك^(٢) من أرض الشام، كسره إلياس ثم هرب منهم^(٣).

والأكثر من المفسرين قالوا: البعل: الرب، ﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا﴾: رباً، وهو قول مجاهد وقتادة وعكرمة^(٤).

وروى قيس^(٥) عن ابن عباس أنه سمع رجلاً وضلت له جارية وهو يقول: أنا بعلها.

قال ابن عباس: هذا من قول الله: ﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا﴾^(٦)، فالبعل الذي ذكره أهل اللغة بمعنى المالك والسيد والرب، ومنه سمي الزوج بعلاً^(٧). ويقال أنا بعل هذه الدابة.

(١) انظر: بحر العلوم ١٢٣/٣، والقرطبي ١١٧/١٥.

(٢) بعلبك: قال ياقوت: بالفتح ثم السكون وفتح اللام والباء الموحدة والكاف مشددة: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل اثنا عشر فرسخاً.

انظر: معجم البلدان ٤٥٣/١.

(٣) تفسير مقاتل ١١٣ أ.

(٤) انظر: الطبري ٩١/١٣، وبحر العلوم ١٢٣/٣، والماوردي ٦٤/٥، وزاد المسير ٨٠/٧، والقرطبي ١١٧/١٥.

(٥) قيس بن هبّار وقيل ابن همام، وقيل ابن هنام، وقيل غير ذلك، روى عن ابن عباس، وروى عنه سليمان التيمي. ذكره ابن حبان في الثقات وروى له النسائي.

انظر: تهذيب الكمال ٨٥/٢٤، والجرح والتعديل ١٠٥/٧، وتهذيب التهذيب ٤٠٥/٨.

(٦) هذه القصة ذكرها النحاس في معاني القرآن له ٥٤/٦، وسمع ابن عباس رجلاً ينشد ضالة فقال آخر أنا بعلها، أي ربها. أما ما أثبت في النسخ فيظهر أن فيه تصحيفاً إذ الكلام فيه اضطراب، وذكره كذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٨٠/٧.

(٧) انظر: تهذيب اللغة (بعل) ٤١٢/٢، واللسان (بعل) ٥٩/١١.

قال مقاتل : وهي بلغة اليمن^(١) . ويمكن أنهم سموا صنمهم بعلاً لهذا المعنى ، فيكون في هذا جمع بين القولين في البعل .

قوله : ﴿ وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴾ قال مقاتل : وتذرون عبادة أحسن الخالقين فلا تعبدونه^(٢) .

١٢٦ . قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ، قرئ بالرفع على الاستئناف لتمام الكلام الأول ، والمعنى : أنه خالقكم ورازقكم ، فهو الذي تحق له العبادة من دون من لا يبصر ولا يسمع ولا يغني عن أحد شيئاً . وقرئ بالنصب على صفة أحسن الخالقين ، ليكون الكلام فيه وجه واحد^(٣) .

١٢٧ . قوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ ، قال ابن عباس والمفسرون : لمحضرون النار غداً^(٤) . وقد ذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿ لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾^(٥) .

١٢٨ . قوله تعالى : ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ يعني المصدقين الذين لم يكذبوا ، فإنهم لا يحضرون النار .

(١) تفسير مقاتل ١١٣ أ ، وفي كتاب غريب القرآن لابن عباس ٦٢ . قال : هي بلغة حير .

(٢) تفسير مقاتل ١١٣ أ .

(٣) انظر : علل القراءات ٥٧٨ / ٢ ، والحجة ٦٣ / ٦ ، والمبسوط في القراءات العشر ٣١٧ .

(٤) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧ . انظر : الطبري ٩٤ / ٢٣ ، والبغوي ٤١ / ٤ ، وزاد المسير ٨١ / ٧ .

(٥) آية (٥٧) من هذه السورة .

١٣٠. قوله تعالى : ﴿ سَلِّمْ عَلَيَّ إِنْ يَاسِينَ ﴾ قال ابن عباس : يريد إلياس ومن معه ^(١). قال الفرّاء : «إن شئت ذهبت بإلياسين إلى أن تجعله جمعاً ، فتجعل أصحابه داخلين في اسمه ، كما تقول للقوم رئيسهم المهلب : قد جاءكم المهالبة والمهلبون ، فيكون بمنزلة قوله الأشعرين بالتخفيف والسعدين» ، قال :

أنا ابن سعد سيد السعدينا ^(٢)

قال : ويجوز أن تجعله واحداً بمنزلة إلياس ، والعجمي من الأسماء قد تفعل العرب به هذا ، تقول : ميكال وميكائيل وميكائين ، وهي في بني أسد ، يقولون : هذا إسماعين قد جاء ، بالنون ، وأنشدني بعض بني نمير ^(٣) :

هذا ورب البيت إسماعينا ^(٤)

ونحو هذا ذكر أبو إسحاق ^(٥) سواء ، واختار أبو علي القول الأول وشرحه فقال : «إلياسين جمع معنى واحده الإضافة بالياء ، نحن تميمي وبكري ، والقول فيه أن لا يخلوا لا من أن يراد به الجمع الذي على حد مسلم ومسلمون ، وزيد وزيدون ، أو الذي واحده يراد به النسب ، فمن البين أنه لا يجوز أن يكون على

(١) انظر : الوسيط ٥٣٢/٣ ، وقد ذكر هذا القول أكثر المفسرين لكنهم لم ينسبوه لابن عباس . انظر :

الطبري ٩٤/٢٣ ، والماوردي ٦٥/٥ ، والقرطبي ١١٨/١٥ .

(٢) الرجز لرؤبة في ملحق ديوانه ١٩١ ، وشرح المفضل ٤٧/١ ، والكتاب ١٥٣/٢ .

(٣) شطر بيت من الرجز وصدره :

يقول أهل الحيّ لما جينا

ولم أقف على قائله . ففي المقاصد النحوية قال : هو الأعرابي ٤٢٥/٢ ، وكذا في المعاني الكبير

٦٤٦/٢ ، وسمط اللآلئ ٦٨١ .

يريد : إسماعيلاً فأبدل من اللام نوناً .

(٤) معاني القرآن ٣٩١/٢ ، ٣٩٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣١٢/٤ .

حد مسلم ومسلمون ؛ لأنه ليس كل واحد منهم اسمه إلياس ، وإنما إلياس اسم نبيهم ، فإذا لم يكن على هذا علم أنه على إرادة النسب بالياء ، إلا أن الياءين حذفتا في جميع هذه الأسماء على التصحيح كما حذفت ياء النسب في التكسير ، وذلك نحو : المسامعة والمهالبة والمناذرة ، وإنما هذا على أن كل واحد منهم مسمعي ومهلب ، فحذف في التكسير الياءات كما حُذفت في التصحيح ، ومما يدل على ذلك قولهم : فارسي وفرس ، فليس الفرس جمع فارس وإنما هو جمع فارسي ، حذف منه ياء النسب ، ثم جمع الاسم بعد على حد باذلٍ وبدلٍ ، ونحو هذا قولهم : الأعجمون ، ألا ترى [أنه]^(١) لا يخلو من أن يكون جمع أعجم أو عجمي ، فلا يجوز أن يكون جمع أعجم ؛ لأن هذا الضرب من الأحاد التي هي صفات لا تجمع بالواو والنون ، كما أن مؤنثه لا يجمع بالألف والتاء ، لا يقال في الأحمر : الأحرون ، فإذا لم يجوز ذلك علم أنه جمع أعجمي ، وعلى هذا قالوا : النمرون والهبرات^(٢) ، وكذلك الياسين تقديره : الياسين فحذف كما حذف من سائر هذه الكلم . قال : ولا يجوز أن يكون الياسين بمعنى إلياس ، نحو : ميكال وميكائيل ؛ لأن ميكال وميكائيل لغتان في اسم واحد ، وليس أحدهما مفرداً والآخر جمعاً كإدريس وإدراسين^(٣) ، وإلياس وإلياسين ، وفي حرف عبدالله بن سلام على إدراسين ، أراد إدريس ومن كان من شيعته وأهل دينه ، ولم يقل إدريسين ؛ لأن إدريس وإدراس كإبراهيم وإبراهام^(٤) .

(١) ما بين المعقوفين غير مثبت في (أ) .

(٢) في (ب) : (الهبرات) .

(٣) في (ب) : (إدريسين) .

(٤) في (ب) : (وإبراهام) .

وقرأ نافع : (سلام^(١) على آل ياسين) ، وحجته أنها في المصحف مفصولة من يس ، ولو كانت الألف والنون واللام التي للتعريف أوصلت في الخط ولم تفصل ، فمن فصل ذلك في الكتاب دلالة على أن الذي تصغيره أهيل^(٢) .

واختار أبو عبيدة القراءة الأولى ، وقال : الياسين اسم إلياس ، مثل إبراهيم في إبراهيم ، ألا تراه أنه لم يقل في شيء من السورة على آل فلان وآل فلان ، إنما جاء بالاسم وكذلك الياسين^(٣) .

وقال الفرّاء : القراءة الأولى أشبه بالصواب ؛ لأن في قراءة عبدالله : (وإن إدريس لمن المرسلين سلام على إدراسين)^(٤) .

والسدي يقول في إلياس والياسين : إنه إدريس^(٥) .

قال الفرّاء : «ويشهد على صواب القراءة الأولى قوله : ﴿مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ [المؤمنون : ٢٠] ، ثم قال في موضع آخر : ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين : ٢] ، وهو في معنى واحد وموضع واحد»^(٦) . فقد ظهر أن الصحيح قراءة العامة ؛ لأن إلياسين إنما هو بمعنى إلياس أو بمعنى إلياس وأتابعه ، وأريد به إدريس على ما ذكره عكرمة والسدي : فأما أن يكون الذي هو آل^(٧) تصغير أهيل فهو مستبعد .

(١) في (ب) : (سليم) .

(٢) الحجة ٦١ / ٦ وما بعدها .

(٣) مجاز القرآن ١٧٢ / ٢ - ١٧٣ . انظر : إعراب القرآن للنحاس : ٤٣٦ / ٣ .

(٤) معاني القرآن ٢٩٢ / ٢ .

(٥) لم أقف على هذا القول عن السدي ، وهو منسوب لابن عباس . انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٨ ، والمأوردى ٦٤ / ٥ .

(٦) معاني القرآن ٣٩٢ / ٢ .

(٧) في (أ) : (الذي آل هو) وما أثبتته هو الأنسب بالسياق .

وقد ذكر الكلبي في تفسيره ﴿سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ يقول : سلام على آل محمد . وهذا بعيد ؛ لأن ما قبله من الكلام وما بعده لا يدل عليه ^(١) .

١٣٣ . قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ^(١٣٣) إِذْ بَجَّيْنَاهُ إِذْ لَا يَتَعَلَقُ بِهَا قَبْلَهُ ؛ لأنه لم يرسل وإن نجى ، ولكنه يتعلق بمحذوف كأنه قيل : واذكر يا محمد إذ نجيناه . وعند أبي عبيدة : إذ زائدة ^(٢) . وقد ذكر هذا في سورة البقرة .

وهذه الآيات مفسرة في سورة الشعراء ^(٣) إلى قوله : ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ أي تمرون في ذهابكم ومجيئكم إلى الشام للتجارة على قراهم وآثارهم ومنازلهم ﴿مُصْبِحِينَ﴾ أي نهاراً ^(٤) .

١٣٨ . قوله تعالى : ﴿وَبِالْأَيْلِ﴾ ، أي غدوة وعشياً ، تارة تمرون على ديارهم نهاراً وتارة ليلاً . وهي ما بين مكة والشام ، هذا قول ابن عباس ومقاتل ^(٥) . وتم الكلام هاهنا ، ثم قال : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعجبون .

١٤٠-١٤٢ . قوله تعالى : ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ الكلام في إذ كما ذكرنا في القصتين قبل هذه . وأبق من إباق العبد ، وهو هربه من سيده ، قال مقاتل :

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/٢٩٣ ، والوسيط ٣/٥٣٢ ، وبحر العلوم ٣/١٢٣ ، والبغوي ٤/٤١ ، والقرطبي ١٥/١١٩ .

(٢) مجاز القرآن ١/٣٦ ، وسبق أن لدينا خطأ القول أن في القرآن شيئاً زائداً .

(٣) الآيات (١٧٠-١٧١-١٧٢) . انظر : البسيط النسخة الأزهرية ٤/٨٤ ب .

(٤) في (أ) : (أي نهاراً أي) ، وهو خطأ .

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : تفسير مقاتل ١١٣ ب .

يعني إذ فر^(١) . وقال عبدالله : عبد أبق من ربه ، ونحو هذا قال ابن عباس^(٢) .

قال المفسرون : كان يونس قد وعد قومه العذاب ، فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمنشوز عنهم ، فقصده البحر وركب سفينة^(٣) ، فذلك قوله : ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ ونحو هذا قوله : ﴿ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، وقد مر الكلام فيه مستقصى .

وقال أهل المعاني : يَفِرُّ من ربه كما يَفِرُّ العبد من سيده ؛ لأنه يعلم أن ربه يقدر عليه أين ما كان من بر وبحر ، ولكنه بذهابه إلى الفلك كالفار من مولاة فقال : ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ فزع إليه^(٤) .

قال المبرّد : تأويل أبق تباعد ؛ أي ذهب^(٥) إليه ، ومن ذلك قولهم : عبد أبق . قوله تعالى : ﴿ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ مفسر في سورة يس^(٦) . قال مقاتل : يعني الموقر من الناس والدواب^(٧) .

وقال سعيد بن جبیر : ركب يونس السفينة في البحر حتى إذا توسطت بهم ركبت فتوقفت ، لا ترجع وراءها ولا تتقدم أمامها ، فقال أهل السفينة : إن لسفینتنا لشأناً . قال : قد والله^(٨) عرفتُ شأنها . قالوا : وما شأنها . قال :

(١) تفسير مقاتل ١١٣ ب .

(٢) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٨ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٢٥٢/٣ ب ، والبخاري ٤٢/٤ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : القرطبي ١٥/١٢٢ ، وزاد المسير ٧/٨٦ .

(٦) آية ٤١ .

(٧) تفسير مقاتل ١١٣ ب .

(٨) في (ب) : (قد عرفت والله شأنها) .

ركبها رجل ذو خطيئة عظيمة . قالوا : ومن هو ؟ قال : أنا فاقدفوني في البحر من سفيتكم وانطلقوا لشأنكم ، قالوا : ما كنا لنطرحك من بيننا [حتى] ^(١) نعذر في شأنك . قال : فاستهموا حتى تروا على من يقع السهم ، فاقترعوا بسهامهم فأدحض سهمه . قال : قد أخبرتكم ، فقدفوه منها ^(٢) ، فذلك قوله : ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ ، وقال وهب : لما احتبست السفينة قال : هاهنا عبد أبق من سيده ، وهذا رسم السفينة إذا كان فيها لا تجري ، فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس ، فقال : أنا الآبق وزج نفسه في الماء ^(٣) . قال المفسرون : ﴿ فَسَاهَمَ ﴾ : فقارع ^(٤) .

قال المبرّد : وإنما أخذ من السهام التي تحال للقرعة ^(٥) .

﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ ؛ أي المغلوبين ^(٦) المقروعين المسهومين ، قاله ابن عباس ^(٧) والمفسرون . قال ابن قتيبة : «يقال : أدحض الله حجته فدحضت ؛ أي أزالتها فزالت» ^(٨) . وأصل الحرف من الدحض الذي هو الزلق يقال : دحضت رجل البعير إذا زلقت ^(٩) . قال سعيد بن جبیر : لما استهموا في السفينة جاء حوت إلى السفينة فاغراً فاه ينتظر أمر ربه ، حتى إذا قدفوه منها أخذه الحوت ، فذلك ^(١٠)

(١) ما بين المعقوفين غير مثبت في (ب) .

(٢) لم أقف عليه عن سعيد بن جبیر ، وقد ورد بغير هذه الصيغة عن ابن عباس وطاووس .
انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٥٤ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ١٢١ ، وعزاه لعبدالرزاق وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر عن طاووس ، ولابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٢ ب ، والبغوي ٤/ ٤٢ .

(٤) انظر : الطبري ٢٣/ ٩٨ ، والماوردي ٥/ ٦٧ ، وبحر العلوم ٣/ ١٢٤ .

(٥) القرطبي ١٥/ ١٢٣ . انظر : تهذيب اللغة (سهم) ٣٦/ ١٣٨ .

(٦) في (ب) : (المقروعين المغلوبين) .

(٧) انظر : الطبري ٢٣/ ٩٨ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٢ ب ، وبحر العلوم ٣/ ١٢٤ ، والماوردي ٥/ ٦٧ .

(٨) تفسير غريب القرآن ٣٧٤ .

(٩) انظر : تهذيب اللغة (دحض) ٤/ ١٩٨ ، واللسان (دحض) ٧/ ١٤٨ .

(١٠) لم أقف عليه .

قوله : ﴿فَالنَّقْمَةُ الْحَوْتُ﴾ . وقال النبي ﷺ : «لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً»^(١) .

وقال المفسرون في قوله : ﴿فَالنَّقْمَةُ الْحَوْتُ﴾ : التهمة وابتلعه^(٢) . يقال لقمت اللقمة وألقمتهأ غيري .

قوله : ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ، يقال : ألأم إذا أتى ما يلام عليه^(٣) .

قال مقاتل : يعني استلام إلى ربه^(٤) .

وقال الكلبي : يقول مذموم^(٥) .

وقال قتادة عن ابن عباس : مسيء^(٦) .

وقال إسماعيل بن أبي خالد : مذنب^(٧) .

قال أهل المعاني : كان يونس قد خرج قبل أن يأمره الله ، وكان أذن ذنباً استحق به التأديب ليستمر على طريقة التهذيب^(٨) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ٣٢٢٧/١٠ ، والطبري ٨٠/١٧ عن عبدالله بن الحارث .

(٢) انظر : الطبري ٩٩/٢٣ ، وبحر العلوم ١٢٤/٣ ، وتفسير الثعلبي ٢٥٢/٣ ب .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (لأم) ٣٩٩/١٥ ، واللسان (لأم) ٥٣٠/١٢ .

(٤) تفسير مقاتل ١١٤ أ .

(٥) انظر : الماوردي ٦٧/٥ . قال عن الكلبي : يلام على ما صنع .

(٦) انظر : الماوردي ٦٧/٥ ، وأورده النحاس في معاني القرآن ٥٧/٦ ، ونسبه لقتادة .

(٧) لم أقف عليه عن إسماعيل ، وقد ذكره الماوردي في تفسيره ٦٧/٥ عن ابن عباس ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧٨/٧ عن ابن قتيبة .

(٨) لم أقف عليه .

١٤٣-١٤٦ . قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا ﴾ قال مقاتل : فلولا أنه كان في الرخاء قبل أن يلتقمه الحوت ، ﴿ مِنَ الْمُسَيِّحِينَ ﴾ يعني المصلين ، وكان في زمانه كثير الصلاة والذكر لله ، لولا ذلك ﴿ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ ﴾ عقوبة [له] ^(١)^(٢) . وكان قبره إلى يوم يبعث ^(٣) الناس من قبورهم . ونحو ذلك قال الكلبي ^(٤) سواء .

وروى أبو زيد عن ابن عباس في قوله : ﴿ مِنَ الْمُسَيِّحِينَ ﴾ من المصلين ^(٥) .

وقال قتادة : كان يكثر الصلاة في الرخاء ^(٦) . وقال الربيع بن أنس : كان خلاله عمل صالح للبت في بطنه ^(٧) .

وقال الضحاك بن قيس ^(٨)^(٩) : اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة ، فإن يونس كان عبداً صالحاً ذاكراً لله ، فلما وقع في بطن الحوت قال الله : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ

(١) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٢) تفسير مقاتل ١١٤ أ .

(٣) في (ب) : (يعثون) .

(٤) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٩ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/١٠٠ ، والماوردي ٥/٦٧ ، والبغوي ٤/٤٣ .

(٦) انظر : الطبري ٢٣/١٠٠ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/١٥٥ ، والقرطبي ١٥/١٢٦ .

(٧) انظر : الطبري ٢٣/١٠٠ ، والقرطبي ١٥/١٢٦ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/١٢٥ ، وعزاه لأحمد في الزهد .

(٨) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي . أبو أمية وقيل أبو أنيس ، وقيل أبو عبدالرحمن ، وقيل أبو سعيد . من صغار الصحابة ، روى عن النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب ، وحبيب بن مسلمة الفهري وغيرهم . وعنه حدث معاوية بن أبي سفيان ، وسعيد بن جبير ، والشعبي وغيرهم . خرج له النسائي ، شهد فتح دمشق وسكنها ، ومات مقتولاً في مرج راهط سنة أربع وستين . انظر : الإصابة ٢/١٩٩ ، والاستيعاب ٢/١٩٧ ، وتهذيب التهذيب ١٣/٢٧٩ ، وسير أعلام النبلاء ٣/٢٤١ .

(٩) الهزمة ساقطة في (ب) .

مِنَ الْمُسِيحِينَ ﴿١﴾ الآية . وإن فرعون كان عبداً طاعياً ناسياً ذكر الله فلما أدركه الغرق قال : ﴿ءَاْمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاْمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ﴾ [يونس : ٩٠] قال الله : ﴿ءَأَلْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس : ٩١] الآية (١) .

وقال قتادة في الحكمة : إن العمل الصالح يرفع صاحبه كلما عثر وجد متكئاً (٢) .

وقال ابن جريج والسدي عن أبي مالك : لبث يونس في بطن الحوت أربعين يوماً (٣) . وهو قول الكلبي (٤) .

وقال مقاتل بن حيان : ثلاثة أيام (٥) .

وقال عطاء : سبعة أيام (٦) . وقال الضحاك : عشرين يوماً (٧) .

وروى عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿مِنَ الْمُسِيحِينَ﴾ قال : يريد في بطن الحوت (٨) .

(١) انظر : الطبري ١٠٠ / ٢٣ ، والمحزر الوجيز ٤ / ٤٨٦ ، وأورده السيوطي في الدر ٧ / ١٢٦ ، وعزاه لابن أبي شيبة .

(٢) انظر : الطبري ٩٩ / ٢٣ ، وأورده السيوطي في الدر ٧ / ١٢٥ ، وعزاه لأحمد في الزهد ، وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي عن قتادة .

(٣) انظر : الطبري ١٠١ / ٢٣ ، والمحزر الوجيز ٤ / ٤٨٦ ، والموردي ٥ / ٦٨ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٥٣ ، ومجمع البيان ٨ / ٧١٦ .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٥٣ ، والمحزر الوجيز ٤ / ٤٨٦ ، والبغوي ٤ / ٤٣ .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٥٣ ، والبغوي ٤ / ٤٣ ، ومجمع البيان ٨ / ٧١٦ .

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٥٣ ، والبغوي ٤ / ٤٣ ، وزاد المسير ٧ / ٨٨ .

(٨) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : البغوي ٤ / ٤٣ .

وقال سعيد بن جبير : يعني قوله : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]^(١) . فعلى هذا تسبيحه كان في بطن الحوت . وعلى القول الأول تسبيحه كان قبل ذلك .

قال الحسن : ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملاً صالحاً^(٢) . وقال : ولم يلبث إلا قليلاً وأخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقمه فيه^(٣) .

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : «سبح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه . فقالوا : ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة . قال : ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر . قالوا : العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح ! قال : نعم . قال : فشفعوا له عند ذلك ، فأمر الحوت فقذفه في الساحل» فذلك قوله : ﴿فَبَدَّلْنَاهُ بِعُرَّةٍ﴾^(٤) . يعني العراء : المكان الخالي .

قال أبو عبيدة : «وإنما قيل له العراء ؛ لأنه لا شجر فيه ولا شيء يغطيه ، وأنشد فقال :

فرفعت رجلاً لا أخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابي^(٥)»^(٦)

(١) انظر : الطبري ١٠١/٢٣ ، وتفسير الثعلبي ٢٥٢/٣ ب ، مجمع البيان ٧١٦/٨ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٢٥٢/٣ ب ، القرطبي ١٢٦/١٥ ، والبغوي ٤٣/٤ .

(٣) لم أقف عليه عن الحسن . وقد ذكر نحو هذا القول الماوردي ٦٨/٥ ، وقال : بعض يوم ، قال الشعبي : التقمه ضحى ولفظه عشية .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٢٧/١٠ ، وعن أنس بن مالك . وقد أورده السيوطي في الدر ١٢٢/٧ ، وعزاه لابن إسحاق والبخاري وابن جرير عن أبي هريرة .

(٥) البيت من الكامل ، وهو لرجل من خزاعة يقال له قيس بن جعدة في مجاز القرآن ٢/٢٦٦ ، والقرطبي ١٢٩/١٥ ، والبحر المحيط ٣٦٨/٧ . وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١٥٨/٣ ، والطبري ١٠١/٢٣ .

(٦) مجاز القرآن ١٧٥/٢ .

وقال الليث : «العراء : الأرض الفضا التي لا تستر بشيء وثلاثة أعريّة وأعرء الأرض ما ظهر من متونها وأنشد :

وبلدة عارية أعراؤه^(١)

يعني بارزه طهوره^(٢) .

وقال مقاتل : يقول البراري من الأرض التي ليس فيها نبت^(٣) .

وقال الكلبي : يعني وجه الأرض^(٤) .

وقال ابن حيان : يعني ظهر الأرض^(٥) . وقال ابن عباس : يريد على ساحل قرية من الموصل^(٦) .

قوله : ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ ، قال : قد بلى لحمه وكل شيء منه مثل الصبي المولود^(٧) .
وقال ابن مسعود : [كهية الفرخ المعط]^(٨) ليس عليه ريش^(٩) . وقال مجاهد :
﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ : مكتئب^(١٠) .

(١) شطربيت لم أقف على تمامه ولا قائله ، وهو في تهذيب اللغة ٣/ ١٥٩ ، واللسان (عرا) ١٥/ ٤٩ .

(٢) لم أقف على قول الليث . انظر : تهذيب اللغة ٣/ ١٥٩ ، واللسان (عرا) ١٥/ ٤٩ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٤ أ .

(٤) انظر : الوسيط ٣/ ٥٣٣ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٢ ب ، وذكره الطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٧١٦ ، ولم ينسبه لأحد .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٢ ب .

(٦) انظر : الطبري ٢٣/ ١٠١ ، وإلا أنه قال بالساحل دون ذكر المكان ، وكذا الماوردي ٥/ ٦٨ .

(٧) انظر : الطبري ٢٣/ ١٠٢ ، وتفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٩ .

(٨) ما بين المعقوفين بياض في (ب) . ومعنى معط : قال في اللسان (معط) ٧/ ٤٠٥ : تمعط وأمعط : تمرط وسقط من داء يعرض له .

(٩) انظر : الماوردي ٥/ ٦٨ ، وزاد المسير ٧/ ٨٨ .

(١٠) لم أقف عليه .

وروى أنس عن النبي ﷺ قال : «أمر الله الخوت فلفظه كهيئة الصبي في أصل يقطينة ، وهي الدبا يستظل بظلها ، وهياً الله له أروبة من الوحش تروح [عليه]^(١) بكرة وعشية ، فتنشخ عليه فيشرب من لبنها حتى نبت اللحم» فذلك^(٢) قوله : ﴿وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ .

قال أبو عبيدة^(٣) والمبرد^(٤) والزجاج^(٥) وابن قتيبة^(٦) : كل شجرة لا تقوم على ساق وإنما تمتد على وجه الأرض ، فهو يقطين ، نحو الدباء والحنظل والبطيخ . قال أبو إسحاق : وأحسب اشتقاقها من قطن بالمكان إذا أقام به ، وهذا الشجر ورقه كله على وجه الأرض فلذلك قيل يقطين^(٧) .

وقال ابن قتيبة : وزنه تفعيل^(٨) .

قال الفرّاء : «قيل عند ابن عباس : هو ورق القرع ، فقال : ومن جعل القرع من بين الشجر يقطيناً كل ورقة اتسعت وستر [فهو]^(٩) يقطين»^(١٠) .

(١) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٢) لم أقف عليه عن أنس ، وقد أخرجه الطبري : في تفسيره ١٠٣/٢٣ عن أبي هريرة ، وأورده الثعلبي في تفسيره ٢٥٣/٥ عن مقاتل بن حيان .

(٣) مجاز القرآن ١٧٥/٢ .

(٤) انظر : القرطبي ١٢٩/١٥ ، وفتح القدير ٤١١/٤ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣١٤/٤ .

(٦) تفسير غريب القرآن ٣٧٥ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣١٤/٤ .

(٨) تفسير غريب القرآن ٣٧٥ .

(٩) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(١٠) معاني القرآن ٣٩٣/٢ .

قال مقاتل : يعني القرع يأكل منها ويستظل بها^(١) . وهو قول ابن مسعود^(٢) ومجاهد^(٣) . وكل شيء ذهب بسطاً في الأرض يقطين .

قال الكلبي : ومنه القرع والبطيخ والقثاء والشرى^(٤) .

وقال سعيد بن جبير : كل شيء ينبت ثم يموت من عامه فهو يقطين^(٥) .

والآية تقتضي شيئين لم يذكرهما المفسرون ؛ أحدهما : أن هذا اليقطين لم يكن قبل فأنبته الله لأجله ، والآخر : أن اليقطين كان [معروشاً ليحصل]^(٦) له ظل ؛ لأنه لو كان منبسطاً على الأرض لم يكن أن يستظل به . وقد قال أمية بن أبي الصلت في هذه القصة :

وأنبت يقطيناً عليه برحمة من الله لولا الله ألقى صاحبا^(٧)

١٤٧ . قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ قال مقاتل : وأرسلناه قبل أن يلتقمه الحوت^(٨) . وعلى هذا الإرسال وإن ذكر بعد الانتقام فالمراد به التقديم ، والواو معناها الجمع ، وليس فيها دليل على أن أحد الشيئين أو الأشياء قبل الآخر .

(١) تفسير مقاتل ١١٤ أ .

(٢) انظر : الطبري ١٠٢/٢٣ ، وتفسير الثعلبي ٢٥٣/٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥٩/٦ .

(٣) تفسير مجاهد ٥٤٥ ، وانظر : الطبري ١٠٣/٢٣ .

(٤) لم أقف على هذا القول عن الكلبي . انظر : الطبري ١٠٢/٢٣ ، وتفسير الثعلبي ٢٥٣/٣ .

(٥) انظر : الطبري ١٠٢/٢٣ ، والثعلبي ٢٥٣/٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥٩/٦ .

(٦) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٧) البيت من الطويل ، وهو لأمية بن أبي الصلت في الطبري ١٠٣/٢٣ ، والمحجر الوجيز ٤٨٧/٤ ، والبحر المحيط ٧/٣٦٠ ، وزاد المسير ٨٨/٧ ، ومجمع البيان ٧١٥/٨ ، ولم أجده في ديوانه ، ومعنى صاحياً . قال في اللسان :/ ٤٧٧ (ضحا) : ضحا الرجل ضحواً وضُحواً وضُحياً برز الشمس .

(٨) تفسير مقاتل ١١٤ أ .

وروي عن ابن عباس أنه قال : كانت رسالة يونس بعدما نبذه الحوت ^(١) .
وعلى هذا يجوز أنه أرسل إلى قوم آخرين سوى القوم الأول ، ويجوز أن يكون
أرسل إلى الأولين ثانياً بشريعة فآمنوا بها . وقوله : ﴿أَوْزَيْدُونَ﴾ قال أبو
عبيدة : (أو هاهنا ليس بشك ، وقالوا هي في موضع الواو ، وأنشد لجرير :

أثعلبة الفوارس أورياحا عدلت بهم طهية والخشابة ^(٢)
[وأيضاً] ^(٣) :

[إن] بها أكتل أوزاما خويربين ينفقان إلهاما ^(٤)
قال : ولو كان شكاً ما قال خويربين وإنما هو أكتل ورزام ^(٥) .

(١) انظر : الطبري ١٠٥/٢٣ ، والماوردي ٦٩/٥ ، والقرطبي ١٣٠/١٥ .

(٢) البيت من الوافر ، وهو لجرير في ديوانه ٨١٤ ، والكتاب ١/١٠٢ ، ٣/١٨٣ ، ولسان العرب
(خشب) ١/٣٥٥ ، ومجاز القرآن ٢/١٤٨-١٧٥ ، والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية
١١٣٨/٣ .

قوله : أثعلبة أراد بها قبيلة ، ورياحاً أراد بها أيضاً قبيلة ، وهي رياح بن يربوع . وطهية حي من تميم ،
والخشابة أيضاً قبيلة .

(٣) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٤) الرجز لرجل من بني أسد في الكتاب ٢/١٤٩ ، والأزهية ١١٦ ، وبلا نسبة في الكامل ٢/٧٥٤ ،
ولسان العرب (كتل) ١١/٨٥٨٢ ، ومغني اللبيب ١/٦٣ .

وأكتل ورزام لصان كان يقطعان الطريق ، والخويرب تصغير خارب ، وهو اللص أو سارق الإبل
خاصة ، والهام جمع هامة وهي الرأس . وينفقان إلهاماً ؛ أي يستخرجان الدماغ والمخ ، وهذا مثل
ضربة لحذقهما بالسرقة . شرح الكتاب لعبد السلام هارون ٢/١٤٩ .

والشاهد فيه أن خويربين انتصبا على الشتم ولو كان على إن لقال خويرباً لكنه انتصب على الشتم .

(٥) مجاز القرآن ٢/١٧٥ .

وقال ابن الأحمر :

ألا فالبثا شهرين أو نصف ثالثٍ إلى داكما ما غيبتنى غيابيا^(١)

وهذا قول قطرب واختيار أبي قتيبة فقال : «أو ربما كانت بمعنى واو النسق كقوله : ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [الرسلات: ٦] وقوله : ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ [طه: ٤٤] ، وقوله : ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣] . قال : وهذا كله عند المفسرين بمعنى واو النسق . قال : ونحو هذا قال : ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧] ، وقوله^(٢) : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩] ، وقال : وبعضهم يذهب إلى أنها بمعنى بل في هاتين الآيتين وفي قوله : ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ على مذهب التدارك ، وليس كما تأولوا ، وإنما هي في جميع هذه المواضع بمعنى واحد : ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ، ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ، وأنشد بيت ابن الأحمر الذي أنشده أبو عبيدة ، وقال : هذا البيت يوضح لك معنى الواو ؛ لأنه أراد شهرين ونصف شهر ثالث^(٣) .

(١) البيت من الطويل وهو لابن أحرر في ديوانه ١٧١ ، والأزهية ١١٥ ، وخزانة الأدب ٧١ / ١١ .
والشاهد فيه قوله : فالبثا شهرين أو نصف ثالث ، يريد البثا شهرين ونصف ثالث فجاءت أو بمعنى الواو .

(٢) في (أ) : (وكان) ، وهو خطأ .

(٣) تأويل المشكل ٤٤٣-٤٤٥ .

وقال الفرّاء : أو هاهنا بمعنى بل كذلك جاء في التفسير مع صحته في العربية^(١) . وهذا الذي قاله الفرّاء قول مقاتل^(٢) والكلبي^(٣) . وأنكر البصريون القولين^(٤) جميعاً .

قال الأخفش في قوله : ﴿إِلَّا مِائَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ يقول : كانوا كذلك عندكم^(٥) .

وشرحه الزّجاج فقال : «معناه : أو يزيدون في تقديركم إذا رآهم الراثي قال : هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على المائة . وهذا هو القول ؛ لأنه على أصل أو . وقال : ولا يجوز أن تكون بمعنى الواو ؛ لأن الواو للاجتماع وليس فيها دليل على أن أحد الشيئين قبل الآخر ، وأو معناها أفراد أحد الشيئين أو أشياء»^(٦) .

وزاد أبو الفتح الموصلي بياناً لمذهب البصريين فقال : «ومعناه : وأرسلناه إلى جمع لو رأيتموه قلتم أنتم فيهم هؤلاء مائة ألف أو يزيدون ، فهذا الشك إنما دخل في الكلام على حكاية قول المخلوقين ؛ لأن الخالق جل جلاله لا يعترضه الشك في شيء من خبره ، ومثل هذا في المعنى كثير في التنزيل كقوله : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان : ٤٩] ، وقوله : ﴿وَقَالُوا يَتَّيْنُهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف : ٤٩] ، وقالوا هذا بعد إيمانهم وتقديره : يا أيها الساحر عند أولئك الذين يدعونك ساحراً»^(٧) ، وقد ذكرنا قبل هذا في مواضع من هذا الكتاب .

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٩٣ .

(٢) تفسير مقاتل ١١٤ أ .

(٣) لم أقف على هذا القول عن الكلبي ، وهو قول يروى عن ابن عباس . انظر : الماوردي ٥/ ٦٩ ، والقرطبي ١٥/ ١٣٢ .

(٤) في (أ) : (القول) .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٤٩١ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٤ .

(٧) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٠٦ .

قال أبو الفتح : «الطف وأوضح من قول قطرب أن أو بمعنى الواو»^(١) . قال
الفراء^(٢) : إن أو بمعنى بل .

وقال المبرّد : «معناه أرسلناه إلى مائة ألف ؛ فهم فرضه الذي عليه أن يؤديه ،
فإن زاد بالأولاد فعليه أيضاً دعاؤهم نافلة غير فرض»^(٣) .

واختلف المفسرون في الزيادة على المائة ألف . فقال الكلبي ومقاتل : يزيدون
عشرين ألفاً ، وهو قول السدي^(٤) . وروى مولى لابن عباس عنه قال : مائة ألف
وبضعة^(٥) وثلاثون ألفاً^(٦) . وهو قول الحسن والربيع^(٧) .

وقال سعيد بن جبير : يزيدون سبعين ألفاً^(٨) .

١٤٨ . قوله تعالى : (فآمنوا) بمعنى : المائة ألف والزيادة الذين أرسل إليهم
يونس ، آمنوا أي صدقوا بتوحيد الله ﴿فَمَتَّعْنَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ، متعناهم في
الدنيا إلى منتهى آجالهم . قاله ابن عباس^(٩) ، وقتادة^(١٠) ، ومقاتل^(١١) .

(١) المصدر السابق .

(٢) معاني القرآن ٣٩٤ / ٢ .

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ عن المبرّد . وقد ذكر النحاس في معاني القرآن ٦ / ٦١ ، وقول المبرّد : وقال
محمد بن يزيد (أو) على بابها ، والمعنى أرسلناه إلى جماعة لو رأيتهم لقلتم مائة ألف أو أكثر .

(٤) تفسير مقاتل ١١٤ أ ، ولم أقف عليه عن الكلبي والسدي . وقد ذكره أكثر المفسرين منسوباً لابن عباس
ولأبي - رضي الله عنهم - جميعاً . انظر : الطبري ٢٣ / ١٠٤ ، والماوردي ٥ / ٧٠ ، وابن كثير ٤ / ٢٢ .

(٥) في (ب) : (تسعة) .

(٦) انظر : زاد المسير ٧ / ٩٠ ، وابن كثير ٤ / ٢٢ .

(٧) انظر : القرطبي ١٥ / ١٣٢ ، ومجمع البيان ٨ / ٧١٧ ، والبغوي ٤ / ٤٤ .

(٨) انظر : الماوردي ٥ / ٧٠ ، والمحرق الوجيز ٤ / ٤٨٧ ، والبغوي ٤ / ٤٤ .

(٩) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٩ .

(١٠) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ١٥٧ ، والطبري ٢٣ / ١٠٥ .

(١١) تفسير مقاتل ١١٤ أ .

١٤٩ . قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾ قال ابن عباس ^(١) ومقاتل ^(٢) : فاستئل أهل مكة . قال أبو إسحاق : فسألهم مسألة توبيخ وتقرير ^(٣) .

قال مقاتل : فسألهم النبي ﷺ في والنجم وهو قوله : ﴿ أَلَكُمُ الذَّكْرُ ﴾ [النجم : ٢١] الآية ^(٤) .

قوله : ﴿ أَلَرَبِّكَ أَلْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ قال المفسرون : وذلك أن قريشاً وأحياء من العرب : جهينة ^(٥) وبني سلمة ^(٦) وخزاعة ^(٧) وبني مليح ^(٨) ، قالوا : الملائكة بنات الله ^(٩) . قال الكلبي : لا يرضى أحدكم أن يكون له بنت ، فكيف يرضى الله ما لا يرضى لنفسه ^(١٠) ؟

١٥٠ . قوله تعالى : ﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ معناه : بل أخلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون حاضرون خلقنا إياهم ، كقوله :

-
- (١) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٩ .
 (٢) تفسير مقاتل ١١٤ أ .
 (٣) معاني القرآن وإعرابه ٣١٤ / ٤ .
 (٤) تفسير مقاتل ١١٤ أ .
 (٥) جهينة : من قبائل الحجاز العظيمة ، تمتد منازلها على الساحل من جنوبي دير بلى حتى ينبع ، وجهينة بن زيد : حي عظيم من قضاة من القحطانية ، ومساكنهم ما بين ينبع ويثرب في متسع من برية الحجاز . معجم قبائل العرب ٢١٤ / ١ .
 (٦) بنو سلمة : بفتح السين وكسر اللام ، بطن من الخزج من القحطانية ، وهم بنو سلمة ابن سعد بن علي بن راشد .
 انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٣٧٠ .
 (٧) خزاعة : قبيلة من الأزد من القحطانية ، وهم بنو عمر بن ربيعة ، ومنازلهم بأنحاء مكة في مر الظهران وما يليه . معجم قبائل العرب ٣٣٨ / ١ .
 (٨) بنو مليح : كزير حي من خزاعة ، وخزاعة قبيلة من الأزد من القحطانية .
 انظر : معجم البلدان ٣٣٨ / ١ .
 (٩) انظر : تفسير مقاتل ١١٤ أ ، وتفسير الثعلبي ٢٥٣ / ٣ ، والقرطبي ١٣٣ / ١٥ .
 (١٠) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٩ .

﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩] ، ثم وهذا إنكار عليهم يقول : كيف جعلوهم إناثاً ولم يشهدوا خلقهم ؟

١٥١-١٥٢ . ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ كَذِبِهِمْ فَقَالَ : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ﴾ يعني حين زعموا أن الملائكة بنات الله ، ﴿وَأِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم .

١٥٣ . قوله تعالى : ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ قراءة العامة بفتح الهمزة وقطعها من أصطفي على معنى أصطفي ثم يحذف ألف الوصل وهو استفهام توبيخ وتقريع ، كقوله : ﴿أَمْ أُنْخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ [الزخرف: ١٦] ، وقوله : ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩] ، وقوله : ﴿الَكُمْ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ [النجم: ٢١] . فكما أن هذه المواضع كلها استفهام كذلك [في] ^(١) هذه الآية . وقرأ نافع في بعض الروايات : ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ ، ﴿أَمْ أُنْخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ ، ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ ، ﴿الَكُمْ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ موصولة بغير استفهام . وإذا ابتدأ كسر الهمزة على وجه الخبر كأنه اصطفى البنات في ما يقولون ، كقوله : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] ؛ أي في ما كنت تقول وتذهب إليه ، وكقوله : ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] ؛ أي في ما يقول هو ومن يتبعه .

ويجوز أن يكون اصطفى تفسيراً للكذب الذي نسب إليهم في قولهم : ﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ، كما أن ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ ^(٢) تفسير للوعد ^(٣) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط في (ب) .

(٢) سورة المائدة : الآية ٩ . قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ .

(٣) في (أ) : (للوعد) .

ويجوز أن يكون قوله : ﴿ أَصْطَفَى ﴾ متعلقاً بقوله : ﴿ يَقُولُونَ ﴾ على أنه أريد حرف العطف فلم يذكر ، واستغنى بها في الجملة الثانية من الاتصال بالأولى عن حرف العطف كقوله : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢] ، ونحو ذلك مما حذف حرف العطف منه لالتباس^(١) الثانية بالأولى . ذكر هذه الوجوه أبو علي ثم قال : وغير الاستفهام ليس باتجاه الاستفهام^(٢) .

وذكر الفراء وجهاً آخر وهو : أنه أراد الاستفهام ، وحذف حرف الاستفهام كقوله : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٠] ، قرئ بالاستفهام ﴿ أَذْهَبْتُمْ ﴾ وقرئ بغير حرف الاستفهام ومعناها جميعاً [واحد]^(٣)^(٤) .

١٥٤-١٥٥ . قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ توبيخ لهم على قولهم الكذب .

قال مقاتل : كيف تقصون الجور حين تزعمون أن الله البنات ولكم البنون ، ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أنه لا يختار البنات على البنين^(٥) .

وقال ابن عباس : أفلا تتعظون ، يعني فتنتهون عن هذا القول^(٦) .

(١) في (أ) : (لالتباس) .

(٢) الحجة ٦/ ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٩٤ .

(٥) تفسير مقاتل ١١٤ أ .

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : الطبري ٢٣/ ١٠٧ .

١٥٦. قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَكُمْ ﴾ [قال مقاتل] ^(١) : يعني ألكم ^(٢) ﴿ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ ﴾ . قال ابن عباس : حجة بينة ^(٣) أنها قلتكم كما قلتكم ^(٤) .

١٥٧. قوله تعالى : ﴿ فَأَتُوا بِكَنِيكُمُ ﴾ يريد الذي لكم فيه الحجة ، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في قولكم الملائكة بنات الله .

١٥٨. قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ﴾ ، اختلفوا في الجنة وفي هذا النسب الذي جعلوه ، فروى السدي عن أبي صالح قال : الجنة : الملائكة ^(٥) . وروى عن أبي مالك قال : إنما سموها الجنة لأنهم كانوا على الجنان ^(٦) .

وقال مقاتل : جعلوا نسباً بين الرب والملائكة حين زعموا أنهم بنات الله ^(٧) . وعلى هذا القول الجنة هم الملائكة ، سموها جنة لاجتنانهم عن الأبصار ، أو لأنهم خُزَّان الجنة كما ذكر السدي ، وقال الكلبي : قالوا - لعنهم الله - تزوج من الجن فخرج منها الملائكة . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ^(٨) .

(١) ما بين المعقوفين غير مثبت في (ب) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) هكذا في النسخ ، ويظهر أن هناك سقطاً ولعل تقديره حتى يكون المعنى واضحاً : حجة بينة على أنها قلتكم كما قلتكم .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره الماوردي ٧٠ / ٨ عن ابن قتيبة ، وأورده بعض المفسرين غير منسوب . انظر : بحر العلوم ١٢٥ / ٣ ، ومجمع البيان ٧١٨ / ٨ ، والقرطبي ١٣٤ / ١٥ .

(٥) انظر : تفسير السدي ٤٠٦ ، والقرطبي ١٣٤ / ١٥ .

(٦) انظر : القرطبي ١٣٤ / ١٥ ، وأورده السيوطي في الدر ١٣٤ / ٧ ، وعزاه لابن أبي شيبه ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن أبي مالك ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٣١ / ١٠ .

(٧) تفسير مقاتل ١١٤ ب .

(٨) انظر : تفسير الثعلبي ١٢٥٣ / ٣ ، والبغوي ٤٤ / ٤ ، وزاد المسير ٩١ / ٧ .

وقال قتادة : قالوا صاهر الجن ، والملائكة من الجن^(١) . فذلك قوله : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ سَبَابًا﴾ . وقال مجاهد : قالت كفار قريش : الملائكة بنات الله ، فقال لهم أبو بكر الصديق : فمن أمهاتهم ؟ قالوا : سروات^(٢) الجن^(٣) . وعلى هذا القول : الجنة أولاد الجن ، والنسب هو المصاهرة . وروي قول آخر عن الحسن ، قالوا : أشركوا الشيطان في عبادة الله ، فهو النسب الذي جعلوه^(٤) . يعني أنهم عبدوه مع الله وأطاعوه وكأنهم جعلوه نسباً لله ، حيث اعتقدوا طاعته . وفيه بعد .

والاختيار القول الأول ، وهو قول الفرّاء^(٥) وأبي إسحاق^(٦) ، يدل عليه ما بعده من قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ ؛ أي قد علمت الملائكة أن الذي قالوا هذا القول محضرون النار ويعذبون . قاله مقاتل^(٧) ، وعطاء^(٨) ، والفرّاء ، وأبو إسحاق ، والكنية في قوله : إنهم تعود على الكفار الذين قالوا هذا القول وجعلوا هذا النسب ، وعلى القول الأول الكنية تعود على الجنة ، والمعنى : ولقد علمت الجنة أنهم سيحضرون الحساب .

قال مجاهد : والتأويل أنه لو كان كما قال الكفار من أن بين الله وبينهم نسباً ما أحضروا الحساب ، وإحضارهم للحساب دليل على أنه لا نسب بينه وبينهم^(٩) ، كما قال الله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ [المائدة: ١٨] ، يعني : أن تعذيبه إياكم يدل على أنكم لستم كما تقولون .

(١) انظر : تفسير عبدالرزاق ١٥٧/٢ ، والطبري ١٠٨/٢٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦٥/٦ .

(٢) يعنون أشرافهم .

(٣) تفسير مجاهد ٥٤٦ . انظر : الطبري ١٠٨/٢٣ ، وتفسير الثعلبي ٢٥٣/٣ .

(٤) انظر : الماوردي ٧٠/٥ ، والبغوي ٤٥/٤ ، والقرطبي ١٣٥/١٥ .

(٥) معاني القرآن ٣٩٤/٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣١٥/٤ .

(٧) تفسير مقاتل ١١٤ ب .

(٨) لم أقف عليه عن عطاء ، وأورده الطبري في تفسيره ٨/٢٣ ، وعن السدي .

(٩) لم أقف عليه ، وقد ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٣١/١٠ قريباً من هذا القول عن مجاهد .

١٥٩-١٦٠ . ثم نزه نفسه عما قالوا من الكذب ، فقال : ﴿ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾^(١)
 إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿ يعني الموحدين ، الذين استخلصهم الله
 لتوحيده وعبادته ، وهذا من المؤخر الذي يراد به التقديم ؛ لأنه
 استثناء من المحضرين بقول : أَعْلِمُوا أَنَّهُمْ مُحْضَرُونَ النَّارِ إِلَّا مَنْ
 أَخْلَصَ وَوَحْدَ . وفي هذه الآية دليل على صحة القول الأول في
 قوله : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَاً ﴾ . وروي عن ابن عباس : إلا
 عباد الله المخلصين فإنهم لا يجعلون لله صاحبة ولا ولداً^(١) . وعلى
 هذا الاستثناء منقطع وفي الكلام محذوف يدل على ما قبله .

١٦١-١٦٢ . ثم خاطب كفار مكة بقوله : ﴿ فَاتَّكُمُ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾^(٢) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَنِينَ ﴿
 معنى الفتنة هاهنا الإضلال في قول جميعهم .

قال الفرّاء : وأهل الحجاز يقولون : فتنت الرجل ، وأهل نجد أفتنته^(٢) .
 ويدل على أن المراد بالفتنة الإضلال قوله : ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ قال الزّجاج : ما أنتم
 عليه بمضلين إلا من أضله الله^(٣) ، ويقال : أضله على الشيء كما يقال أضله به .
 وبعضهم يجعل على هاهنا بمعنى الباء ، قال مقاتل : يقول ما أنتم بمضلين أحداً
 بأهتكم إلا من قدر الله له أن يصلى الجحيم وكتب عليه الضلالة^(٤) ، وهذا قول
 ابن عباس^(٥) ، جميع المفسرين ، وكان عمر بن عبد العزيز يحتج في إثبات القدر
 بهذه الآيات ، ويقول : لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق إبليس وهو رأس الخطيئة ،

(١) لم أقف عليه .

(٢) معاني القرآن ٢ / ٣٩٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣١٥ .

(٤) تفسير مقاتل ١١٤ ب .

(٥) انظر : الطبري ٢٣ / ١٠٩ ، والماوردي ٥ / ٧٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦ / ٦٧ .

ثم يقرأ^(١) هذه الآيات^(٢) ، يعني أن الله تعالى قد بين أن قضاءه سبق في الدنيا ويعبدون الأصنام .

١٦٤-١٦٦ . قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ ، هذا إخبار عن قول جبريل للنبي ﷺ . قال مقاتل : ثم قال جبريل للنبي ﷺ : وما منا معشر الملائكة إلا له مقام معلوم في السموات يعبد الله فيه^(٣) ، ونحو هذا قال الكلبي^(٤) . وروى عطاء عن ابن عباس : وقالت الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم^(٥) ، وقد حذف على النظم قائل هذا القول .

وقال أبو إسحاق : «هذا قول الملائكة وفيه مضمهر ، المعنى : ما منا ملك إلا له مقام معلوم»^(٦) .

وروى مسروق عن عائشة قالت : قال نبي الله ﷺ : «ما في سماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم فذلك قول الملائكة : ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾

(١) في (ب) : (تلا) .

(٢) انظر : الطبري ١١٠/٢٣ ، وتفسير الثعلبي ٢٥٣/٣ ، وأورده السيوطي في الدر ١٣٤/٧ ، وعزاه لعبد بن حميد ، والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٣) تفسير مقاتل ١١٤ ب .

(٤) انظر : زاد المسير ٩٣/٧ .

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره القرطبي في تفسيره ١٣٧/١٥ ، ولم ينسبه .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣١٦/٤ .

﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١﴾ . ونحو هذا قال ابن عباس (٢) ، وابن مسعود (٣) .

وقال الكلبي : صفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض (٤) .
وقال قتادة : هم الملائكة صفوا أقدامهم (٥) .

قال ابن عباس : وإنا نحن الصافون في التهليل والتسبيح والتكبير (٦) . وكان عمر - رضي الله عنه - إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ، ثم قال : أقيموا صفوفكم واستووا ، إنما يريد الله بكم هدي الملائكة ، ثم يقرأ : ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١﴾ . قال الكلبي (٨) ومقاتل (٩) : المصلون .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٣٢/١٠ عن عائشة ، وأورده السيوطي في الدر ١٣٥/٧ ، وقال : أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه عن عائشة .

وللحديث طريق آخر عن أبي ذر ، أخرجه الترمذي في سننه أبواب الزهد ، باب ما جاء في قول النبي ﷺ : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ٣/٣٨٠ رقم ٢٤١٤ ، وقال : وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس وأنس ، ثم قال : هذا حديث حسن غريب . وأخرجه ابن ماجه في سننه أبواب الزهد ، باب الحزن والبكاء ٢/٤٢٤ رقم ٤٢٤٣ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٧٣/٥ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٣/٢٥٣ ب ، والبغوي ٤/٤٥ ، والقرطبي ١٥/١٣٧ .

(٣) انظر : تفسير الماوردي ٥/٧٢ ، والقرطبي ١٥/١٣٧ .

(٤) انظر : البغوي ٤/٤٥ ، والقرطبي ١٥/١٣٧ ، وزاد المسير ٧/٩٣ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/١١٣ ، والبغوي ٤/٤٥ ، والقرطبي ١٥/١٣٧ .

(٦) انظر : الطبري ٢٣/١١٢ .

(٧) انظر : الطبري ٢٣/١١٢ ، وابن كثير ٤/٢٤ ، وزاد المسير ٧/٩٣ .

(٨) لم أقف عليه عن الكلبي وبعض المفسرين ينسبه لقتادة . انظر : الماوردي ٥/٧٣ ، والقرطبي ١٥/١٤٠ .

(٩) تفسير مقاتل ١١٤ ب .

وقال أبو إسحاق : الممجدون الله الذين ينزهونه عن السوء ^(١) .

وقال مقاتل : يخبر جبريل النبي ﷺ بعبادتهم لربهم فكيف عبدهم كفار مكة ^(٢) . يعني أن جبريل أخبر أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح ، وأنهم عباد الله ليسوا بمعبودين ، ولا بنات الله كما زعمت الكفار .

١٦٧-١٧٠ . ثم عاد إلى الإخبار عن المشركين ، فقال : ﴿ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴾ يعني وأنهم كانوا يقولون : ﴿ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴾ . قال السدي : قالوا لو أن عندنا كتاباً من كتب الأنبياء ^(٣) ﴿ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ . وقال الكلبي : يقولون لو أتانا نبي كما أتى اليهود والنصارى لكنا عباد الله ^(٤) .

قال عطاء عن ابن عباس : يريد قرآناً من لدن إبراهيم وإسماعيل ^(٥) . وقال أبو إسحاق : كان كفار قريش يقولون لو جاءنا ذكر كما جاء غيرنا من الأولين ﴿ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ ﴾ ^(٦) ، وعلى هذا في الآية مضاف مقدر على تقدير ذكر من الكتب الأولين .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣١٦/٤ .

(٢) تفسير مقاتل ١١٤ ب .

(٣) انظر : الطبري ١١٣/٢٣ ، وتفسير السدي ٤٠٧ ، والمحزر الوجيز ٤٨٩/٤ .

(٤) لم أقف عليه عن الكلبي ، وقد أورد الطبري في تفسيره ١١٣/٢٣ نحوه عن قتادة ، والقرطبي في تفسيره ١٣٨/١٥ ، ولم ينسبه .

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد أورد الطبري في تفسيره ١١٣/٢٣ نحوه عن السدي والضحاك ، وابن الجوزي في زاد المسير ٩٣/٧ ، ولم ينسبه .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣١٦/٤ .

وقال مقاتل : يعني خبر الأمم الخالية كيف أهلكوا وما كان أمرهم ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾^(١) ، ولا يحتاج على هذا إلى تقدير المضاف . والقول هو الأول ؛ لقوله عز وجل : ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٧] ، قال الله تعالى : ﴿فَكْفُرُوا بِهِ﴾ المعنى : فجاءهم ما طلبوا فكفروا به . قال الزجاج : فلما جاءهم كفروا به^(٢) .

وقال الفرّاء : «المعنى : وقد أرسل إليهم محمداً بالقرآن فكفروا به ، وهو مضمّر لم يذكر ؛ لأن معناه معروف مثل قوله : ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٠] ، وهذا من قول الملاء ، ثم قال : ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ، فوصل قول فرعون بقولهم ؛ لأن المعنى بين^(٣) . قال قتادة^(٤) : وهذا كقوله : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] . وقال مقاتل : يقصّ الله في القرآن خبر الأولين فكفروا بالقرآن ، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد القتل بيد^(٥) . وقال ابن عباس : يريد تهديداً^(٦) .

وقال أبو إسحاق : فسوف يعلمون مغبة كفرهم وما نُزِّلَ بهم من العذاب في الدنيا والآخرة^(٧) .

١٧١-١٧٢ . ثم ذكر أن العاقبة للأنبياء بالنصر وإن كذبهم قومهم ، فقال : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ لِكُنَّا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ ؛ أي تقدم الوعد بأن الله ينصرهم بالحجة وبالظفر بعدوهم . قال مقاتل : يعني بالكلمة : ﴿كَتَبَ

(١) تفسير مقاتل ١١٤ ب .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣١٦/٤ .

(٣) معاني القرآن ٣٩٥/٢ .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ١٥٩/٢ ، والطبري ١١٣/٢٣ .

(٥) تفسير مقاتل ١١٤ ب .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣١٦/٤ .

اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴿[المجادلة: ٢١]﴾ ، فهذه الكلمة التي سبقت للمرسلين^(١) .

١٧٣ . قوله تعالى : ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَبْصَرٍ﴾ ؛ أي ضرب الله لهم الغلبة . فإن قيل : كيف سبقت الكلمة بالنصر لهم مع أن الأنبياء من قبل^(٢) أو هزم أحزابهم ، قيل : بعض المفسرين يذهب إلى أن الغلبة بالحجة ، وهو مذهب السدي^(٣) ، وبعضهم يذهب إلى أن العاقبة لهم بالنصر على من ناوهم ، ولم يقتل نبي في معركة حرب^(٤) . وقيل هذه النصرة هي أن الأنبياء وأتباعهم ينجون من عذاب الدنيا والآخرة ، وهذا مذهب مقاتل بن سليمان^(٥) .

١٧٤ . قوله تعالى : ﴿فَنُؤَلِّقُكُم بِحَبْلٍ﴾ قال ابن عباس^(٦) ، ومقاتل^(٧) : يعني القتل بيد . وهو قول مجاهد^(٨) ، والسدي^(٩) . وقال الكلبي : يعني فتح مكة^(١٠) . وقال قتادة : إلى الموت^(١١) . قال عطاء عن ابن عباس ومقاتل : هذه منسوخة بآية السيف^(١٢) .

-
- (١) تفسير مقاتل ١١٤ ب .
 (٢) يظهر أن هنا كلمة ساقطة تُقَدَّر : هزموا أو هزم أحزابهم .
 (٣) انظر : الطبري ١١٤/٢٣ ، والماوردي ٧٣/٥ ، ومجمع البيان ٧٢١/٨ .
 (٤) وهذا القول ينسب للحسن . انظر : القرطبي ١٣٩/١٥ ، ومجمع البيان ٧٢١/٨ .
 (٥) تفسير مقاتل ١١٤ ب .
 (٦) انظر : القرطبي ١٣٩/١٥ ، وتفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨٠ .
 (٧) تفسير مقاتل ١١٤ ب .
 (٨) انظر : تفسير الثعلبي ٢٥٣/٣ ب ، ومجمع البيان ٧٢١/٨ .
 (٩) انظر : الطبري ١١٥/٢٣ ، والماوردي ٧٣/٥ ، ومجمع البيان ٧٢١/٨ .
 (١٠) انظر : بحر العلوم ١٢٦/٣ ، وأورده القرطبي ١٣٩/١٥ ، ولم ينسبه لأحد .
 (١١) انظر : الماوردي ٧٣/٥ ، والمحرق الوجيز ٤/٤٩٠ ، والقرطبي ١٣٩/١٥ .
 (١٢) انظر : الناسخ والمنسوخ من كتاب الله ، لـهبة الله بن سلامة المقرئ ١٤٧ ، وناسخ القرآن ومنسوخه لابن البارزي ٤٦ .

١٧٥-١٧٨ . قوله تعالى : ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ قال ابن عباس : انتظر بهم ^(١) .

وقال مقاتل : أبصرهم إذا نزل بهم ^(٢) . ويقال : أبصره إذا نصرناك عليهم .
﴿فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾ ذلك . قال مقاتل : فقالوا متى هذا العذاب تكذيباً به ^(٣) ، فأنزل
الله : ﴿أَفَعَدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ^(١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ، الساحة متسع الدار ، وجمعها
سوح ، كالبوح في جمع الباحة ، ومنه قول الشاعر :

..... واغبرت البوح ^(٤)

يصف قحطاً وأوله : وكان سيّان أن لا يسرحوا نعماً أو يسرحوا بهما .

قال ابن عباس : نزل بديارهم ^(٥) .

وقال مقاتل : يعني بحضرته ^(٦) .

(١) لم أفق عليه .

(٢) تفسير مقاتل ١١٤ ب .

(٣) تفسير مقاتل ١١٤ ب .

(٤) جزء من بيت وتماه :

فكان سيّان أن لا يسرحوا نعماً أو يسرحوه بها واغبرت البوح
وهو لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١/١٠٧ ، وخزانة الأدب ٥/١٣٧ ، وشرح أشعار الهذليين
١٢٢ ، ولسان العرب (سوا) ١٤/٤١٢ ، وبلا نسبة في الخصائص ١/٣٤٨ ، ٢/٤٦٥ ، ومغني
الليب ١/٦٣ .

(٥) لم أفق عليه عن ابن عباس ، ونسبه الطبري ٢٣/١١٦ للسدي . وأورده النحاس في معاني القرآن
٦/٦٩ ، والقرطبي ١٥/١٤٠ ، ولم ينسبها لأحد .

(٦) تفسير مقاتل ١١٥ أ .

وقال الفرّاء^(١)، والزّجاج^(٢) : «نزل بهم ، والعرب تجتزئ بالسّاحة والعقوة^(٣) من القوم ، يقال : نزل بك العذاب وبساحتك سواء» .

قوله : ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ؛ أي بُسّ صباح الذين أنذروا بالعذاب ، وفيه مضمر ، كأنه قيل : فسَاءَ الصّبح صباحهم ، وذلك أنهم يصبحون في العذاب معذبين . وخص الصّباح هاهنا بالذكر من بين الأوقات ؛ لأنّ العرب كانت تصبحهم الغارة فيقول قائلهم : واصباحاه واسوء صباحاه ، ويسمون الغارة : الصّباح ؛ لأنها توافق الصّباح ، وذلك أنهم يعتقدون^(٤) من يقصدون بالغارة في ذلك الوقت ، فجرى اسم الصّباح على الغارة ، والذي ينزل به الغارة ينادي واسوء صباحاه ، وإن لم يكن في وقت الصّباح كذلك هؤلاء إذا نزل بهم العذاب ؛ قيل في وصفهم ساء صباحهم . ثم ذكر ما سبق تأكيداً لوعيد العذاب فقال : ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ، يقول : أعرض عنهم إلى تلك المدة .

١٧٩ . قوله تعالى : ﴿وَأَبْصَرَ﴾ العذاب إذا نزل بهم . ﴿فَسَوْفَ يَصْرُوتُ﴾ .

١٨٠ . ثم نزه نفسه عن شبههم^(٥) ووصفهم بقوله : ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ؛ أي الغلبة والقوة^(٦) .

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٩٦ ، والكلام بنصه هنا منقول عن الفرّاء .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٧ .

(٣) عقوة الدار : ساحتها وما حولها . انظر : اللسان (عاق) ٣/ ٢٩ .

(٤) هكذا جاءت في النسخ ، ولعله تصحيف ، والصواب (يتعمدون) .

(٥) حرف الشين ساقط في (ي) .

(٦) هكذا جاء في الكلام في النسخ ، وفيه اضطراب ، ولا بد من تقدير كلمة ، وهي : العزة ، وهكذا جاءت في الوسيط ٣/ ٥٣٥ .

قال عطاء^(١) : يريد سيعزُّك وأصحابك عما يصفون الله به من اتخاذ البنات والنساء^(٢) يقولون من الكذب .

١٨١ . قوله تعالى : ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ قال ابن عباس^(٣) ، ومقاتل^(٤) : يريد الذين بلغوا عن الله التوحيد ورسالاته وقاموا بدينه .

١٨٢ . قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس : الحمد لي وأنا إله الأولين والآخرين^(٥) .

وقال الكلبي^(٦) : الشكر لله على هلاك المشركين ، وهو قول مقاتل^(٧) .

وقال أهل المعاني^(٨) . الحمد لله بإحسانه بكل أفاعيله .

* * *

(١) لم أقف عليه .

(٢) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (وما يقولون) .

(٣) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨٠ ، وأورد القول غير منسوب للبغوي في تفسيره ٤٥ / ٤٦ ، والقرطبي ١٥ / ١٤٢ .

(٤) تفسير مقاتل ١١٥ أ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : البغوي ٤ / ٤٦ ، والقرطبي ١٥ / ١٤٢ ، وزاد المسير ٧ / ٩٥ .

(٧) تفسير مقاتل ١١٥ أ .

(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١ / ٤٥ ، ولم أقف عليه عند غيره من أهل المعاني .

تفسير



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. روى الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس وجابر أنها سئلا عن ﴿ص﴾ فقالا : لا ندري ^(١) .

وقال سعيد بن جبیر : بحر يحیی الله به الموتی ^(٢) .

وقال الضحاک : صدق الله وعده ^(٣) .

وقال مجاهد : فاتحة السورة ^(٤) .

وقال قتادة : اسم من أسماء القرآن ^(٥) .

(١) انظر : الثعلبي ٢٥٤/٣ ب ، والقرطبي ١٤٣/١٥ ، وأورده السيوطي في الدر ١٤٣/٧ ، وعزاه لعبد بن حميد عن أبي صالح .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٢٥٤/٣ ب ، والقرطبي ١٤٣/١٥ .

(٣) انظر : الماوردي ٧٥/٥ ، والبغوي ٤٧/٤ ، والقرطبي ١٤٣/١٥ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٢٥٤/٣ ب ، والقرطبي ١٤٣/١٥ .

(٥) انظر : الطبري ١١٧/٢٣ ، وتفسير الثعلبي ٢٥٤/٣ ب ، والماوردي ٧٥/٥ .

وروى الوالبي عن ابن عباس قال : هو اسم من أسماء الله عز وجل ^(١) . وقال في رواية عطاء : يريد صدق محمد ﷺ ^(٢) .

وقال محمد القرظي : هو مفتاح أسماء الله : صمد ، وصانع المصنوعات ، وصادق الوعد ^(٣) .

وقال السدي : هو قسم أقسم الله به ^(٤) .

وذكر أبو إسحاق ^(٥) فيه قولين ، قال : معناه الصادق الله . وقيل : إنه قسم ^(٦) .

قوله : ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ عطف عليها ، المعنى : أقسم بـ ﴿ص﴾ وبالقُرآن ذي الذكر . وأنكر أبو علي أن تكون ﴿ص﴾ قسماً قال : «لأنه إذا كان قسماً لا يخلو قوله : ﴿وَالْقُرْآنَ﴾ من أن يكون استئناف قسم أو عطفًا على قسم ، وهو قوله : ﴿ص﴾ ، فلا يجوز أن يكون استئناف قسم إن جعلت ﴿ص﴾ قسماً ؛ لأن جواب الأول لم يمتص ، فإذا لم يمتص جواب الأول لم يجز أن يستأنف قسم آخر ، ولا يجوز أن يكون عطفًا على القسم الأول ، فيكون جوابان تشرك الأول ؛ لأنه لا حرف جر في الأول ، فإذا لم يكن في الأول حرف جر لم يجز ذلك ، ولا يجوز إضمار حرف

(١) انظر : الطبري ١١٧/٢٣ ، وتفسير الثعلبي ٢٥٤/٣ ب ، وزاد المسير ٩٧/٧ .

(٢) انظر : البغوي ٤٧/٤ ، وزاد المسير ٩٧/٧ .

(٣) انظر : المحرر الوجيز ٤٩١/٤ ، والبغوي ٤٧/٤ ، والقرطبي ١٤٣/١٥ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٢٥٤/٣ ب ، والقرطبي ١٤٣/١٥ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣١٩/٤ .

(٦) هذه الأقوال التي ذكرها المؤلف - رحمه الله - في معنى ﴿ص﴾ أقوال لا دليل عليها ، والأولى أن يقال في الحروف المقطعة جميعها التي افتتحت بها بعض سور القرآن : أنها بيان لإعجاز القرآن . يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - عنها : إنها ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها . تفسير ابن كثير ٣٨/١ . وهذا القول اختيار جماعة من المحققين . انظر : الكشف ٧٦/١ ، وفتح القدير ٣٧/١ ، وأضواء البيان ٣/٣-٧ .

الجر في القسم إلا في أسماء الله كما تقول : الله لأفعلن ، ولا يجوز : الكعبة لأفعلن ، يريد بالكعبة كما جاز في اسم الله ؛ لأنه كثر في كلامهم فجاز فيه للكثرة ما لا يجوز في غيره ، ألا ترى أنهم قد استجازوا في هذا الاسم بدل الباء من الواو ولم يجزوه في غيره ، وقالوا : بالله اغفر لي ، ولا ينادون اسماً فيه الألف واللام سوى هذا ، لقولك ^(١) «أجازوا الحذف في هذا ولم يجزوه في غيره ، وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون ﴿ص﴾ قسماً ، ويكون ﴿وَالْقُرْآنِ﴾ قسماً لم يسبق قبله قسم» ^(٢) .

وقوله : ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ أكثر المفسرين قالوا : معناه ذي الشرف ، وهو قول سعيد بن جبير وأبي حصين وإسماعيل بن أبي خالد وابن عباس في رواية سعيد ^(٣) . والذكر يكون بمعنى الشرف كقوله : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف : ٤٤] ، وكقوله : ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء : ١٠] . قال مقاتل : ذي البيان ^(٤) . ويكون المعنى على هذا : وأنه ذكر فيه أقاصيص الأولين والآخرين ، وما يحتاج إليه في الحلال والحرام . وروي عن الضحاك وقتادة : ذي الموعظة والتذكير ^(٥) .

واختلفوا في جواب القسم : فحكى النسائي والفراء والزجاج ^(٦) : أن جواب القسم قوله : ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ ^(٧) . قال الكسائي : ولا أراه شيئاً ، فاستبعده . وقال الفراء : «هذا قد تأخر عن قوله : ﴿وَالْقُرْآنِ﴾ تأخراً كثيراً

(١) هكذا جاءت في النسخ ، ولعل الصواب : (لذلك) حتى يستقيم الكلام .

(٢) لم أقف على قول أبي علي .

(٣) انظر : الطبري ١١٨ / ٢٣ ، والماوردي ٧٥ / ٥ ، والمحزر الوجيز ٤٩١ / ٤ ، وزاد المسير ٩٨ / ٧ .

(٤) تفسير مقاتل ١١٥ أ .

(٥) انظر : الطبري ١١٩ / ٢٣ ، والماوردي ٧٥ / ٥ ، وزاد المسير ٩٨ / ٧ .

(٦) انظر : مجمع البيان ٧٢٥ / ٨ ، والتبيان في غريب القرآن ١٠٩٦ / ٢ ، والدر المصون ٥٢٠ / ٥ ، والبحر المحيط ٣٦٧ / ٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣١٩ / ٤ .

(٧) وهذه الآية في آخر السورة رقمها : (٦٤) . ولطول الفاصل بين القسم وبين جوابه على هذا القول . نجد أن الكسائي رده ولا يراه شيئاً . وكذا الفراء ، وكذلك استبعده النحاس في معاني القرآن ٧٦ / ٦ .

وجرت بينهما قصص مختلفة ، فلا يعد ذلك مستقيماً في العربية^(١) . وحكى هؤلاء أيضاً قولاً آخر في جواب القسم ، وهو أن يكون قوله : ﴿ كَذَّبَ أَهْلُكُنَا ﴾ ، واعتراض بين القسم وجوابه : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ومعناه : لكم أهلكننا ، فلما طال الكلام المعارض بينهما حذفت اللام^(٢) .

وحكى الأخفش^(٣) فقال : يزعمون أن موضع القسم في قوله : ﴿ إِنَّ كُلُّ إِيَّاكَ كَذَّبَ الرَّسُلُ ﴾ . وقال النحاس^(٤) : وهذا كالأول في الاستبعاد .

وذكر صاحب النظم هذا القول ، فقال : لما قال ﴿ صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ اعترض خبر آخر سواه ، وهو قوله : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، فمرَّ فيه إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ ، ثم قال : ﴿ إِنَّ كُلُّ إِيَّاكَ كَذَّبَ الرَّسُلُ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ ، فكان هذا جواباً للقسم ، ومعنى ﴿ إِنَّ كُلُّ ﴾ : ما كل ، كما يقال في الكلام : والله ما هذا إلا كافر . وما اعترض بين قوله : ﴿ صَّ وَالْقُرْآنِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ كُلُّ ﴾ قصة واحدة ، وهذا الجواب قد يتصل بها ويتنظم معها ، فيكون جواباً للقصة المعارضة للقسم . انتهى كلامه .

وروي عن قتادة أن موضع القسم : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٥) كما قال : ﴿ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾^(٦) . وقال صاحب النظم في هذا القول : معنى بل تأكيد للخبر الذي بعده [. . .] في سبب ما بعدها قبل هاهنا بمنزلة أن ؛ لأنه تأكيد ما بعده من الخبر وإن كان له معنى سواه في نفي خبر متقدم ، فكأنه - عز وجل - قال :

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٩٧ .

(٢) انظر : معاني القرآن للرفاء ٢/ ٣٩٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٩ ، وجمع البيان ٨/ ٧٢٥ .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٤٩٢ .

(٤) معاني القرآن الكريم ٦/ ٧٦ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ١١٩ ، ومعاني القرآن : للنحاس ٦/ ٧٧ ، وزاد المسير ٧/ ٩٩ .

(٦) في النسخ جميعها قدر ثلاث كلمات غير واضحة ، ولم أستطع الوقوف عليها في مضامها بعد طول بحث .

﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّ وَشِقَاقٍ ﴿﴾ ، كما تقول : والله إن زيدا قائم . ثم قال : واحتج قائل هذا القول بأن هذا النظم وإن لم يكن للعرب فيه أصل ولا لها فيه رسم ، فيحتمل أن يكون نظماً أحدثه الله - عز وجل - لما بينا من احتمال بل معنى أن . انتهى كلامه ^(١) .

وقال أبو القاسم الزَّجَّاج : «قال النحويون : إن بل يقع في جواب القسم كما تقع لن ؛ لأن المراد بهما تأكيد الخبر ، وذلك في قوله : ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿﴾ ، وكذلك قوله : ﴿قَّ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١﴾ بَلِ عَجَبًا ﴿﴾ ، وهذا من طريق الاعتبار يصلح أن يكون بمعنى (أن) ، إلا أنه شائع في عبارة العرب أن يكون بل جواباً للقسم ، لكن بل لما كان متضمناً خبراً وإثبات خبر آخر بعد ، فكأنه أوكد من سائر التوكيدات ، فحسن وضعه في موضع إن وقد ، فكأنه قال : ص والقرآن ذي الذكر إن الذين كفروا ، وقال : والقرآن المجيد لقد عجبوا» ^(٢) .

وذهب أبو حاتم إلى هذا القول الذي يروى عن قتادة ^(٣) . وحكاه الأخفش أيضاً فقال : المعنى بل الذين كفروا في عزة وشقاق والقرآن ذي الذكر ^(٤) .

(١) القول بأن الجواب هو قوله : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، وهو قول قتادة ، لعله أرجح الأقوال ، وقد رجحه الإمام الطبري : في تفسيره ١١٩ / ٢٣ . فقال : والصواب عندي ما قاله قتادة ؛ لأنَّ بل دلت على التكذيب ، فمعنى الكلام : ما الأمر كما يقول هؤلاء الكفار ، بل هم في عزة وشقاق . هـ .
أما قول صاحب النظم بأن قائل هذا القول يحتج بأن النظم وإن لم يكن للعرب فيه أصل ولا لها فيه رسم . . . إلى آخر كلامه ، فهذا تكلف لا مسوغ له .

(٢) لم أقف على قوله .

(٣) انظر القول منسوباً لأبي حاتم وكتادة في : القطع والانتفاء ٦١٥ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ١٥ / ١٤٤ ، والمحزر الوجيز ٤ / ٤٩١ ، والبحر المحيط ٧ / ٣٦٧ ، وزاد المسير

قال الأخفش : « وهذا يقوله الكوفيون وليس بالجيد في العربية لو قلت : والله قام ، وأنت تريد : قام والله لا يحسن أنها لليمين مواضع خاصة يقع فيها إذا أزلتها عنها لم يحسن »^(١) .

قال النحاس : « هذا خطأ على مذهب النحويين ؛ لأنه إذا ابتدأ بالقسم وكان الكلام معتمداً عليه لم يكن بد من الجواب ، وأجمعوا على أنه لا يجوز : والله قام عمرو بمعنى قام عمرو والله ؛ لأن الكلام معتمد على القسم »^(٢) .

قال الأخفش وذكر وجهاً آخر : « يجوز أن يكون ﴿ ص ﴾ معنى يقع على القسم ، لا ندري نحو ما هو كأنه كقوله : الحق والله^(٣) . وهذا الذي قاله الأخفش صحيح المعنى على قول من يقول ﴿ ص ﴾ الصادق الله أو صدق محمد ، وهذا الوجه ذكره الفراء أيضاً فجعل ﴿ ص ﴾ جواب القسم ، قال : هو كذلك وجب والله ، ونزل والله ، فهي جواب لقوله : ﴿ وَالْقُرْآنِ ﴾ كما تقول : نزل والله »^(٤) .

وذكر النحاس وغيره من المعاني^(٥) وجهاً^(٦) آخر في جواب القسم ، وهو أنه محذوف بتقدير : ﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ما الأمر كما يقول هؤلاء الكفار ، ودل على المحذوف قوله : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : وهذا القول مذهب محمد بن جرير^(٧) وهو مستخرج من قول قتادة ، وهو قول حسن .

(١) لم أقف عليه عن الأخفش . انظر : القطع والائتناف ٦١٥ .

(٢) القطع والائتناف ٦١٥ .

(٣) لم أقف عله عن الأخفش . انظر : المصدر السابق ٦١٥ فقد ذكر هذا القول .

(٤) معاني القرآن ٣٩٦/٢ .

(٥) لعل صحة الكلام : وغيره من أهل المعاني .

(٦) معاني القرآن للنحاس ٧٦/٦ ، ومعاني القرآن للفراء ٣٩٧/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣١٩/٤ .

(٧) تفسير الطبري ١١٩/٢٣ .

وشرح صاحب النظم هذا القول فقال : بل دافع لخبر قبله ومثبت لخبر بعده ، فقد ظهر ما بعده . وأضمر ما قبله . وما بعده دليل على ما قبله فالظاهر يدل على الباطن ، وإذا كان كذلك وجب أن يكون قوله : ﴿ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ مخالفاً لهذا المضمّر ، فكأنه قيل : والقرآن ذي الذكر إن الذين كفروا يزعمون أنهم على الحق وكلاماً في هذا المعنى . فهذه ستة أوجه ذكرناها في جواب القسم ^(١) .

٢. قوله تعالى : ﴿ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ قال ابن عباس ^(٢) : جحدوا وكذبوا وأشركوا . وقال مقاتل : كفروا بالتوحيد من أهل مكة .

(في عزة) قال : يعني حمية ، كقوله : ﴿ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ ﴾ [البقرة: ٢٠٦] ^(٣) . وقال الكلبي : يكفروا عن محمد ﷺ ^(٤) . قال المبرّد : العزة التعزز عن الحق ، نحو قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ [البقرة: ٢٠٦] ، وتحقيقه الأنفة عن الانقياد للحق ^(٥) .

(١) ولعل الأرجح منها - وهو ما سبق ترجيحه - قول قتادة ، وهو أن الجواب قوله : ﴿ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . وإن كان القول السادس - وهو ما قال به النحاس وأهل المعاني - مستخرجاً من قول قتادة كما يقول المؤلف ، فهو قول قوي ومقبول أما الأقوال الأخرى ففيها بعد . أما القول الأول : وهو أن الجواب قوله : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاضَعُ أَهْلُ النَّارِ ﴾ فبعده لطول الفاصل بين القسم والجواب كما أسلفنا ، وأما الثاني : وهو أن الجواب قوله : ﴿ كَرَّ أَهْلُكُمَا ﴾ فبعيد للفاصل أيضاً ، وإن كان الفاصل قليلاً ، إلا أن هذا لا يجعلنا نقول : إن هذا هو الجواب ؛ لوجود ما يصلح جواباً قبله ، وأما الثالث : وهو أن الجواب قوله : ﴿ إِنَّ كُلَّ إِصْرٍ كَذَبَ الْرُّسُلِ ﴾ فبعيد أيضاً لطول الفصل ، وأما الرابع : وهو قول الأخفش : يجوز أن يكون لـ ﴿ ص ﴾ معنى يقع عليه القسم لا ندري نحن ما هو ، كأنه قولك الحق والله ، فبعيد ؛ لأن الجواب ظاهر ومفهوم ولا يحتاج إلى تقدير شيء .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) تفسير مقاتل ١١٥ أ .

(٤) هكذا جاءت في العبارة في النسخ ، وهو خطأ ، فإن يكفروا تعدى بالباء وليس بعن ، فالصحيح : يكفروا بمحمد . ولم أقف على قول الكلبي .

(٥) انظر : اللسان (عز) ٣٧٨ / ٥ .

وقوله : ﴿وَشَقَاقٍ﴾ قال ابن عباس : يريد الاختلاف^(١) . والكلام في هذا تقدم^(٢) .

٣. ثم خوفهم فقال : ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ قال مقاتل : يعني الأمم الخالية حين كذبوا الرسل . ﴿فَنَادَوْا﴾ عند نزول العذاب في الدنيا^(٣) . ولم يذكر بأي شيء نادوا ، والظاهر أنه أراد نادوا بالاستغاثة ؛ لأن نداء من نزل به العذاب الاستغاثة ، وعلى هذا دلّ كلام ابن عباس وغيره من المفسرين^(٤) .

وقال آخرون^(٥) : نادوا بالإيمان والتوبة عند معاينة العذاب ، وهو معنى قول قتادة^(٦) .

وقال الكلبي^(٧) : كانوا إذا قاتلوا فاضطروا ، قال بعضهم لبعض : مناص^(٨) فلما أتاهم العذاب ، قالوا : مناص فقال الله تعالى : ﴿وَلَا تَجِئْ مِنْاصٍ﴾ . وعلى هذا المعنى والتقدير : فنادوا مناص ، إلا أنه حذف المنادى ، ودلّ عليه قوله : ﴿وَلَا تَجِئْ مِنْاصٍ﴾ ؛ أي ليس الوقت وقت ما ينادون به ، إلا أن هذا القول ضعيف ؛ لأن هذا إخبار عن القرون الماضية المهلكة ، ويبعد أن يقال : كل القرون كانت عادتهم

(١) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨٠ .

(٢) عند الآية (٢٠٦) من سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ إِلْهَآءُ﴾ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٥ أ .

(٤) انظر : الطبري ١٢١ / ٢٣ ، والماوردي ٧٧ / ٥ ، وتفسير الثعلبي ٢٥٤ / ٣ ب ، والبغوي ٤٧ / ٤ .

(٥) ينسب هذا القول للسدي . انظر : الطبري ١٢١ / ٢٣ ، وذكر النحاس في معانيه ٧٧ / ٦ ولم ينسبه .

(٦) انظر : الطبري ١٢١ / ٢٣ ، وابن كثير ٢٦ / ٤ .

(٧) انظر : الماوردي ٧٨ / ٥ ، وبحر العلوم ١٢٩ / ٣ ، والقرطبي ١٤٥ / ١٥ ، وأورده البغوي ٤٨ / ٤ عن

ابن عباس .

(٨) المناص هنا المراد به : الفرار ، فكأنه ينادي بعضهم بعضاً بالفرار والبحث عن ملجأ .

عند الاضطراب في القتال أن ينادوا مناص . قال صاحب النظم : فنادوا أي رفعوا أصواتهم ، يقال منه : فلان أُنْدَى صوتاً من فلان أي أرفع ، ومنه قال الشاعر^(١) :

فقلتُ ادْعُيْ وأدْعُوْ فإنْ أُنْدَى لصوتٍ أن ينادي داعيان

قال : وقوله : ﴿وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ﴾ ظرف لقوله : ﴿فَنَادَوْا﴾ لأنه وقت^(٢) له . والمعنى : فنادوا حين لا مناص أي ساعة لا منجاة ولا فوت ، إلا أنه لما قدم لا وأخر حين اقتضى ذلك الواو ، وكما يقتضي الحال إذا جعل ابتداءً وخبراً مثل قولك : جاءني زيد ركباً فإذا جعلته مبتدأً وخبراً اقتضى الواو مثل : جاءني زيد وهو ركب^(٣) . ومما يشبه هذا النظم قولك : أتيت زيدا حين لم يطلع الفجر ، ثم تقول : أتيت زيدا والفجر لم يطلع ، فارتفع الفجر بدخول الواو ؛ لأنه جعل مبتدأً وموضعه نصب على الحال ، وهذا الذي ذكره شرح قول قتادة : نادوا القوم على غير حين النداء ، وتدل هذه الجملة على أنهم نادوا بالاستغاثة . قال ابن عباس^(٤) والمفسرون في قوله : ﴿وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ﴾ : ليس بحين بروز ولا فرار ضبط القوم^(٥) .

قال أبو عبيد : المناص مصدر وناص ينوص ، وهو المتجاوز الفوت^(٦) .

(١) هذا البيت من الوافر للأعشى في الكتاب ٣/ ٤٥ ، والدر ٤/ ٨٥ وليس في ديوانه . وللفرزدق في أمالي القالي ٢/ ٩٠ ، وليس في ديوانه . ولدثار بن شيبان النمري في سمط اللآلئ ٧٢٦ ، واللسان (ندى) ٣١٦/ ١٥ . وقيل : للأعشى أو للحطئية أو لربيعة بن جشم أو لدثار بن شيبان في شرح التصريح ٢/ ٢٣٩ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٢٧ . وبلا نسبة في أوضح المسالك ٤/ ١٨٢ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٩٢ .

(٢) في (ب) : زيادة (لا) ، وهو خطأ .

(٣) انظر : قول أبي علي الجرجاني في القرطبي ١٥/ ١٤٦ .

(٤) انظر : الطبري ٢٣/ ١٢١ ، وتفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨٩ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ١٢١ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٤ ب .

(٦) لم أقف عليه عن أبي عبيد . انظر : اللسان (نوص) ٧/ ١٠٢ .

وقال الفرّاء : «النوص التأخر في كلام العرب ، وأنشد لامرئ القيس :

أَمِنْ ذِكْرِ لَيْلَى تَنْوُصُ» . (١)(٢)

وقال أبو إسحاق : «يقال : ناصه ينوصه ، إذا فاته ، وفي التفسير : لات حين نداء ، قال : ومعناه لات حين نداءٍ ينجي»^(٣) . وأما لات والكلام في هذه التاء فقال وهب والكلبي : لات بلغة اليمن ليس^(٤) ، هذا ما ذكر عن أهل التفسير . وأما النحويون فإنهم مختلفون في هذه التاء .

قال أبو عبيدة : «ولات إنما هي ولا ، وبعض العرب يزيد فيها هاء الوقف ، فإذا اتصلت صارت تاء»^(٥) . فعلى قوله ، التاء لحقت لا .

(١) صدر بيت ، وعجزه :

وَتَقْصُرُ عَنْهَا خُطُوهُ وَتَبْوُصُ

وهو من الطويل ، لامرئ القيس في ديوانه ١٧٧ ، وتهذيب اللغة (ناصر) ٢٤٦ / ١٢ ، واللسان (قعد) ٩٧ / ٥ ، و(بوص) ٩ / ٧ . وبلا نسبة في : رصف المباني ٤٩٦ .

والشاهد فيه قوله : تبوصو ، حيث جاءت الواو لإطلاق القافية . ومعنى نأتك ؛ أي بُعدت عنك وهجرتك . وتنوص : تذهب متباعدًا ، وتبوص تَعَجَّل ، يعني أنك تتردد بين الريث والعجلة . شرح ديوان امرئ القيس ١٢٢ .

(٢) معاني القرآن ٣٩٧ / ٢ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٠ / ٤ .

(٤) لم أقف على هذا القول عن الكلبي ولا عن وهب ، وقد ذكر الثعلبي في تفسيره ٢٥٤ / ٣ ب ، وابن الجوزي في زاد المسير ١٠٠ / ٧ عن وهب أنها بالسريانية وليست بلغة أهل اليمن ، وذكر البغوي في تفسيره ٤٨ / ٤ أنها بلغة أهل اليمن ، ولم ينسب هذا القول لأحد ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٠٠ / ٧ عن عطاء .

(٥) مجاز القرآن ١٧٦ / ٢ .

وقال أبو زيد : «لات التاء فيها صلة ، والعرب تقول : لات بالتاء ، وأنشد :

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء^(١)

قال : والأصل فيها لا ، والمعنى فيها ليس ، قال : والعرب تقول : ما اسطيع وما أستطيع ، ويقولون : ثمت في موضع ثم ، وربت في موضع رب ، ويا ويلتنا ويا ويلتنا^(٢) .

وذكر أبو الهيثم عن الرازي في قولهم : «لات هنا ؛ أي ليس حين ذلك وإنما هو لاهنًا فانت لا فليل لاه ، ثم أضيف فتحولت الهاء تاء ، كما أنثوا رب ربة وثم ثمة^(٣) .

وقال شمر : «أصل هذه التاء ها وصلت بلا ، فقالوا : لاه لغير معنى حادث كما زادوها في ثمة ، فلما وصلوها جعلوها تاء ، قال : وهذا إجماع من علماء البصرة والكوفة^(٤) .

وقال أبو علي : من الحروف ما دخل عليه حرف التأنيث نحو : ثم وثمة ولات ولات^(٥) .

وخالف أبو عبيد^(٦) فقال : «وجدنا هذه التاء تلحق مع حين ومع لات ومع أوان ، فيقال : كان هذا حين كان ذلك ، وكذلك تاوان ، ويقال اذهب ثلاث إن

(١) البيت من الخفيف ، وهو لأبي زيد الطائي في ديوانه ٣٠ ، والإنصاف ١٠٩ ، وخزانة الأدب ٤ / ١٩٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٢٠ ، والقرطبي ١٥ / ١٤٧ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (لات) ١٥ / ٤٢٠ .

(٣) انظر : المصدر السابق .

(٤) انظر : المصدر السابق .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) ذكر قول أبي عبيد : ابن الأنباري في التبيان في غريب إعراب القرآن ٢ / ٣١٢ ، والقرطبي في تفسيره ١٥ / ١٤٦ .

شئت فاهمز تلاًن وإن شئت فلا تهمز ، قال : وقد وجدنا ذلك في أشعارهم وفي كلامهم ، فمن ذلك قول وجزة :

العاطفون تحينُ ما من عاطفٍ والمطعمونَ زمانَ ما من مطعمٍ^(١)

قال : «وقد كان بعض النحويين يجعلون الهاء موصولة بالنون فتقول العاطفونَه ، وهذا غلط بيِّن ؛ لأن الهاء إنما تقحم مع النون في مواضع القطع والسكوت ، فأما مع الاتصال فإنه غير موجود ، ومن إدخالهم التاء في أوان قول أبي زيد^(٢) :

طلبوا صلحنا ولات أوان»^(٣) .

«ومن إدخالهم التاء في الآن حديث أبي^(٤) عمر وسأله رجل عن عثمان فذكر [يبين لك أن التاء لم تكن زيادة مع لا]^(٥) . مع أني تعمدت النظر في المصحف الذي يقال له الإمام مصحف عثمان ، فوجدت التاء متصلة مع حين قد كتبت

(١) البيت من الكامل ، وهو لأبي وجزة السعدي في الأزهية ٢٦٤ ، وخزانة الأدب ١٧٦/٤ ، واللسان ٢٥١/٩ (عطف) .

والشاهد فيه قوله : (العاطفون تحين) حين زاد التاء على حين ، وخرَّج على أن هذه التاء في الأصل هاء السكت ، وقيل : الشاهد حذف لا وإبقاء التاء ؛ لأن الحين مضافة في التقدير ، والتقدير : العاطفون حين لات حين ما من عاطف ، فحذف حين مع لا .

(٢) في النسخ كتب : أبو عبيد ، ثم علق في الهامش : زيد . ولعله وهم من الناسخ ، ثم صححه من اطلع على الكتاب . البيت لأبي زيد كما سبق تخريجه .

(٣) انظر قول أبي عبيد في : اللسان (ليت) ٨٧/٢ .

(٤) هكذا في النسخ ، والصواب : (ابن) .

(٥) هكذا جاءت في النسخ ، والذي ورد عند القرطبي ١٤٧/١٥ حينما نقل كلام أبي عبيد قال : قال أبو عبيد : ومن إدخالهم التاء في الآن حديث ابن عمر وسأله رجل عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فذكر مناقبه ثم قال : اذهب بها تلاًن فعل .

تحين ، قال : والوقف عندي على هذا الحرف ولا من غير تاء ، ثم يتبدئ فيقول : تحين مناص^(١) .

وقال أبو إسحاق : «الوقف على لات بالتاء ، فالكسائي يقف بالهاء لاه ، فجعلها هاء التأنيث ، قال : وحقيقة الوقف عليها بالتاء ؛ لأن هذه التاء نظيرة التاء في الفعل في قولك : ذهبت ، جلست ، وفي قولك : زيداً تمت عمراً عند الوقف على تمت فخطأ ؛ فهاء الحروف بمنزلة تاء الأفعال ؛ لأن التاء في الموضعين دخلت على ما لا يعرب وليس هو في طريق الأسماء نحو : قاعد وقاعدة^(٢) .

قال أبو علي الفارسي في ما أصلح على أبي إسحاق^(٣) : «ليس للعرفان والجهالة في قلب هذه التاء هاء في الوقف ولا لتركها مذهب ، ولكن يدل على أن الوقف على هذا ينبغي أن يكون بالتاء ؛ لأنه لا خلاف أن الوقف على الفعل بالتاء ، وإذا كان الوقف على التي في الفعل بالتاء ، وقعت المنازعة في الحروف ، ووجب أن ينظر فيلحق بالقبيل الذي هو أشبه ، والحروف بالفعل أشبه منه بالاسم من حيث كان الفعل ثانياً والاسم أولاً ، فالحرف لهذا الثاني أشبه بالأصل ، وأيضاً فإذا كانت هذه الهاء في بعض اللغات تترك تاء في الأسماء كما حكاه سيبويه ، وأنشد أبو الحسن من قوله :

بَلْ جَوَزَتْيْهَا كَظْهَرِ الْحَجَفَتْ^(٤)

(١) انظر قول أبي عبيد بن عامر في القرطبي ١٤٦/١٥ ، ١٤٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٢١/٤ .

(٣) أصلح أبو علي على أبي إسحاق كتابه : معاني القرآن وإعرابه ، وكتاب أبي علي اسمه : الإغفال في ما أغفله الزجاج في معاني القرآن .

(٤) جزء من بيت ، وتماه :

قَدْ تَبَلَّتْ فَوَادُهُ وَشَغَفَتْ بَلْ جَوَزَتْيْهَا كَظْهَرِ الْحَجَفَتْ

وهو من الرجز لسؤر الذنب .

انظره مع أبيات أخرى في اللسان (حجف) ٣٩/٩ . (بلن) ٧٠/١١ . تاج العروس (حجف) ١١٩/٢٣ ، وبلا نسبة في رصف المباني ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٦٩ ، والمحتسب ٩٢/٢ .

وإن تترك في الحرف ولا تقلب أجدر ، فبهذا ترجح هذا القول على قول الكسائي في القياس»^(١) . انتهى كلامه .

وقياس قول الكسائي أن هذه التاء هاء في الأصل ، ثم تصير تاء في الوصل ، فإذا ترك الوصل عاد إلى ما كان نحو : قاعدة وضاربة^(٢) . وعند أبي إسحاق وأبي علي لم تكن هاء قط هي تاء في الأصل والوقف كالتاء التي في : ذهبت ، وقعدت ، وهذا هو الأشبه لما ذكره أبو علي من الحرف بالفعل أشبه منه بالاسم ، وقال الفرّاء : «الوقف على لات بالتاء»^(٣) .

فهذه ثلاثة أوجه في الوقف ؛ أحدهما : لات بالتاء ، والثاني : لاه بالهاء ، والثالث : لا ، وهو مذهب أبي عبيد .

قال الفرّاء : «والكلام أن نصب تاء لات ؛ لأنها في معنى ليس ، أنشدني المفضل :

تذكرُ حبَّ ليلي لَاتَ عينا وأضحى الشيبُ قد قطعَ القرينا^(٤)(٥)

قال أبو إسحاق : النصب على أنها عملت عمل ليس ، المعنى : وليس الوقت حين مناص ، قال : والرفع جيد ، ومن رفع بها جعل حين اسم ليس وأضمر الخبر

(١) الإغفال في ما أغفله الزّجاج من المعاني ، رسالة ماجستير أعدها : محمد حسن إسماعيل ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، مصر . ١١٩٣ ، ١١٩٤ .

(٢) معاني القرآن ٣٩٨/٢ .

(٣) انظر قول الكسائي في : إعراب القرآن للنحاس ٧٨١/٢ ، والقرطبي ١٤٦/١٥ .

(٤) البيت من الوافر ، وهو لعمر بن شأس في ديوانه ٧٣ ، وتذكرة النحاة ٧٣٤ . وبلا نسبة في خزنة الأدب ١٦٩/٤ - ١٧٨ ، معاني القرآن للفرّاء ٣٩٧/٢ ، والدر المصون ٥٢٢/٥ ، والقرين : المصاحب . انظر : اللسان (قرن) ٣٣٧/١٣ .

(٥) معاني القرآن ٣٩٧/٢ .

على معنى : ليس حين منجى لنا»^(١) . قال^(٢) العرب من يضيف لات فتخفض
بها ، وأنشد :

علمت أنني قد قتلته ندمت عليه حين لات ساعة مندم^(٣)
وأنشد أيضاً قول أبي زيد :

(ولات أوان)^(٤)

قال ابن قتيبة : «وجر العرب بها يفسد مذهب أبي عبيد ؛ لأنهم إذا جروا
ما بعدها جعلوها كالمضاف للزيادة واحتجاجه بقوله : القاطعون تحين . فإن
ابن الأعرابي قال : إنما هو القاطعون بهاء ، فإذا وصلت صارت الهاء تاء ، قال :

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٢٠ .

(٢) هكذا جاء الكلام في النسخ جميعها وهو موهوم ، والكلام بنصه عند الطبري ٢٣ / ١٢٢ ونصه : وقال
بعض نحوي الكوفة : من العرب من يضيف لات .

(٣) الذي عند الطبري : إثبات الشاهد فقط ، وهو : لات ساعة مندم . والبيت الذي ذكره المؤلف سقطت
منه كلمة (فلما) في أوله . وهو من الطويل ، للقتال الكلابي في الحماصة ١ / ٦٣ إلا أن روايته فيه هكذا :
ولما رأيت أنني قد قتلته ندمت عليه أي ساعة مندم
وفي تحقيق د . أحمد الخراط لـ رصف المباني ٣٣٤ نسبه للقتال ، وبلا نسبة في تذكرة النحاة ٧٣٤ ،
وخزانة الأدب ٤ / ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٨٧ ، تأويل مشكل القرآن ٥٢٩ .

(٤) تفسير الطبري ٢٣ / ١٢٢ .

وسمعتُ الكلابي^(١) ينهى رجلاً عن عمل ، فقال له : حسبك الآن^(٢) أراد حسْبُكهُ الآن ، فلما وصل صارت الهاء تاء^(٣) .

قال أبو إسحاق : «الكسر بها شاذ ، شبيه بالخطأ عند البصريين ، ولم يرو سيويه والخليل الكسر ، والذي عليه العمل النصب والرفع . قال الأخفش : إن لات حين نصب حين بلا ، كما تقول : لا رجل في الدار ، ودخلت التاء للتأنيث»^(٤) .

٤ . قوله تعالى : ﴿وَعَجَبُوا﴾^(٥) قال صاحب النظم : هذا منظوم بقوله ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ شِقَاقٍ﴾ ؛ لأنه منسوق عليه بالواو . قوله تعالى : ﴿كَرَّ أَهْلُكُنَا﴾ معترض وليس من النصب في شيء .

قوله : ﴿مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ قال ابن عباس^(٦) ومقاتل^(٧) : يعني رسولاً من أنفسهم . ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ من أهل مكة . ﴿هَذَا سِحْرٌ﴾ يفرق بين الاثنين بسحره ، يعني : بين الولد ووالده والرجل وزوجته يُميل أحدهما فيميل إليه ويهجر صاحبه . ﴿كَذَّابٌ﴾ حين يزعم أنه رسول .

(١) أبو الحسين عبد الوهاب بن الحسن بن الوليد بن موسى الكلابيُّ الدمشقي ، يعرف بأخي تبوك ، محدث صادق معمر ، ولد سنة ٣٠٦ هـ . روى عن محمد بن خُزيم وطاهر بن محمد وأبي عبيدة بن ذكوان وخلق غيرهم ، وعنه روى تمام الرازي وعبد الوهاب الميداني وأبو القاسم السُميساطي وغيرهم . مات - رحمه الله - سنة ٣٩٦ هـ . قال الكتّاني : كان ثقة نبيلاً مأموناً .

انظر : سير أعلام النبلاء ٥٥٧/١٦ ، وشذرات الذهب ١٤٧/٣ ، والعبر ٦١/٣ .

(٢) في تأويل المشكل ٥٣١ : (حسبك تلان) .

(٣) تأويل المشكل ٥٣٠ ، ٥٣١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٢١/٤ .

(٥) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٦) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨٠ .

(٧) تفسير مقاتل ١١٥ أ .

٥. قوله تعالى : ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ ﴾ قال ابن عباس والمفسرون : كان لهم ثلاثمائة وستون صنفاً فلما دعاهم النبي ﷺ إلى عبادة إله واحد أنكروا وقالوا : ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾^(١).

والمعنى : أنهم كانوا يعبدونها مع الله ، فلما أبطلها النبي ﷺ دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، تعجبوا وقالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً ! أي كيف جعل لنا إلهاً واحداً بعد ما كنا نعبد آلهة ، وليس المعنى أنه جعل جميعها واحداً ، وإنما المعنى أنه أبطل آلهتنا وأثبت الإلهية لواحد وهو الله تعالى ، فقالوا : كيف جعلها واحداً ؛ أي كيف جعل الآلهة من الآلهة التي كنا نعبدها واحداً وهو الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ الذي يقول محمد من أن الآلهة واحد . ﴿ لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ قال مقاتل^(٢) : لأمرٍ عجبٍ بلغةٍ أزدٍ شنوءةٍ^(٣) .

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وما ذكره المفسرون هو جزء من حديث طويل ، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس : أن قريشاً شكوا رسول الله ﷺ إلى ابن طالب ، فقال : يا ابن أخي ، ما تريد من قومك ؟ فقال : يا عم ، إنما أريد منهم كلمة تدل لهم بها العرب ، وتؤذي إليهم بها الجزية العجم . قال : كلمة ؟ قال : كلمة واحدة . قال : ما هي ؟ قال : لا إله إلا الله . فقالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً ، فأنزل الله هذه الآية . وهذا الحديث ورد بروايات عدة وبطرق مختلفة ، رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٣٦٢ ، والترمذي في سننه ٢/ ١٥٥ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والحاكم في المستدرک کتاب التفسیر ، تفسیر سورة : ص ٢/ ٤٣٢ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وذكره من المفسرين الطبري ٢٣/ ١٢٥ ، والبغوي ٤/ ٤٨ ، والقرطبي ١٥/ ١٥٠ .

(٢) انظر : تفسیر الثعلبي ٣/ ٢٥٥أ ، والقرطبي ١٥/ ١٥٠ ، والدر المصون ٥/ ٥٢٥ .

(٣) أزد شنوءة من الأزد ، وهي من أعظم قبائل العرب وأشهرها ، وأزد شنوءة قسم من الأزد ، نسبتهم إلى كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، كانت منازلهم السرا بتثليث وتربة وبيشة . قلت : وهذه مدن ثلاث معروفة من مدن المملكة العربية السعودية . انظر : معجم قبائل العرب ١/ ١٥ .

وقال أبو عبيدة : «العرب قد تحول فعيلا إلى أفعال ، وأنشد لعباس بن مرداس :

أَيْنَ دَرِيدٌ وَهُوَ ذُو بَرَاعَةٍ تَغْدُو بِهِ سَلْهَةٌ سَرَاعَةً^(١)
 أي سريعة^(٢) . ونحو هذا قال الفراء^(٣) والزجاج^(٤) وغيرهما ، قالوا : تقول
 العرب : رجل كريم وكُرام وكُرام ، وشيء كبير وكُبَّار وكُبَّار ، وطويل وطَوَّال ،
 وطَوَّال وشيء عجيب وعُجَّاب وعُجَّاب بالتشديد ، وهي قراءة عيسى بن
 عمر^(٥) .

٦ . قوله تعالى : ﴿ وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ ﴾ قال المفسرون : لما أسلم عمر - رضي الله
 عنه - شق على قريش ذلك وفرح به المؤمنون ، فانطلق الملاء منهم من
 قريش وهم سبعة وعشرون رجلاً من أشرفهم إلى أبي طالب وشكوا
 إليه ابن أخيه ، فأرسل إليه أبو طالب فدعاه وعاتبه ، فقال النبي ﷺ :
 أدعوكم إلى كلمة واحدة . قالوا : وما هي ؟ . قال : لا إله إلا الله ،

(١) هذا البيت من الرجز لعباس بن مرداس في مجاز القرآن ١٧٧/٢ . والسلمية : هي وصف يقال
 للفرس ، إذ عظم وطال وطالت عظامه . انظر : اللسان (سلهب) ٤٧٤/١ .

(٢) مجاز القرآن ١٧٧/٢ .

(٣) معاني القرآن ٣٩٨/٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٢١/٤ .

(٥) لم أستطع تحديد من هو ؛ لوجود أكثر من قارئ بالاسم نفسه ، فهناك :

أ- عيسى بن عمر الثقفي .

ب- عيسى بن عمر الأسدي .

فنفروا من ذلك ، قالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً ، وهو معنى قول ابن عباس ^(١) ومقاتل ^(٢) وسعيد بن جبیر ^(٣) .

قال محمد بن إسحاق : نزلت ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ في مجلسهم ذلك ^(٤) .
يعني : مجلس أبي طالب حين نازعوا رسول الله ﷺ ، فذلك قوله : ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد الأشراف منهم إلى أبي طالب . ﴿إِنْ أَمْشَوْا﴾ قال : معناه أي امشوا . وتأويله : يقولون امشوا .

قال أهل المعاني ^(٥) : أن هاهنا بمعنى أي التي للتفسير ، وذلك أنه صار انطلاقتهم بدلالته على المشي بمنزلة الناطق به ، كقولهم : قام فلان يصلي ؛ أي إنه رجل صالح ، فهذان وجهان ؛ أحدهما وهو ما ذكره أبو إسحاق أن التأويل يقولون امشوا ، والثاني : فسر انطلاقتهم بقول بعضهم لبعض : امشوا .

وقال مقاتل ^(٦) : أن امشوا إلى أبي طالب .

وذكر الفراء ^(٧) وأبو إسحاق وجهاً آخر في ﴿إِنْ أَمْشَوْا﴾ ، وهو أن في موضع النصب لفقد الخافض ، والتقدير : انطلق الملاء منهم بأن امشوا ؛ أي بهذا القول .

(١) انظر : الطبري ٢٣/ ١٢٥ ، والقرطبي ١٥/ ١٥٠ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ١٤٦ ، وزاد نسبته لابن مردويه عن ابن عباس .

(٢) تفسير مقاتل ١١٥ أ .

(٣) انظر : المصادر السابقة .

(٤) انظر : القرطبي ١٥/ ١٥١ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٩ ، ومعاني القرآن وإعراجه للزجاج ٤/ ٣٢١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٨٠ .

(٦) تفسير مقاتل ١١٥ أ .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٣٩٩ .

وهذا يتوجه إذا حملت الانطلاق والمشي على الخروج من عند أبي طالب والذهاب من عنده لا إليه .

وقد ذكر أبو إسحاق^(١) هذا ، فقال : وقصَّ هذه القصة التي ذكرناها في سبب النزول ، ثم نهضوا وانطلقوا من مجلسهم يقول بعضهم لبعض : امشوا واصبروا على آهتكم . وعلى هذا القول المعنى : اخرجوا من عند أبي طالب وتفرقوا على هذا القول ، وهو أن يمشوا فيصبروا على دينهم الذي هم عليه ويتمسكوا به .

وقال مقاتل^(٢) : يعني واثبتوا على عبادة آهتكم ، كقوله في الفرقان : ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان : ٤٢] . قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾ ؛ أي لأمر يراد بنا ، يعنون بإسلام عمر وزيادة أصحاب النبي ﷺ قاله ابن عباس^(٣) ومقاتل^(٤) .

وقال الكلبي^(٥) : إن هذا الشيء يراد بأهل الأرض .

٧ . قوله تعالى : ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي قول محمد ؛ أي من التوحيد . ﴿فِي أَلَمَةٍ الْأَخْرَجَ﴾ يعني : النصرانية ؛ لأنها آخر الملل ، وذلك لأن النصراني يزعمون أن مع الله عيسى ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء ومجاهد^(٦) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٢١ / ٤ .

(٢) تفسير مقاتل ١١٥ أ .

(٣) لم أفق عليه .

(٤) انظر : الماوردي ٧٩ / ٥ ، والقرطبي ١٥٢ / ١٥ .

(٥) الطبري ١٢٥ / ٢٣ ، والماوردي ٧٨ / ٥ .

(٦) انظر : الطبري ١٢٦ / ٢٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٨٠ / ٦ ، وزاد المسير ١٠٣ / ٧ .

قال ابن عقيبة^(١) : وملة عيسى آخر الملل إلى النبي ﷺ^(٢) .

وقال الحكيم^(٣) : في الملة الآخرة ما بين عيسى ومحمد^(٤) .

وروى ابن أبي نجيح^(٥) عن مجاهد ﴿ فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾ قال : ملة قريش ، وهو قول قتادة^(٦) يعنون : دينهم الذي هم عليه .

قوله : ﴿ إِن هَذَا ﴾ قال ابن عباس^(٧) : يريد الذي جاء به محمد ﷺ . وقال مقاتل : يعني القرآن^(٨) .

﴿ إِلَّا أُنْخِلُوا ﴾ إلا كذب بقول محمد من تلقاء نفسه ، وهو افتعال من الخلق يعني الكذب والتقول ، من قوله : ﴿ إِن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٣٧] ، وقد مر^(٩) .

٨. ثم أنكروا تخصيص الله إياه بالقرآن والنبوة ، فقالوا : ﴿ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴾ ، وهو استفهام إنكار . قال ابن إسحاق^(١٠) : أي كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا ونحن أكبر سنّاً منه وأعظم شرفاً . قاله مقاتل^(١١) .

(١) لم أستطع معرفته .

(٢) وبهذا قال ابن عباس والقرطبي و قتادة ومقاتل والكلبي . انظر : القرطبي ١٥ / ١٥٢ ، وزاد المسير ٧ / ١٠٣ .

(٣) لم أستطع معرفته .

(٤) لم أقف على هذا القول منسوباً للحكيم ، وقد أورده الماوردي ٥ / ٧٩ ، ونسبه للحكم .

(٥) انظر : الطبري ٢٣ / ١٢٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦ / ٨١ ، وزاد المسير ٧ / ١٠٤ .

(٦) انظر : المصادر السابقة .

(٧) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨١ ، والقرطبي ١٥ / ١٥٢ .

(٨) تفسير مقاتل ١١٥ ب .

(٩) قال : شيء اختلقوه ، فالخلق على هذا معناه : الاختلاق والكذب كقوله : ﴿ إِن هَذَا إِلَّا أُنْخِلُوا ﴾ .

(١٠) لم أقف عليه عن ابن إسحاق ، وقد أورده البغوي ٤ / ٤٩ ولم ينسبه لأحد .

(١١) تفسير مقاتل ١١٥ ب .

قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي ﴾ يعني حين قالوا : إن هذا إلا اختلاق . والمراد بالذكر القرآن في قولهم جميعاً . قال أبو إسحاق : «أي ليس يقولون ما يعتقدونه إلا شاكين»^(١) . ﴿ بَلْ لَمَّا يَدُفُّوا عَذَابٍ ﴾ تهديد لهم ؛ أي إنهم سيدوقونه .

٩- ١٠ . قوله تعالى : ﴿ أَمْرٌ عِنْدَهُ ﴾ جواب لإنكارهم نبوة محمد ﷺ وحسد هم إياه على ذلك ، يقول الله : بأيديهم مفاتيح النبوة والرسالة فيضعونها حيث شاءوا ؛ أي إنها ليست بأيديهم ولكنها بيد العزيز في ملكه الوهاب وهب النبوة لمحمد ﷺ . قاله مقاتل^(٢) . ونظير هذه الآية قوله في الزخرف : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ ﴾ [الزخرف : ٣١] الآيات .

وقال أبو إسحاق : «أعلم الله - عز وجل - أن الملك له والرسالة إليه يصطفي من يشاء ويؤتي الملك من يشاء ، وهو قوله : ﴿ أَمْرٌ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾ أي إن دعوا شيئاً من ذلك فليرتقوا في هذه الأسباب التي ذكرت»^(٣) . وتفسير الأسباب عند قوله : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٦] .

قال ابن عباس^(٤) في قوله : ﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾ يريد ملكوت السموات يصعدون إليها .

وقال الكلبي^(٥) : يقول في طرفها من سماء إلى سماء فليعلموا علم ذلك . وقال مقاتل : يعني الأبواب التي في السماء^(٦) . وهو قول قتادة .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٢٢ .

(٢) تفسير مقاتل ١١٥ ب .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٢٢ .

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣٢٣٦ ، ورد نحوه في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨١ . انظر الماوردي ٥ / ٧٩ .

(٥) انظر : الوسيط ٣ / ٥٤١ .

(٦) تفسير مقاتل ١١٥ ب .

وقال أبو العالية^(١) : التي تعرج فيه الملائكة .

وقال مجاهد : طرق السماء^(٢) ، هذا قول المفسرين . وكل ما يوصلك إلى شيء من باب وطريق فهو سبب ، وأبواب السماء وطرقها أسبابها ، ومنه قول زهير :

ولو نال أسباب السماء بسلم^(٣) .

وذكروا في معنى أمرهم بالارتقاء في الأسباب أقوالاً فاسدة ، والصحيح ما حكينا عن أبي إسحاق أولاً .

والمعنى أن الله وبَّخهم بحسدهم لمحمد ﷺ وإنكارهم تخصيص الله إياه بالنبوة ، فذكر أنهم لا يملكون خزائن رحمة ولا ملك السموات والأرض ، ثم قال : من كان له ملك شيء لم يتعذر عليه الإسراف عليه . وقال الفرَّاء : «معناه إذا لم يصدقوك وليسوا بقادرين على الصعود إلى السموات فما هم وأين يذهبون»^(٤) . والمعنى ما ذكرنا لا ما ذكره الفرَّاء .

١١ . وقوله تعالى : ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ اختلفوا في تفسير هذه الآية ؛ فالأكثر على أن هذا إخبار عن هزيمتهم ببدر ، وهو قول ابن عباس^(٥) في رواية عطاء ، وهو قول قتادة ومقاتل .

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : الطبري ١٢٩/٢٣ ، وتفسير الثعلبي ٣/٢٥٥ ب ، والموردي ٧٩/٥ .

(٣) عجز بيت من الطويل ، وصدره :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه

وهو لزهير في ديوانه ٣٠ ، والخصائص ٣/٣٢٤ ، وسر صناعة الإعراب ١/٢٦٧ ، واللسان (سبب) ٤٥٨/١ .

(٤) معاني الفرَّاء ٢/٣٩٩ .

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : القرطبي ١٥٣/١٥ .

قال قتادة^(١) : أخبره الله وهو يومئذ بمكة سيهزم جند المشركين ، فجاء تأويلها يوم بدر .

وقال مقاتل^(٢) : أخبر الله بهزيمتهم ببدر ، وعلى هذا القول هنالك إشارة إلى بدر ومصارعهم هناك .

﴿جُنْدٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف (وما) زائدة^(٣) يقول : هم جند مهزوم هنالك . واختار الزجاج هذا القول فقال : «وعده الله نبيه النصر عليهم فقال جند»^(٤) .

وقال الفرّاء : «أي مغلوب عن أين يصعد السماء»^(٥) . و﴿هُنَالِكَ﴾ على هذا إشارة إلى الارتقاء في السماء ، وذكرنا أن ﴿هُنَالِكَ﴾ يجوز أن يشار به إلى الزمان والمكان والمعاني عند قوله : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ [آل عمران : ٣٨] .

وقال عبد الله بن مسلم : «جند بمعنى حزب لهذه الآلهة» ، يقول : هم حزب عند ذلك مقمّوع ذليل ؛ أي عند هذه المحن وعند قولهم ؛ لأنهم لا يقدرّون أن يدعوا لآلهتهم شيئاً من هذا ولا لأنفسهم ، والأحزاب سائر من تقدّمهم من الكفار الذين تحزّبوا على أنبيائهم ، يدل على أن المراد بالأحزاب هؤلاء قوله تعالى : ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ ، ثم قال بعد ما ذكرهم «أولئك الأحزاب» ، فأعلمنا أن كفار قريش حزب من هؤلاء الأحزاب»^(٦) .

(١) انظر : الطبري ٢٣ / ١٣٠ ، والماوردي ٥ / ٨٠ ، والبغوي ٤ / ٤٩ .

(٢) تفسير مقاتل ١١٥ ب .

(٣) سبق تحقيق بزيادة الأحرف في القرآن ، وأنه قول فاسد .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٢٣ .

(٥) معاني القرآن ٢ / ٣٩٩ .

(٦) تأويل مشكل القرآن ٣٥١ .

١٢ . وقوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ الأوتاد جمع وتد، يقال: تدالوتد واتد والوتد موتود، وفيه لغتان: وتُد ووتد، فمن سكن التاء أَدغمها في الدال فقال: ود، ثم إذا جمع قال: أوتاد، ويقال: وتد واتد أي رأس منتصب، ووتد فلان رجله في الأرض إذا أثبتها. ذكر ذلك كله الأزهري^(١). وكل شيء ثبت في الأرض كالجبل والسارية فهو وتد، ومنه قوله: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ [النبا: ٧].

واختلفوا في معنى ذي الأوتاد، فالأكثر على أن فرعون وصف بهذه الآية^(٢) كانت له أوتاد يعذب الناس عليها. وهو قول ابن عباس^(٣) في رواية عطاء وقول مجاهد^(٤) ومقاتل^(٥) وسعيد بن جبير^(٦) وابن حيان^(٧).

وهؤلاء اختلفوا في كيفية تعذيبه بالأوتاد، فقال مقاتل بن سليمان^(٨) والكلبي^(٩): كان يمد الرجل بين أربعة أوتاد، يدا الرجل إلى ساريتين مستقيماً ورجلاه إلى ساريتين بين السماء والأرض فيترك حتى يموت.

(١) تهذيب اللغة (وتد) ١٤ / ١٤٨ .

(٢) هكذا جاءت في النسخ، ويظهر أن هناك كلمة ساقطة ليستقيم الكلام تقديرها: (لأنه).

(٣) انظر: زاد المسير ٧ / ١٠٥ .

(٤) انظر: البغوي بهامش تفسير الخازن ٦ / ٣٦ .

(٥) انظر: زاد المسير ٧ / ١٠٥، ومجمع البيان ٨ / ٧٢٩ .

(٦) انظر: القرطبي ١٥ / ١٥٤ .

(٧) انظر: البغوي بهامش تفسير الخازن ٦ / ٣٦ .

وأورده الطبري: هذا القول في تفسيره ٢٣ / ١٣١، ونسبه للسدي والربيع بن أنس، وابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ١٠٥، ونسبه لابن مسعود والحسن، والقرطبي ١٥ / ١٥٤، ونسبه للكلبي.

(٨) انظر: تفسير الثعلبي ٣ / ٢٥٥ ب، والقرطبي ١٥ / ١٥٤، ومجمع البيان ٨ / ٧٢٩، والبغوي ٤ / ٥٠ .

(٩) انظر: القرطبي ١٥ / ١٥٤، ومجمع البيان ٨ / ٧٢٩، والبغوي ٤ / ٥٠ .

وقال مجاهد وابن حيان : كان إذا غضب على أحد مده على الأرض ، وأوتد يديه ورجليه ورأسه على الأرض^(١) .

وقال عطاء عن ابن عباس : كان عدو الله يوتد المؤمنين في الأرض فيربطهم يعذبهم .

وقال السدي : كان يمد الرجل ويشده بالأوتاد ، فيرسل عليه العقارب والحيات^(٢) . وقال أبو صالح : كانت له أوتاد يذبح الناس عليها^(٣) .

وقال سعيد بن جبير^(٤) : كان له منارات يعذب الناس عليها .

وقيل في كيفية تعذيبه بالأوتاد أنه كان يشد من يريد تعذيبه أربعة أوتاد ، ثم يرفع صخرة عظيمة أعظم ما يكون فتلقى عليه^(٥) . هذا كله قول من يقول إن أوتاد^(٦) كانت للتعذيب .

وقال قتادة^(٧) : سُمِّيَ ذا الأوتاد ؛ لأنه كانت له مظال وملاعب أو جبال وأوتاد تضرب فيلعب له تحتها وعليها بين يديه . وهو قول عطاء ، روى ذلك أيضاً عن ابن عباس^(٨) .

(١) انظر : البغوي ٥٠ / ٤ ، وزاد المسير ١٠٥ / ٧ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٥٥ ب ، والبغوي ٥٠ / ٤ ، وذكر هذا القول القرطبي ١٥٤ / ١٥ ، ونسبه لمقاتل والكلبي .

(٣) لم أقف عليه عن أبي صالح . انظر : القرطبي قد ذكر نحو هذا القول ولم ينسبه .

(٤) انظر : زاد المسير ١٠٦ / ٧ .

(٥) ذكر هذا القول الطبري ٢٣ / ١٣١ ، ونسبه للسدي .

(٦) الأسلوب هنا غير مستقيم ، وهكذا ورد في النسخ ، ولعل الصواب أن يقال : إنها أوتاد أو يقال : إن أوتاده كانت للتعذيب .

(٧) انظر : الطبري ٢٣ / ١٣٠ ، والماوردي ٨١ / ٥ .

(٨) ذكر هذا القول الطبري ٢٣ / ١٣٠ ، ونسبه لابن عباس من طريق سعيد بن جبير ، والماوردي ٨١ / ٥ ، والقرطبي ١٥٤ / ١٥ عن ابن عباس و قتادة وعطاء .

وقال القرظي^(١) : يعني ذا البناء المحكم . وهو قول الضحاك^(٢) . وأصل هذا أن البيت من بيوت العرب إنما يقوم ويثبت بالأوتاد ، فكلما كانت أوتاده أكثر كان أشد ثباتاً لا يلوي به الريح ، ثم قيل في كل شيء وصف بالثبات : ذو الأوتاد ، حتى قالوا عن ثابت الأوتاد ، قال الأسود^(٣) :

في عِزِّ ثابتِ الأوتادِ^(٤) .

وإلى هذا المعنى ذهب من قال في ذي الأوتاد أنه عبارة عن ثبات مملكته وطول مدته^(٥) . وقال ابن عباس في رواية عطية : والجنود الجموع الكثيرة^(٦) . وهذا يحتمل وجهين ؛ أحدهما : أن الجنود سميت أوتاداً ؛ لأنهم يقوون أمره ، ويشددون مملكته كما يقوي الوتد البناء ، والثاني : أن الجنود تحتاج لمضاربها إلى الأوتاد ، وصار عبارة عن الجيش الكثير .

(١) انظر : زاد المسير ١٠٥ / ٧ .

(٢) انظر : الطبري ١٣١ / ٢٣ ، والماوردي ٨١ / ٥ ، والقرطبي ١٥٤ / ١٥ .

(٣) الأسود بن يَغْفَرُ النهشلي الدارمي التميمي ، تقدمت ترجمته .

(٤) هذا عجز بيت من الكامل وصدره :

وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمَ عَيْشِهِ

وهو للأسود بن يعفر في المفضليات ٤٤٩ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٧٧ ، والدر المصون ٣ / ٣٠٦ ، والبحر المحيط ٧ / ٣٧٠ .

(٥) ويروى هذا القول عن ابن عباس والضحاك والقرظي ، وهو اختيار ابن قتيبة .

انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٥٥ ب ، والبغوي ٤ / ٤٩ ، وزاد المسير ٧ / ١٠٥ .

(٦) انظر : البغوي ٤ / ٥٠ ، وزاد المسير ٧ / ١٠٦ .

١٣. قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ معنى الكلام في تفسيره واختلاف القراءة فيه في سورة الشعراء^(١).

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ يريد الذين تحزبوا على أنبيائهم.

١٤. قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ﴾ ؛ أي ما كل منهم. ﴿إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ فوجب عليهم عقابي بالتكذيب.

١٥. وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ﴾ قال ابن عباس^(٢) والمفسرون^(٣): يعني كفار مكة ، ودلّ كلام بعضهم على أن هذا إخبار عنهم بعد إهلاكهم ، يقول : ما ينظرون بعد أن أصيبوا إلا صيحة القيامة . ودلّ كلام بعضهم على أن هذا إخبار عن إحيائهم ، قال مقاتل^(٤) : متى هذا العذاب ، فأنزل الله ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ﴾ . وعلى هذا المعنى أنهم يقعون في العذاب إذا ارتفعت الصيحة بالبعث ، ولصحة وقوعها صاروا كأنهم ينتظرونها .

قوله: ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وروي عن ابن عباس أنها النفخة الأخيرة^(٥) . وهو قول الكلبي^(٦).

(١) عند قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ آية ١٧٦ ، وقال : الأيك شجر الدوم التي بمدين . وقال مقاتل : كان أكبر شجرهم الدوم وهو المقل ، قرأ الحجازيون : أصحاب اليكة هنا وفي (ص) بغير همزة والهاء مفتوحة . ثم استورد في ذكر القراءات ، ونقل كلاماً طويلاً عن أبي علي . انظر : الحجة ٣٦٧/٥ .

(٢) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨١ .

(٣) انظر : الطبري ١٣٢/٥٣ ، والبغوي ٥٠/٤ ، والقرطبي ١٥٥/١٥ ، وزاد المسير ١٠٧/٧ .

(٤) تفسير مقاتل ١١٦ أ .

(٥) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨١ .

(٦) انظر : زاد المسير ١٠٧/٧ .

وروى عنه أنها النفخة الأولى^(١). وهو قول مقاتل^(٢)، والأول أقرب؛ لأن النفخة الأخيرة هي للبعث، والثانية غير بعيد؛ لأنها من أشرط قيام الساعة.

وقوله: ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ قرئ بالضم، واختلفوا في معنى الفَواقِ والفُواقِ، فأكثر أهل اللغة على أن معناهما واحد، قال ابن الأعرابي: «الفُواق بين الحلبتين وهو السكون: وقال ويجوز فيه الفتح»^(٣).

وقال أبو إسحاق: ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ وفُواق بضم الفاء وفتحها أي «ما لها من رجوع، والفواق ما بين حلبتي الناقة، وهو مشتق من الرجوع أيضاً؛ لأنه يعود اللبن إلى الضرع بين الحلبتين، وأفاق من مرضه؛ أي رجع إلى الصحة»^(٤).

وقال أبو عبيدة: «ما لها من فواق بفتح الفاء من راحة. ومن قال: فُواق، جعله من فواق الناقة ما بين الحلبتين، قال: وقال قوم هما واحد بمنزلة جُحَام المَكوك^(٥) وجَمَامُه، وقَصَاصُ الشعر وقَصَاصُه»^(٦).

وقال الليث: (فواق الناقة رجوع اللبن في ضرعها بعد حلبها، تقول العرب: ما أقام عنده فواق ناقة؛ أي قدر رجوع اللبن إلى الضرع)^(٧).

(١) لم أقف عليه عن الكلبي. انظر: تفسير كتاب الله العزيز ٩/٤ فقد ذكر القول ولم ينسبه.

(٢) تفسير مقاتل ١١٦ أ.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (فاق) ٩/٣٣٧.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٢٣.

(٥) كذا في الأصل المَكوك بالكاف، وفي مجاز القرآن: المَكوك باللام.

والمَكوك كما جاء في تهذيب اللغة ٩/٤٦٨ مادة (مَك): وأصل هذا مأخوذ من مَكَّ الفصيل ما في ضرع الناقة وامتَكه، إذا لم يبق فيه من اللبن شيئاً. والمَكوك: طاس يشرب به. وفي مادة (مكل) ١٠/٢٦٨: المَكَلُ: اجتماع الماء في البئر، وقال الليث: مكلت البشر إذا اجتمع الماء في وسطها وكثر، وهي المَكَلَة، وبئر مَكُول وَجَمَةٌ مَكُول. وبهذا يظهر أن رواية اللام مكول هي الوجه.

(٦) مجاز القرآن وإعرابه ٢/١٧٩.

(٧) انظر: تهذيب اللغة (فاق) ٩/٣٣٨.

وبعضهم يقول : فواق الناقة بالفتح وهو اسم من الإفاقة يقام مقام المصدر كما يقال : أجاب جواباً وأصاب صواباً بمعنى إجابة وإصابة^(١) . هذا كلام أهل اللغة ، وهو ما ذكروا أن الفواق والفواق أسماء من الإفاقة ، والإفاقة تكون بمعنى الرجوع والسكون كإفاقة المريض ، إلا أن الفواق بالفتح يجوز أن يقام مقام المصدر ، والفواق بالضم اسم من إفاقة الناقة إذا رجعت فيقتها وهي درتها ، ويقال أيضاً كذلك الوفاق الذي يعود فيه اللبن إلى الضرع فواق .

وقال أحمد بن يحيى : «الفواق الرجوع ، يقال : أفقت الناقة إذا رجع اللبن في ضرعها ، وأفاق الرجل من المرض منه»^(٢) .

فأما التفسير ، فروى أبو هريرة عن النبي ﷺ في هذه الآية قال : «يأمر الله إسرائيل فينفخ نفخة الفزع ، قال : ويأمر فيمدها ويطولها ، وهي التي يقول : ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾»^(٣) .

وهذا يحتمل معنيين ؛ أحدهما : ما لها سكون . الثاني : ما لها رجوع . والمعنى ما تسكن تلك النفخة ولا ترجع إلى السكون ، ويقال لكل من دام على شيء : لا يفيق منه ولا يستفيق ، ومنه قول الأعشى :

لا يستفيقون منها وهي راهنةٌ
إلا بهاتٍ وأن علّوا وإن نهّلوا^(٤)

(١) انظر : تهذيب اللغة ٣٣٨ / ٩ ، واللسان (فوق) ٣١٨ / ١٠ .

(٢) لم أقف على هذا القول عن ثعلب . انظره غير منسوب في شرح أبيات المنطق للسيرافي ٣٧٧ ، ومقاييس اللغة (فوق) ٤٦١ / ٤ ، والمحيط في اللغة (فوق) ٤٠ / ٦ .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري : في تفسيره ١٣٢ / ٢٣ ، والقرطبي في تفسيره ١٥٧ / ١٥ .

(٤) البيت من البسيط ، وهو للأعشى في ديوانه ٥٩ ، واللسان (رهن) ١٩٠ / ١٣ ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة (رهن) ٢٧٤ / ٦ .

والعلل : الشرب الثاني ، والنهل : الشرب الأول ، وراهنه ؛ أي دائمة ، فهو يقول : إنهم يدعون إلى الشرب ، ولا يفيقون من السكر إلا ليقولوا هاتِ سواء كان الشرب لأول مرة أو كرّره .

أي لا يرجعون منها بل يواطئون ويدأومون ، قال مجاهد : ﴿ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ رجوع^(١) . والرجوع محتمل ما ذكرنا من الرجوع إلى السكون ، ويحتمل أنه لا يرد فيكون له رجوع ، وعلى هذا يدور كلام المفسرين .

قال قتادة^(٢) ، والضحاك^(٣) : ليس لها مثنوية^(٤) .

وقال الوالبي : تردد^(٥) .

وقال مقاتل : مرد ولا رجعة^(٦) .

وعن ابن عباس : من ارتداد ولا رجوع^(٧) . وكل هذا معنى وليس بتفسير ، أرادوا أن تلك الصيحة إذا جاءت لا ترد ولا ترجع ، والمعنى هو الأول ؛ لأنها إذا ردت سكنت وردّها سكونها . فإذا معنى قوله : ﴿ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ ؛ أي سكون ، بمعنى أنها إذا جاءت لا تسكن حتى يبعثوا [وينجز]^(٨) لهم ميعاد العذاب .

١٦ . قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ اختلفوا في القط على قولين : فقال ابن عباس : أي حظاً من العذاب والعقوبة^(٩) .

(١) تفسير مجاهد ٥٤٨ .

(٢) انظر : الطبري ١٣٣/٢٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٨٦/٦ ، والقرطبي ١٥٦/١٥ .

(٣) انظر : الثعلبي ٢٥٥/٣ ، والبغوي ٥٠/٤ ، والوسيط ٥٤٢/٣ .

(٤) المعنى : ليس لها تكرار ولا تشنية .

(٥) انظر : الطبري ١٣٢/٢٣ ، والثعلبي ٢٥٥/٣ ب .

(٦) تفسير مقاتل ١١٦ أ .

(٧) انظر : الطبري ١٣٢/٢٣ ، والثعلبي ٢٥٥/٣ ب ، وزاد المسير ١٠٧/٧ .

(٨) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٩) انظر : الطبري ١٣٤/٢٣ ، والماوردي ٨٢/٥ ، ومجمع البيان ٧٣١/٨ .

وقال قتادة : نصيباً من العذاب^(١) . وهو قول مجاهد في رواية ابن أبي نجيح والحسن قالوا : عذابنا وعقوبتنا ، يريدون نصيبنا من العذاب^(٢) . والنصيب من العذاب ، عذاب . وأصل معنى القط في اللغة : النصيب ، واشتقاقه من قططت ؛ أي قطعت ، والنصيب إنما هو القط من الشيء^(٣) . وذكر ذلك أبو إسحاق^(٤) .

قال عطاء : نزلت في النضر قال : اللهم إن كان هذا هو الحق الآية ، فاستعجل العذاب ، فأنزل الله : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا ﴾^(٥) .

وقال سعيد بن جبير : لما ذكر لهم ما في الجنة اشتهوا ما فيها ، فقالوا : عجل لنا قطننا ؛ أي نصيبنا في الدنيا من الجنة^(٦) .

قال السدي : قالوا أرنا منازلنا في الجنة ، وعجل لنا نصيبنا منها^(٧) .

-
- (١) انظر : الطبري ١٣٤ / ٢٣ ، ومجمع البيان ٧٣١ / ٨ ، والقرطبي ١٥٧ / ١٥ .
 (٢) انظر : الطبري ١٣٤ / ٢٣ ، ومعاني القرآن : للنحاس ٨٧ / ٦ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ٢٥٦ / أ .
 (٣) انظر : تهذيب اللغة (قط) ٢٦٤ / ٨ ، واللسان (قطط) ٣٨٠ / ٧ .
 (٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٣ / ٤ .
 (٥) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٥٦ ، والبغوي ٥٠ / ٤ . وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٤٨ / ٧ ، وعزاه لعبد بن حميد عن عطاء .
 (٦) انظر : الطبري ١٣٥ / ٢٣ ، والثعلبي ٣ / ٢٥٦ ، والبغوي ٥٠ / ٤ .
 (٧) انظر : الطبري ١٣٥ / ٢٣ ، والماوردي ٨٢ / ٥ ، والقرطبي ١٥٧ / ١٥ .

القول الثاني في القط : الكتاب ، وهو قول أبي العالية^(١) ، ومقاتل^(٢) وابن عباس في رواية عطاء^(٣) ، واختيار الفرّاء^(٤) ، وأبي عبيدة^(٥) ، وابن قتيبة^(٦) .

قال أبو عبيدة : « وأنشد للأعشى :

ولا الملك النعمان يوم لقيته نقصه^(٧) يعطي القطوط وما بق

يعني : كتب الجوائز (ويأفق)^(٨) يُفضل ويعلو^(٩) .

وقال الفرّاء : القط الصحيفة المكتوبة . قال : (والقط في كلام العرب الصد^(١٠) هو الحظ)^(١١) .

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٦ أ ، ومجمع البيان ٨/ ٧٣١ ، وأورده المؤلف في الوسيط ٣/ ٥٤٣ .

(٢) تفسير مقاتل ١١٦ أ .

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس من رواية عطاء ، ولكن ذكر بعض المفسرين هذا القول من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس . انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٦ أ ، والبغوي ٤/ ٥٠ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٤٠٠ .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ١٧٩ .

(٦) تفسير غريب القرآن ٣٧٨ .

(٧) هكذا ورد في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب :

ولا الملك النعمان يوم لقيته بإمته يعطى القطوط ويأفق

وهو من الطويل ، للأعشى في ديوانه ٢١٩ ، وتهذيب اللغة ٨/ ٢٦٤ ، ٩/ ٣٤٣ ، وكتاب الجيم ٣/ ٦٦ ، وتاج العروس (قطط) ٢٠/ ٤١ .

الإمّة : النعم ، والقطوط : الصكوك والكتب ، يقول : لقد لقيت النعمان في نعمته يصرف العطاء بين الناس ، فيفضل بعضهم على بعض ، ويعطيهم صكوكهم بما قسم لهم من الجوائز .

(٨) ما بين المعقوفين غير واضح في النسخ .

(٩) مجاز القرآن ٢/ ١٧٩ .

(١٠) هكذا في النسخ ، والصواب : (الصك) .

(١١) معاني القرآن ٢/ ٤٠٠ .

قال أبو العالية^(١) ومقاتل^(٢): ﴿لَمَّا نَزَلَ فِي الْحَاقَةِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْقِرَ كِتْبَهُ، بِمِثْنِهِ﴾﴾ [الحاقة: ١٩] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِرَ كِتْبَهُ، بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة: ٢٥] قالت قریش: زعمت يا محمد أنا نؤتى كتابنا بشمالنا نقرأه، فعجل لنا قطناً أي عجله لنا في الدنيا قبل يوم الحساب، يقولون له ذلك تكديماً واستهزاء، ونحو هذا ذكر الفراء^(٣) وابن قتيبة^(٤) في سبب النزول.

وأصل القط في اللغة ما ذكرنا، ثم سُميت كتب الجوائز قطوطاً والصحيفة قط؛ لأنهم كانوا يكتبون الأنصباء من العطايا في الصحف والصكوك فقل لها قطوط؛ لأن فيها أنصباء الناس ويقال: أخذ فلان قطه إذا أخذ كتابه الذي كتب له بجائزته ونصيبه، ثم سميت الكتب قطوطاً وإن لم تكن للصلة والجائزة.

قال عطاء عن ابن عباس^(٥): عجل لنا قطناً يريد حسابنا، ذهب إلى المعنى وهو يريد كتاب الحساب.

١٧. وقوله تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ قال ابن عباس: اصبر يا محمد على ما يقولون من تكذيبك^(٦). وقال مقاتل^(٧): يعزي النبي ﷺ على تكذيبهم إياه.

(١) انظر: تفسير الثعلبي ٣/ ١٢٥٦، ومجمع البيان ٨/ ٧٣١.

(٢) تفسير مقاتل ١١٦ أ.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٤٠٠.

(٤) تفسير غريب القرآن ٣٧٨.

(٥) لم أقف عليه عن عطاء عن ابن عباس. وذكر بعض المفسرين هذا القول عن الضحاك عن ابن عباس.

انظر: زاد المسير ٧/ ١٠٩.

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس. انظر: الطبري ٢٣/ ١٣٦، والبغوي ٤/ ٥١، وبحر العلوم ٣/ ١٣١.

(٧) تفسير مقاتل ١١٦ أ.

وقال الكلبي : كانوا يستعجلون رسول الله ﷺ فيقولون : عجل لنا قطنا ، فنزل : ﴿ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ ، ثم أمر بقتلهم بعد فنسخت هذه الآية ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴾ ؛ أي اذكر لقومك . قاله ابن عباس ^(٢) .

وقال أهل المعاني ^(٣) : أمر بذكر داود ترغيباً في الضمير المأمور به بأن له فيه من إحسان الله إليه على نحو إحسانه لداود ، ولكي يتقون ^(٤) على الصبر بذكره قوة داود في العباد .

ونحو قوله ^(٥) : ﴿ ذَا الْأَيْدِ ﴾ قال ابن عباس والمفسرون : يريد ذا القوة في العبادة وفي طاعة الله ^(٦) . والكلام في تفسير الآية قد تقدم عند قوله : ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ ﴾ .

قال أبو علي : وكانت قوة داود على العبادة أتم قوة ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وذلك أشد الصوم ، وكان يصلي نصف الليل ^(٧) .

(١) انظر : الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٣٩١ ، وناسخ القرآن العزيز ومنسوخه لابن البارزي ٤٦ .

(٢) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨١ .

(٣) لم أقف على هذا القول عند أحد من أهل المعاني .

(٤) هكذا جاءت في النسخ ، ولعل الصواب : (يتقوى) .

(٥) هكذا جاءت في النسخ ، ولعل الصواب : (ومعنى قوله) .

(٦) انظر : الطبري ١٣٦ / ٢٣ ، والسمرقندي ١٣١ / ٣ ، والماوردي ٣٨ / ٥ ، والبغوي ٥١ / ٤ .

(٧) لم أقف على قول أبي علي ، وهذا القول قد جاء عن الصادق المصدوق ﷺ ، ففي الحديث المتفق عليه عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيَفْطُرُ يَوْمًا » . أخرجه البخاري في صحيحه ، في الصلاة ، باب من نام عند السَّحَرِ ٣٨٠ / ١ رقم ١٠٧٩ ، وفي كتاب الأنبياء ، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود ٣ / ١٢٥٧ رقم ٣٢٣٨ ، وأخرجه مسلم في كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم الدهر لمن أضرَّ به أو فوّت به حقاً ٢ / ٨١٢ رقم ١١٥٩ . واللفظ للبخاري .

وقوله : ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ قال ابن عباس : راجع عن كل ما يكره الله إلى ما يجب^(١) . وقال مجاهد : راجع عن الذنوب^(٢) .

وقال الكلبي : مقبل إلى طاعة الله^(٣) .

وقال قتادة ومقاتل : مطيع^(٤) . وهذا معنى ، والتفسير ما قاله ابن عباس ومجاهد .

١٨ . قوله تعالى : ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ قال ابن عباس : يصلين معه^(٥) .

وقال مقاتل : كان داود ذاكرًا لله فذكرت^(٦) الجبال معه ، وداود يفقه تسبيح الجبال^(٧) ، وهذا كقوله : ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] ، وقد مرَّ ، وكقوله : ﴿يَسْجُدُ أَوْيَ مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠] . وقوله : ﴿بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ قال أبو إسحاق : «يقال شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت ، وقيل : هما بمعنى الأول وأكثر»^(٨) .

قال ابن عباس : يريد صلاة الفجر يعني وقتها^(٩) .

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٢٥٦/٣ .

(٢) انظر : الطبري ١٣٦/٢٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٨٩/٦ ، والماوردي ٨٤/٥ .

(٣) انظر : تفسير كتاب الله العزيز ١٠/٤ .

(٤) انظر : الطبري ١٣٧/٢٣ ، وبحر العلوم ١٣١/٣ ، وأورده السيوطي في الدر ١٤٩/٧ عن قتادة وعزاه لعبد بن حميد ، تفسير مقاتل ١١٦ أ .

(٥) أخرجه الطبري : في تفسيره ٥٤/١٧ ، والقرطبي ٣٢٠/١١ عن قتادة ، ولم أقف عليه عن ابن عباس .

(٦) في (ب) : (ذكرت) ، سقط الفاء .

(٧) تفسير مقاتل ١١٦ أ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٤/٤ .

(٩) لم أقف عليه .

وقال الكلبي : غدوة وعشية^(١) .

وروى العطاء أن عطاء بن أبي رباح وعطاء الخراساني عن ابن عباس : أنه فسر الإشراق هاهنا بوقت صلاة الفجر ، وسماها صلاة الإشراق ، وجعل الإشراق المذكور في هذه الآية أصلاً لصلاة الضحى^(٢) . وهو موافق لما ذكر في اللغة من أن الإشراق إضاءة الشمس لا طلوعها^(٣) .

١٩ . قوله تعالى : ﴿وَالطَّيْرَ﴾ معطوف على الجبال كأنه وسخرنا الطير محشورة . قال ابن عباس : كان داود إذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت إليه الطير فسبحت معه ، واجتماعها إليه كان حشرها^(٤) .

وقال الكلبي : والطير تأتيه فتسبح معه ، فهذا حشر الطير^(٥) . والمعنى : سخرنا الطير مجموعة إليه لتسبح لله معه . وهذا المعنى أرادته قتادة ؛ حيث قال في تفسير محشورة : مسخرة^(٦) .

قوله : ﴿كُلُّ لَهْمٍ أَوَّابٌ﴾ قال الكلبي^(٧) مقاتل^(٨) : كل الطير له مطيع . والمعنى كل رجاء إلى طاعته وأمره ، وإنما قيل^(٩) دون إليه ؛ لأنه أريد بهذا الآب الطاعة

(١) ذكره المؤلف في الوسيط ٣/ ٥٤٤ ، ولم أقف عليه عند غيره .

(٢) انظر : الثعلبي ٣/ ١٢٥٦ ، والبغوي ٤/ ٥١ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (شرق) ٨/ ٣١٧ ، وعمدة الحفاظ (شرق) ٢/ ٣٠٣ .

(٤) ذكره المؤلف في الوسيط ٣/ ٥٤٤ ، والقرطبي ١٥/ ١٦١ .

(٥) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : زاد المسير ٧/ ١١١ .

(٦) انظر : الطبري ٢٣/ ١٣٨ ، وأورده السيوطي في الدرر ٧/ ١٥٣ ، وعزاه لعبدالرزاق وعبد بن حيد وابن جرير كلهم عن قتادة الدرر .

(٧) لم أقف عليه عن الكلبي ، وهذا القول في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨١ .

(٨) تفسير مقاتل ١١٦ أ .

(٩) هكذا في النسخ ، ولعل هناك كلمة ساقطة ويكون الكلام هكذا : (وإنما قيل له من دون إليه) .

فكانه قيل : له مطيع أي بالتسبيح معه . وبهذا قال السدي ^(١) : كلُّ له أواب أي مسبح له .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : كان يحرسه في كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل ، فإذا أصبح قيل : ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله ^(٢) .

وقال الكلبي : كان يحرس محراب داود في كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفاً من بني إسرائيل ^(٣) . ونحو هذا قال مقاتل ^(٤) والفرّاء ^(٥) والزّجاج ^(٦) .

وقال جويبر عن رجل من أهل الشام : أربعون ألف مسلم يحرسونه كل ليلة ^(٧) .

وقال السدي : كان من تقوية ملكه أنه كان يحرس محرابه كل يوم أربعة آلاف ^(٨) . وعلى هذا معنى الآية : قوينا ملكه بالحرس والجنود . قالوا : وكان أشد ملوك أهل الأرض سلطاناً ^(٩) .

وروى عكرمة عن ابن عباس : أن رجلاً استعدى داود على رجل أخذ منه بقرة ، فأنكر المدعى عليه ، فسأل داود المدعى بينة فلم يقمها ، فرأى داود في منامه

(١) انظر : الطبري ١٣٨/٢٣ ، وزاد المسير ١١١/٧ .

(٢) انظر : القرطبي ١٦٢/١٥ ، والبغوي ٥١/٤ ، ومفاتيح الغيب ١٨٧/٢٦ ، وزاد المسير ١١١/٧ .

(٣) انظر : بحر العلوم ١٣١/٣ ، وأورده ابن كثير ٣٠/٤ عن بعض السلف .

(٤) تفسير مقاتل ١١٦ أ .

(٥) معاني القرآن ٤٠١/٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٤/٤ .

(٧) أورده أبو حيان في البحر ٣٧٤/٧ ، ولم ينسبه .

(٨) انظر : الطبري ١٣٨/٢٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٩١/٦ ، وابن كثير ٣٠/٤ .

(٩) هذا القول ينسب لابن عباس . انظر : الثعلبي ٢٥٦/٣ ب ، والبغوي ٥١/٤ .

أن الله يأمره أن يقتل المدعى عليه ، فتثبت داود ، فقال : هو منام . فأتاه الوحي بعد ذلك أن يقتله ، فأحضره وأعلمه أن الله - عز وجل - أمر بقتله ، فقال المدعى عليه : إن الله - عز وجل - ما أخذني بهذا الذنب ، وإني كنت قتلت أبا هذا غيلة ، فقتله داود ، فذلك مما عظم وشدد ملكه ^(١) .

قوله : ﴿وَأَيِّنَّهٖ لِحِكْمَةٍ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد المعرفة بكل ما حكم ^(٢) .

وعنه أيضاً في رواية الكلبي عن أبي صالح : النبوة ^(٣) . وفي رواية سعيد : هي الزبور ^(٤) . وقال مقاتل : الفهم والعلم ^(٥) .

قوله : ﴿وَفَصَّلَ لِحُطَابٍ﴾ الأكثرون على أنه الشهود والأيمان ^(٦) ، البينة على المدعي واليمين على من أنكر ؛ لأن القطع والفصل في الحكم إنما يقع بهذا ، وهو قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي وعلي ابن أبي طالب ^(٧) .

(١) هذا الأثر ذكره بعض المفسرين ، فقد أخرجه ابن جرير في تفسيره ٨٨ / ٢٣ ، والثعلبي في تفسيره ٢٥٦ / ٣ ب ، والنحاس في معاني القرآن له ٩١ / ٦ ، والبغوي ٥١ / ٤ ، وأورده السيوطي في الدر ١٥٣ / ٧ ، وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس ، مع اختلاف في الألفاظ .
(٢) لم أقف عليه .

(٣) هذا القول لم أقف عليه عن ابن عباس من طريق الكلبي عن أبي صالح ، وهو في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨١ ، وأورده المؤلف في الوسيط ٥٤٥ / ٣ ، وأكثر المفسرين يذكرون هذا القول عن السدي ، انظر : الطبري ١٣٩ / ٢٣ ، والماوردي ٨٤ / ٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٩٢ / ٦ ، والقرطبي ١٦٢ / ١٥ ، وزاد المسير ١١١ / ٧ .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكر هذا القول غير منسوب : أبو حيان في البحر ٣٧٤ / ٧ .
(٥) تفسير مقاتل ١١٦ أ .

(٦) ويروى هذا القول عن شريح والشعبي وقتادة كما في الطبري ١٤٠ / ٢٣ ، وعن قتادة والحسن كما في بحر العلوم ١٣٢ / ٣ ، وعلي بن أبي طالب في تفسير الثعلبي ٢٥٦ / ٣ ب ، وله - رضي الله عنه - ولأبي بن كعب ومجاهد وعطاء بن أبي رباح كما في البغوي ٥٢ / ٤ .

(٧) انظر : المصادر السابقة .

والخطاب على هذا القول هو خطاب الخصوم ومراجعتهم الكلام في الخصومة ، أعطى الله فصل ذلك بالشهود والأيمان .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : يفصل بين الخصمين^(١) . وهذا قول الحسن^(٢) وابن مسعود^(٣) ومقاتل^(٤) قالوا : هو العلم بالقضاء وفصله والفهم فيه . وهو قول قتادة^(٥) ، ورواية ليث عن مجاهد^(٦) . وقالوا : كان داود لا يتتبع في القضاء بين الناس^(٧) .

وعن ابن عباس أيضاً أنه قال في فصل الخطاب : هو بيان الكلام^(٨) .

وقال علي بن أبي طالب : هو سلسلة أعطيها داود ، فيها فصل الخطاب وقصتها مشهورة^(٩) .

(١) ذكر الطبري : نحو هذا القول عن ابن عباس من طريق محمد بن سعد عن أبيه عن عمه عن أبيه عن أبيه ، قال ابن عباس في معنى هذه الآية : أعطي الفهم الطبري ١٣٩ / ٢٣ . وذكر غير واحد من المفسرين هذا القول الذي ذكره الطبري : عن ابن عباس مباشرة . انظر : الماوردي ٨٤ / ٥ ، وزاد المسير ١١١ / ٧ .

(٢) انظر : معاني القرآن للنحاس ٩٢ / ٦ ، والماوردي ٨٤ / ٥ ، وتفسير الثعلبي ٢٥٦ / ٣ ب .

(٣) انظر : الثعلبي ٢٥٦ / ٣ ب ، والبغوي ٥٢ / ٤ ، والقرطبي ١٦٢ / ١٥ .

(٤) تفسير مقاتل ١١٦ أ ، وانظر : المصادر السابقة .

(٥) انظر : معاني القرآن للنحاس ٩٣ / ٦ ، ومجمع البيان ٧٣٢ / ٨ .

(٦) انظر : الطبري ١٣٩ / ٢٣ ، وأورده السيوطي في الدر ١٥٤ / ٧ عن مجاهد ، وعزاه لابن جرير وابن المنذر .

(٧) وينسب هذا القول لابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل وأبي عبد الرحمن السلمي ، ورواية عن ابن عباس كما في تفسير الثعلبي ٢٥٦ / ٣ ب .

(٨) انظر : الثعلبي ٢٥٦ / ٣ ب ، والبغوي ٥٢ / ٤ ، والقرطبي ١٦٢ / ١٥ .

(٩) لم أقف على هذا القول ولا على تلك القصة .

وروى الشعبي عن زياد^(١) قال : فصل الخطاب الذي أعطي داود عليه السلام : أما بعد^(٢) . وهو أول من قالها [قال فعلت معنى أما بعد أما بعد ما مضى من الكلام]^(٣) . وعلى هذا قيل لهذا اللفظ فصل الخطاب ؛ لأن الخطاب يفصل به بعضه من بعض^(٤) .

٢١ . قوله تعالى : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ الخصم مصدر خصمته أخصمته خصماً ، ثم يسمى به فلا يثنى ولا يجمع ، فيقال : هما خصم ، وهم خصم كما يقال : هما عدل وهم عدول ، والمعنى : ذو خصم وذووا خصم^(٥) . وأريد بالخصم هاهنا ملكان تصوّرا في صورة رجلين متخاصمين .

قال ابن عباس في هذه الآية : يريد قد أتاك جبريل وميكائيل^(٦) .

وقال مقاتل : بعث الله إلى داود ملكين جبريل وميكائيل ليستنقذه^(٧) بالتوبة ، فأتياه في المحراب^(٨) ، وذلك قوله : ﴿إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ .

(١) زياد بن عياض الأشعري ختن أبي موسى الأشعري ، روى عن عمر والزبير .

انظر : التاريخ الكبير ٣/ ٣٦٥ رقم الترجمة ١٢٤٠ ، والطبقات الكبرى ٦/ ١٥١ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٦ ب ، وأورد هذا القول ابن جرير في تفسيره ٢٣/ ١٤٠ عن الشعبي ، الماوردي ٥/ ٦٤ .

(٣) ما بين المعقوفين كلام يظهر أنه زائد ، قد يكون وهم من الناسخ والله أعلم .

(٤) يقول الزمخشري في الكشاف ٣/ ٣٢١ : لأنه يفتح إذا تكلم في الأمر الذي له شأن بذكر الله وتحميده ، فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله : أما بعد .

(٥) انظر : مفردات القرآن (خصم) ١٤٩ ، وتهذيب اللغة (خصم) ٨/ ١٥٤ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) في النسخ بلا نقط ، والكلمة غير واضحة ، والتصحيح من تفسير مقاتل ١١٦ ب .

(٨) تفسير مقاتل ١١٦ ب .

قال الليث : «تسوّرت السور تسوّراً إذا علوته ، وكذلك سرت الحائض سوراً ، قال الراجز^(١) :

سرت إليه في أعالي السور»^(٢)

وإنما قال : تسوّروا والخصم اثنان ؛ لأنه على مذهب من يجعل الاثنین جماعة كقوله تعالى : ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم : ٤] ، ونظائره كثيرة ، وقد مرت في مواضع . وتفسير المحراب قد سبق في سورة آل عمران وسبأ^(٣) ، وهو هاهنا يحتمل معنيين ؛ أحدهما : أنه أريد بالمحراب البيت الرفيع كالغرفة .

قال أبو إسحاق : «والمحراب هاهنا كالغرفة ، وتسوروا يدل على علو»^(٤) .

وقال غيره^(٥) : المحراب هاهنا معناه أشرف موضع ، وكان داود إذ ذاك في يوم عبادته قد قام في محرابه للتعبد . ومعنى : تسوّروا المحراب : أتوه من سوره

(١) عجز بيت من الرجز وصدده :

ورُبَّ ذي سراق محجور

وهو لرؤية في ديوانه ٣٤١ / ١ ، والكتاب ٥١ / ٤ ، وكتاب العين ٢٨٩ / ٧ ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٤٨ / ٣ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (سور) ٤٩ / ١٣ ، وذكر ابن منظور في اللسان (سور) ٣٨٦ / ٤ كلام الليث ولم ينسبه له .

(٣) في [سورة آل عمران : آية ٣٧] عند قول تعالى : ﴿فَقَبِلْهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

وفي [سورة سبأ : آية ١٣] ، عند قوله تعالى : ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٥ / ٤ .

(٥) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٨٠ / ٢ .

وهو أعلاه ، والتسور الإتيان من جهة السور ، تسور فلان الدار إذا أتاها من قبل سورها^(١) .

٢٢ . قوله تعالى : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴾ قال الفراء : « قد يجاب بإذ مرتين ويكون معناها^(٢) كالواحد ، كقولك : ضربتك إذ دخلت عليّ إذ^(٣) اجترأت عليّ ، فيكون الدخول هو الاجتراء ، ويكون أن يجعل أحدهما على مذهب لما ، فكأنه قال : إذ تسوروا المحراب لما دخلوا^(٤) .

وقوله : ﴿ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴾ قال مقاتل : « لما رآهما داود قد تسوروا المحراب فزع فقال في نفسه : لقد ضاع ملكي حين يدخل عليّ بغير إذن^(٥) » .

وقال أبو إسحاق : « فزع لأنهم أتوه من غير مأتى الخصوم وفي غير وقتهم ، وفي وقت لم يأذن فيه أن يدخل عليه أحد ، فأنكر ذلك وفزع^(٦) » .

وقال مقاتل : فلما فزع قال أحدهما لداود : لا تخف^(٧) .

وقال محمد بن إسحاق : « بعث الله إليه وهو في محرابه ملكين يختصمان إليه ؛ مثلاً ضربه الله له ولصاحبه فلم يرع داود لأيهما^(٨) واقفين على رأسه في محرابه ،

(١) انظر : اللسان (سور) ٣٨٦ / ١٣ .

(٢) هكذا في النسخ ، وعند الفراء كما في معاني القرآن ٤٠١ / ٢ : (معناها) .

(٣) هكذا في النسخ ، وعند الفراء كما في معاني القرآن ٤٠١ / ٢ : (إذ) ، وهو الصواب .

(٤) معاني القرآن ٤٠١ / ٢ .

(٥) تفسير مقاتل ١١٦ أ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٥ / ٤ .

(٧) تفسير مقاتل ١١٦ أ .

(٨) هكذا جاءت في النسخ ، وهو تصحيف ، والصواب : (إلا وهما) .

فقال : ما أدخلكما عليّ ؟ قالوا : لا تخف ، لم ندخل لبأس ولا ريبه ، خصمان بغى بعضنا على بعض ، فجئناك لتقضي بيننا»^(١) .

قال الفراء : رفعت خصمان بإضمار نحن خصمان ، والعرب تضرمر للمتكلم والمكلم^(٢) المخاطب ما يرفعه ، من ذلك أن تقول للرجل أذهب أخاه أمنطلق ، وأكثر ما يكون ذلك في الاستفهام ، والمعنى أأنت ذاهب ، وقد يكون في غير الاستفهام ، فقوله : ﴿ خَصْمَانِ ﴾ من ذلك . ويقول المتكلم : أواصلكم - إن شاء الله - ومحسن إليكم ؛ أي وأنا محسن إليكم ، وأنشد حميد بن ثور :

وقولا إذا جاوزتما أرضَ عامرٍ

وجاوزتما الحيينِ نهذاً وخثعما

نزيعان^(٣) من جرمِ بنِ رِيَّانِ إنهم

أبوا^(٤) أن يميروا في الهواهرِ محجبا^(٥)

(١) أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره ٤٨٢ / ١ نحو هذا القول عن السدي ، ولم أقف عليه عن ابن إسحاق .

(٢) في (ب) : (والمكلم) .

(٣) في (أ) : (يرتفعان) ، وعلق في الهامش : زتعان .

(٤) في (أ) : (أتوا) .

(٥) هكذا جاءت رواية البيت في النسخ جميعها ، وصحته كما عند الفراء :

نزيعان من جرمِ بنِ زَبَّانِ إنهم
أبوا أن يميروا في الهواهرِ محجبا
والبيتان من الطويل ، لحميد بن ثور في ديوانه ٢٨ .

يريد : نحن نزيعان ، وأنشد :

تقولُ ابنةُ الكعبي يومَ لقيتها
أمنطلقُ في الجيشِ أم مثاقيل^(١)
وقد جاء في الآثار للراجع من سفر «آيون تائبون لربنا حامدون»^{(٢)(٣)} .

قوله : ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾^(٤) يقال : شط الرجل واشتط إذا جار ، شط شططاً واشتط اشتطاطاً ، ومنه قوله تعالى : ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف : ١٤] ، ومعناه : مجاوزة القدر ، يقال : أشط الرجل إذا جار في حكمه وقضيته ، وأصله من البعد ، وهو أن يبعد عن الحق في ما يحكم به^(٥) . قال ابن عباس والمفسرون : ولا تجر علينا^(٦) .

﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ قال مقاتل : أرشدنا إلى أعدل الطريق^(٧) . وقال محمد بن إسحاق : حملنا على الحق ولا تخالف بنا إلى غيره^(٨) .

(١) البيت من الطويل ، ولم أقف على قائله .

(٢) هذا جزء من حديث مُخْرَجٍ في الصحيحين عن ابن عمر وأنس بروايات عدة ، فقد أخرج البخاري في كتاب العمرة ، باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو ٦٣٧ / ٢ رقم ١٧٠٣ عن ابن عمر ، وفي كتاب الجهاد ، باب التكبير إذا علا شرفاً ١٠٩١ / ٣ رقم ٢٨٣٣ عن ابن عمر .
وفي الكتاب نفسه باب ما يقول إذا رجع من السفر ١١٢١ / ٣ رقم ٢٩١٨ عن ابن عمر ، ورقم ٢٩١٩ و ٢٩٢٠ عن أنس . وفي غير هذه المواضع .

وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج ، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره ٩٨٠ / ٢ رقم ١٣٤٤ مكرر عن ابن عمر ، ورقم ١٣٤٥ مكرر عن أنس .

(٣) معاني القرآن ٤٠١ / ٢ ، ٤٠٢ .

(٤) ما بين المعقوفين بياض في (أ) .

(٥) انظر : اللسان ٧ (شطط) : / ٣٣٣ ، والقاموس المحيط (شط) ٨٧٠ ، وعُمدة الحفاظ ٣١٠ / ٢ .

(٦) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨١ ، وذكر الطبري ١٤٢ / ٢٣ نحو هذا القول ونسبه لقتادة والسدي وابن زيد .

(٧) تفسير مقاتل ١١٦ ب .

(٨) لم أقف عليه .

٢٣. فقال داود : تكلمها ، فقال الملك الذي تكلم عن أوريا زوج المرأة : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي ﴾ ؛ أي على ديني ﴿ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً ﴾ . قال المبرد : « النعجة عند العرب البقرة الوحشية ، وحكم البقرة عندهم حكم الضانية ، وحكم الطيبة حكم الماعزة ، والنعجة الأنثى من الضأن وجمعها نعاج ، والعرب تكني بالنعجة الشاة عن المرأة ، ويسمون الثور الوحشي شاة ، وأنشدوا للأعشى :

فرميتُ غفلةً عَيْنُهُ عن شَاتِهِ فَأَصْبَتْ حَبَّةً ^(١) قَلْبَهَا وَطِحَالَهَا ^(٢)
يعني : عن امرأته ^(٣) .

ومنه قول لبيد ، وشبههن بالنعاج ، فقال :

زُحَلًا كَأَنَّ نِعَاجَ تَوْضَحَ فَوْقَهَا وَظُبَاءَ وَجَرَةٍ عَطَفًا أَرَامَهَا ^(٤)

(١) في (ب) : (حب) ، وهو خطأ .

(٢) البيت من الكامل ، وهو للأعشى في ديوانه ٢٧ ، والكامل ٢٤٣ / ١ ، ٢ / ٦٠٥ ، وكتاب العين ٣ / ٣١ ، واللسان (حب) ١ / ٢٩٤ ، و(شوه) ١٣ / ٥١٠ .

وهو هنا يتحدث عن رجل غيور على امرأته يحرص عليها ويبالغ في حمايتها ، وهو لشدة ذلك لا يكاد ينام ، ولم يزل صاحبها يتردد محاولاً حتى أقبل الليل ، فأصاب من الرجل غفلة عن امرأته ، فخلاها للذئبة . انظر : ديوانه ٢٧ .

(٣) الكامل ٢ / ٦٠٥ .

(٤) البيت من الكامل للبدي . انظر : شعر لبدي بن ربيعة بين جاهليته وإسلامه ١٤ .

زُحَلًا : جماعات ، والنعاج : هي بقر الوحش ، وتوضح : مكان نسب بقر الوحش ، وجرة : مكان نصب إليه الظباء ، وعطفاً : معناه متعطفات ، شبه النساء ببقر الوحش في جمال عيونهن ، وبالظباء في عطفهن على أولادهن .

انظر : شعر لبدي بن ربيعة بين جاهليته وإسلامه ١٤ .

قال أبو سعيد^(١) : شبه النساء بالمها حتى صاروا يطلقون اسم المها على النساء ، وهو كثير في أشعارهم^(٢) . قال المفسرون^(٣) : يعني تسع وتسعون امرأة ، وهكذا كنّ لداود . ﴿وَلِي نَجَّةٌ وَحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا﴾ ؛ أي انزل أنت عنها ، واجعلني أكفلها وأضمها إليّ . قاله المبرد^(٤) والزجاج^(٥) .

وقال ابن قتيبة^(٦) : ضمها إلي واجعلني كافلها .

قال أبو عبيد عن أبي زيد : كفلت فلاناً المال إكفالاً إذا ضمته إياه ، وكفل هو به كفولاً وكفلاً^(٧) .

وقال الليث : الكفيل الضامن للشيء ، والكافل هو الذي كفل إنساناً بقوله وينفق عليه^(٨) . ومنه قوله : ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران : ٣٧] . قال ابن عباس : أعطينها^(٩) .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : تحول لي عنها^(١٠) .

(١) لعله : أبو سعيد السكري ، الحسن بن الحسين بن عبدالله السكري النحوي اللغوي .

(٢) لم أقف على قول أبي سعيد .

(٣) انظر : الطبري ١٤٣ / ٢٣ ، وتفسير الثعلبي ٢٥٧ / ٣ ب ، والماوردي ٨٧ / ٥ .

(٤) لم أقف على قول المبرد .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٧ / ٤ .

(٦) تفسير غريب القرآن ٣٧٩ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (كفل) ٢٥٢ / ١٠ ، واللسان (كفل) ٥٩٠ / ١١ .

(٨) المصدرين السابقين .

(٩) انظر : تفسير الثعلبي ٢٥٧ / ٣ ب ، والبغوي ٥٤ / ٤ ، والقرطبي ١٧٤ / ١٥ .

(١٠) انظر : تفسير الثعلبي ٢٥٧ / ٣ ب ، والماوردي ٨٧ / ٥ ، والقرطبي ١٧٤ / ١٥ .

وقال مجاهد : أنزل عنها^(١) .

قال ابن كيسان : اجعلها كفلي ، أي نصيبي^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ﴾ ؛ أي غلبني في القول والخصومة ، من قولهم : عزَّيْتُ إذا غلب ، قال مقاتل : «يقول غلبني ، إن دعا كان أكثر مني ناصراً ، وإن بطش كان أكثر مني بطشاً ، وإن تكلم كان أمد مني^(٣) في المخاطبة»^(٤) .

وقال محمد بن إسحاق : أي قهرني وكان أقوى مني وأعز^(٥) .

وقال أبو عبيدة : عزني صار أعز مني^(٦) . وعلى هذا هو من قولهم عاززته فعززته . ونحو هذا قال ابن عباس في رواية عطاء : كان أعز مني وأقوى على مخاطبتي^(٧) .

وظاهر القرآن يوجب أن يكون داود قد كلَّم أوريا في امرأته ؛ لأن خصومة الملكين تمثيل لهذه القصة ، وقد قال ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا﴾ ولم يقل داود لأوريا هذا المعنى ، لم يخبر الله في هذا قصة الملكين كيف .

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٢٥٧/٣ ب ، والبغوي ٥٤/٤ ، ومجمع البيان ٧٣٤/٨ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٢٥٧/٣ ب ، والقرطبي ١٧٤/١٥ .

(٣) في (ب) : أكثر .

(٤) تفسير مقاتل ١١٦ ب .

(٥) لم أقف عليه عن محمد بن إسحاق ، وقد ذكر هذا القول الطبري في تفسيره ٤٨٢/١ ولم ينسبه .

(٦) مجاز القرآن ١٨١/٢ .

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : زاد المسير ١٢٠/٧ ؛ فقد ذكر نحو هذا القول ولم ينسبه ، وذكره القرطبي ١٧٤/١٥ ونسبه للضحاك .

وقد قال عبدالله بن عباس^(١) في رواية سعيد بن جبير : ما زاد داود على أن قال أكفلنيها ؛ أي تحول عنها ، وعزني في الخطاب أن كان أعز مني وأقوى على مخاطبتي ؛ لأنه لا يكون غالباً في الحجة إذا سأل رجلاً أن ينزل له عن امرأته ، ولكن يكون أقدر على الخطاب بعزة ملكه ، ثم إن^(٢) لم يرو أن أوريا أجاب له إلى ما سأل ، ولكن قد روى أنه بعثه في بعث فقتل فتزوج امرأته .

قال أهل التحقيق من علماء التأويل^(٣) : جعل الله قصة الملكين تمثيلاً لداود أمره مع أوريا ، وسلسلها له على ما فعل ليتوب ويراجع ربه فيستغفر . ولا يحتمل^(٤) قول الملك له تسع وتسعون نعجة على الكذب ؛ لأنه قال ذلك على طريق المثل ، كالواحد منا إذا أراد أن يحكي خصومة بين اثنين ، فيقول : أنا وفلان كخصمين ، فأنا أقول عليه كذا وكذا ، لم يحمل هذا على الكذب وإنما يحمل على التمثيل والحكاية ، كما تقول في التمثيل : ضرب زيد عمراً ، وشتم بكر خالداً يقال^(٥) للتمثيل^(٦) بهذه الألفاظ كذبت ؛ فإنه لم يوجد الشتم ولا الضرب .

٢٤ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيكَ إِلَىٰ نَعِاجِهِ ﴾ قال الفرّاء والزّجاج : « المعنى بسؤال نعجتك »^(٧) . فأضيف المصدر إلى المفعول لما أُلقيت الهاء من السؤال ، ومثله : ﴿ لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾ [فصلت : ٤٩] ؛

(١) انظر : القرطبي ١٥ / ١٧٥ ، وزاد المسير ٧ / ١٢٠ .

(٢) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (إنه) .

(٣) ذكر نحو هذا القول ابن جرير الطبري في تفسيره ٢٣ / ١٤٩ عن وهب بن منبه عن بعض أهل العلم ، وذكر البغوي ٤ / ٥٤ ، والقرطبي ١٥ / ١٧٥ .

(٤) في (ب) : (تحمل) .

(٥) هكذا جاءت في العبارة في النسخ ، ويظهر أن هناك حرفاً ساقطاً ليستقيم الكلام تقديره هكذا : لا يقال للتمثيل .

(٦) في (ب) : (للتمثل) .

(٧) إلى هنا تمّ كلام الزّجاج كما في معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٢٧ .

أي من دعائه بالخير فلما ألقى الهاء أضيف الفعل إلى الخبر ، وألقى من [الخبر]^(١) الياء كقول الشاعر :

ولستُ مسلماً ما دمت حياً على زيدٍ بتسليم الأمير^(٢)
أي بتسليمي على الأمير^(٣) .

وقوله : ﴿إِنِّي نِعَاجِهِ﴾ أي ليضمها إلى نعاجه فاختصر . فإن قيل : كيف جاز لداود أن يحكم ويقطع القصة بقوله : ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجِكَ إِنِّي نِعَاجِهِ﴾ وهو لم يسمع كلام الخصم الآخر ؟ فيقال : قال محمد بن إسحاق : لما فرغ الخصم الأول من كلامه ، نظر داود إلى الخصم الذي لم يتكلم ، وقال : لئن صدق لقد ظلمك^(٤) . وعلى هذا حكمه كان بشرط كونه صادقاً في ما قال .

وقال أبو بكر بن الأنباري : لما ادعى أحد الخصمين ، اعترف له الآخر ، فعند اعترافه وقع الحكم^(٥) . ولم يذكر الله اعترافه ؛ لأن ظاهر الآية عليه دال ، ولا ينكر الحذف إذا كان المعنى معلوماً كما تقول : أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال ، تريد : فتجرت فكسبت ، ومثله ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ﴾ [الشعراء : ٦٣] ؛ أي فضرِب فانفلق ، كذلك ها هنا .

(١) ما بين المعقوفين غير مثبت في (ب) .

(٢) هذا البيت من الوافر ، ولم أقف على قائله ، وقد ذكره المرتضى في أماليه ١ / ٢١٥ غير منسوب ، وكذا الفرء في معاني القرآن ٢ / ٤٠٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ١٢١ .

(٣) معاني القرآن ٢ / ٤٠٤ .

(٤) لم أقف عليه عن ابن إسحاق ، وقد ذكر الطبري في تاريخه ١ / ٤٨٢ نحو هذا القول ولم ينسبه .

(٥) لم أقف على هذا القول منسوباً لابن الأنباري ، وقد ذكره القرطبي ١٥ / ١٧٧ غير منسوب ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ١٢١ .

﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ﴾ فاعترف ، فقال داود : لقد ظلمك ، ويدل على صحة هذا ما روى السدي أن داود قال للخصم الآخر : ما تقول . فاعترف ^(١) ، وقال : تسع وتسعون نعجة ولأخي نعجة واحدة ، فأنا أريد أن آخذها منه فأكمل نعاجي مائة .

قوله : ﴿وَأَنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ قال أبو عبيدة : الخلطاء الشركاء ^(٢) .

وقال الليث : خليط لرجل مُخَالِطَةٌ والخلطاء القوم الذين أمرهم واحد ^(٣) .

وقال أبو إسحاق : الخلطاء الشركاء وفلان خليطي وشريكي بمعنى واحد ^(٤) . ونحو هذا قال المفسرون في الخلطاء أنه الشركاء ^(٥) .

ويبقى هاهنا إشكال ، وهو أن داود -عليه السلام- لم يخص الخلطاء ببغي بعضهم على بعض وغير الخلطاء يفعلون ذلك ، ويمكن أن يقال في هذا أنه ظن أنها شريكان فلذلك خص الشريك ، يريد أن الشركاء كثير منهم يظلم بعضهم بعضاً ، وقد قال ابن عباس في رواية عطاء : وإن كثيراً من الخلطاء يريد أهل الماشية ^(٦) . وهو قول حسن ؛ لأن الخليط بمعنى الشريك أكثر ما يستعمل إنما يستعمل في الشركاء في المواشي يكونون مجتمعين كالخلاط ، يختلط مال بعضهم ببعض في الرعي ، ولعل داود ظنهما راعيين حين كانت خصومتها في النعاج ،

(١) انظر : الماوردي ٨٧/٥ ، وزاد المسير ١٢١/٧ .

(٢) مجاز القرآن ١٨١/٢ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (خلط) ٢٣٥/٧ ، واللسان (خلط) ٢٩٣/٧ لكنه لم ينسبه لليث .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٧/٥ .

(٥) انظر : الطبري ١٤٥/٢٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ١٠٣/٦ ، وبحر العلوم ١٣٣/٣ ، والماوردي

٨٨/٥ .

(٦) لم أقف عليه .

وعلى هذا تكون النعاج كناية عن النساء ، بل هو ضرب مثل لداود ولم يكن قد فهم^(١) داود من كلامها النساء ، والله تعالى أعلم بجميع ذلك .

قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ؛ أي فإنهم لا يظلمون أحداً ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ يقول : هم قليل يعني الصالحين . قال ذلك ابن عباس^(٢) ومقاتل^(٣) . فلما قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك ، فلم يظن لهما داود ، فأحب أن يعرفهما فصعدا إلى السماء حيال وجهه ، فعلم داود أن الله ابتلاه بذلك ، فذلك قوله : ﴿وَطَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ يقول : وعلم داود أنها ابتليناه ، وقال السدي : طارا من بين يديه^(٤) . وقال ابن عباس : وظن داود يريد أيقن^(٥) .

قال أبو إسحاق : «معنى ظن أيقن ، إلا أنه ليس بيقين عيان ، فأما العيان فلا يقال فيه إلا علم»^(٦) . ومعنى فتناه امتحنه بتلك القصة لتظهر قوته وصبره ، وقد ذكر في الروايات أنه قد كان أعجب بعبادته .

قوله : ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ ؛ أي سأل ربه غفران ذنبه . قال أبو إسحاق : «الذي روي في التفسير أن داود أحب أن يتلف أوريا حتى يتزوج بامرأته ، وهذا - والله أعلم - إنما كان من داود - عليه السلام - على جهة أن يتفق له ذلك من غير أن يتعمد أن يسعى في دم رجل ، فجعله الله ذنباً له أن أحب^(٧)» .

(١) في (ب) : (قد فهم) .

(٢) انظر : الطبري ١٤٥ / ٢٣ ، والماوردي ٨٨ / ٥ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٦ ب .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٢٥٧ / ٣ ب ، وزاد المسير ١٢١ / ٧ .

(٥) لم أفق عليه منسوباً لابن عباس إلا في تنوير المقباس بهامش المصحف ٣٨٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٧ / ٤ .

(٧) ما ذكره المؤلف - رحمه الله - حول قصة داود - عليه السلام - مع امرأة أوريا تابع فيه غيره من المفسرين الذين ذكروا هذه القصة ، وكان الأولى ألا يذكروها ؛ لأنه لا أصل لها ولا تتفق مع مكانة الأنبياء وعصمتهم ، وإنما هي روايات وأخبار مأخوذة من أهل الكتاب بلا تمحيص ولا تحقيق ؛ ولذا نجد =

قال : وجائز أن يكون كَتَبَ في أن يُقَدَّمَ هذا الرجل لبأسه وجرأته ورجاء كفايته ، فاتفق مع ذلك أن أصيب به وحلَّت امرأته ، فعوتب على محبته امرأة^(١) من له امرأة واحدة وله تسع وتسعون امرأة ، فكان ذلك ذنب من ذنوب الأنبياء^(٢) .

وقوله : ﴿وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابٌ﴾ قال مقاتل : فوقع من ركوعه ساجداً^(٣) . وظاهر اللفظ يقتضي أن داود لما أيقن بالفتنة والخطيئة استغفر ربه وقام إلى الصلاة ، ثم رفع من ركوعه إلى سجوده . على أن ابن عباس قد قال في رواية سعيد بن جبير : وحرَّ راکعاً : ساجداً^(٤) . ويجوز أن يعبر بالركوع عن السجود ؛ لأن الركوع في اللفظ معناه الانحناء ، ولا خلاف بين المفسرين أنه حرَّ ساجداً .

بعض العلماء قد نقدوها ولم يوردوها ، منهم : أبو جعفر النحاس - رحمه الله - يقول في معاني القرآن ٦/ ٦٨ : قد جاءت أخبارٌ وقصص في أمر داود - عليه السلام - وأوريا ، وأكثرها لا يصح ولا يتصل إسناده ، ولا ينبغي أن يُحْتَرَأ على مثلها . ويقول القاضي عياض في الشفاء ٢/ ٨٢٧ : وأما قصة داود - عليه السلام - فيجب ألا يُلْتَفَت إلى ما سطره فيها الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ، ولم ينصَّ الله على شيء من ذلك ، ولا ورد فيه حديث صحيح . وقال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ٦/ ٥٣ : وقد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده ؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة ، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة ، وأن يرد علمها إلى الله عز وجل ، فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً .

وقال الشنقيطي - رحمه الله - في أضواء البيان ٧/ ٢٤ : واعلم أن ما يذكره كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة مما لا يليق بمنصب داود - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - كله راجع إلى الإسرائيليات ، فلا ثقة به ولا معول عليه ، وما جاء منه مرفوعاً إلى النبي ﷺ لا يصح منه شيء . اهـ . هذه أقوال بعض الأئمة الأعلام ، وهناك أقوال أخرى لا يمكن حصرها ، كلها في ردِّ هذه القصة وتنفيدها .

(١) في (أ) : (امرأته) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٢٨ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٧ أ .

(٤) انظر : الوسيط ٣/ ٥٤٩ ، وقد أورد هذا القول ابن جرير الطبري ٢٣/ ١٤٦ ، ومن طريق علي عن ابن عباس ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٢٢ عن ابن عباس .

قوله : ﴿وَأَنَابَ﴾ قال ابن عباس : راجع إلى ما يجب الله ^(١) .

وقال مقاتل : رجع من ذنبه ^(٢) تائباً إلى الله ^(٣) .

وقال قتادة ^(٤) وابن زيد ^(٥) : أي تاب .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَافٍ﴾ قال ابن عباس ^(٦) : غفر له ذلك الذنب . قال النحاس : «ويجوز الوقف على قوله : ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ﴾ ثم يتدنى ﴿ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ﴾ ، كقولك ^(٧) : ﴿هَذَا وَإِنَّكَ لِلطَّغْيَيْنِ﴾ [ص: ٥٥] ، ويكون المعنى على هذا الأمر ذلك الذي ذكرنا ^(٨) . ثم أخبر بهاله في الآخرة فقال : ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَافٍ﴾ يعني : لقربة وقربى ، ومضى الكلام في معنى الإزلاف عند قوله : ﴿وَأَزَلَفْنَا﴾ ^(٩) .

(١) انظر : الطبري ١٤٦/٢٣ .

(٢) في (أ) : (ذنب) .

(٣) تفسير مقاتل ١١٧ أ .

(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ١٠٤/٦ .

(٥) لم أقف على قوله .

(٦) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨٢ .

(٧) هكذا في النسخ ، والصواب : (كقوله) .

(٨) القطع والائتناف ٦١٣ .

(٩) جزء من الآية ٦٤ من سورة الشعراء ، وهي قوله تعالى : ﴿وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ﴾ .

قال مالك بن دينار^(١) : إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر فوضع في الجنة ، ثم نوذي يا داود : مجدني بذلك الصوت الحنين الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا^(٢) .

وقوله : ﴿وَحُسْنَ مَثَابٍ﴾ قال ابن عباس^(٣) : وحسن مصير ، يريد النعيم الذي لا يصفه واصف ، والمآب على هذه الجنة التي هي مآب الأنبياء والأولياء ، وحسنه زينته وبهجته وما أعد الله فيه من النعيم .

٢٦ . قوله تعالى : ﴿يَدَاوُدُ﴾ ؛ أي قلناله يا داود . ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ﴾ ؛ أي صيرناك . ﴿خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ من بعد من كان قبلك من الأنبياء والملوك ، كقوله : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر : ٣٩] ، وقوله : ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل : ٦٢] ، وقوله : ﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف : ١٢٩] ، وقوله : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة : ٣٠] والآخر : صيرناك نذيراً [نور العباد من قبلنا وأمرنا]^(٤) ، والخليفة الذي يدبر الأمر من قبل غيره ؛ ولذلك يقال : خليفة الله في أرضه ؛

(١) علم الأعلام مالك بن دينار السامي الناجي ، أبو يحيى البصري الزاهد مولى امرأة من بني ناجية بن سامة بن لؤي ، كان أبوه من سبي سجستان ، وقيل : من كابل . ولد في أيام ابن عباس ، وسمع من أنس بن مالك والأحنف بن قيس والحسن البصري وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم . روى عن سعيد بن أبي عروبة وهمام بن يحيى والحارث بن وجيه وخلق غيرهم كثير ، وثقه النسائي وابن حبان وغيرهما ، مات - رحمه الله - سنة ١٢٧ هـ ، وقيل ١٢٣ هـ ، وقيل ١٣٠ هـ . انظر : تهذيب الكمال ٢٧ / ١٣٥ رقم الترجمة ٥٧٣٧ ، والطبقات الكبرى ٧ / ٢٤٣ ، والعبر ١ / ٢٣٨ ، وسير أعلام النبلاء ٥ / ٣٦٢ رقم الترجمة ١٦٤ .

(٢) انظر : الوسيط ٣ / ٥٤٩ ، وأورده ابن كثير ٤ / ٣٢ ، وعزاه لابن أبي حاتم .

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ١٢٤ نحو هذا القول عن مقاتل .

(٤) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (صيرناك نذيراً تدبر العباد من قبلنا وبأمرنا) .

لأنه جعله لتدبير عباده بأمره ، قال أبو إسحاق^(١) : ولهذا جاز أن يقال للخلفاء : خلفاء الله في الأرض .

وقوله : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى ﴾ قال ابن عباس : يريد بين خلقي بالعدل^(٢) .

وقال مقاتل : يعني ما بينت لك في الزبور^(٣) .

وقال أبو إسحاق : أي بحكم الله - عز وجل - إن كنت خليفة^(٤) . ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى ﴾ ؛ أي في قضائك لمن تحب . ﴿ فَيُضْلِكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قال مقاتل : يقول لا يستزلك الهوى من طاعة الله^(٥) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ ؛ قال ابن عباس : بما تركوا المخافة من حسابي وعذابي^(٦) .

وقال مقاتل : بما تركوا الإيثار بيوم الحساب^(٧) .

وقال أبو إسحاق : أي بتركهم العمل لذلك صاروا بمنزلة الناسين وإن كان يُنذرون ويذكرون^(٨) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٩/٤ .

(٢) انظر : تنوير المقباس بهامش المصحف ٣٨٢ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٧ أ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٩/٤ .

(٥) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : كما في تفسير مقاتل ١١٧ أ .

(٦) لم أفق عليه عن ابن عباس ، وقد ذكر ابن الجوزي في تفسيره ١٢٤/٧ نحو هذا القول عن السدي .

(٧) تفسير مقاتل ١١٧ أ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٩/٤ .

وقال غيره : تقدير الآية ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا سُوْا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ أي تركوا القضاء بالعدل ، وهذا معنى قول عكرمة^(١) ، والذي ذكره أبو إسحاق هو معنى قول الحسن^(٢) .

٢٧ . قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ قال ابن عباس : إلا للثواب والعقاب^(٣) . وقال مقاتل : «خلقتها لأمر هو كائن»^(٤) . وهذا كقوله : ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ [آل عمران : ١٩١] ، وكقوله : ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الروم : ٨] ، وقد مر الكلام فيهما ، وذلك ظن الذين جحدوا وأشركوا ؛ ظنوا أنه لا قيامة ولا حساب . ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ قال مقاتل : «فقال كفار قريش للمؤمنين إنا نعطي في الآخرة من الخير ما تعطون»^(٥)

٢٨ . فأنزل الله قوله : ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ؛ أي بل نجعل الذين آمنوا صدقوا بنبيٍّ ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ عملوا بفرائضي . ﴿كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي . ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ قال ابن عباس : يريد أصحاب النبي ﷺ كالفجار وهم الكفار^(٦) . وهذه الآية كقوله : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية : ٢١] ، وقوله : ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم : ٣٥] .

(١) انظر : الطبري ١٥٢/٢٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ١٠٥/٦ ، والبغوي ٥٩/٤ .

(٢) انظر : الماوردي ٩١/٥ .

(٣) انظر : الوسيط ٥٥٠/٣ ، والبغوي ٥٩/٤ .

(٤) تفسير مقاتل ١١٧ أ .

(٥) تفسير مقاتل ١١٧ أ .

(٦) انظر : القرطبي ١٩١/١٥ .

٢٩. قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ﴾ قال أبو إسحاق: المعنى وهذا كتاب^(١).
﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ قال ابن عباس: يعني القرآن^(٢).

﴿لِيَذَّبَرُواْ عِلْمَهُ﴾ ليتدبروا فأدغمت التاء في الدال، والمعنى: ليتدبر من أرسلناك إليهم آيات هذا الكتاب، فيقرر عندهم صحتها وتسكن أنفسهم إلى العلم بها، والمعنى: ليتفكروا فيها، وهو تدبرها وتتبع أدبارها بالفكرة فيها. وقرأ عاصم في بعض الروايات: لتدبروا بالتاء وتخفيف الدال على حذف تاء التفعيل^(٣)، والمعنى: لتتدبر أنت أيها النبي والمسلمون.

قوله: ﴿وَلَيَنْذَكِرَ الْوَلُأْلَاءُ الْبَيْتِ﴾؛ أي وليتعض بها فيه من المواعظ أهل اللب والعقل. قاله ابن عباس^(٤) ومقاتل^(٥).

٣٠. قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ يعني: ولداً، ثم مدح سليمان وأثنى عليه بقوله: ﴿نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ قال ابن عباس: راجع عما يكره الله إلى ما يحب ويرضى^(٦).

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٩/٤.

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكره بعض المفسرين غير منسوب. انظر: القرطبي ١٩٣/١٥، وزاد المسير ١٢٥/٧.

(٣) انظر: القراءات وعلل النحويين فيها ٥٨٤/٢، والحجة ٦٧/٦، والمبسوط في القراءات العشر ٣١٩.

(٤) انظر: تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨٢، ولم أقف عليه عن ابن عباس، وقد أورده الطبري ١٥٣/٢٣ عن السدي، وأورده غيره غير منسوب. انظر: معاني القرآن للنحاس ١٠٧/٦، وبحر العلوم ١٣٥/٣، والقرطبي ١٩٢/١٥.

(٥) تفسير مقاتل ١١٧ أ.

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكر أبو القاسم الزجاجي في اشتقاق أسماء الله ٦٤ هذا القول ولم ينسبه.

٣١-٣٢. قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ إذ متعلق بقوله: أواب، وعرض عليه معناه: أظهر له وأبرز، ذكرنا ذلك عند قوله: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ [الكهف: ١٠٠]^(١). وقوله: ﴿يَالْعِشْيَ﴾ قال ابن عباس: يريد بعد العصر^(٢).

قوله: ﴿الصَّفَفَيْنِ الْخَيَّادُ﴾ يقال: صفن الفرس يصفن صفونا.

قال أبو عبيدة: «الصفان من الخيل الذي يجمع بين يديه ويثني طرف سنبك إحدى رجله»^(٣).

قال أبو عبيد: «الصفان من الخيل الذي قد قلب إحدى حوافره وقام على ثلاث قوائم»^(٤).

وقال الفرّاء: «رأيت العرب تجعل الصفان من القائم على ثلاث وعلى غير ثلاث، وأشعارهم تدل على أن الصفون القيام خاصة»^(٥).

وقال أبو زيد: «الفرس إذا قام على طرف الرابعة، والعرب تقول لجمع الصفان: صوافن وصفون»^(٦)، وفي الحديث: «كان عيسى -عليه السلام- إذا جنّ عليه الليل صفن قدميه قائماً يصلي»^(٧) يريد التراوح.

(١) قال في هذا الموضع: تأويل عرضنا أظهرنا لهم حتى شاهدوها ورأوها.

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكره المؤلف في الوسيط ٣/ ٥٥١ من دون نسبه.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٨٢.

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ٨/ ٣، وانظر: اللسان ١٣/ ٢٤٨.

(٥) معاني القرآن ٢/ ٤٠٥.

(٦) انظر: تهذيب اللغة (صفن) ١٢/ ٢٠٦، واللسان (صفن) ١٣/ ٢٤٨، وكتاب الأفعال (صفن)

٣/ ٤٠٦.

(٧) لم أقف عليه.

وقال المبرّد : «الصفافنات من نعت الخيل ، والصفافن الذي يقوم على ثلاث قوائم ويشني سنبك إحدى يديه ، وهذا هو الأغلب وهو من هيئتها»^(١) . وقالوا : بل كل قائم صافن ، قال الأعشى :

يَزِينُ الْغِنَاءَ إِذَا مَا صَفَنَ^(٢)

وأنشد أبو عبيدة قول عمرو^(٣) :

تَرَكْنَ الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مَقْلَدَةً أَعْنَتْهَا صَفُونَا^(٤)

قال أبو إسحاق : «قال أهل اللغة وأهل التفسير : الصفافن القائم الذي يشني إحدى يديه وإحدى رجله حتى يقف بها على سنبكه وهو طرف الحافر ، فثلاث من قوائمه متصلة بالأرض وقائمة يتصل بالأرض منها طرف حافرها ، وأنشد :

أَلْفُ الصَّفُونِ فَمَا يَزَالُ كَأَنَّهُ مِمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلَاثِ كَسِيرٌ^(٥)

والخيل أكثر ما تقف إذا وقفت صافنه ؛ لأنها تراوح بين قوائمها .

(١) لم أقف عليه عن المبرّد . انظر : تهذيب اللغة (صفن) ٢٠٦/١٢ ، واللسان (صفن) ٢٤٨/١٣ .

(٢) عجز بيت من المتقارب ، للأعشى في ديوانه ٢١ ، ومقاييس اللغة ٣/٣٤٥ ، وبلا نسبة في جهرة اللغة ٧٥٦ ، ورواية البيت في الديوان :

وكل كُمَيْتٍ كجذع الخصب
يرنوا القنأء إذا ما صفن
ومعنى البيت يقول : إن الفرس الكميت هو الأحمر الذي يميل إلى السواد كأنه جذع نخلة كثيرة الحمل ، يقف على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر ، معلقاً عينيه ، يريح فارسه المسنون . عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب التغلبي ، تقدمت ترجمته .

(٣) البيت من الوافر ، لعمر بن كلثوم في ديوانه ٧٢ ، ومجاز القرآن ١/٤٠٤ ، ومقاييس اللغة ٤/١٠٩ ، وجمهرة أشعار العرب ١/٣٩٦ ، وشرح المعلقات : السبع ١٧٢ .

(٤) البيت من الكامل ، وهو بلا نسبة في الأزهية ٨٧ ، وأمالى ابن الحاجب ٢/٦٣٥ ، وشرح شواهد المغني ٢/٧٢٩ ، ولسان العرب ١٣/٢٤٨ . وهذا البيت في صفة فرس .

قال : وقال بعضهم : الصافن القائم ثنى إحدى قوائمه أو لم يثنها^(١) .

وأما الجياد ، قال ابن السكيت : «يقال : فرس جواد من خيل جياد بينة الجودة وال جودة»^(٢) .

وقال المبرّد : «الجياد جمع جواد ، وهو الشديد الحصر كما أن الجواد من الناس السريع البذل العزيز»^(٣) . هذا قول أهل اللغة في تفسير الصافنات الجياد .

وأما المفسرون ؛ فقال مجاهد : صفن الفرس إحدى يديه حتى تكون^(٤) على طرف الحافر ، والجياد السراع^(٥) .

قال الكلبي : الصافنات الخيل إذا صفن قياماً^(٦) .

وقال مقاتل : الصافنات الجياد^(٧) ، نحو ما قال مجاهد . هذا كلامهم . وليس المعنى إنما عرضت عليه وهي قائمة ؛ لأن الخيل إذا عرضت أجريت ، والمعنى : عرض عليه الخيل التي من عاداتها الصفون عند القيام . والصافنات نعت للخيل يطلق عليها وإن كانت تعدو كما قال :

والصافنات حسناً^(٨) وإن قلقت^(٩) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٣٠ .

(٢) إصلاح المنطق ٣٢٩ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) في (أ) : (يكون) .

(٥) تفسير مجاهد ٥٤٩ . انظر : الطبري ٢٣ / ١٥٤ .

(٦) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : مجمع البيان ٨ / ٧٣٩ .

(٧) تفسير مقاتل ١١٧ أ .

(٨) في (ب) : (حساناة) .

(٩) شطر بيت لم أقف على تمامه ولا قائله .

ألا ترى أنه أطلق اسم الصافنات ، ثم قال : وإن قلقنت ؛ أي تحركت في جريها وعدوها ، ويبين ما قاله ، ما روى عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿ الصَّفِينَتُ الْحَيَادُ ﴾ قال ^(١) : يريد الخيل السوابق إذا طَلَبَتْ لِحَقَّتْ ، وإذا طُلِبَتْ لم تُلْحَقْ ، وإذا وقفت صفتت على أطراف حوافر يديها . عرضت عليه حتى ألته واشتغل عن صلاة العصر حتى غابت الشمس ، فذلك قوله : ﴿ فَقَالَ إِنَّي أَحَبُّتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِي ﴾ قال المفسرون : صلى سليمان صلاة الظهر وقعد يعرض عليه الخيل حتى غابت الشمس ولم يصل العصر ، وكان سليمان مهيباً لا يُتَدَيَّ بشيء حتى يأمر به ، فلم يذكر العصر ولم يكن ذلك عن تجبر منه ، فلما ذكرها قال : ﴿ إِنَّي أَحَبُّتُ حُبَّ الْخَيْرِ ﴾ قال ابن عباس : يريد الخيل ويريد المال ^(٢) . ونحو هذا قال مقاتل : يعني الخيل يعني المال ^(٣) .

وقال الكلبي ^(٤) : الخير المال ، والخيل من المال . فشغله الخيل عن الصلاة ، فالخير على قول هؤلاء معناه المال ، ويعني به الخيل وهو مالها ذكره الكلبي . والخير بمعنى المال كثير في التنزيل كقوله : ﴿ إِنْ تَرَكَ حَيْرًا ﴾ [البقرة: ١٨٠] ، وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ ﴾ [العاديات : ٨] .

وقال الفرّاء : العرب تسمي الخيل : الخير ^(٥) .

(١) ذكره المؤلف في الوسيط ٣/ ٥٥١ . انظر : البغوي ٤/ ٦٠ .

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره النحاس في معاني القرآن له ٦/ ١٠٩ عن الفرّاء .

(٣) تفسير مقاتل ١١٧ ب .

(٤) لم أقف عليه عنه . انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨٢ .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٤٠٥ .

قال أبو إسحاق : «الخير^(١) هاهنا الخيل ، والنبي ﷺ سمي زيد الخيل زيد الخير^(٢) ، وإنما سميت الخيل الخير ؛ لأن الخير معقود بنواصيها»^(٣) . وهذا قول قتادة^(٤) . والسدي^(٥) . ولا خلاف بينهم أن المراد بالخير هاهنا الخيل .

وفي قوله : ﴿ أَحَبُّتُ حُبَّ الْخَيْرِ ﴾ وجهان . قال أبو عبيدة : «التقدير أحببت حباً ، ثم أضيف الحب إلى الخير»^(٦) . وعلى هذا أقيم الحب مقام المصدر ، ثم أضيف المصدر إلى المفعول .

وقال الفرّاء : يقول : أثرت حب الخير^(٧) . ونحو هذا قال الزّجاج^(٨) . وشرحه صاحب النظم فقال : أحببت بمنزلة أثرت ؛ لأن الرجل إذا خيّر بين شيئين فقال : قد أحببت هذا كان ذلك دليلاً على إثارة له ، ومن هذا قوله : ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [فصلت : ١٧] ؛ أي آثروه عليه . وقوله : ﴿ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ قال أبو إسحاق : على ذكر الله^(٩) .

(١) في (ب) : (الخيّل) .

(٢) زيد الخير بن مهلهل بن زيد بن منبه الطائي ، وفد على النبي ﷺ سنة ٩ هـ في وفد طيء ، فأسلم وسماه النبي ﷺ زيد الخير ، وهو من المؤلفة قلوبهم قبل إسلامه ، وكان شاعراً محسناً خطيباً شجاعاً ، مات - رضي الله عنه - عند منصرفه من عند النبي ﷺ ، وقيل : بل عاش إلى خلافة عمر رضي الله عنه . انظر : الاستيعاب بهامش الإصابة ١ / ٥٤٣ ، والإصابة : ١ / ٥٥٥ ، وأسد الغابة ٢ / ١٤١ . أما الأثر ، فقد ذكره كل من ترجم لزيد ، وقال عنه ابن حجر في الإصابة : أخرجه ابن عدي في ترجمة بشير وضعفه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٣٠ .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ١٦٣ ، والطبري ٢٣ / ١٥٥ ، والماوردي ٥ / ٩٢ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣ / ١٥٥ ، والماوردي ٥ / ٩٢ .

(٦) مجاز القرآن ٢ / ١٨٢ .

(٧) هكذا جاءت في النسخ ، وفي معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٤٠٥ ، وقال : حب الخيل . ولعله تصحيف من النساخ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٣٠ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٣٠ .

وقال صاحب النظم : العرب تضع عن موضع على . ويعني بالذكر هاهنا صلاة العصر في قول ابن عباس^(١) وعلي^(٢) رضي الله عنهما . وهو قول قتادة^(٣) والسدي^(٤) ومقاتل^(٥) .

قوله : ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ قال ابن عباس : حتى سقطت الشمس من وراء الجبل^(٦) . والمعنى : حتى استترت الشمس بما يحجبها عن الأبصار ، ومنه قول الشاعر :

يا طولَ نومي بالقلبِ فلمْ تكْذُ شمسُ الظهيرةِ تتقي بحجابِ^(٧)
وقال أهل اللغة : حتى توارت يعني الشمس ، ولم يجز للشمس ذكر ، وهو قول أبي عبيدة^(٨) .

قال أبو إسحاق : «ولا أحسبهم أعطوا الفكر حقه ؛ لأن في الآية دليلاً يدل على الشمس ، وهو قوله : ﴿يَالْعَتِي﴾ والعشي بعد زوال الشمس ، فكأنه قيل وعرض عليه بعد زوال الشمس ، وليس يجوز الإضمار إلا أن يجري [ذكرًا أو]^(٩) دليلُ الذكر^(١٠) بمنزلة الذكر^(١١) .

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس .

(٢) انظر : الطبري ١٥٥/٢٣ ، ومجمع البيان ٧٤٠/٨ ، وزاد المسير ١٢٩/٧ .

(٣) انظر : المصادر السابقة .

(٤) انظر : الطبري ١٥٥/٢٣ ، ومجمع البيان ٧٤٠/٨ .

(٥) تفسير مقاتل ١١٧ ب .

(٦) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨٢ ، ولم أقف على هذا القول عن ابن عباس .

(٧) بيت شعر من الكامل ، ولم أقف على قائله ولا من ذكره .

(٨) مجاز القرآن ١٨٢/٢ .

(٩) ما بين المعقوفين غير واضح في النسخ جميعها ، والتصحيح من معاني القرآن وإعرابه ٣٣١/٤ .

(١٠) هكذا في النسخ والصواب : وَذَكَرَ فِي معاني القرآن وإعرابه .

(١١) معاني القرآن وإعرابه ٣٣١/٤ .

٣٣. وقوله تعالى : ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ قال ابن عباس : يريد الخيل ^(١) .

وقال مقاتل : كروها علي ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ قال الكسائي : طفق يطفق بالفتح طَفَقًا وَطَفَقًا وطفوقاً ^(٣) .

وقال أبو عبيدة : طفق يفعل مثل زال يفعل ^(٤) ، وأنشد ^(٥) لعمر بن أبي ربيعة ^(٦) :

طفقت تبكي وأسعدھا وكلانا ظاهرُ الكمدِ
وقال الليث : طَفِقَ بمعنى علق يفعل كذا ، وهو يجمع ظلَّ وبات ، ولغة
ردِيئة طَفَقَ .

(١) لم أقف على من نسبه لابن عباس ، وهذا قول عامة المفسرين . انظر : الطبري ١٥٥ / ٢٣ ، وبحر العلوم ١٣٥ / ٣ ، وزاد المسير ١٣٠ / ٧ .

(٢) تفسير مقاتل ١١٧ ب .

(٣) لم أقف عليه عن الكسائي . انظر : تهذيب اللغة ٢٨٥ / ١٦ ، واللسان (طفق) ٢٢٥ / ١٠ .

(٤) مجاز القرآن ١ / ٢١٢ ، ٢ / ١٨٣ .

(٥) قول المؤلف : أنشد ، لعله يقصد غير أبي عبيدة ، فإنه لم يُنشد هذا البيت في مجاز القرآن له .

(٦) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، واسمه : حذيفة بن المغيرة المخزومي ، أبوه عبد الله ، كان اسمه في الجاهلية يَحْيَى بفتح الياء وكسر الحاء ، فسماه رسول الله ﷺ : عبد الله ، ولد عمر ليلة توفي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فسمي به ، ويكنى أبا الخطاب . كان أرق شعراء عصره ، وهو من طبقة جرير والفرزدق ، غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه ، فمات فيها غرقاً سنة ٩٣ هـ . انظر : شذرات الذهب ١ / ١٠١ ، وخزانة الأدب ٣٢ / ٢ ، وسير أعلام النبلاء ٣٧٩ / ٤ ، والأعلام ٥٢ / ٥ . والبيت من الخفيف .

وقال أبو الهيثم : طفق وعلق وجعل وكاد وكرب يطلبن الفعل المستقبل كقولك : كاد يفعل ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا ﴾ أراد : طفق يمسخ مسحاً^(١) . ونحو هذا قال أبو عبيدة^(٢) .

وقوله : ﴿ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : مسحاً بالسيف ، يريد قطع السوق والأعناق^(٣) .

وقال مقاتل : أخذ يمسخ السيف سوقها وأعناقها يقطعها^(٤) .

وسئل أبو الجوزاء عن هذه الآية فقال : ضرب أعناقها وسوقها^(٥) . ونحو هذا قال السدي^(٦) والكلبي^(٧) .

وقال الحسن : كشف عراقيها وقطع أعناقها ، وقال : لا تشغلني عن عبادة ربي مرة أخرى^(٨) . وقال أبو عبيدة : « مسح يمسخ مسحاً ، والمعنى : يضرب ، يقال : مسح علاوته ؛ أي ضرب عنقه »^(٩) . ونحو هذا قال الفرّاء^(١٠) . والمسح هاهنا القطع .

(١) انظر : تهذيب اللغة ١٦ / ٢٨٥ ، واللسان (طفق) ١٠ / ٢٢٥ .

(٢) مجاز القرآن ١ / ٢١٢ ، ٢ / ١٨٣ .

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس من رواية عطاء ، وقد ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ١٣١ عن ابن السائب .

(٤) تفسير مقاتل ١١٧ ب .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : الطبري ٢٣ / ١٥٦ ، وزاد المسير ٧ / ١٣١ .

(٧) انظر : زاد المسير ٧ / ١٣١ .

(٨) انظر : الطبري ٢٣ / ١٥٦ ، والماوردي ٥ / ٩٣ ، وزاد المسير ٧ / ١٣١ .

(٩) مجاز القرآن ٢ / ١٨٣ .

(١٠) معاني القرآن ٢ / ٤٠٥ .

وسئل أحمد بن يحيى عن هذه الآية ، وقيل له : قال قطرب يمسحها ينزل عليها ، فأنكره وقال : « ليس بشيء . قيل له : فأين هو عندك ؟ فقال : قال الفرّاء وغيره : يضرب سوقها وأعناقها ؛ لأنها كانت سبب ذنبه »^(١) .

قال المفسرون^(٢) : « أقبل ينحرفها تقرباً إلى الله وطلباً لرضاه ؛ حيث اشتغل بها عن طاعته ، وكان ذلك قرباناً منه ومباحاً له كما أبيح لنا ذبح بهيمة الأنعام .

قال أبو إسحاق : « ولم يكن سليمان - عليه السلام - ليضرب أعناقها وسوقها إلا وقد أباح الله له ذلك ؛ لأنه لا يجعل التوبة بذنب عظيم ، وجائز أن يباح ذلك لسليمان في وقته ، ويحظر في هذا الوقت »^(٣) هذا كلامه . وذكر أقوالاً في هذه الآية سوى ما ذكرنا ، وهي فاسدة فلا نردها^(٤) . والباء في بالسوق للإلصاق كما هي في قوله : ﴿ وَأَمْسَحُوا رِءُوسَكُمْ ﴾ [المائدة: ٦] .

وروي عن ابن كثير في بعض الروايات بالسوق مهموزة^(٥) .

وقال أبو علي : « يقال : سوق وساقعة مثل لابه ولوب وفاره وفور^(٦) وبدنه وبدن وخشبه وخشب » ، وأما الهمز في السوق فيشبه أن يكون وجه الإشكال فيه أن للساقين جمعين ، فقد جاز في كل واحد منهما الهمز جوازاً حسناً وهو أسوق وسؤوق ، فظن أن الهمز لما جاز في كل واحد من جمع الكلمة ظن أنها من أصلها ، وإنما جاز ذلك في هذين الجمعين ؛ لأن الواو إذا كانت مضمومة جاز فيها الهمز ،

(١) انظر : تهذيب اللغة (مسح) ٤ / ٣٥٠ ، واللسان (مسح) ٢ / ٥٩٥ .

(٢) انظر : الطبري ٢٣ / ١٥٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦ / ١١٢ ، وبحر العلوم ٣ / ١٣٥ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ٢٦٠ أ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٣١ .

(٤) هكذا جاءت النسخ ، ولعل الأصوب : (نوردها) .

(٥) انظر : الحجة ٦ / ٦٨ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢ / ٥٨٤ .

(٦) هكذا جاءت في النسخ ، وفي الحجة : لأبي علي : وقارة وقور .

والسوق واوها غير مضمومة فلا يحسن همزها ، غير أن الهمز وجيه في القياس والسمع ، وأما السماع فإن أبا الحسن ^(١) ذكر أن أبا حية ^(٢) النميري يهمز الواو التي قبلها ضمة ، وينشد :

لَحَبَّ الْمُؤَقْدَانِ إِلَى مُؤَسِّي ^(٣)

فعلى هذا يجوز همز سؤق ، ووجه القياس أنه لما لم يكن بين الواو وبين الضمة حائل صارت الضمة كأنها على الواو ، فهمزها كما يهمزها إذا تحركت بالضم ، ومثل هذا قولهم : مقلات ، لما لم يكن بين الكسرة والقاف حاجز صارت الكسرة كأنها في القاف ، فجازت إمالة الألف من مقلات كما جاز إمالتها في ضعاف ومعاف ، فأما ساق فلا وجه لهمزه ^(٤) .

٣٤-٣٥ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾ ؛ أي ابتليناه واختبرناه بسلب ملكة .
﴿ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ أكثر المفسرين أن المراد بالجسد هاهنا شيطان قعد ^(٥) على كرسيه يحكم في ملكه .

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير في قوله : ﴿ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ قال : هو الشيطان الذي على كرسيه يقضي بين الناس أربعين يوماً ، وكانت

(١) يقصد به الأخفش ، فقد صرح أبو علي به . انظر : الحجة ١ / ٢٣٩ .

(٢) هو : أبو حية الهيثم بن الربيع بن زرارة من بني نمير بن عامر .

(٣) صدر بيت لجرير وعجزه :

وجعدة إذ أضاءهما الوقود

وهو من الوافر لجرير في ديوانه ٢٨٨ ، والأشباه والنظائر ١٢ / ٢ ، والخصائص ١٧٥ / ٢ ، ١٤٦ / ٣ ، ١٤٩ ، ٣١٩ ، وشرح شواهد المغني ٩٦٢ / ٢ ، والمحتسب ٤٧ / ١ .

وجعدة ابنته وموسى ابنه ، يمدح ولديه بالكرم والاشتهار به .

والشاهد فيه : همز الواو في المؤقدين ومؤسى ؛ لأنه قدّر ضمة الميم على الواو .

(٤) الحجة ٦ / ٦٨ ، ٦٩ .

(٥) في (ب) : (فقد) .

لسليمان جارية يقال لها جرادة ، وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة ، فقضى بينهم سليمان بالحق إلا أنه ودَّ أن الحق لأهلها ، فأوحى إليه أنه سيصيبك بلاء فكان لا يدري ما يأتيه من السماء أم من الأرض^(١) . وعلى هذا كان سبب امتحانه ميله بقلبه إلى أهل الجارية .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ جَدًّا ﴾ قال : شيطاناً يقال له : آصف ، قال له سليمان : كيف تفتنون^(٢) الناس ؟ قال : أرني خاتمك فلما أعطاه إياه نبذه في البحر ، فذهب ملكه ، وقعد آصف على كرسيه ، ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن ، وكان سليمان يستطعم ، فيقول : أتعرفونني ؟ أطعموني ، فيكذبوه حتى أعطته امرأته يوماً حوتاً ، فشق بطنه فوجد خاتمته في بطنه ، فرجع إليه ملكه ودخل آصف البحر فاراً^(٣) .

وأكثر المفسرين على أن سليمان تزوج امرأة من بنات الملوك ، فعبدت الصنم في داره ولم يعلم سليمان بذلك ، فامتحن بشؤم ذلك الشيطان يقال له صخر^(٤) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾ يريد بصخر الشيطان الذي لم يكن سجن له ، وكان شيطاناً مارداً عظيماً لا يقوى عليه جميع الشياطين ، فلم يزل يحتال حتى أخذ خاتمته ، وكان نبي الله سليمان لا يدخل الكنيف بخاتمته ، فجاء صخر بصورة سليمان حتى أخذ الخاتم من امرأة من نساء سليمان ، فأقام أربعين يوماً على ملك سليمان وسليمان هارب حتى ردَّ الله عليه خاتمته^(٥)

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٦١ ب ، وزاد المسير ٧ / ١٣٣ .

(٢) في (ب) : (تفتنون) .

(٣) تفسير مجاهد ٥٥٠ . انظر : الثعلبي ٣ / ٢٦١ ب ، وزاد المسير ٧ / ١٣٥ .

(٤) انظر : الثعلبي ٣ / ٢٦١ أ ، وزاد المسير ٧ / ١٣٣ ، والبغوي ٤ / ٦١ .

(٥) انظر : المصادر السابقة .

وملكه^(١)، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾. قال مقاتل: ثم رجع بعد أربعين يوماً إلى ملكه وسلطانه، فلما رجع قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ قال مقاتل: يعني لا يكون^(٢). وهو قول أبي عبيدة وابن كيسان^(٣).

وأنشد لابن أحرر:

في رأسٍ خلفاء من عنقاء مُشرِفةً لا يُبتغى دونها سهلٌ ولا جبل^(٤)
أي لا يكون. وعلى هذا لم يكن لأحد بعده من الملك ما كان له، ويدل على هذا قوله: ﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾، ولم تسخر لأحد من بعده ولا ملكها سواه.
٣٦. قوله تعالى: ﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾، قال الليث: الرخاء الريح السريعة لا تزعزع شيئاً^(٥).

(١) ما ذكره المؤلف - رحمه الله - هنا من ابتلاء سليمان وكيفية ذلك الابتلاء وسببه، كله من الأخبار الإسرائيلية التي لا ينبغي أن تتلقى القبول، ولا أن يعول عليها ما لم يرد دليل قاطع من كتاب الله أو من صحيح سنة رسول الله ﷺ، ولم يرد فيها شيء من ذلك، إلا إخبار الله - عز وجل - أنه ابتلى سليمان - عليه السلام - لكن بماذا ابتلاه؟ وقيل ذلك: ما سبب ابتلاءه له؟ كل ذلك لم يرد فيه دليل صحيح صريح قاطع. يقول الشنقيطي - رحمه الله - في أضواء البيان ٨٥ / ٤ بعد أن ذكر فتنة سليمان وسببها وكيف عاد له حكمه يقول: لا يخفى أنه باطل لا أصل له، وأنه لا يليق بمقام النبوة، فهو من الإسرائيليات التي لا يخفى أنها باطلة.

(٢) تفسير مقاتل ١١٧ ب.

(٣) مجاز القرآن ١٨٣ / ٢. انظر: قول ابن كيسان في البغوي ٦٤ / ٤، وأورده مع بيت ابن أحرر الطبري ١٥٩ / ٢٣، ونسبه لبعض أهل العربية.

(٤) البيت من البسيط، وهو لابن أحرر في ديوانه ١٣٤، ولسان العرب ٢٧٧ / ١٠، وجمهرة اللغة ٦١٨، ومجاز القرآن ١٨٣، ٧٢ / ٢.

والخلفاء: الملوك، والعنقاء: الطويل، قال أبو عبيدة: أي لا يكون سهل ولا جبل مثلها، مجاز القرآن ٧٢ / ٢.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (رخو) ٥٤١ / ٧، واللسان (رخا) ٣١٥ / ١٤.

وقال أبو عبيدة : رخاء أي رخوة لينة ، وهي من الرخاوة^(١) .

وقال سعيد بن جبير : الرخاء اللينة تمر بالسنبلة فلا تصرعها من لينها ، وهي تسير سير الشديد .

وقال الحسن : ليس بالعاصف الشديد ولا بالهينة اللينة ، رخاء بين ذلك^(٢) .

وقال مجاهد : رخاء طيبة^(٣) . وقال الكلبي : مطيعة^(٤) .

وقوله : ﴿ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ قال ابن عباس^(٥) : يريد حيث أراد . وهو قول الكلبي^(٦) ، ومجاهد^(٧) ، وهو قول جميع أهل اللغة : الفراء^(٨) وأبي عبيدة^(٩) والمبرد^(١٠) وابن قتيبة^(١١) قالوا : حيث أراد من النواحي .

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٨٣ .

(٢) انظر : الطبري ٢٣ / ١٦٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦ / ١١٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٧ / ١٨٩ ، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن .

(٣) تفسير مجاهد ٥٥١ . انظر : الطبري ٢٣ / ١٦٠ .

(٤) لم أقف عليه عن الكلبي ، وهذا القول رواية عن ابن عباس .

انظر : الطبري ٢٣ / ١٦١ ، وزاد المسير ٧ / ١٤٠ ، والبحر المحيط ٧ / ٣٨٢ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣ / ١٦١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦ / ١١٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٧ / ١٨٩ ، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) تفسير مجاهد ٥٥١ ، وانظر : الطبري ٢٣ / ١٦٠ ، والماوردي ٥ / ٩٩ .

(٨) معاني القرآن ٢ / ٤٠٥ .

(٩) مجاز القرآن ٢ / ١٨٣ .

(١٠) لم أقف على قوله .

(١١) غريب القرآن ٣٧٩ .

قال أبو إسحاق : «إجماع أهل اللغة والمفسرين حيث أرادوا حقيقته ؛ حيث قصدوا كذلك قوله في المجيب في المسألة : أصبت ؛ أي قصدت لم تخطئ»^(١) .

قال الأصمعي : «العرب تقول : أصاب فلان الصواب وأخطأ الجواب ، المعنى : أنه قصد الصواب وأراده فأخطأ مراده ولم يتعمد الخطأ»^(٢) .

ويحكى أن رجلين قصدا رؤية بن العجاج ليسألاه عن قوله : ﴿ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ فلما رآهما رؤية قال : أين أصبتما ؟ فعلمنا ما أشكل عليهما من معنى الإصابة ؛ لأنه أراد أين قصدتما وأردتما .

٣٧-٣٨ . قوله تعالى : ﴿ وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ ﴾ نسق على الريح . قال الكلبي : وسخرت له الشياطين الذي فعل به ما فعل^(٣) . وقال مقاتل : «وسخرنا له الشياطين كل بناء وغواص»^(٤) .

قال أبو إسحاق : «كل بدل من الشياطين ، المعنى : وسخرنا له كل بناء من الشياطين يبنون له ما يشاء من محاريب وتماثيل»^(٥) .

قوله : ﴿ وَغَوَّاصٍ ﴾ قال ابن عباس : كانوا يبنون القصور ويغوصون في البحار ، يستخرجون له الدرر^(٦) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٣٣ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (صاب) ١٢ / ٢٥٣ ، واللسان (صاب) ١ / ٥٣٥ .

(٣) هكذا جاءت العبارة في الأصل ، والكلام لا يستقيم ، فلعل الصواب : وسخر له الشيطان الذي فعل ما فعل ، أو وسخرت له الشياطين الذين فعلوا ما فعلوا . ولم أقف على هذا القول .

(٤) تفسير مقاتل ١١٩ أ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٣٣ .

(٦) لم أقف عليه منسوباً له رضي الله عنه . انظر : الوسيط ٣ / ٥٥٦ ، والبغوي ٤ / ٦٥ ، وفقد ذكرنا هذا القول من دون نسبة .

وقال مقاتل : كان سليمان أول من استخرج اللؤلؤ من البحر^(١) . وهذا كقوله : ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ [الأنبياء : ٨٢] الآية . وقد مر . قوله : ﴿وَأَخْرَيْنَ﴾ وسخرنا له آخرين يعني : مردة الشياطين سخروا له حتى قرنهم في الأصفاد . وقوله : ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ يقال : قرنهم في الحبال شدد للكثرة ، والأصفاد الأغلال ، واحدها صغد . قاله أبو عبيدة^(٢) والمبرد^(٣) : والصفد العطية أيضاً ، ومنه قول النابغة :

ولم أُعرِّض أبيت اللعن بالصفد^(٤)

وقال أبو إسحاق : «الأصفاد هي السلاسل من الحديد ، وكل ما شدته شداً وثيقاً بالحديث وغيره فقد صفدته ، وكل من أعطيته عطاءً جزلاً فقد أصفدته كأنك أعطيته ما ترتبط ؛ كما تقول للمنحل^(٥) مالا أصلاً يبقى عليه قد اتخذت عقدة جيّدة»^(٦) .

الأزهري : «قال أبو عبيدة والكسائي : صَفَدْتُ الرجل فهو مصفود ، وصفَدُّهُ فهو مصفَدٌ ، والمصدر الصفد والتصفيد ، ويقال للشيء الذي يوثق به

(١) تفسير مقاتل ١١٩ أ .

(٢) مجاز القرآن ٢ / ١٨٣ .

(٣) الكامل ٣ / ٢٠ .

(٤) عجز بيت من البسيط ، وصدره :

هذا الثناء فإن تسمع به حسناً

وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ٢٧ ، وتهذيب اللغة (صفد) ١٢ / ١٤٨ ، واللسان (صفد) ٣ / ٢٥٦ ، وجمهرة اللغة ٦٥٦ .

(٥) هكذا في النسخ ، ولعله تصحيف من النساخ إذ الصواب : للمُتَّخِذ ، كما عند أبي إسحاق في معانيه ٣٣٣ / ٤ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٣ / ٤ .

الإنسان صَفَادٌ يكون من نِسْع^(١) أوقدّ وكذلك الصفد ، فأما أصفدته بالألف إصفاداً فهو أن يعطيه ويصله ، والاسم منه : الصفد^(٢) .

قال ابن عباس : يريد مقرنين في الحديد يحبسون^(٣) عن الناس^(٤) .

قال مقاتل : وآخرين من مردة الشياطين موثقين في الحديد^(٥) .

وقوله : ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ يجوز أن يراد به بعضهم قنونا ببعض في السلاسل والأغلال ، ويجوز أن يكونوا أفراداً وقد قرنت يد كل واحد إلى عنقه ، وهذا معنى قول السدي^(٦) .

٣٩ . قوله تعالى : ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾ ؛ أي قلنا له هذا الملك يعني : ما سأل من قوله : هب لي ملكاً فاستجاب الله له ووهب له ما وصف ، ثم قال له : هذا الذي سألت عطاؤنا أعطيناكه . ﴿فَامْنُنْ﴾ معنى المن هاهنا العطاء والإحسان إلى من لا يستثبه ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [المذثر: ٦] ؛ أي لا تعط لتأخذ من المكافأة أكثر مما أعطيت^(٧) . وذكر في معنى هذه الآية قولان ، قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد أعط من شئت وأمسك عمن شئت^(٨) .

(١) النسع : سَيْرٌ يضفر على هيئة أعنة البغال يشدد به الرحال . التهذيب (نسع) ١٠٥ / ٢ . والقُد : سَيْرٌ

يقد من جلد غير مدبوغ ، التهذيب (قد) ٢٦٨ / ٨ .

(٢) تهذيب اللغة (صفد) ١٤٨ / ١٢ .

(٣) في (ب) : محبسون .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) تفسير مقاتل ١١٩ أ .

(٦) انظر : الطبري ١٦٢ / ٢٣ ، والماوردي ٩٩ / ٥ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (منن) ٤٧٠ / ١٥ ، واللسان (منن) ٤١٨ / ١٣ .

(٨) ذكره المؤلف في الوسيط ٥٥٦ / ٣ . انظر : زاد المسير ١٤١ / ٧ .

﴿يَغَيِّرْ حِسَابِ﴾ يريد ليس عليك جناح في ما أعطيت وفي ما أمسكت ، وهذا قول عكرمة^(١) والحسن .

قال الحسن^(٢) : ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه تبعة إلا سليمان فإن الله قال^(٣) : ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾ .

القول الثاني : أن هذا في أمر الشياطين . قال مقاتل : «فامنن على من شئت من الشياطين ، فحل عنه أو احبس في العمل والوثاق من شئت منهم بغير حساب يعني : بلا تبعة عليك في الآخرة في من تمنن عليه فترسله ، وفي من تحبسه عن العمل»^(٤) وهذا قول قتادة^(٥) . والأول اختيار الفراء^(٦) .

وذكر أبو إسحاق القولين جميعاً ، فقال : «هذا عطاؤنا ؛ أي هؤلاء الشياطين المُسَخَّرُونَ عطاؤنا ، فأطلق من شئت منهم أو احبس من شئت بلا حساب عليك في حبسه ، وجائز أن يكون عطاؤنا ما أعطيناك من المال والملك ، فامنن ؛ أي فأعط وأمسك بغير حساب ؛ أي بغير جزاء»^(٧) . يعني أعطيناكه تفضلاً لا مجازاة .

٤٠ . وقال مقاتل^(٨) : ثم أخبر بمنزلة سليمان في الآخرة ، فقال : ﴿وَلَنَّا لَهُ عِنْدَنَا لَزْلِفَى وَحُسْنِ مَثَابٍ﴾ .

(١) انظر : الطبري ٢٣/١٦٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/١١٧ .

(٢) انظر : معاني القرآن للنحاس ٦/١١٧ ، والبحر المحيط ٧/٣٨٢ ، وزاد المسير ٧/١٤١ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٣/٢٦٢ ، والبغوي ٤/٦٥ . وأورده المؤلف في الوسيط ٣/٥٥٦ .

(٤) تفسير مقاتل ١١٩ أ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/١٦٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/١١٧ .

(٦) معاني القرآن ٢/٤٠٥ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٣٤ .

(٨) تفسير مقاتل ١١٩ أ .

٤١. قوله تعالى : ﴿ أَفَنَى مَسْنَى الشَّيْطَانُ يُصْبِ وَعَذَابٍ ﴾ قال الفراء : «ال نصب واحد بمنزلة الحزن والحزن والعُدم والعَدَمِ ، وذكروا أنه المرض وما أصابه من العناء فيه»^(١) .

وقال الزَّجَّاج : «يقال نصبت نصباً ونُصباً ، ومعنى بنصب : بضر في بدني»^(٢) .
وقال الليث^(٣) وأبو عبيدة : «النصب الداء والشر والبلاء ، وأنشد أبو عبيدة :

تَغْنَاكَ نُصْبٌ مِنْ أُمَيْمَةٍ مُنْصِبُ^(٤)

تقول العرب : أنصبني ؛ أي برَّح بي وعذبني وبعضهم يقول : نصبني ، ومنه :

كليني لهم يا أميمة ناصب^(٥)

وقال المبرِّد : «النصب : المكروه الشديد ، قال : ومعنى هم ناصب فيه نصب كقولهم : عيشة راضية ؛ أي فيها رضى»^(٦) .

(١) معاني القرآن ٢/ ٤٠٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٣٤ .

(٣) انظر : قول الليث في تهذيب اللغة (نصب) : / ٢٠١ ، واللسان (نصب) ١/ ٧٥٨ .

(٤) صدر بيت وعجزه :

كذي الشوق لما يسله وسيذهب

وهو من الطويل ، وهو لبشر بن أبي خازم في ديوانه ٧ ، ومجاز القرآن ٢/ ١٨٤ ، والطبري ٢٣/ ١٦٥ .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ١٨٤ . وهذا صدر بيت من الطويل ، وعجزه :

وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وهو للناطقة الذبياني في ديوانه ٤٠ ، والأزهية ٢٣٧ ، وخزانة الأدب ٢/ ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٧٣ ،

٣٩٢/ ٥ ، ٧٤/ ١١ ، ٢٢ ، والكتاب ٢/ ٢٠٧ ، ٣٨٣ ، ومجاز القرآن ٢/ ١٨٤ ، ولسان

العرب (نصب) ١/ ٧٥٨ .

(٦) لم أقف على قول المبرِّد . انظر : اللسان (نصب) ١/ ٧٥٨ .

قال ابن عباس : يريد إما ابتلاه الله به سلط عليه الشيطان^(١) .

وقال الكلبي : النصب الأمراض ﴿وَالْعَذَابَ﴾ هلاك المال . قال : وكان أيوب يغزو فداهن ملكاً من الملوك كافراً كانت مواشيه في ناحية ذلك الملك فلم يغزه فابتلي^(٢) .

وقال مقاتل : يقول أصابني الشيطان بمشقة في جسدي وعذاب في مالي^(٣) .
وقال السدي : النصب في الجسد ، والعذاب أهلك المال^(٤) .

قال قتادة : بضرٍ في الجسم وعذاب في المال^(٥) .

٤٢ . وقوله : ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ ذكرنا معنى الركض في ما تقدم^(٦) .

قال أبو عبيدة : «الركض الرفع برجلك ، وهو حركة الرجل يقول : ركض الدابة وركض ثوبه برجله»^(٧) .

وقال ابن قتيبة : «أي اضرب الأرض برجلك ، ومنه ركض الفرس»^(٨) .

(١) ذكره المؤلف في الوسيط ٥٥٧/٣ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٢٦٢/٣ ، وجاءت العبارة في تفسير الثعلبي هكذا : إن أيوب كان يغزو ملكاً من الملوك كافراً ، وكانت مواشي أيوب في ناحيته ، فداهنه ولم يغزه .

(٣) تفسير مقاتل ١١٩ أ .

(٤) انظر : الطبري ١٦٦/٢٣ ، والماوردي ١٠١/٥ ، والبحر المحيط ٣٨٤/٧ .

(٥) انظر : الطبري ١٦٦/٢٣ ، وتفسير عبدالرزاق ١٦٧/٢ .

(٦) لعله عند تفسير قوله تعالى : ﴿لَا تَرْكُضُوا وَآرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتْلُونَ﴾ الآية ١٣ من سورة الأنبياء . قال : يفرون وينهزمون ويهربون من العذاب هذا قول المفسرين . وأصل معنى الركض في اللغة : ضرب الرجل كلي الدابة برجليه ، يقال : ركض الفرس إذا كرهه بساقيه ، فلما كثر هذا على ألسنتهم استعمالوه في الدواب فقالوا : هي تركض .

(٧) مجاز القرآن ١٨٥/٢ .

(٨) تفسير غريب القرآن ٣٨٠ .

قال أبو إسحاق : « المعنى قلنا له اركض برجلك »^(١) .

قال ابن عباس : يريد اضرب الأرض برجلك^(٢) .

وقال مقاتل : ادفع الأرض برجلك^(٣) .

وقوله : ﴿ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ ﴾ المعنى : فركض فقلنا هذا مغتسل ؛ لأنه نبتت بركضته عين ماء . قال أبو عبيدة : «المغتسل هو ما اغتسلت به من الماء ، وشراب ؛ أي يشرب منه»^(٤) .

وقال ابن قتيبة : «المغتسل الماء ، وهو الغسول أيضاً»^(٥) . وظاهر اللفظ يدل على أنه نبتت له عين واحدة من الماء يغتسل فيه ويشرب منه . والمفسرون على أنه نبتت له عينان .

قال مقاتل : «انفجرت عين من تحت قدميه فاغتسل فيها ، فخرج منها صحيحاً ، ثم مشى أربعين خطوة فدفع الأرض برجله فنبتت عين أخرى ماء عذبا بارداً ، فذلك قوله : ﴿ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ يعني : الذي اغتسل فيه ، وشراب أراد الذي شرب منه»^(٦) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٣٤ .

(٢) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨٣ . انظر : الوسيط ٣ / ٥٥٧ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٩ ب .

(٤) مجاز القرآن ٢ / ١٨٥ .

(٥) تفسير غريب القرآن ٣٨٠ .

(٦) تفسير مقاتل ١١٩ ب .

وقال الحسن : «ركض ركضة خفيفة فإذا عين تنبع حتى غمرته ، فرد الله عليه جسده ، فركض ركضة أخرى فإذا عين أخرى فشرب منها ، فطهرت جوفه ، وغسلت كل قذر كان فيه»^(١) .

قال مجاهد^(٢) : فضرب برجله اليمنى فنبعت عين ثم ضرب برجله اليسرى فنبعت عين ، ثم شرب من أحدهما واغتسل من الأخرى ، ونحو هذا قال عطاء عن ابن عباس^(٣) .

٤٣ . وقوله تعالى : ﴿وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ مفسر في سورة الأنبياء^(٤) .

٤٤ . وقوله تعالى : ﴿وَحُذِّبِيكَ ضِعْفًا﴾ قال أبو عبيدة : «هو ملء الكف من الشجر والحشيش والشماريح وما أشبه ذلك»^(٥) . وتفسيره قد مر عند قوله : ﴿أَصْغَتْ أَحْلَامُ﴾ [يوسف : ٤٤] ، [الأنبياء : ٥] . واختلف المفسرون في الضغث المذكور هاهنا . فقال الكلبي : قبضة من سنبل فيها مائة سنبل^(٦) .

(١) انظر : الطبري ١٦٧/٢٣ ، وزاد المسير ١٤٣/٧ ، وأورده السيوطي في الدر ١٩٤/٧ ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن الحسن .

(٢) لم أقف عليه عن مجاهد ، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٤٥/١٠ عن ابن عباس في أثر طويل .

(٣) أورده المؤلف في الوسيط ٥٥٧/٣ .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَعَشِفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا وَزَكَرْنَاهُ لِلْعَالَمِينَ﴾ آية ٨٤ . قال : إن الله رد إليه أهله ومثلهم معهم . ثم ذكر أقوالاً كثيرة بعضهم يقول : إن الله أحياهم بعدما هلكوا ، وبعضهم يقول : إن امرأته ولدت له عددهم وكانوا سبعة بنين وسبع بنات .

(٥) مجاز القرآن ١٨٥/٢ .

(٦) لم أقف عليه عن الكلبي ، وهو في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨٤ .

وقال مقاتل : كان حلف ليجلدن امرأته مائة جلدة ، فأخذ عيداناً رطبة وهي الأسل عدد ما حلف عليه^(١) . وهو قول مجاهد : ضغثاً قال : الأسل^(٢) .

وقال المسيب^(٣) : أخذ ضغثاً من ثمام^(٤) وهو مائة عود ، فضرب به كما أمره الله وقال السدي : عيدان رطبة^(٥) .

وقال قتادة^(٦) : أخذ عوداً فيه تسعة وتسعون عوداً ، والأصل تمام المائة فضرب به امرأته وكانت تحلة ليمينه وتخفيفاً لامرأته ، وكان الشيطان أرادها على بعض الأمر فقالت ذلك لزوجها ، فحلف حينئذ أن يضربها فضربها تلك الضربة . قال المفسرون : قالت له لو تقربت إلى الشيطان فذبحت له عناقاً ، فحلف إن عوفي ليضربها^(٧) .

وقال عطاء : ضرب أيوب بكباشة فيها مائة شمراخ^(٨) .

قال عبد الملك بن أبي سليمان : قلت لعطاء : يعمل بهذا اليوم ؟ قال : ما أنزل القرآن إلا ليعمل به ويتبع ، قال : وهي للناس عامة^(٩) .

-
- (١) تفسير مقاتل ١١٩ ب . وفي تفسير مقاتل : الأثل ، بدل الأسل .
 - (٢) انظر : الطبري ١٦٩ / ٢٣ ، والماوردي ١٠٣ / ٥ ، وهي في المراجع : الأثل ، والأسل : هو شجر أو هو كل شجر شوك طويل فشوكه أسل .
 - (٣) سعيد بن المسيب . انظر : قوله في : الماوردي ١٠٣ / ٥ ، وأورده السيوطي في الدر ١٩٥ / ٧ ، ونسبه لابن المنذر عن سعيد بن المسيب .
 - (٤) الثمام ، قال في اللسان (ثمم) : / ٧٩ هو : نبت معروف في البادية ، لا تجهده النعم إلا في الجدوبة . اهـ . ويعني بالجدوبة ؛ أي السنة المجدية قليلة المطر أو عديمته .
 - (٥) لم أقف عليه عن السدي ، وقد ذكره الطبري ١٦٨ / ٢٣ عن عطاء .
 - (٦) انظر : الطبري ١٦٩ / ٢٣ ، وتفسير عبدالرزاق ١٦٧ / ٢ .
 - (٧) ذكر هذا القول الطبري : في تفسيره ١٦٩ / ٢٣ عن قتادة ، والماوردي ١٠٣ / ٥ عن يحيى بن سلام .
 - (٨) لم أقف عليه عن عطاء ، وذكر الطبري : في تفسيره ١٦٩ / ٢٣ قريباً من هذا القول ونسبه لقتادة والضحاك وابن زيد .
 - (٩) لم أقف عليه .

وقال مجاهد : هي لأيوب خاصة^(١) .

قال أصحابنا : إذا حلف الرجل ليضربن مائة ضربة أو جلدة ، ولم يقل : ضرباً شديداً ، ولا نوى ذلك بقلبه فقد قال الشافعي : يكفيه مثل هذا الضرب ، واحتج بهذه الآية^(٢) .

قوله : ﴿وَلَا تَحْنَتْ﴾ يقال : حنث في يمينه حنث يحنث حنثاً إذا لم يبررها^(٣) . وفي الحديث : «الحلف الحنث أو مندمة»^(٤) .

قال مقاتل : يعني ولا تذنّب في يمينك^(٥) . والظاهر أن قوله : ﴿وَلَا تَحْنَتْ﴾ نهى عن الحنث في اليمين ، وفيه دليل على أن الأولى بالحلف أن يبر يمينه مادام يجد سبيلاً إلى البر في يمينه إذا لم يكن ضرورة ولا مائثم . وذكر قوم أن هذا ليس بنهي ؛ لأن أيوب ما كان يقصد الحنث حتى ينهي عنه ، ولعله كان يضربها مائة ضربة بالخشب لولا أن الله أمره أن يضرب بالضغث ، وذلك أنه - عز وجل - شكر له خدمتها إياه فخفف عنها ، فلا يحتمل هذا أن يكون نهياً ، ولكن الواو في : ولا تحنث زائدة مقحمة على مذهب الكوفيين^(٦) في إجازة ذلك على تأويل : فاضرب به ولا تحنث حرصاً على جواب الأمر ، وقيل : معنى ولا تحنث : ولا تكفر بيمينك فإنك قد بررت ، فوضع قوله : ولا تحنث ، موضع ولا تكفر ؛ لأن

(١) الماوردي ١٠٤/٥ ، وزاد المسير ١٤٥/٧ .

(٢) الأم ٧٣/٧ ، وأحكام القرآن ١١٧/٢ ، وتفسير الإمام الشافعي ١٧٩ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٤/٤٨٠ ، واللسان ٢/١٣٨ .

(٤) هذا حديث يرويه ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : «الحلف حنث أو ندم» . أخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب الأيمان والنذور ، باب الحلف حنث أو ندم ٣٠٣/٤ وقال : هذا الكلام صحيح من قول ابن عمر ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن ماجه في الكفارات ، باب اليمين حنث أو ندم ٣٨٩/١ رقم ٢١١٤ .

(٥) تفسير مقاتل ١١٩ ب .

(٦) وقد مرّ الكلام معنا بأنه لا زائد في القرآن ، وأن القول بالزيادة خطأ .

من حنث وجب عليه أن يكفر ، فلما أمره أن يضرب بالضغث أعلمه أن لا يكون حائثاً ولا يجب عليه الكفارة ، فجمعهما جميعاً بقوله : ولا تحنث ، وجزمه يدل على أن معناه : ولا تكفر ، وتأليفه يدل على أنه أعلمه أنه لا حنث عليه ، فقد اشتركا جميعاً في هذا اللفظ . ذكر ذلك صاحب النظم .

قال مقاتل^(١) : ثم أثنى الله على أيوب ، فقال : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ ﴾ ؛ أي على البلاء . ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ قال ابن عباس : يريد الراجع إلى محبة الله والمقيم على طاعته^(٢) .

٤٥ . قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ ﴾ وقرأ ابن كثير : عبدنا ، على الواحد وهو قراءة ابن عباس ، ويقول : إنما ذكر إبراهيم ثم ولده بعده . وقرأ الآخرون : عبادنا جماعة ؛ لأن غير إبراهيم من الأنبياء قد أجرى^(٣) هذا الوصف ، فجاء في عيسى : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ [الزخرف : ٥٩] ، (سليمان) : ﴿ نَعْمَ الْعَبْدُ ﴾ [ص : ٣٠] ، وفي نوح : ﴿ إِنَّهُ كَانَتْ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء : ٣] . فمن قرأ : عبادنا ، جعل بدلاً من العبادة ، ومن قرأ : عبدنا ، جعل إبراهيم بدلاً وما بعده معطوفاً على المفعول به . ووجهه أفراد العبيد أنه اختصه بالإضافة على وجه التكرمة له والاختصاص بالمنزلة الرفيعة كما قيل : بيت الله وناقة الله^(٤) .

(١) تفسير مقاتل ١١٩ ب .

(٢) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨٣ فقد ذكر نحو هذا القول .

(٣) في الكلام هنا سقط في الأصل تقديره : (أجرى عليه) ، وهو هكذا في الحجة .

(٤) انظر : القراءات وعلل النحويين فيها ٥٨٧ / ٢ ، والحجة ٧٦ / ٦ ، ٧٧ ، إعراب القرآن للنحاس ٤٦٦ / ٣ .

قال مقاتل : «واذكر يا محمد صبر عبدنا إبراهيم حين ألقي في النار ، وصبر إسحاق للذبح ، وصبر يعقوب حين ذهب بصره ، ولم يذكر إسماعيل ؛ لأنه لم يتلى بشيء»^(١) .

قوله تعالى : ﴿أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ﴾ قال ابن عباس : يريد أولى القوة في طاعة الله والإبصار في المعرفة بالله^(٢) .

وقال الكلبي : ذوي القوة في العبادة والبصيرة فيها^(٣) .

وقال مجاهد : الأيدي القوة في طاعة الله والانقياد في الحق ، ومنه أيضاً الأبصار العقول في كتاب الله^(٤) .

وقال سعيد : الأيدي القوة في العمل والأبصار العقول في كتاب الله^(٥) .
وقال الفرّاء : أولى القوة والبصر في أمر الله^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ١١٩ ب .

(٢) انظر : الطبري ٢٣ / ١٧٠ ، والبغوي ٤ / ٦٦ ، وأورده السيوطي في الدر ٧ / ١٩٧ ، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي ، وقد ذكر الماوردي نحوه عن ابن عباس ٥ / ١٠٥ ، وذكره الطبرسي في مجمع البيان ٨ / ٧٤٩ ، ولم ينسبه .

(٤) انظر : المصادر السابقة ، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧ / ١٩٧ ، ولعبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد .

(٥) أورده السيوطي في الدر ٧ / ١٩٧ ، وعزاه لعبد بن حميد عن سعيد بن جبير .

(٦) معاني القرآن ٢ / ٤٠٦ .

قال أبو إسحاق : «وقد يقال : للقوم أيد بهؤلاء ؛ أي هم قادرون عليهم ، وأنشد :

اعمدُ لما فعلوا فمالك بالذي لا يستطيع من الأمور يدان^(١)
أي اعمد لما تقهر ولا تعمد لما تقهر فيه ، ومعنى مالك يدان : مالك قوة ،
فالأيدي في هذه الآية جمع اليد التي بمعنى القدرة والقوة .

وقال المبرد : أي ذو الأيدي من الإحسان يقال : زيد له يد في الخير ، ولفلان
عندي يد أي إحسان ، والأبصار البصائر في الدين»^(٢) هذا كلامه . وعلى هذا
يجوز أن يكون أيديهم بمعنى نعمهم وإحسانهم إلى الخلق بأن دعوهم إلى الدين
والهدى ، ويجوز أن يكون المعنى أولى الأعمال الصالحة .

وقال أبو علي : «يجوز عندي أن تكون الأيدي جمع يد التي يراد بها النعمة ،
بدلالة قوله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لا منهم»^(٣) .

٤٦ . قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ قرئ بالتنوين
والإضافة ، فمن نَوْنٍ احتمل الأمرين ؛ أحدهما : أن يكون الخالصة
فاعلة من الخلوص ، ويكون ذكرى في معنى موضع رفع بأنه فاعل ،
والمعنى : جمعناهم لنا خالصين بأن خلصت لهم ذكرى الدار ، والذي
قال الفراء^(٤) : «يجوز أن يكون بمعنى التذكير ، ويجوز أن يكون بمعنى
الذكر ، فإن كان بمعنى التذكير والمراد بالدار الآخرة ، والمعنى : خلص

(١) البيت من الكامل لكعب بن سعد الغنوي في اللسان (يدي) ١٥ / ٤٢٢ ، ولعلي بن الغدير الغنوي في
اللسان (علا) ١٥ / ٩١ ، وتاج العروس (علو) ١٩ / ٧٠٠ ، ولسويد بن الصامت في أساس البلاغة
٦٥٣ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٣٦ .

(٣) لم أقف على قول أبي علي .

(٤) معاني القرآن ٢ / ٤٠٧ .

لهم تذكير الدار تقديره : بأن يذكروا الدار ؛ أي يذكرون بالتأنيث
للاخرة ويزهدون في الدنيا ، ويكون المعنى أخلصناهم بأن خلصت لهم
ذكرى الدنيا من الثناء الذي ليس لغيرهم من أجل قيامهم بالنبوة ، كما
سأل إبراهيم ربه - عز وجل - فقال : ﴿وَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾
[الشعراء : ٨٤] ، وقال الله : ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم : ٥٠] ،
فاللسان هو القول الحسن والثناء عليهم ، ونحو هذا في المعنى قوله :
﴿وَتَرْكُّنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصفات : ١٠٨] ؛ أي أبقينا عليه الثناء الجميل في
الدنيا» . هذا كلامه إذا جعلت الخالصة فاعلة من الخلو ص .

الوجه الثاني : أن تجعل الخالصة مصدر بمعنى الإخلاص على حذف الزوائد
كما حذف من نحو :

.... دلوا الدال^(١)

واللواقع في قوله : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾ [الحجر : ٢٢] ويكون المعنى :
أخلصناهم بإخلاص ذكرى الدار ، فيكون ذكرى في موضع نصب المصدر ،
والذكرى على هذا الوجه يجوز أيضاً أن يكون بمعنى التذكير والدار دار الآخرة ،
ويجوز أن يكون بمعنى الذكر والدار الآخرة ، ويكون المعنى : بإخلاصهم ذكرى
الدار وذكرهم لها وجل قلوبهم منها ومن حسابهم كما قال : ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ
مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء : ٤٩] ، وقد أضيف المصدر إلى الدار في كل الوجهين ، وهو
إضافة المصدر إلى المفعول ، فقوله : ﴿ذِكْرِي الدَّارِ﴾ على هذه القراءة إما أن

(١) هذا جزء من بيت وتماه :

يكشف عن جهاته دلوا الدال عباءة غبراء من أجن طال
وهو رجز للعجاج في ملحق ديوانه ٣٢١ / ٢ ، والحجة لأبي علي ٢٥٤ / ٢ ، واللسان (دلا) ٢٦٥ / ١٤ ،
وأدب الكاتب ٦١٢ . والأجن : هو الماء المتغير اللون والطعم ، اللسان (أجن) ٨ / ١٣ ، ومعنى طال ؛
أي قديم تطوال عليه الزمن . اللسان (طول) ٤١٢ / ١١ .

يكون رفعاً بأنها فاعلة ونصباً بأنها مفعولة . وذكر قوم أن ذكرى الدار بدل من خالصة وتفسير لها ، وهو قول الفرّاء^(١) والزّجاج^(٢) وأبي عبيدة^(٣) والمعنى : إنا أخلصناهم بذكرى الدار وذكرى الدار لهم خالصة ؛ لأنه لا همّ لهم إلا ذكرها والتذكير بها . وأما من قرأ بالإضافة فالخالصة مصدر بمعنى الإخلاص ، والذكرى مفعول به أضيف إليه المصدر كأنه بإخلاصهم ذكر الدار ؛ أي أخلصوا ذكرها والخوف منها ، ويكون على إضافة المصدر إلى الفاعل ، والخالصة تكون مصدراً من الخلوص نحو العاقبة والعافية ، وذكرنا ذلك في قوله : ﴿ خَالِصَةٌ لِّذِكْرِنَا ﴾^(٤) ويكون المعنى : بأن خلصت لهم ذكرى الدار والدار هي الآخرة ، وإن جعلت الذكرى بمعنى الذكر جاز أن يكون الدار الدنيا ، هذا الذي ذكرنا هو معنى كلام أبي إسحاق^(٥) ، وأبي علي الفارسي^(٦) ، وهو فصل متعلق يحتاج فيه التدبر والتفكير .

وعلى هذا المعنى الذي ذكرناه يدل كلام المفسرين . روى ابن جريج عن مجاهد في هذه الآية قال : ذكر الآخرة ليس هما^(٧) غيرهما ولا ذكرى غيرها . وقال قتادة : ذكرى الدار خوف الآخرة^(٨) .

-
- (١) معاني القرآن ٢/ ٤٠٧ .
 (٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٣٦ .
 (٣) مجاز القرآن ١/ ٢١٨ .
 (٤) سورة الأنعام : آية ١٣٩ .
 (٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٣٦ .
 (٦) الحجة ٦/ ٧٢-٧٥ . انظر : أيضاً علل القراءات ٢/ ٥٨٦ ، وكتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢/ ٢٣١ ، والطبري ٢٣/ ١٧١ .
 (٧) هكذا جاءت في النسخ ، ولعل الصواب : ليس لهم همّ غيرها ولا ذكر غيرها . انظر : الطبري ٢٣/ ١٧١ ، وزاد المسير ٧/ ١٤٧ . وأورده السيوطي في الدر ٧/ ١٩٨ ، وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن مجاهد .
 (٨) لم أقف عليه بهذا اللفظ عن قتادة .

وقال السدي : أخلصوا بخوف الآخرة^(١) .

وروى سعيد عن قتادة : بخالصة ذكرى الدار ، قال : هذه أخلصهم الله كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله^(٢) .

قال ابن عباس : أخلصوا بذكر الدار الآخرة أن يعملوها^(٣) .

وقال الضحاك : خالصتهم أن أخلصوا ذكرها^(٤) .

٤٧ . قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ قال ابن عباس : يريد اصطفييتهم واخترتهم^(٥) . وقال مقاتل : لمن المصطفين بالنبوة والأخيار اختارهم الله على علم الرسالة^(٦) .

قال أبو عبيدة : «الأخيار والخيار واحد ، مثل الأشرار والشرار»^(٧) . والأخيار جمع خَيْرٍ وخَيْرٌ .

قال أبو إسحاق : «الأخيار جمع خَيْرٍ ، مثل مَيِّت وأموات»^(٨) .

-
- (١) انظر : الطبري ١٧١ / ٢٣ ، والبغوي ٦٦ / ٤ ، وأورده المؤلف في الوسيط ٥٦٢ / ٣ .
(٢) انظر : الطبري ١٧١ / ٢٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ١٢٣ / ٦ ، ورواه عبدالرزاق في تفسيره ١٦٨ / ٢ ، ومن رواية معمر عن قتادة .
(٣) أورده المؤلف في الوسيط ٥٦٢ / ٣ ، ولم أقف عليه عند غيره .
(٤) لم أقف على قول الضحاك ، وقد ذكر النحاس في معاني القرآن له ١٢٣ / ٦ عن الضحاك فقال : أي بخوف الآخرة .
(٥) أورده المؤلف في الوسيط ٥٦٢ / ٣ .
(٦) تفسير مقاتل ١٢٠ / أ .
(٧) مجاز القرآن ١٨٥ / ٢ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٧ / ٤ .

٤٨. قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ﴾ قال ابن عباس: ذكرهم^(١) لقومك كما قال: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [مريم: ٤١]، ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ [مريم: ٥١]، وقد مر.

وقال أهل المعاني^(٢): اذكرهم بصبرهم وفضلهم لتسلك طريقتهم.

وقوله: ﴿وَالْيَسَعَ﴾ الألف واللام فيه زيادة، وقد يدخلان الكلمة على وجه الزيادة نحو: الياس في اسم علم. وقرأ ابن عامر: (وإن الياس لمن المرسلين) وكما أنشد:

ولقد جنيتك أكمؤاً وعساقلاً
ولقد نهيتك عن بنات الأوبر^(٣)
بنات الأوبر ضرب من الكمأة. وأنشدوا أيضاً:

يا ليت أم العمر و كانت صاحبي^(٤)

(١) هكذا جاءت في النسخ، ولعل الصواب: (أذكر).

(٢) لم أقف عليه عندهم.

(٣) البيت من الكامل غير منسوب لأحد في الاشتقاق ٤٠٢، والإنصاف ٣١٩/١، والحجة لأبي علي ٣/٣٤٨، ٦/٧٥، واللسان (جوت) ٢/٢١، و(حجر) ٤/١٧٠، و(سور) ٤/٣٨٥.

والشاهد فيه قوله: بنات الأوبر، حيث زاد أل في العلم مضطراً؛ لأن بنات أوبر علم على نوع من الكمأة رديء والعلم لا تدخله أل فراراً من اجتماع معرفين: العلميّة وأل، فزادها هنا ضرورة.

(٤) صدر بيت من الرجز وعجزه:

مكان من أفشى على الركائب

وهو بلا نسبة في إصلاح المنطق ٢٦٢، والإنصاف ٣١٦/١، ووصف المباني ٧٧، وسر صناعة الإعراب ١/٣٦٦، واللسان (وبر) ٥/٢٧٢، و(ربيع) ٨/١٠٢، والحجة ٣/٣٤٨، ٦/٧٥.

والشاهد فيه قوله: (أم العمر) يريد أم عمر، لكنه أدخل أل؛ لأن العلم فيه بعض التنكير لاشتراك غير واحد فيه.

وهذا كله إنما يتصرف إلى الزيادة وعليها يتجه . وقرأ الكسائي : (والليسع) بلامين ، كأنه جعله اسماً على صورة الصفات فيعلاً نحو : ضيغم وحيدر فيحسن لذلك دخول لام المعرفة عليه ، فيكون كالحارث والعباس والقاسم ونحو ذلك .^(١)

وقد ذكرنا الكلام في هذا الاسم مستقصى في سورة الأنعام^(٢) .

قوله : ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ ذكرنا في سورة الأنبياء^(٣) .

قوله : ﴿وَكُلُّ مَنْ الْأَخْيَارِ﴾ قال ابن عباس : يريد كل هؤلاء اخترت^(٤) . قال مقاتل : اختارهم الله لنبوته^(٥) .

٤٩ . قوله تعالى : ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ قال أبو إسحاق : هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبداً^(٦) . ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ موضع ذلك ﴿لِحُسْنِ مَتَابٍ﴾ ؛ أي لحسن مرجع يذكرون في الدنيا بالجميل ، ويرجعون في الآخرة إلى مغفرة الله .

(١) انظر : الحجة ٦ / ٧٥ ، ومجمع البيان ٨ / ٧٤٨ .

(٢) عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا﴾ آية ٨٦ .

(٣) عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ آية ٨٥ ، وقال : قال ابن عباس في رواية : إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه إني أريد قبض روحك ، فاعرض ملكك على بني إسرائيل ، فمن يكفل لك أنه يصلي بالليل لا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ، ويقضي بين الناس ولا يغضب ، فادفع ملكك إليه ففعل ذلك ، فقام شاب فقال : أنا أتكفل لك بهذا فتكفل ووفى به ، فشكر الله تعالى له وهناه ، وهذا قول مجاهد وقتادة . وقال الحسن ذو الكفل نبي اسمه ذو الكفل .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) تفسير مقاتل ١٢٠ أ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٧ / ٤ .

٥٠. ثم يبين كيف حسن ذلك المرجع ، فقال : ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ جنات بدل من ﴿لِحُسْنِ مَتَابٍ﴾ .

قوله تعالى : ﴿مَفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ قال الفراء : «يرفع^(١) الأبواب ؛ لأن المعنى مفتحة لهم أبوابها . والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة ، فيقولون : مررت على رجل حسنة العين قبيح الأنف ، والمعنى : حسنة عينه قبيحاً أنفه ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات : ٣٩] ، والمعنى -والله أعلم- مأواه ، وأنشد :

وَلَكِنْ نَرَى أَقْدَامَنَا فِي نَعَالِكُمْ وَأَنْفُنَا بَيْنَ اللَّحَى وَالْحَوَاجِبِ^(٢)
والمعنى : نرى أنفنا بين لحاكم وحواجبكم في الشبه^(٣) .

قال أبو إسحاق : «المعنى مفتحة لهم الأبواب منها ، وهذا التقدير في العربية أجود من أن تجعل الألف واللام بدلاً من الهاء والألف ؛ لأن معنى الألف واللام ليس معنى الهاء والألف في شيء ؛ لأن الهاء والألف اسمان ، والألف واللام دخلتا للتعريف ، ولا يبدل حرف جاء لمعنى من اسم ، ولا ينوب عنه هذا محال^(٤) .

قال أبو علي : «الألف واللام في الأبواب للتعريف لا للبدل كما يقول الفراء ؛ لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون ﴿مَفْنَحَةٌ﴾ ضمير جنات بأن تكون المفتحة هي الجنات ، ولو كان كذلك لوجب أن ينتصب الأبواب ولا يرتفع لكون الضمير

(١) هكذا في النسخ ، والصواب : (ترفع) ، بالتاء كما في معاني القرآن للفراء .

(٢) بيت من الطويل ، ولم أقف على قائله .

وقد أورده ولم ينسبه الفراء في معاني القرآن : ٤٠٨ / ٢ ، وابن الأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس ١٧٥ / ٢ .

(٣) معاني القرآن ٤٠٨ / ٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٧ / ٤ .

في مفتحة للجنات ، وإذا صار فيه ضمير للجنات لم يرتفع به اسم آخر ؛ لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد على الإشراك^(١) ، فلما لم ينتصب قوله الأبواب دلّ أنه ليس فيه ضمير الأول ، إذا لم يكن^(٢) فيه ضمير الأول فلا بد من أن يكون الثاني مرتفعاً به ، وكون الألف واللام بدلاً من الإضافة يكون في مثل قولهم : مررتُ برجل حسن الوجه ، والألف واللام في الوجه بدلاً من الإضافة ، وفي حسن ضمير الرجل ؛ بدلالة أنك لو قلت : مررت بامرأة ، قلت : حسنة الوجه ، فلما كان في حسن ضمير الرجل نصب الوجه لما نونت حسن ، فقلت : مررتُ برجل حسن الوجه ، فلو كانت الألف واللام في الأبواب كهي في الوجه لوجب أن تكون منصوبة ؛ لأن مفتحة منونة ، وإذا لم تكن^(٣) الألف واللام في الأبواب بدلاً من ها الضمير [ثبت]^(٤) أنه للتعريف لم يعد على الموصوف الذي جرى ﴿مُفْتَحَةٌ هُمُ الْأَبْوَابُ﴾ صفة عليه وهو جنات ذكر ، وإذا كان كذلك فلا بد من ضمير يتعلق بالصفة يرجع إلى الموصوف وذلك الراجع منهما ، ما ذكره أبو إسحاق مفتحة لهم الأبواب منها ، فحذف ذلك ، وحسن الحذف للدلالة عليه ولطول^(٥) الكلام بـ«لهم» .

فتقدير من قَدَّر : مفتحة أبوابها ، إن كان أراد إفهام المعنى ، وأنه لابد من شيء يقدر في الكلام يرجع إلى الموصوف فيستقيم ، وإن كان أراد أن الألف واللام في الأبواب كالألف واللام في الوجه فليس مثله ، لما ذكرنا من أنه إذا نونت الصفة انتصب الاسم الذي هو فاعل الصفة نحو : حسن الوجه ، فأما ما ذكره أبو إسحاق من أن الألف واللام لا يجوز أن تكون بدلاً من الضمير فليس كذلك ،

(١) في (ب) : (الإشراك) .

(٢) هكذا في النسخ ، وهناك حرف ساقط هو : (الواو) . تكون العبارة : (وإذا لم يكن) .

(٣) في (أ) : (يكن) .

(٤) ما بين المعقوفين غير واضح في (أ) .

(٥) في (ب) : (ويطول) .

ويستدل على جوازه بقولهم : حسن الوجه ، وقد قام الحرف هاهنا مقام الاسم ؛ لأنهم يريدون وجهه ، وقد قام الحرف مقام الاسم في غير هذا وهو المضاف إليه يكون بدلاً من التنوين والتنوين حرف بالمعنى ، والمضاف إليه اسم ، فالمتعلق بهذا ليس له وجه .

واعلم أن البدل من الشيء ليس يلزم أن يكون حكمه حكم المبدل منه ، ألا تراهم يقولون : التنوين بدل من الألف واللام ومن الإضافة والتنوين إذا تليت في النكرات دلّ على الإشاعة والتنكير ، والألف واللام أو الإضافة إذا دخلا على شيء دلّ على خلاف ذلك ، وإنما يريدون أن لا يجتمع مع ما هو بدل منه في اللفظ ، ألا تراهم يقولون : إن الهاء في زنادقة^(١) عوض من التاء^(٢) في زناديقه لمعاقبتهما وتنافي اجتماعهما^(٣) ، ولم يلزم أن يكون ثبات الهاء يمنع الصرف كما يمنع الصرف في الاسم إذا ثبتت^(٤) الياء ، وهذا يكثر إذا جمع ، فلا يريدون أنه بمعنى المبدل منه بل قد يكون في البدل معان لا تكون في المبدل منه ، ويكون في المبدل معان لا تكون في البدل ، وأن مرادهم في البدل أن لا يجتمع في اللفظ مع^(٥) ما هو بدل منه لا غير ، وعلى هذا قول سيبويه في التثنية إنه بدل من الحركة والتنوين ؛ أي إن الحركة والتنوين لا تثبت مع الألف الذي هو حرف الإعراب ولا يجتمعان معاً^(٦) .

٥١ . قوله تعالى : ﴿مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ والمعنى : يدعون في الجنان متكئين فيها بفاكهة كثيرة وشراب .

(١) في (ب) : (زيادة) .

(٢) هكذا في النسخ ، والصواب : (زناديق) ، كما في الإغفال ١٢٠٢ .

(٣) في (أ) : (وما في اجتماعهما) .

(٤) في (أ) : (ثبت) .

(٥) في (ب) : (معهما) .

(٦) إلى هنا من قوله : قال أبو علي ، منقول بتصرف من الإغفال ١١٩٥ إلى ص : ١٢٠٤ .

قال الكلبي : يقول بألوان الفاكهة ألوان الشراب^(١) . والتقدير : بفاكهة كثيرة وشراب كثير ، فحذف للدلالة عليه كقوله : ﴿وَالذِّكْرُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالذِّكْرُ لِلَّهِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

٥٢ . قوله تعالى : ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ أَلْفُ أَرْبَابٍ﴾ قد سبق تفسيره في سورة الصافات^(٢) . قال ابن عباس : يريد الآدميات^(٣) .

وقوله : ﴿أَرْبَابٌ﴾ جمع ترب ، وهو اللد . قال أبو عبيدة : أتراب أسنانهم واحدة^(٤) .

قال ابن عباس والمفسرون : أتراب مسنونات على سنن واحد وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة^(٥) .

وقال مجاهد : أتراب أمثال^(٦) .

وقال النحويون : أي هن في غاية الشباب والحسن .

قال الفراء^(٧) والنحويون : قوله : ﴿قَصْرٌ أَلْفُ أَرْبَابٍ﴾ نكرة وإن كانت مضافة إلى معرفة كقوله : ﴿هَدِيًّا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] ، ﴿غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ [المائدة: ١] ، وقد ذكرنا هذه المسألة عند قوله : ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] في سورة النساء .

(١) لم أقف عليه عن الكلبي ، وهذا قول ابن عباس كما في تفسيره بهامش المصحف ٣٨٣ .

(٢) عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ أَلْفُ أَرْبَابٍ﴾ آية ٤٨ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٣٨٧/٧ ، والقرطبي ٢٢٠/١٥ .

(٤) مجاز القرآن ١٨٥/٢ .

(٥) انظر : الطبري ١٧٤/٢٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ١٢٦/٦ ، والماوردي ١٠٦/٥ ، والثعلبي ٢٢٦٢/٣ .

(٦) تفسير مجاهد ٥٥٣ ، وانظر : المصادر السابقة .

(٧) معاني القرآن ٤٠٩/٢ .

٥٣-٥٥. قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ﴾ قال مقاتل^(١): يعني الذي ذكر في ما قبل هذه الآية، كأنه قيل: هذا الذي ذكرنا ما توعدون؛ أي يوعد المتقون على إخبار النبي ﷺ ما وعدوا، ومن قرأ: توعدون بالتاء فالمعنى قيل للمتقين: ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾. قال ابن عباس^(٢) ومقاتل^(٣): ليوم الجزاء. ثم أعلم أن نعيم أهل الجنة غير منقطع، فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾؛ أي انقطاع وفناء.

قال ابن عباس: ليس لشيء في الجنة نفاذ ما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله، وما أكل من حيوانها وطيرها عاد مكانه حيًّا^(٤).

قوله: ﴿هَذَا﴾ قال أبو إسحاق: المعنى الأمر هذا، فهذا خبر ابتداء محذوف^(٥).

ثم ذكر ما للكفار فقال: ﴿وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد الذين طغوا عليّ وكذبوا رسلي^(٦). ﴿لَشَرَّ مَعَابٍ﴾ شر مرجع ومصير.

(١) لم أقف عليه عن مقاتل، وقد ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٧٥١/٨، ولم ينسبه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) تفسير مقاتل ١١٢٠ أ.

(٤) انظر: الوسيط ٥٦٣/٣، ومجمع البيان ٧٥١/٨.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٨/٤.

(٦) لم أقف عليه.

٥٦. ثم أخبر بذلك فقال : ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنُتْسِلُ الْمِهَادُ ﴾ قال مقاتل : بئس ما مهدوا لأنفسهم ^(١) .

وقال أهل المعاني : سميت جهنم مهاداً ؛ لأنها وقعت بدل منه كما جاء : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^(٢) ، ويجوز أن يكون على الحذف بتقدير : بئس موضع المهاد ^(٣) . يدل على هذا قول ابن عباس في تفسيره : بئس السكن وبئس المسكن ^(٤) .

٥٧. قوله تعالى : ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ . قال الفراء : « رفعت الحميم والغساق (بهذا) على التقديم والتأخير ، والمعنى : هذا حميم وغساق فليذوقوه ، قال : وإن شئت جعلت ^(٥) مستأنفاً ، وجعلت الكلام قبله مكثفاً ^(٦) كأنك قلت : هذا فليذوقوه ، ثم قلت منه حميم ومنه غساق ، كقول الشاعر :

حتى إذا ما أضاء النجم في غلسٍ وغودرَ البقلُ ملوى ومحسودٌ ^(٧)

(١) تفسير مقاتل ١٢٠ أ .

(٢) جزء آية ورد في أكثر من موضع في القرآن الكريم ، فهو جزء من الآية ٢١ من سورة آل عمران ، ومن الآية ٣٤ من سورة التوبة ، والآية ٢٤ من الانشقاق .

(٣) لم أقف عليه عند أهل المعاني .

(٤) انظر : الوسيط ٥٦٣ / ٣ .

(٥) هكذا في النسخ ، والصواب : (جعلته) .

(٦) في (ب) : (مكثفاً) .

(٧) البيت من البسيط ، وهو لذي الرمة في ديوانه ١٣٦٦ / ٢ ، وسمط اللالي ١ / ٣٥٤ تحقيق د . عبدالعزيز الميمني ، وفي معاني القرآن للفراء ١٠ / ٢ بلا نسبة .

وعلى هذا التقدير يكون ﴿هَذَا﴾ في موضع رفع وموضع نصب أضمر قبلها شيئاً ناصباً ، كقول الشاعر :

زيادتنا نعمان لا تحرمنا^(١)

ومن رفع ، رفع بالهاء التي في قوله : ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ كما تقول في الكلام : الليل فبادروه والليل فبادروه^(٢) . هذا كلامه . ونحو ما قال ذكر الزجاج في هذه الآية فقال : «حميم رفع من جهتين ؛ إحداهما : على معنى هذا حميم وغساق فليذوقوه ، والأخرى : هذا فليذوقوه ، ثم قال بعد : هو حميم وغساق ، وفي هذا التقدير يجوز أن يكون هذا في موضع نصب على هذا فليذوقوه كما قال : ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٤١] وزيداً فاضربه ، ويجوز أن يكون في موضع رفع بالابتداء وفليذوقوه الخبر ، فجعل الأمر في موضع خبر الابتداء كقوله : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوْا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]»^(٣) . جعل فاقطعوا وهو أمر في موضع خبر الابتداء ، وهذا الذي ذكره أبو إسحاق مثل ما قال الفراء سواء ، وقد أجمعنا على جواز كون فليذوقوه خبراً لقوله : ﴿هَذَا﴾ .

وأنكر أبو علي ذلك في ما أصلح على أبي إسحاق وقال : «لا يجوز أن يكون هذا في موضع رفع بالابتداء ، أو يكون الأمر في موضع خبره لمكان الفاء في قوله : ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ ، وإذا كان كذلك لم يكن في موضع خبره ، ولو جاز هذا لجاز زيد منطلق^(٤) ، على أن يكون فمنطلق خبر الابتداء ، وليس يشبهه هذا ما شبهه به من

(١) جزء من بيت ، وتمامه :

زيادتنا نعمان لا تحرمنا تق الله فينا والكتاب الذي تتلو

وهو من الطويل لعباده بن همام السلولي في الأغاني ١٦/ ٥ ، وسمط اللالي ٩٢٣ ، واللسان (وفي) ٤٠٢/ ١٥ ، ونوادير أبي زيد ٤ .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٤١٠ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٨/ ٤ .

(٤) هكذا في النسخ ، والصواب كما في الإغفال : (فمنطلق) .

الآية ؛ لأن في السارق والسارقة معنى الجزاء ، كأنه قيل : من سرق فاقطعوه ، فهو مثل قوله : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤] ، ثم قال ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ وليس في هذا معنى الشرط والجزاء فيجوز دخول الفاء في ما يقع موقع خبره ، ألا ترى أن سيبويه^(١) حمل قول الشاعر :

وقائلةٌ خولانَ فانكحُ فتاتهم^(٢)

على أن خولان من جملة أخرى كأنه قال : هذا خولان أو هؤلاء خولان فيكون عطف جملة على جملة^(٣) .

وقد شرح هذه المسألة في كتاب الإيضاح^(٤) ، في باب من الابتداء ، ويطول نقله ها هنا . وأما تفسير الحميم والغساق فقال مقاتل : «حميم يعني الحار الذي قد انتهى حره ، وغساق يعني البارد الذي قد انتهى برده ينطلق بهم من الحر إلى البرد ، فيتقطع جلودهم ويحرق البرد كما يحرق الحار»^(٥) .

(١) انظر : الكتاب ٨٧ / ١ .

(٢) صدر بيت وعجزه :

وأكرومة الحيين خلوكمها

وهو من الطويل ، بلانسبة في الأزهية ٢٤٣ ، وخزانة الأدب ١ / ٣١٥ ، ٤٥٥ ، ٤ / ٣٦٩ ، ٨ / ١٩ ، ١١ / ٣٦٧ ، ورصف المباني ٣٨٦ .

(٣) الإغفال ١٢٠٦ - ١٢٠٧ .

(٤) كتاب الإيضاح العضدي ٢٩ - ٣٦ .

(٥) تفسير مقاتل ١٢٠ أ .

وروى ليث عن مجاهد قال : هو الذي لا يستطيعونه من برده^(١) . وهذا قول ابن عباس في رواية الكلبي ، قال : هو الزمهرير برده يحرق كما تحرق النار^(٢) .

وحكى أهل اللغة أيضاً هذا القول ، قال الفرّاء : ذكروا أن الغساق بارد يحرق كإحراق الحميم^(٣) .

حكى الزّجاج أن معنى غساقاً : الشديد البرد الذي يحرق من برده^(٤) .

وذكر الأزهري أن الغاسق : البارد ، قال : وقيل لليل غاسق ؛ لأنه أبرد من النهار^(٥) .

القول الثاني في تفسير الغساق : أنه التّن ، قال ابن الشخير : خطبنا ابن عباس فقال : أما تدرّون ما حميم وغساق ؟ قال : زهم أهل النار^(٦) . وهو قول ابن بريده والليث^(٧) قالوا : هو المتّن .

وروي مرفوعاً : «لو أن دلوّاً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا»^(٨) .

(١) ذكره ابن جرير الطبري ١٧٧/٢٣ ، وعن ابن جريج عن مجاهد ، والقرطبي : ٢٢٢/١٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١٥٠/٧ عن مجاهد .

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس من رواية الكلبي ، وقد ذكره أكثر المفسرين عن ابن عباس مباشرة . انظر : الثعلبي ١٢٦٢/٣ ، وبحر العلوم ١٣٩/٣ ، والماوردي ١٠٦/٥ .

(٣) معاني القرآن ٤١٠/٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٩/٤ .

(٥) تهذيب اللغة ١٢٦/١٦ .

(٦) لم أقف عليه . والزهم هي الريح المتنتة . انظر : اللسان (زهم) ٢٧٧/١٢ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (غسق) ١٢٥/١٦ ، واللسان (غسق) ٢٨٩/١٠ .

(٨) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ١٠٧/٣ رقم ٢٧١٠ عن أبي سعيد الخدري ، ثم قال : هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث رشد بن سعد وفيه مقال . وأخرجه الإمام أحمد ٢٨/٣ ، ٨٣ عن أبي سعيد أيضاً ، والحاكم في المستدرک ، كتاب الأحوال ٦٠٢/٤ ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وافقه الذهبي .

وحكى أبو إسحاق : «لو قطرت منه قطرة في المغرب لأنتنت أهل المشرق»^(١) .

القول الثالث في الغساق : أنه ما سال من جلود أهل النار . وهو قول قتادة^(٢) والسدي^(٣) وعطية^(٤) .

قال ابن عمر : هو القيح الذي يسيل منهم مجتمع فيسقونه^(٥) .

وقال إبراهيم وأبو رزين : هو ما يسيل من صديدهم^(٦) . وعلى هذا هو من قولهم : غسق إذا سال ، يقال : غسقت عينه تغسق غسقاً وغسقناً وهو هملان العين بالغمض والماء .

وأنشد :

أبكي لفقدهم بعينٍ بردٍ يجري مساريها بدمعٍ غاسقٍ^(٧)
أي سائل .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٩/٤ .

(٢) انظر : الطبري ١٧٧/٢٣ ، وتفسير عبدالرزاق ١٦٨/٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ١٢٨/٦ .

(٣) انظر : الطبري ١٧٧/٢٣ ، والبحر المحيط ٣٨٨/٧ ، ومجمع البيان ٧٥٣/٨ قال : هو ما يسيل من دموعهم .

(٤) انظر : الماوردي ١٠٦/٥ ، وزاد المسير ١٥٠/٧ .

(٥) انظر : الطبري ١٧٧/٢٣ ، ومجمع البيان ٣٥٧/٨ ، والقرطبي ٢٢٢/١٥ .

(٦) أخرج قول إبراهيم : الطبري ١٧٧/٢٣ ، وأورد قول أبي رزين : السيوطي في الدر ١٩٩/٧ ، وعزاه لابن أبي شيبه وهناد وعبد بن حميد . وقال بهذا القول غيرهما : قتادة والسدي وابن زيد وابن عباس وعطية . انظر : الطبري ١٧٧/٢٣ ، وزاد المسير ١٥٠/٧ .

(٧) البيت من الكامل ، وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة (غسق) ١٢٧/١٦ ، واللسان (غسق) ٢٨٨/١٠ .

وقال ابن الأعرابي : «غسقت عينه إذا انصبَّت ، والغسقان الانصباب ، وغسقت المساء أرّشت»^(١) . ومنه قول عمر : «حين غسق الليل على الظراب»^(٢) ؛ أي انتصب الليل على الجبال»^(٣) . وهذا آخر قولين في تسمية الليل الغاسق ، وهذا القول في الغاسق هو الاختيار لموافقة اللغة . وقول من قال أنه المتن البارد داخل في هذا ؛ لأن ما سال من صديدهم اجتمع فتنن وصار بارداً .

وقال كعب : «الغساق عين في جهنم يسيل إليها سم كل ذات حمة من عقرب وحية»^(٤) .

واختلف القراء في هذا الحرف ، فالأكثر على تخفيفه ، وهو اختيار أبي حاتم^(٥) وأبي عبيد .

قال أبو عبيد : معنى التخفيف أنه اسم موزون ، ومن شدّد ذهب به إلى غسق يغسق .

قال أبو علي الفارسي : «الاختيار التخفيف ؛ لأنه إذا شدّد لم يخل من أن يكون اسماً أو صفة ، فإن كان اسماً فلا أسماء لم تجئ على هذا الوزن إلا قليلاً ، وهو الجبان ونحوه مما نقل ، وإن كان صفة فقد أقيم مقام الموصوف ، وألا تقام الصفة مقام الموصوف أحسن ، إلا أن تكون صفة وقد غلب نحو العبد ، والأبطح والأبرق ،

(١) في (ب) سقطت الهمزة .

(٢) أخرج ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٦٧ ، والزخشي في الفائق في غريب الحديث ٣/ ٦٧ ، وابن الجوزي في غريب الحديث ٢/ ١٥٦ عن عمر رضي الله عنه : لا تفتروا حتى يغسق الليل على الظراب .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (غسق) ١٦/ ١٢٨ ، واللسان (غسق) ١٠/ ٢٨٨ .

(٤) انظر : الطبري ٢٣/ ١٧٧ ، والقرطبي ١٥/ ٢٢٢ ، والماوردي ٥/ ١٠٦ .

(٥) انظر : المحرر الوجيز ٤/ ٥١١ .

والقراءة بالتخفيف أحسن من حيث كان فيه [الخروج] ^(١) من الأمرين اللذين وصفناهما في التثقيل ، وهما قلّة البناء وإقامة الصفة مقام الموصوف ^(٢) .

٥٨ . قوله تعالى : ﴿وَأَخْرُ﴾ قال الفرّاء : «قرأ الناس : (وأخر) إلا مجاهداً فإنه قرأ : (وَأَخْرُ) كأنه ظن أن الأزواج لا تكون من نعت الواحد ، وإذا كان الاسم مصدرًا في معنى الفعل جاز أن ينعت الاثنين وبالكثير ، كقولك في الكلام : عذاب فلان ضروب شتى وضربان مختلفان ، والمراد بـ (آخر) هاهنا العذاب فجاز أن ينعت بالكثير فهذا بين ، وإن شئت جعلت الأزواج نعتاً للحميم والغساق وللآخر فهي ثلاثة» ^(٣) .

وقال أبو إسحاق : وآخر عطف على قوله : حميم وغساق ؛ أي وعذاب آخر من شكله ؛ أي مثل ذلك الأول ، ومن قرأ : (أَخْرُ) فالمعنى وأنواع أخر من شكله ^(٤) .

واختار أبو عبيدة ^(٥) قراءة العامة ؛ لأن المفسرين فسروا قوله : ﴿وَأَخْرُ﴾ بعذاب واحد وهو الزمهرير ، وهو قول ابن مسعود وقتادة ، وتقدير هذه الآية وما قبلها في المعنى : هذا فليذوقوه ؛ أي هذا العذاب فليذوقوه ، ثم بين أيش ذلك العذاب فقال : ﴿حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ ، أي هو حميم وغساق وعذاب آخر من شكله ؛ أي من ضرب العذاب أشار إليه بقوله : فليذوقوه ، والزمهرير وارتفع أزواج ؛ لأنه نعت قوله : ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ ^(٦) وأخر : وآخر ، كان وجهه أن يجعل الزمهرير أجناساً يريد يرد بعضه على بعض ، فيكون ذلك كقولهم

(١) ما بين المعقوفين ساقط في (ب) .

(٢) الحجة ٧٨ / ٦ .

(٣) معاني القرآن ٤١١ / ٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٩ / ٤ .

(٥) انظر : اختيار أبي عبيدة في الحجة ٧٨ / ٦ .

جمالان وتمران ونحو ذلك من الجموع التي تجمع أو تثني إذا اختلفت ، ويجوز فيه وجه آخر وهو أن تجعل كل جزء منه وإن لم يختلف زمهريراً ، فيجمع كما جمعوا شابت مفارقة ، وبغير ذو عثانين^(١) ونحو ذلك^(٢) .

وقوله : ﴿ مِنْ شَكْلِهِ ﴾ قال أبو عبيدة^(٣) : « من ضربه يقال : ما أنت من شكلي ؛ أي من ضربي » .

والشكل في اللغة : المثل ، يقال : فلان شكل فلان ؛ أي مثله ، وأراد بالشكل هاهنا ضربين من العذاب على شكل الحميم والغساق قاله الليث^(٤) .

قال ابن عباس : يريد من نحوه^(٥) .

وقال الكلبي : شبه الحميم والغساق^(٦) .

قوله : ﴿ أَزَوَّجْ ﴾ قال ابن عباس^(٧) ومقاتل^(٨) : أصناف وألوان من العذاب . وقال أبو إسحاق : أنواع^(٩) .

(١) العثنون : شعيران طوال تحت حنك البعير . اللسان (عثن) ٣ / ٢٧٦ .

(٢) الحجة ٦ / ٧٩ .

(٣) مجاز القرآن ٢ / ١٨٥ .

(٤) لم أقف على قول الليث . انظر : اللسان (شكل) ١١ / ٣٥٦ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣ / ١٧٩ ، وأورده القرطبي ١٥ / ٢٢٢ ، ونسبه لقتادة .

(٦) لم أقف عليه عن الكلبي ، وقد ذكر الطبري نحوه في تفسيره ٨ / ٧٥٣ ولم ينسبه .

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : زاد المسير ٧ / ١٥١ .

(٨) تفسير مقاتل ١٢٠ ب .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٣٩ .

وقال أبو علي : «أشباه مقترنات ، يدل على ذلك قوله : ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير : ٧] ؛ أي جمع بينهما وبين أشكالهما وقرنت ، والمعنى قرين للمعذبين وجمع لهم بين الحميم والغساق والزمهير ، وقرن بعض ذلك إلى بعض والأزواج بمعنى القرناء في قوله : ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات : ٢٢]»^(١) .

٥٩ . قوله تعالى : ﴿هَذَا فَوْجٌ﴾ قال مقاتل : «أي القادة في الكفر ، دخلوا النار قبل الأتباع فقالت الخزنة للقادة وهم في النار في فوج يعني : زمراً»^(٢) .

وقال الكلبي : كلما جيء بأمة فدخلت النار ثم جيء بأمة أخرى بعدها قيل : هذا فوج مقتحم معكم^(٣) .

وقوله : ﴿هَذَا فَوْجٌ﴾ من كلام الملائكة على تقدير : فتقول الملائكة للقادة وهم في النار إذا أتوهم بأتباعهم : هذا فوج مقتحم معكم .

قال صاحب النظم : هذا من قول الملائكة يقولونه لأهل النار إذا جاؤوهم بفوج سواهم من أهل النار^(٤) . ومعنى الفوج في اللغة : القطيع من الناس ، وجمعه أفواج^(٥) .

(١) الحجة ٦/ ٨٠ ، ٨١ .

(٢) تفسير مقاتل ١٢٠ أ .

(٣) انظر : زاد المسير ٧/ ١٥١ ، وأورد هذا القول منسوباً لابن عباس المؤلف في الوسيط ٣/ ٥٦٤ ، والقرطبي ١٥/ ٢٢٣ .

(٤) ذكره المؤلف في الوسيط ٣/ ٥٦٤ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (فوج) ١١/ ٢١٢ ، واللسان (فوج) ٢/ ٣٥٠ .

وأما المقتحم ، فقال الليث : «قحم الرجل يقحم قحوماً إذا دخل في الشيء ، وأقحم غيره إقحاماً ، يقال : أقحم قرينه النهر واقتحم هو ، وهو رميه بنفسه في نهر أو وهدة ، ومثله التّقحم يقال : تقحمت به دابته ، ومنه أقول والناقة في تقحم ، والتّقحيم كالإقحام :

أقول والناقة بي ^(١) تقَّحُم ^(٢)

والتقحيم كالإقحام ، قال الراجز :

يقحم الفارس لولا قبقة ^(٣)

أي ترميه فتلقيه على ظهره ^(٤) . ومعنى مقتحم معكم ، داخل معكم النار كما دخلتموها .

وقال الكلبي [. . .] ^(٥) معكم ، وذلك أنهم يضربون بالمقامع حتى يشبوا ^(٦) في النهار خوفاً من تلك المقامع ويدفعوا أنفسهم فيها ^(٧) .

قوله تعالى : ﴿ لَا مَرَجًا لَهُمْ ﴾ من قول القادة الذين هم في النار في قول جميعهم . قال الفرّاء : «الكلام متصل كأنه قول واحد وإنما قوله : ﴿ لَا مَرَجًا لَهُمْ ﴾ من قول

(١) في النسخ جميعها : (في) ، وهو خطأ .

(٢) الرجز بلا نسبة في تهذيب اللغة (عصم) ٥٥ / ٢ ، ٣٠٩ / ٣ (باب العين والكاف) ، (قحم) ٧٧ / ٤ ، و(كلز) ٩٧ / ١٠ ، واللسان (كلز) ٤٠١ / ٥ ، و(علكم) ٤٢٣ / ١٢ ، و(قحم) ٤٦٤ / ١٢ .

(٣) (الفارس) ساقط من (ب) . والرجز بلا نسبة في تهذيب اللغة (قحم) ٧٩ / ١ ، واللسان (قبح) ٦٦٠ / ١ ، و(قحم) ٤٦٤ / ١٢ ، وقال في اللسان : والقبقب : البطن .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (قحم) ٧٧-٧٩ .

(٥) في النسخ قدر كلمة غير واضحة تقدر : (والج) .

(٦) في (ب) : (ثبتوا) .

(٧) انظر : البغوي ٦٧ / ٤ ، وزاد المسير ١٥١ / ٧ ، وأورده المؤلف في الوسيط ٥٦٤ / ٣ .

أهل النار ، وهو في الاتصال كقوله : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ [الأعراف: ١١٠] ، وهذا من قول الملائق باتصال بقول فرعون وهو قوله : ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ وفي المعنى كقوله : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [الأعراف: ٣٨] ^(١) .

وقال صاحب النظم : ويدل على أنه من كلام أهل النار أنه قد أجيب هذا القول على أثره بقوله : ﴿ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَاءَ بِكُمْ ﴾ ، فلم يحتمل أن يكون هذا جواباً للملائكة فلما لم يحتمل ذلك وجب أن يكون قوله : ﴿ لَا مَرْجَاءَ ﴾ متصلاً بغير الملائكة . ومعنى المرحب في اللغة : الرحب والسعة ، يقال : رحب يرحب رحباً ورحابة ومرحباً ، وقول العرب : مرحباً معناه : أنزل في الرحبة والسعة أو أقم فلك عندنا ذلك . ونصبه على معنى : صادفت مرحباً أو أتيت مرحباً أي رحباً وسعة لا ضيقاً ، هذا هو الأصل ، ثم صار المخاطب به نوع تحية وإكرام حتى يقال : مرحباً بفلان ومرحباً بك ولا مرحباً به ^(٢) ، ومنه قوله : ﴿ لَا مَرْجَاءَ بِهِمْ ﴾ ؛ أي لا اتسعت بهم مساكنهم ، والمعنى : لا كرامة لهم ، وهذا إخبار أن مودتهم تنقطع وخلتهم صارت عداوة يلعن بعضهم بعضاً كقوله : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦] ، و ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [الأعراف: ٣٨] . وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴾ [الكهف: ٥٢] في أشباه كثيرة لها ، ونصبت مرحباً في الإثبات على ما بيننا من إضمار الفعل ، وأما الشيء فأدخلت لا على ذلك المعنى كأنه قيل : لا صادفت مرحباً ولا نزلت مرحباً قاله الزجاج ^(٣) .

(١) معاني القرآن ٤١١/٢ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (رحب) ٥/٢٥ ، ٢٦ ، واللسان (رحب) ١/٤١٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٩/٤ .

وقال أبو عبيدة : لا مرحباً بك لا رحب عليك ولا اتسع ، وأنشد للجعدي ^(١) :

فآبَ صَالِحٌ مَا يَبْتَغَى وَقُلْتُ لَهُ أَدْخِلْ فِيهِ الْمَرْحَبَ ^(٢)

ومعنى بك ؛ أي بنزولك وإقامتك .

قوله : ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ قال مقاتل : إنه من قول الملائكة ^(٣) .

وقال غيره ^(٤) : لا بل هو من قول أصحاب النار يقولون لا مرحباً بالأتباع .

﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ كما صلينا .

٦٠ . فأجابهم القوم فقالوا : ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ يعنون : القادة .

﴿أَنْتُمْ قَدَمْتُمُوهُ لَنَا﴾ قال ابن عباس : أنتم فتتتمونا وأضللتتمونا ^(٥) .

وقال مقاتل : «أنتم زينتم لنا الكفر» ﴿إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ

أَدْنَادًا﴾ [سبأ: ٣٣] ^(٦) ، وهذا معنى ، والتفسير ما ذكر الكلبي : أنتم بدأتكم بالكفر

قبلنا ^(٧) . والهاء في قدمتموه كناية عن الطغيان الذي هو الكفر ، ودل عليه قوله :

﴿وَإِنَّ لِلطَّغْيَيْنِ﴾ .

قوله : ﴿فَيَنْسُ الْفَرَارُ﴾ ؛ أي بئس المستقر والمسكن جهنم .

(١) البيت من المتقارب ، وهو للجعدي في ديوانه ٢٨ ، وأساس البلاغة (رحب) ١٥٧ .

(٢) مجاز القرآن ١٨٦/٢ .

(٣) تفسير مقاتل ١٢٠ ب .

(٤) وبه قال قتادة وابن زيد . انظر : الطبري ١٨٠/٢٣ ، وابن عباس كما قال البغوي ٦٧/٤ .

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : الطبري ١٨٠/٢٣ ، والثعلبي ٢٦٢/٣ ب ، والماوردي ١٠٨/٥ .

(٦) تفسير مقاتل ١٢٠ ب .

(٧) انظر : الماوردي ١٠٨/٥ .

٦١. ثم قالت الأتباع: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾ قال الفراء: «من شرع لنا هذا الكفر»^(١). ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾؛ أي مضاعفاً والمعنى ذا ضعف.

قال ابن عباس^(٢): أرادوا أن يكون عليهم ضعف ما عليهم، فسئلوا لمن أضلهم الضعف.

قال أبو إسحاق: أي زده على عذابه عذاباً آخر، ودليل هذا قوله: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ ﴿١٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ ﴿[الأحزاب: ٦٧-٦٨]﴾^(٣).

وروي عطاء عن ابن عباس^(٤): أنهم أرادوا بقولهم من قدم لنا هذا، إبليس. وعلى هذا الأتباع والمتبوعون جميعاً ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾ الآية.

٦٢. قال الكلبي: ثم ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم معهم وهم المؤمنون، فعند ذلك قالوا: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ في الدنيا^(٥). ثم قال ابن عباس: يريدون أصحاب النبي ﷺ^(٦).

وقال مقاتل: يعنون فقراء المؤمنين عماراً وخباباً وصهيباً وبلالاً وسالمًا^(٧).

(١) معاني القرآن ٢/ ٤١١.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٣٩.

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس، وأكثر المفسرين قالوا: إنهم أرادوا بقولهم: من قدم لنا هذا؛ أي من سنَّه وشرعه وزينه لنا. انظر: الطبري ٢٣/ ١٢٨، والثعلبي ٣/ ٢٦٢ ب، والقرطبي ١٥/ ٢٢٤.

(٥) أورده المؤلف في الوسيط ٣/ ٥٦٥. انظر: مجمع البيان ٨/ ٧٥٥.

(٦) انظر: القرطبي ١٥/ ٢٢٤.

(٧) تفسير مقاتل ١٢٠ ب.

وقال مجاهد : يقول أبو جهل : أين بلال أين فلان كنا نعدهم في الدنيا من الأشرار لانراهم في النار^(١) . وروى ليث عنه : وقال أبو جهل وأصحابه من كفار قريش يقولون وهم في النار : أين عمار بن ياسر ، أين فلان بن فلان الذين كنا نعدهم من الأشرار^(٢) .

وبعض القراء يقرأون الأشرار بالإمالة وهي حسنة ، وذلك أن الراء المكسورة لما غلبت المستعلي في نحو طارد وغارم وصارد ، فجازت الإمالة مع المستعلي كان أن يجوز في الراء أجدر ؛ لأن الراء لا استعلاء فيها وإنما هي بمنزلة الباء واللام ، ومن ثم كان الأبلغ^(٣) بالراء ربما جعلها ياء أو لاماً ، ومما غلبت الراء المكسورة فيه المستعلي قوله :

عسى الله يُغني عن تلادي قادرٍ بمنهمرٍ جون الربابِ سكوبٍ^(٤)

٦٣ . قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذْنَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْبَصَرُ ﴾ قرئ بوصل ألف اتخذناهم وقطعه . قال أبو عبيدة : بالوصل يقرأ ؛ لأن الاستفهام متقدم في قوله : ﴿ مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا ﴾ ، ولأن المشركين لم يكونوا يشكون في اتخاذهم المؤمنين سخرية فلا يستفهمون عما قد علموه .

(١) انظر : الطبري ٢٣ / ١٨١ ، وابن كثير ٤ / ٤٢ ، والبحر المحيط ٧ / ٣٨٩ .

(٢) انظر : المصادر السابقة ، معاني القرآن للنحاس ٦ / ١٣٤ .

(٣) في النسخ جميعها : (الأبلغ) ، والصواب كما في الحجة (الألثغ) ٦ / ٨٥ .

(٤) هكذا ورد البيت في النسخ ، وهو خطأ وصحته هكذا :

عسى الله يُغني عن بلاد ابن قادرٍ بمنهمرٍ جون الربابِ سكوب
وهو من الطويل لهدبة بن الخشرم في ديوانه ٧٦ ، وخزانة الأدب ٩ / ٣٢٨ ، والكتاب ٣ / ١٥٩ ، ٤ / ١٣٩ . ولسماعة النعماني في شرح أبيات سيويه ٢ / ١٤١ ، وشرح التصريح ٢ / ٣٥١ ، واللسان (عسا) ١٥ / ٥٥ .

والشاهد فيه : إمالة كلمة (قادر) مع وجود الفصل بين الألف والراء المكسورة بحرف وهو الدال . والمنهمر : السائل . والجون : الأسود . والرباب : ما تلى من السحاب دون السحاب . سكوب : منصب . انظر الكتاب ٣ / ١٥٩ ، ٤ / ١٣٩ .

قال أبو علي^(١): «في إلحاق همزة الاستفهام بعض البعد؛ لأنهم قد علموا أنهم اتخذوهم سخرى، فكيف يستقيم أن يستفهموا عن اتخاذهم سخرى وقد علموا ذلك؟ يدل على علمهم به أنه قد أخبر عنهم بذلك في قوله: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمُ ذِكْرِي﴾ [المؤمنون: ١١٠]، فالجملة التي هي اتخذناهم صفة للنكرة، وهي قوله: ﴿رِجَالًا﴾. ووجه قول من ألحق الهمزة للاستفهام أنه على التقرير لا على المعنى، وذلك ليعادل قوله: ﴿اتَّخَذْتَهُمْ﴾ بأم في قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦] وإن لم يكن استفهاماً في المعنى، وكذلك قولهم: ما أبالي أزيد قائم أم عمرو، فإن قلت: ما الجملة المعادلة بقوله: ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ على القراءة المختارة؟ فالقول فيه أنها محذوفة المعنى أمفقودون هم أم زاغت عنهم الأبصار^(٢). وهذا كما ذكرنا في قوله: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْفَايِيتِ﴾ [النمل: ٢٠]، وقد مر الكلام في السخري في سورة المؤمنين^(٣).

﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ قال مقاتل: أم زاغت أبصارنا عنهم فهم معنا في النار ولا نراهم^(٤). ونحو هذا قال مجاهد^(٥).

وقال قتادة: يقول زاغت أبصارنا عنهم فلم نرهم حتى دخلوا النار^(٦). وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء^(٧).

(١) انظر الحجة ٨٤/٦.

(٢) الحجة ٨٢/٦، ٨٣.

(٣) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ آية ١١٠، قال: سخرى مصدر وصِفَ به ولذلك أفرد.

(٤) تفسير مقاتل ١٢٠ ب.

(٥) تفسير مجاهد ٥٥٣. انظر: الطبري ١٨١/٢٣.

(٦) انظر: تفسير عبدالرزاق ١٦٨/٢، والطبري ١٨٢/٢٣.

(٧) لم أقف عليه.

وقد صح نظم الآية وتفسيرها في ما ذكرنا ، وذكرت في هذه الآية أقوال فاسدة تركتها ، وبقي هاهنا إشكال عظيم ، وهو أنهم لما دخلوا النار صاروا إلى حقائق المعرفة بأحكام الآخرة ، وعلموا أن كفرهم أوجب لهم النار ، وأن المؤمنين لا يدخلونها ، فكيف قالوا لفقراء المؤمنين ما لنا لا نراهم في النار ؟

وبيان هذا : أن الأتباع قالت للرؤساء : إنكم كنتم تقولون في الدنيا إن الجنة والنار إن كانتا حقاً على ما يقول محمد ، فنحن أهل الجنة وهؤلاء الذين اتبعوا محمداً من الموالي والضعفاء يدخلون النار ، وهذا مذكور عن رؤساء الكفار وأنهم يقولونه لأتباعهم ، فقالت الأتباع لهم بعد ما اجتمعوا في النار احتجاجاً عليهم وبيان أنهم كذبوا في ما قالوا لهم : ما لنا لا نرى في النار أولئك الذين كنا نعدهم من الأشرار . والذي ذكره الله في هذه الآيات يجري بين الرؤساء والأتباع على سبيل المحاجة والمخاصمة .

٦٤ . يدل على صحة هذا قوله : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ قال مقاتل : يعني تخاصم القادة والأتباع على ما أخبر به عنهم ^(١) .

قال أبو إسحاق : «أي الذي وصفنا عنهم لحق ، ثم بين ما هو» ، فقال : ﴿ تَخَاصُمُ ﴾ ؛ أي هو ﴿ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ ^(٢) .

٦٥ . قل يا محمد لأهل مكة : ﴿ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ﴾ أنذرکم وأحذرکم عقوبة الله . ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ ﴾ ؛ أي وقل لهم أيضاً ما من إله ﴿ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ لخلقه .

(١) لم أقف عليه عن مقاتل . انظر : مجمع البيان ٨ / ٧٥٦ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٤٠ .

٦٧-٦٩ . قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ يعني : القرآن . قاله ابن عباس ^(١) وقتادة ^(٢) والمفسرون ^(٣) . قال ابن عباس : يريد الذي جئكم به هو نبأ عظيم . وقال الكلبي ^(٤) : يقول القرآن عظيم عند الله .

وقال مقاتل : «حديث عظيم ؛ لأنه كلام الله ، أنتم يا كفار مكة ﴿عَنَّهُ﴾ عن الإيذان به معرضون» ^(٥) .

وهذا الذي ذكره المفسرون قول محمد ^(٦) .

وقد شرحه أبو إسحاق وزاده بياناً فقال : «أي قل النبأ الذي أنبأتكم به عن الله نبأ عظيم ، أنتم عنه معرضون لا تتفكرون فيه فتعلموا صدقي ونبوتي ، يعني : ما آتيناهم من قصة آدم وإبليس ، وفي ذلك دليل على صدق نبوته ، فإن ذلك لا يعلم إلا بقراءة الكتب أو بالوحي ، وقد علموا أنه لم يقرأ كتاباً فلا ريب فيه في ما يخبر به أنه وحي» ^(٧) .

وعلى هذا النبأ العظيم ما أخبرهم به من قصة آدم ، وهو بعض القرآن وعظمة دلالته على صدقه ، وأنه وحي من عند الله ، يدل على صحة هذا المعنى قوله تعالى :

(١) انظر : البغوي ٦٨/٤ ، ومجمع البيان ٧٥٦/٨ ، وزاد المسير ١٥٤/٧ .

(٢) انظر : القرطبي ٢٢٦/١٥ ، ومجمع البيان ٧٥٦/٨ .

(٣) قال به أيضاً مجاهد . انظر : الطبري ١٨٣/٢٣ ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ١٥٤/٧ لابن عباس ومجاهد والجمهور .

(٤) لم أقف عليه عن الكلبي ، وقد نسبته القرطبي ٢٢٦/١٥ لابن عباس ومجاهد وقتادة ، والطبري ١٨٣/٢٣ ونسبه لمجاهد وشريح والسدي .

(٥) تفسير مقاتل ١٢٠ ب .

(٦) لعلمه محمد بن كعب القرظي ، ولم أجد هذا القول منسوباً له .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٠/٤ .

﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ الملاء الأعلى : هم الملائكة في قول جميعهم ، كقوله : ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ .

وقوله : ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ يعني ما ذكر في قوله : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ^(١) القصة إلى آخرها . وهذا قول ابن عباس ^(٢) ومقاتل ^(٣) والمفسرين جميعهم ^(٤) .

٧٠ . قوله تعالى : ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ إن يوحى إلي ؛ أي ما يوحى إلي إلا أنها أنا نذير مبين . قال الفراء : «إن شئت جعلت إنما في موضع رفع كأنك قلت : ما يوحى إلي إلا الإنذار ، وإن شئت جعلت المعنى ما يوحى إلي إلا لأني نبي ونذير ، فإذا ألقيت اللام كان موضع إنما نصباً» ^(٥) .

وقوله : ﴿مُبِينٌ﴾ قال ابن عباس : أبين لكم ما تأتون من الفرائض والسنن ، وما تدعون من الحرام والمعصية ^(٦) .

٧١ . قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ﴾ إذ صلة من قوله : ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ ، واعتراض بينهما كلام وهو قوله : ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ﴾ . ذكر ذلك الكلبي ^(٧) وابن جريج وغيرهما . وقال صاحب النظم : هذا نظم لم يجيء للعرب مثله ؛ لأن قوله : ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ﴾ وما بعده أمره الله نبيه ﷺ أن

(١) انظر : في هذا الموضع القصة كاملة وأقوال المفسرين فيها .

(٢) انظر : الطبري ١٨٣/٢٣ ، والماوردي ١١٠/٥ ، وبحر العلوم ١٤٠/٣ ، ومجمع البيان ٧٥٦/٨ .

(٣) تفسير مقاتل ١٢٠ ب .

(٤) انظر : المصادر السابقة ، زاد المسير ١٥٤/٧ .

(٥) معاني القرآن ٤١٢/٢ .

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد أوردته المؤلف في الوسيط ٥٦٦/٣ من دون نسبة .

(٧) لم أقف عليه عنها . انظر : البحر المحيط ٤٠٩/٧ ، والدر المصون ٣٩٦/٩ . تحقيق د . أحمد الخراط .

يقول لهم ، ثم تبع ذلك متصلاً به : إذ قال ربك للملائكة ، فهذا إخبار منه - جل وعز - عن نفسه ؛ لأنه لو كان على نظم ما قبله لوجب أن يكون إذ قال ربي للملائكة .

٧٥ . قوله تعالى : ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾ قال الكلبي ^(١) : بقدرتي .

وقال مجاهد : اليد هاهنا بمعنى التأكيد والصلة ^(٢) . وكلا القولين غير مرض ؛ لأنه لو أريد اليد القدرة لم يبين ولم يثبت أيضاً لآدم تفضل ؛ لأن إبليس وكل شيء مخلوق بالقدرة ، وكذلك لا تخصيص لآدم إذا جعل اليد صلة ، والصحيح الموافق للغة والأصول أن تقول : معنى اليدين هاهنا تحقيق إضافة الخلق إلى الله على معنى أنه تولاه ولم يأمر به ، ولا كان عن سبب أدى إليه كالولادة واجتماع الذكر والأنثى واشتغال الرحم عليه . شرف الله آدم من بين ولده بهذه الحالة ، وكرمه بهذا اللفظ الذي ينبئ عن تحقيق التولي ^(٣) .

والتشية أشد مبالغة ؛ وذلك أن الله تعالى خاطبنا في القرآن على عادة العرب في مخاطبتها وعادة الناس في مخاطبتهم بينهم ليصح الإفهام ^(٤) ، والواحد منا إذا أراد

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : الثعلبي ٣ / ٢٦٢ ب .

(٣) قول المؤلف - رحمه الله - هنا ورده قول الكلبي حيث أول اليد بالقدرة لا يفهم منه إثبات المؤلف صفة اليد لله تعالى ، وذلك أن المؤلف أشعري المعتقد كما سبق أن بينا ذلك عند الحديث عن عقيدته في قسم الدراسة ، فالمؤلف هنا اختصر على تقرير معنى الآية على المعنى اللغوي ، إذ إنه لم يثبت اليد لله صراحة ، وأهل السنة والجماعة يشبّهون اليدين لله جل وعلا ، بل يشبّهون سائر الصفات التي أثبتها لنفسه ، أو أثبتها له نبيه ﷺ من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف .

أما تكريم آدم فلأنه خلقه - جل وعلا - بيده ميسراً ولم يخلق ذا روح بيده غيره ، فلذلك خصّه به وفضله ، وشرف بذلك ذكره كما قرره الإمام الدارمي سعيد بن عثمان في ردّه على بشر المريسي ٢٥ .

انظر : شرح العقيدة الطحاوية ١ / ٢٦٤ .

(٤) في (أ) : (الإيهام) .

أن ينسب شيئاً إلى نفسه بأنه تولاه من غير [أن] ^(١) شورك فيه أو أمر به غيره ، قال : هذا مما توليته بنفسى وبىدي ، فإن ثنى اليد وقال : بىدي ، كان ذلك أوكد في التخصيص ، والله - تعالى - لما قال في خلق آدم خلقتة بىدي ، كان ذلك دالاً على هذا المعنى ، وخطبنا على ما نخطب نحن في ما [بيننا] ^(٢) ، فعلمنا بهذا اللفظ تفضيل آدم وتخصيصه ^(٣) كما أننا نعرف بإضافة البيت ، إلى الله فضل البيت وبإضافة الناقة إليه فضلها ، وبقولنا للخليفة عبد الله فضله ، وإن كان كلنا عباد الله وكل ناقة وبيت لله .

قوله : ﴿أَسْتَكْبَرْتُ﴾ «روى عن ابن كثير : بىدي استكبرت موصولاً كأنه لم يجعل أم معادلة للهمزة ، ولكن جاء باستكبرت ، على وجه الإخبار عنه بالاستكبار وجاء بأم منقطعة كقوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَاهُ﴾ [الأحقاف : ٨] ومن حجته أنه لو عادل أم بالهمزة كان المعنى : استكبرت ، أم استكبرت ألا ترى أن قوله : ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ استكباراً يدل على ذلك قوله : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص : ٤] في موضع آخر ﴿وَأَسْتَكْبَرَهُ وَجُودُهُ﴾ [القصص : ٣٩] ، ووجه قول من قطع أن الاستكبار كأنه أذهب في باب الطغيان من العلو ، فجاز لذلك معادلة أم بالهمزة ، قال الشاعر :

أَنْصَبُ لِلْمَنِيَةِ تَعْتَرِيهِمْ رَجَالِي أَمْ هُمْ دَرَجَ السُّيُولِ ^(٤)

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) .

(٣) أخرج الطبري : في تفسيره ١٨٥ / ٢٣ عن مجاهد عن ابن عمر قال : خلق الله أربعة بيده : العرش وعدن ، والقلم ، وآدم ، ثم قال لكل شيء : كن ، فكان .

(٤) البيت من الوافر ، وهو لابن هرمة في ديوانه ١٨١ ، والأزمة والأمكنة ٣٠٧ / ١ ، والكتاب ٤١٥ / ١ ، وخزانة الأدب ٤٢٤ / ١ .

وهو في هذا البيت يتحسر على قومه لكثرة من فقد منهم ، يقول : هل هم نصبٌ للمنية لا تتعدهم بل تدور عليهم ، أم هم كانوا في قمر السيل فجرفهم ؟

فمن كان درج السيول كان نصباً للمنية وقد عادها بقوله : أنصب للمنية»^(١) .

وفيه وجه آخر ، وهو أن قوله : ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ﴾ استفهام توبيخ وإنكار ، يقول : «استكبرت بنفسك حين أبيت السجود لآدم ، أم كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لآدم بكونك من قوم يتكبرون»^(٢) .

٨٤ . قوله تعالى : ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ قال الفرّاء : «من نصب فالحقّ والحقّ فعلى معنى قولك : حقّاً لآتينك والألف واللام وطرحهما سواء ، وهذا بمنزلة قولك : حمداً لله والحمد لله»^(٣) .

وقال أبو علي : «من نصب الحق الأول كان منصوباً بفعل مضمر يدل انتصاب الحق عليه ، وذلك الفعل هو ما ظهر في مثل قوله : ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ [يونس : ٨٢] ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ [الأنفال : ٨] .

قال : ويجوز أن ينصب على التشبيه بالقسم ، فيكون الناصب للحق ما نصب القسم ، وجوابه قوله : ﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ ، واعتراض هذه الجملة مما يؤكد القصة ، فيجوز الفصل بها بين القسم والمقسم عليه ، وأما الحق الثاني فيجوز أن يكون الأول وكرره على وجه التوكيد إذا قلنا إن الحق الأول قسم ، ويجوز أن يكون منصوباً بأقول كأنه : وأقول الحق ، وعلى هذا قوله : لأملأن على إرادة قسم أو نية قسم ؛ لأنه لا قسم في قوله : ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ﴾ إذا جعلنا الأول منصوباً بفعل مضمر والثاني بأقول .

(١) انظر : الكلام من قوله : ويروى عن ابن كثير : بيدي استكبرت موصولاً . . . بنصه في الحجة ٨٦ / ٦ .

(٢) انظر : القراءات وعلل النحويين فيها ٥٩٠ / ٢ ، والحجة ٨٦ / ٦ ، والدر المصون ٥ / ٥٤٥ ، والبحر المحيط ٣٩٢ / ٧ .

(٣) معاني القرآن ٤١٣ / ٢ .

وقرأ الكوفيون : فالحقُّ رفعاً وله وجهان ؛ أحدهما : أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، وتقديره : أنا الحق ، ويدل على ذلك قوله : ﴿ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقُّ ﴾ [الأنعام: ٦٢] ، فكما جاز وصفه - سبحانه - بالحق جاز أن يكون خيراً في قوله : أنا الحق . والوجه الآخر : أن يكون مبتدأ وخبره محذوف تقديره : الحق مني كما قال : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [البقرة: ١٤٧] ^(١) . والوجهان ذكرهما أبو إسحاق ^(٢) ، وعلى هذا لا قسم في اللفظة ويكون مراداً .

قال مجاهد في هذه الآية : الله الحق وقوله الحق ^(٣) . وروى الحكم عنه أنه قال : يقول الله الحق مني وأنا أقول الحق ^(٤) .

٨٦ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ قال ابن عباس : على ما أدعوكم إليه من مال تعطونيهِ ^(٥) .

وقال المفسرون ^(٦) : على تبليغ الوحي والقرآن . ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ معنى التكلف في اللغة : الكلفة على نفسك وهي المشقة من غير داع إليها ^(٧) . وصفة متكلف صفة نقص تجري مجرى الذم ؛ لأنه لا يحسن بالعاقل أن يتكلف ما لم يجب عليه ولم يؤمر به .

(١) الحجة ٦ / ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٤٢ .

(٣) انظر : الطبري ٢٣ / ١٨٧ ، والماوردي ٥ / ١١١ ، وزاد المسير ٧ / ١٥٨ .

(٤) انظر : الطبري ٢٣ / ١٨٨ برواية ابن جريج عن مجاهد ، الماوردي ٥ / ١١١ عن الحكم ، معاني القرآن للنحاس ٦ / ١٠٤ عن الحكم عن مجاهد .

(٥) لم أقف عليه ، وقد ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠ / ٣٢٤٧ عن ابن عباس : « من أجر عرض من الدنيا » .

(٦) انظر : الطبري ٢٣ / ١٨٨ ، والثعلبي ٣ / ٢٦٣ ، وبحر العلوم ٣ / ١٤٢ ، والماوردي ٥ / ١١٢ .

(٧) انظر : مفردات القرآن (كلف) ٤٣٨ ، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (كلف) ٣ / ٤٨٨ .

قال ابن عباس : يريد ما آتيكم من قبل نفسي يعني : لا أتكلف هذه الآيات بل أمرت به ^(١) .

وقال في رواية عطاء : ما أتكلف هذا من عندي يعني : القرآن ^(٢) .

٨٧ . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس ^(٣) ومقاتل ^(٤) : يقول ما القرآن إلا موعظة الخلق أجمعين .

٨٨ . وقوله تعالى : ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ﴾ أنتم يا كفار مكة (نبأه) خبر صدقه . ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ قال ابن عباس ^(٥) وقتادة ^(٦) : يعني بعد الموت .

وقال عكرمة ^(٧) : يعني يوم القيامة .

وقال الكلبي ^(٨) : من بقي علم ذلك لما ظهر أمره وعلا ، ومن قال ^(٩) علمه يقينا بعد الموت .

وقال مقاتل ^(١٠) : هذا وعيد لهم بالقتل بيدري يعني : أن قوله بعد حين بعد القتل بيدري .

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وذكره الماوردي ١٢ / ٥ من دون نسبة ، وكذا ابن الجوزي في زاد السير ١٥٨ / ٧ .

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وذكره الماوردي ١١٢ / ٥ من دون نسبة ، وكذا ابن الجوزي في زاد السير ١٥٨ / ٧ .

(٣) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨٥ .

(٤) تفسير مقاتل ١٢١ أ .

(٥) انظر : البغوي ٧٠ / ٤ ، ومجمع البيان ٧٥٩ / ٨ ، وزاد المسير ١٥٩ / ٧ .

(٦) انظر : الطبري ١٨٩ / ٢٣ ، والثعلبي ٣ / ٢٦٣ أ ، البغوي ٧٠ / ٤ .

(٧) انظر : الماوردي ١١٢ / ٥ ، والقرطبي ٢٣١ / ١٥ ، وزاد المسير ١٥٩ / ٧ .

(٨) انظر : البغوي ٧٠ / ٤ ، ومجمع البيان ٣٥٩ / ٨ ، وزاد المسير ١٥٩ / ٧ .

(٩) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (ومن مات) ، وهكذا جاء في المرجع السابق .

(١٠) تفسير مقاتل ١٢١ أ .

تفسير

سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ذكر الفراء^(١) والزجاج^(٢) في رفع تنزيل وجهين ؛ أحدهما : الابتداء ، والخبر من الله ؛ أي نزل من عند الله عز وجل ، والثاني : أن يكون رفعه على هذا تنزيل الكتاب فرفعته بإضمار هذا كما قال : ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ [النور : ١] .

واختار صاحب النظم الوجه الأول ، فقال : هذه الآية فصل بمبتدأ وخبره على أن يكون قوله : ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ مبتدأ ، وقوله : ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ خبراً له ؛ أي تنزيل الكتاب من الله لا من غيره كما تقول في الكلام : استقامة الناس من الأنبياء ؛ أي إنها لا تكون إلا من الأنبياء .

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٤١٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٤٣ .

٢. قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ قال ابن عباس: يريد؛ أي ليس هو بباطل^(١).

وقال مقاتل: يقول لم تنزله باطلاً لغير شيء^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ قال أبو إسحاق: فاعبد الله موحداً له لا تشرك به شيئاً^(٣)، وقال المبرد: الإخلاص لله عز وجل، أن يكون العبد يقصد بنيته وعمله إلى خالقه، لا يجعل ذلك لغرض الدنيا ولا ليحسن عند المخلوقين^(٤). فالمعنى على هذا: مخلصاً لله الطاعة من الرياء يعبده لوجهه.

٣. قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ قال مقاتل: يعني التوحيد^(٥)، وقال قتادة: الدين الخالص شهادة ألا إله إلا الله^(٦)، والمعنى: أن الدين الخالص من الشرك هو، له وما سواه من الأديان فليس [بدين^(٧)] الذي أمر به.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ قال ابن عباس: يريد أنداداً^(٨)، قال مقاتل: يعني الآلهة^(٩)، وقال الفراء: هي الأصنام^(١٠)، وخبر الذين محذوف،

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ٣/٦٦٩.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/٣٤٣.

(٤) لم أقف على قول المبرد هذا.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٣/٦٦٩.

(٦) أخرج ذلك الطبري عن قتادة، انظر: تفسيره ١٢/١٩١، ونسبه الماوردي في تفسيره لقتادة، انظر: تفسير الماوردي ٥/١١٤، ونسبه البغوي: لقتادة، انظر: تفسيره ٧/١٠٧.

(٧) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب [بالدين أو بدينه].

(٨) قال في تنوير المقباس ٤٥٨: أرباباً اللات والعزى ومناة.

(٩) انظر: تفسير مقاتل ٣/٦٦٩.

(١٠) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/١١٤.

وفي الكلام دليل عليه المعنى [يقول^(١)] ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله ، ذكر ذلك الزَّجَّاج والفراء ، قال الزَّجَّاج : المعنى يقولون لمن يقول لم تعبدونهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى^(٢) .

قال قتادة : إلا ليشفعوا لنا إلى الله^(٣) .

وقال مقاتل : إلا ليقربونا إلى الله منزلة فيشفعوا لنا^(٤) ، ونحو ذلك ، قال السدي^(٥) .

وقال ابن عباس وابن زيد : زلفى : قربي^(٦) .

وأصل الزلفى في كلام العرب : القربى^(٧) وذكرنا تفسير هذا الحرف عند قوله : ﴿وَزُلْفًا مِّنْ أَيْلٍ﴾ [هود: ١١٤] وفي مواضع . وتقدير الآية : إلا ليقربونا إلى الله تقريباً ، فوضع زلفى موضع المصدر ، وذلك التقريب الذي عنوا هو الشفاعة ، كما حكيها عن المفسرين^(٨) .

(١) كذا في (أ) و(ب) وهو تصحيف والصواب [يقولون] ، وهي كذلك عند الزَّجَّاج ٣٤٤ / ٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٤٤ / ٤ ، ومعاني القرآن للفراء ٤١٤ / ٢ .

(٣) أخرج ذلك الطبري : عن قتادة . انظر : تفسيره ١٩١ / ١٢ ، ونسبه الثعلبي لقتادة ، انظر : تفسيره ١٠ / ١٠ ، وكذلك نسبه الماوردي في تفسيره لقتادة ، انظر : ١١٤ / ٥ . ونسبه البغوي لقتادة ، انظر : تفسيره ١٠٨ / ٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٦٦٩ / ٣ .

(٥) أخرج ذلك الطبري : عن السدي . انظر : : تفسيره ١٩٢ / ١٢ ، وذكر ذلك الماوردي في تفسيره ١١٤ / ٥ عن السدي ، ونسبه ابن كثير في تفسيره ٧٨ / ٦ للسدي .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٤٥٨ ، وأخرج الطبري قول ابن زيد . انظر : تفسيره ١٩٢ / ١٢ ونسبه الماوردي : في تفسيره لابن زيد ، انظر : ١١٤ / ٥ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (زلف) ٢١٣ / ١٣ ، واللسان (زلف) ١٣٨ / ٩ .

(٨) انظر : تفسير الطبري ١٩١ / ١٢ ، والبغوي ١٠٨ / ٧ ، وابن كثير ٧٨ / ٦ .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا ﴾ قال : قريش يقولونه للأوثان ، ومن قبلهم يقولونه للملائكة ولعيسى ولعزير^(١) ، يعني : أن كل هؤلاء الذين عبدوا مع الله غيره من صنم أو ذي روح . قال : وهذا القول يدل على أن كل هؤلاء الذين ذكرهم مجاهد ، قد دخلوا في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾ [قوله]^(٢) في ما بعد : ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ من أمر [الذين]^(٣) كل يقول الحق ديني فهم مختلفون ، وهم الفرق المخالفة لدين الإسلام يحكم الله بينهم يوم القيامة ، ويعذب كلاً على قدر استحقاقه كما حكم ، ثم أخبر أنه لا يهدي هؤلاء ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ ، قال ابن عباس^(٤) ومقاتل^(٥) : لا يرشد لدينه كاذباً ولا كفاراً ، قال صاحب النظم : قوله ﴿ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴾ متصل بقوله : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ ﴾ على الرد له ، وقوله : ﴿ كَفَّارٌ ﴾ متصل بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ على الرد له فجعل - عز وجل - قوله : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ ﴾ كذباً وجعل اتخاذهم من دونه ولياً كفراً .

وقال أهل المعاني : هذا في من سبق عليه القضاء بالكفر والتكذيب وحرمان الهداية^(٦) .

٤ . قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى ﴾ ؛ أي كما يزعم الذين نسبوا إلى الله اتخاذ الولد ﴿ لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ ، (ما) هاهنا

(١) أخرج ذلك الطبري ١٢ / ١٩١ عن مجاهد . انظر : تفسير مجاهد ٥٧٧ .

(٢) كذا في (أ) و(ب) ، ولعل الصواب (وقوله) .

(٣) كذا في (أ) و(ب) ، ولعل الصواب (الدين) .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٤٥٨ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٦٩ .

(٦) لم أقف عليه .

بمعنى : (من) ثم أعلم أنه مُنزّه عن اتخاذ الولد ، فقال : ﴿سُبْحَنَهُ﴾ ؛
أي تنزيهاً له عن ذلك .

وأهل التفسير أجروا الآية على ظاهرها ، كما هي [على المعول^(١)] ومقاتل
ابن^(٢) سليمان خصص قوله : ﴿مِمَّا يَخْلُقُ﴾ بالملائكة ، واعتبر هذا بقوله :
﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًَا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ [الأنبياء : ١٧] ، فقال : لا اختار مما يخلق من
الملائكة فإنهم أطيب وأطهر^(٣) .

قوله : ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لا شريك له ولا ندّ له ولا صاحبة ولا ولد ،
قاله ابن عباس^(٤) ، القهار لخلقه قهر ما خلق بالموت وهو حي لا يموت .

ثم بيّن ما يدل على توحيده بما خلق مما يعجز عنه المخلوقين ، فقال :

٥ . ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : لم يخلقهما
باطلاً لغير شيء^(٥) . ﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ قال أبو عبيدة^(٦)
وابن قتيبة^(٧) : يدخل هذا على هذا ومنه كور العمامة ، وقوله : ﴿إِذَا
الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير : ١] ؛ أي جُمِعت ولُفَّت ، ومعنى التكوير في اللغة :
طرح الشيء بعضه على بعضه ، يقال : كوّرت الحائط إذا طرحته حتى

(١) كذا في (أ) و(ب) .

(٢) في (أ) : (وسليمان) وهو تصحيف .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٦٦٩ / ٣ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) لم أقف على نسبته لابن عباس . انظر : تفسير مقاتل ٦٧٠ / ٣ .

(٦) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨٨ / ٢ .

(٧) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٣٨٢ .

يسقط أبو عبيدة عن الأصمعي طعنه ، وكَوَّرَه ^(١) وحوَّره إذا صرعه ،
قال أبو كبير :

مُتَكَوِّرِينَ عَلَى الْمَهَارِي بَيْنَهُمْ ضَرْبُ كَمِغْطِيطِ الْمَزَادِ الْأَنْجَلِ ^(٢)

يقال : كَوَّرَه فتكَوَّر ، وأراد بالمعاري الركب في رؤوس العظام التي تعرى من اللحم يقال لها : المعارى ، وكَوَّرَ المتاع : إذا ألقى بعضه على بعض ، فمعنى يكوِّر الليل على النهار ويكور النهار على الليل : يلقي أحدهما على الآخر بأن يدخله عليه كما قال : ﴿يُعْشَى الْإِيلَ النَّهَارُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ، وقال : ﴿يُولِجُ الْإِيلَ فِي النَّهَارِ﴾ [لقمان: ٢٩ ، فاطر: ١٣ ، والحديد: ٦] .

والمفسرون ذكروا في هذه الآية ما ينبىء عن معنى التكوير لا عن تفسيره ، قال ابن عباس في رواية عطاء : يخرج الضوء من الظلمة ، ويخرج الظلمة من الضوء ^(٣) .

وقال مقاتل : يسلط هذا على هذا وذاك على هذا ^(٤) ، وقال مجاهد : ﴿يُكَوِّرُ﴾
يدهور ^(٥) . وقال قتادة : هو غشيان أحدهما الآخر ^(٦) .

(١) لفظها في تهذيب اللغة فكَوَّرَه وجَوَّرَه (كار) ٣٤٦/١٠ .

(٢) ورد البيت في تهذيب اللغة (كار) ٣٤٧/١٠ لكن بلفظ : كتعطاط المزاد الأنجل ، وكذلك ورد في اللسان (كور) ١٥٧/٥ كرواية تهذيب اللغة .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٠/٣ .

(٥) أخرج ذلك الطبري ١٩٣/١٢ عن مجاهد ، ونسبه الثعلبي لمجاهد . انظر : تفسيره ١٠/١٠ ب ، وانظر : تفسير مجاهد ٥٧٧ ، وتهذيب اللغة (كار) ٣٤٦/١٠ .

(٦) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ١٩٣/١٢ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره ١٠/١٠ ب ، وعبدالرزاق في تفسيره ١٧١/٢ لقتادة .

وقال الكلبي : يزيد من الليل في النهار ويزيد من النهار في الليل ^(١) . وهذا بعيد ؛ لأنه ليس المراد من التكوير الزيادة والنقصان .

وقال المؤرج : يدخل هذا على هذا ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَسَحَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ مفسرين في مواضع ^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ قال ابن عباس ^(٤) والمفسرون : يريد إلى الأجل الذي وقَّت الله الدنيا إليه ، يعني يوم القيامة ^(٥) .

وقال الكلبي : يسيران إلى أقصى منازلهما ، ثم يرجعان إلى أدنى منازلهما لا يجاوزانه ^(٦) .

﴿ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الغالب في ملكه . ﴿ الْعَفْرُ ﴾ لأهل طاعته وأوليائه .

٦ . قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ قال المفسرون : يعني آدم ^(٧) ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ قال الفراء والزجاج ^(٨) : المعنى خلقكم من نفس خلقها واحدة ثم جعل منها زوجها ؛ لأن خلقها كان بعد خلق الزوج فهي واحدة معنى خلقها واحدة ، وقال ابن زيد :

(١) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١ ب عن الكلبي ، ونسبه السمرقندي في تفسيره ٣ / ١٤٤ للكلبي .

(٢) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره عن المؤرج ، انظر : ١٠ / ١ ب .

(٣) انظر : تفسير سورة الرعد ٢ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) قال الطبري ١٢ / ١٩٣ إلى قيام الساعة ، وقال السمرقندي ٣ / ١٤٤ : يقال إلى يوم القيامة ، وقال

القرطبي ١٥ / ٢٣٥ : إلى أن تنصرم الدنيا وهو يوم القيامة .

(٦) ذكر ذلك القرطبي ونسبه للكلبي . انظر : الجامع ١٥ / ٢٣٥ .

(٧) ذكر ذلك الطبري ١٢ / ١٩٣ . وانظر : تفسير الماوردي ٥ / ١١٥ ، وتفسير البغوي ٧ / ١٠٨ .

(٨) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٤١٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٤٥ .

خلقنا أولاً في ظهر آدم^(١)، يدل عليه الحديث المرفوع، وهو: أن الله تعالى أخرج ذرية^(٢) آدم من ظهره يوم الميثاق^(٣)، ثم خلق بعد ذلك حواء وهو قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء خلقها من قصيري^(٤) آدم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أزْوَاجَ﴾ قال صاحب النظم: إنما جاز في الأنعام الإنزال؛ لأنها لا تقوم إلا بالنبات، والنبات لا يقوم إلا بالماء، وهو - عز وجل - نزل الماء من السماء^(٥)، ومثله قوله: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ [الأعراف ٢٦]، وهو - عز وجل - لم ينزل اللباس، ولكن اللباس من القطن والصوف ولا يكونان إلا بالماء، ونحو هذا قال أبو علي: الإنزال هاهنا بمعنى الإنشاء والإحداث^(٦)، وهذا مما تقدم^(٧) القول فيه.

قال مقاتل: وجعل لكم من الأنعام ثمانية أزواج؛ الذكر والأنثى من كل جنس من النعم^(٨).

(١) لم أقف عليه .

(٢) في (ب): (آدم به آدم)، وهو تصحيف .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس قال: أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني: عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلاً . . انظر: مسند الإمام أحمد ٢٧٢/١ .

(٤) انظر: تفسير الطبري ١٢/١٩٤، وتفسير الوسيط ٣/٥٧١ .

(٥) انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري ٣٦٦ .

(٦) انظر: الحجة لأبي علي ٣/٤١٨ .

(٧) انظر: [الأنعام: ١٤٣] .

(٨) انظر: تفسير مقاتل ٣/٦٧٠ .

قال أبو إسحاق : يقال للذكر والأنثى من كل جنس من النعم زوجان ، وكل واحد منهما يقال له زوج^(١) ، وتفصيل هذه الأزواج مذكور في سورة الأنعام [آية : ١٤٣] .

قوله : ﴿حَلَقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ نطفاً ثم علماً إلى أن يخرج من بطن أمه ، وهذا قول جميع المفسرين^(٢) .

وقال ابن زيد : من بعد خلق يعني من بعد أن خلقنا في ظهر آدم والخلق في بطون الأمهات بعد ذلك الخلق^(٣) ، ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ قال ابن عباس والجميع : يريد ظلمة [المشيمة^(٤)] وظلمة البطن وظلمة الرحم^(٥) ، وخالف سعيد بن جبير فجعل مكان ظلمة البطن ظلمة الليل^(٦) ، وحكى الزجاج^(٧) وأبو عبيدة^(٨) : في الأضلاب والبطن والرحم^(٩) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٤٥ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٢ / ١٩٥ ، وتفسير الثعلبي ١٠ / ٢ ، وتفسير الماوردي ٥ / ١١٥ ، وتفسير البغوي ٧ / ١٠٩ .

(٣) أخرج ذلك الطبري : عن ابن زيد . انظر : تفسيره ١٢ / ١٩٥ ، ونسبه الثعلبي لابن زيد . انظر : تفسيره ١٠ / ٢ ، ونسبه ابن الجوزي في تفسيره لابن زيد . انظر : زاد المسير ٧ / ١٦٣ ، ونسبه القرطبي لابن زيد . انظر : الجامع ١٥ / ٢٣٦ .

(٤) في (أ) و (ب) كتبت [المشه] ، وهو تصحيف . والصحيح : المشيمة .

(٥) أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك والسدي ١٢ / ١٩٦ ، ونسبه الماوردي لابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة ، انظر : تفسير الماوردي ٥ / ١١٥ ، ونسبه القرطبي لابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك ، انظر : الجامع ١٥ / ٢٣٦ .

(٦) ذكر ذلك القرطبي عن سعيد بن جبير . انظر : الجامع ١٥ / ٢٣٦ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٤٥ / ٤ .

(٨) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١٨٨ .

(٩) والقول الأول أصح ؛ لأن نص الآية في بطون أمهاتكم والأضلاب ليست في البطون .

قوله : ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ قال مقاتل وغيره : ذلكم الله الذي خلق هذه الأشياء ، ودبر هذا التدبير هو ربكم ^(١) ، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُصْرَفُونَ﴾ قال ابن عباس : يقول فكيف تصرف عقولكم إلى أن تجعلوا الحجارة وغير ذلك من خلقه له أنداداً وشركاء ^(٢) ؟ وقال أبو إسحاق : المعنى فمن أين تصرفون عن طريق الحق بعد هذا البيان مثل ^(٣) ﴿فَأَتَىٰ تُؤَفَّكُونَ﴾ [الأنعام : ٩٥ ، يونس : ٣٤ ، فاطر : ٣ ، غافر : ٦٢] .

٧ . قوله تعالى : ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ قال مقاتل : إن تكفروا يا أهل مكة ، فإن الله غني عن عبادتكم ^(٤) : وذكر ابن عباس في هذه الآية ما روي أن الله تعالى يقول : لو أن أهل السموات والأرض أطاعوني وآمنوا بي ، ما زاد ذلك في ملكي مثقال ذرة ، وأنا غني عن عبادة من جحدني ^(٥) .

وقوله : ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرُ﴾ في تفسير هذا طريقان ؛ أحدهما : التخصيص ، قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد لا أرضى لأوليائي وأهل طاعتي وخيرتي من خلقي الكفر ^(٦) ، وقيل في رواية علي : هم عباده المخلصون الذين قال : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر : ٤٢] ، فالزمهم شهادة ألا إله إلا

(١) انظر : تفسير مقاتل ٦٧١ / ٣ ، والسمرقندي ١٤٥ / ٣ ، والقرطبي ٢٣٦ / ١٥ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٤٦ / ٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٦٧١ / ٣ .

(٥) لم أقف عليه ، وقد ورد بهذا المعنى الحديث القدسي في صحيح مسلم عن أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ في ما روى عن الله - تبارك وتعالى - أنه قال : «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي . . وفيه يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً . . .»

انظر : صحيح مسلم كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ١٩٩٤ / ٣ .

(٦) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط ٥٧٢ / ٣ .

الله وحبَّها إليهم^(١)، وقال السدي : لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا^(٢)، الثاني : أن هذا للعموم والله - تعالى - لا يرضى الكفر لأحد^(٣)، وكفر الكافر غير مرضٍ لله تعالى وإن كان بإرادته، والإرادة^(٤) غير الرضى ألا ترى أن الواحد منا يريد الشيء ولا يرضى به ؛ لأن الرضى بالشيء طيب القلب به ومن الله تعالى المدح على ذلك بالشيء والثناء^(٥)، والله يريد لكفر الكافر غير راضٍ به ؛ لأنه لا يمدحه ولا يثني عليه .

- (١) أخرج ذلك الطبري من رواية علي عن ابن عباس انظر : تفسيره ١٢/١٩٧، ونسبه الثعلبي في تفسيره لابن عباس انظر : ١٠/٢٢، ونسبه القرطبي لابن عباس انظر : الجامع ١٥/٢٣٦ .
- (٢) أخرج ذلك الطبري عن السدي . انظر : تفسيره ١٢/١٩٧، ونسبه الثعلبي للسدي ، انظر : تفسيره ١٠ : ٢٢، وكذلك نسبه البغوي في تفسيره لابن عباس والسدي ، انظر : ٧/١٠٩، ونسبه القرطبي لابن عباس والسدي ، انظر : الجامع ١٥/٢٣٦ .
- (٣) ذكر القولين الطبري في تفسيره ١٢/١٩٧، والبغوي ٧/١٠٩، وابن عطية ١٤/٦٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/١٦٤ .
- (٤) قال في شرح الطحاوية : وأما أهل السنة فيقولون إن الله وإن كان يريد المعاصي قدراً فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها ، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها . وهذا قول السلف قاطبة فيقولون : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . . . والمحققون من أهل السنة يقولون : الإرادة في كتاب الله نوعان : إرادة قدرية كونية خلقية ، وإرادة دينية أمرية شرعية ؛ فالإرادة الشرعية : هي المتضمنة للمحبة والرضى ، والكونية : هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ١/٧٩ .
- (٥) قال الشيخ محمد خليل هراس في شرح العقيدة الواسطية : ومحبة الله - عز وجل - لبعض الأشخاص والأعمال والأخلاق صفة له قائمة به ، وهي من صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق بمشيئته ، فهو يحب بعض الأشياء من دون بعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة ، وينفي الأشاعرة والمعتزلة صفة المحبة بدعوى أنها توهم نقصاً . إذ المحبة في المخلوق معناها ميله إلى ما يناسبه أو يستلذه ، فأما الأشاعرة فيرجعونها إلى صفة الإرادة فيقولون إن محبة الله لعبده لا معنى لها إلا إرادته لإكرامه ومثوبته ، وكذلك يقولون في صفات الرضى والغضب والكرهية والسخط كلها عندهم بمعنى إرادة الثواب والعقاب . . . وأما أهل الحق فيثبتون المحبة صفة حقيقية لله - عز وجل - على ما يليق به ؛ فلا تقتض عندهم نقصاً ولا تشبيهاً ، كما يثبتون لازم تلك المحبة وهي إرادته - سبحانه - إكرام من يحبه وإثابته . انظر : شرح العقيدة الواسطية ٥٣ .

قوله : ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ قال الفراء والزجاج : يرضى الشكر لكم^(١) ، ودلّ الفعل على المصدر كما قال : ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران : ١٧٣] وقد مر ، واختلف الفراء في (يرضه) ، فمنهم من أشبع الهاء حتى ألحق بها واواً ؛ لأن ناقل الهاء متحرك فصار بمنزلة ضربه وله ، فكما أن هذا مشبع عند الجميع كذلك يرضه ، ومنهم من حوّل الهاء ولم يلحق الواو ؛ لأن الأصل يرضاه والألف المحذوفة للجزم ليس يلزم حذفها ؛ لأن الكلمة إذا نصبت أو رفعت عادت الألف ، وإذا ثبتت الألف كان الأحسن أن لا تلحق الواو كقوله : ﴿عَصَاهُ﴾ [الشعراء : ٤٥] ، ﴿خَذُوهُ فَعُولُهُ﴾ [الحاقة : ٣٠] ، وذلك أن الهاء خفيفة فلو ألحقها الواو قبلها الألف أشبه الجمع بين الساكنين ، فأما من أسكن الهاء فإن أبا الحسن يزعم أن ذلك لغة ، فعليها يحمل ولا يحمل على إجراء الوصل مجرى الوقف^(٢) ، وقد تقدم الكلام في مثل هذا في سورة آل عمران [آية : ٧٥] وباقي الآية في ما مضى تفسيره^(٣) .

٨. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : يريد عتبة بن ربيعة وأبا حذيفة بن المغيرة^(٤) . ﴿ضُرُّ﴾ بلاء وشدة وفقر أو مرض .

﴿دَعَارَبَهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ راجعاً إليه من شركه موحداً له .

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٤١٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٤٦ .

(٢) انظر : الحجة : للقراء السبعة ٦ / ٩١ ، ٩٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٦١٩ .

(٣) في سورة الأنعام [آية : ١٦٤] .

(٤) قال البغوي : قيل نزلت في عتبة بن ربيعة ، وقال مقاتل نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ، وقيل عام في كل كافر . تفسير البغوي ٧ / ١١٠ . وقال ابن الجوزي : اختلف في من نزلت على قولين ؛ أحدهما : في عتبة بن ربيعة قاله عطاء ، والثاني : في أبي حذيفة بن المغيرة قاله مقاتل . زاد المسير ٧ / ١٦٥ . انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٧١ ، ولم أقف على نسبة لابن عباس .

﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ قال ابن عباس : يريد [غناه] ^(١) وأنعم عليه بالصحة ^(٢) .

وقال مقاتل : أعطاه الله الخير ^(٣) ، وقال أبو عبيدة : كل شيء أعطيته فقد خولته ، وأنشد قول أبي النجم :

كُومَ الذُّرَى مِنْ خَوَلِ المَخَوَّلِ ^(٤)

والخول ما أعطي الإنسان من العبيد والنعم .

قوله : ﴿سَمِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ قال عطاء عن ابن عباس : ترك التوحيد والتضرع إليه ^(٥) .

وقال الكلبي : يقول نبي ربه ^(٦) ، وذكر الفراء ثم أبو إسحاق هذا القول ، فقال الفراء : نسي دعاء الله من قبل ^(٧) .

وقال أبو إسحاق : نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله من قبل ^(٨) ، وذكر وجهاً آخر قال الفراء : يقول ترك الذي كان يدعو به إذا مسه الضر يريد الله تعالى ،

(١) كذا رسمها ولعل الصواب [أغناه] .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٧١ .

(٤) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١٨٨ ، وتفسير الطبري ١٢ / ١٩٩ ، وتهذيب اللغة (خال) ٧ / ٥٦٤ واللسان (خول) ١١ / ٢٢٥ . وهو يمدح إنساناً أنه أعطى من سألته النوق السمينية العالية السنام . والذرا : جمع ذروة وهو أعلى الشيء وهي مما حوَّله الله ومنحه ، وكان عطاؤه كثيراً ، فلم ييخل به ولم ينسبه أحد إلى البخل .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٤١٥ .

(٨) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٤٦ .

قال : و (ما) قد تكون في موضع ﴿ مِنْ ﴾ ؛ كقوله : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون : ٣] يعني الله تعالى ، وقال : ﴿ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ ﴾ ^(١) [النساء : ٣] ، ونحو هذا قال أبو إسحاق : وجائز أن يكون معناه نسي الله الذي كان يتضرع إليه من قبل ^(٢) .

والوجه الأول معنى قول ابن عباس والباقي معنى قول الكلبي ^(٣) ، وفيه وجه آخر وهو : أن يكون المعنى نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه ، وهذا عندي أجود الوجوه ، والوجهان الأولان فيهما استكراه وبعده ؛ لأن تصحيح الوجه الأول أن تقول تقديره نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله ، ففيه سيا ^(٤) جعل الدعاء بمعنى التضرع ، والوجه الثالث : سلم من هذه المجازات ^(٥) .

قوله : ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ قال ابن عباس : شركاء ^(٦) ، يريد أنه يراجع عبادة الأوثان ﴿ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ ليزل عن دين الله الإسلام ، ﴿ قُلْ ﴾ لهذا الإنسان ﴿ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ﴾ قال ابن عباس : يريد متاع الدنيا قليل ^(٧) ، قال مقاتل : قليلاً في الدنيا إلى أجلك ^(٨) ، قال الفرّاء : هذا تهديد وليس بأمر محض ، وكذلك

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٤١٦ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٤٦ .

(٣) ذكر ذلك الماوردي : في تفسيره عن الكلبي . انظر : ٥ / ١١٦ .

(٤) في (أ) و (ب) : (سيا) .

(٥) ذكر الأقوال الثلاثة ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ١٦٥ ، والشوكاني في فتح القدير ٤ / ٤٥٢

(٦) لم أقف عليه .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٧١ .

﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(١) [النحل: ٥٥، الروم: ٣٤]، فقال الزَّجَّاجُ: لفظه لفظ الأمر ومعناه التهديد والوعيد^(٢)، وكذلك قال المبرِّد^(٣).

قوله: ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ يريد أن مصيرك إلى النار قاله ابن عباس^(٤).

٩. قوله: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ قرئ: بالتخفيف والتشديد، واختلف أهل المعاني في توجيه القراءتين، واختار أبو عبيدة التشديد، قال: ومعناها عند أهل العلم هذا أفضل أم من هو قانت على تأويل أم الذي هو قانت، كذلك هو في التفسير، ولا يكون على هذا بالتشديد، هذا كلامه^(٥)، وهذا قول أبي علي في وجه هذه القراءة، وشرحه فقال: الجملة التي قد عادت أم قد حذفت، والمعنى: الجاحد الكافر خير أم الذي هو قانت، ودلَّ على الجملة المحذوفة المعادلة لأم ما جاء بعد من قوله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ودلَّ عليه أيضاً من قبل قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ الآية، ومثل حذف الجملة المعادلة لأم للدلالة عليها من الفحوى قوله: ﴿أَتُخَذُّنَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾^(٦) [ص: ٦٣]، وقد مر آنفاً نحو هذا.

قال الفرَّاء في قراءة من شدد: والأصل أم من فأدغمت الميم في الميم^(٧)، وعلى قول هؤلاء هي أم التي في قولك: أزيد أفضل أم عمرو، واعترض المبرِّد على أبي

(١) انظر: معاني القرآن للفرَّاء ٤١٦/٢.

(٢) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٤٦/٤.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: تنوير المقياس ٤٥٩.

(٥) لم أقف على اختيار أبي عبيد انظر: تفسير الطبري ٢٠١/١٢، والكشف لمكي ٢٣٧/٢، والكشف عن وجوه القراءات لابن زنجلة ٦٢٠.

(٦) انظر: الحجة لأبي علي ٩٢/٦.

(٧) انظر: معاني القرآن للفرَّاء ٤١٧/٢.

عبيد ، فقال : أم هاهنا هي المنقطعة ؛ كقولك إنها لا بل أم شاء ، وليس على ما قال القسم ؛ لأن أم التي تعاقب الألف لا بد من أن تكون الألف قبلها على معنى أنها ، وذلك قولك أزيد أفضل أم عمرو . والجواب في هذا أن يذكر أحدهما ولا يكون جوابه لا ولا نعم^(١) ، وأما أم المنقطعة فإنها تخرج من كلام كقوله : ﴿ أَمَرِ قَوْلُوكَ أَفْتَرْنَهُ ﴾ [السجدة : ٣] ، فإنها هو لترك قصة ، إلى قصة وكذلك : ﴿ أَمَرِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾ [الزخرف : ١٦] ؛ أي بل اتخذ وتقدير قوله : ﴿ أَمَرِ هُوَ قَنِتٌ ﴾ بل الذي هو قانت أفضل وأسعد أم الذي قيل له : تمتع بكفرك ، وأما ما ذكر من التفسير الذي يوجب التشديد فلا أعرفه . ونحو هذا قال أبو إسحاق فقال : أَمَّنْ معناه بل أَمَّنْ هو قانت كغيره ؛ أي أَمَّنْ هو مطيع كمن هو عاص^(٢) ، وكلا المذهبين قريب من السواء ؛ لأنه لا بد من تقدير محذوف .

وفي المذهب الأول يقدر محذوفاً يعطف عليه بأم ، وفي المذهب الثاني يقدر محذوفاً بعد أم ، وأما من قرأ بالتخفيف فإن الفراء ذكر فيه وجهين ؛ أحدهما : أن الألف في أَمَّنْ للدعاء بمنزلة يا من وهذا وجه حسن ، والعرب تدعو بالألف كما تدعو (بيا) ، فيقولون : يا زيد أقبل وأزيد أقبل ، وأنشد :

أبني لبيني لستم بيد^(٣)

(١) انظر : المقتضب للمبرِّد فقد ذكر معنى (أم) ٣/ ٢٨٦ ، ٤/ ١٢٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٤٧ .

(٣) البيت لأوس بن حجر . وعجزه :

إلا يد ليست لها عَضْدُ

انظر : ديوانه ٢١ ، والشاهد من البيت أن العرب تنادي بالهمزة كما تنادي بيا . ولبينى : اسم امرأة . وبنو لبيني من أسد بن وائلة ، يعيرهم بأنهم أبناء أمة إذ ينسبهم إلى الأم تهجيناً لشأنهم وأنهم هجناء . لستم بيد ؛ أي أنتم في الضعف وقلة النفع كيد بطل عضدها ، وقد استشهد بالبيت الطبري في تفسيره ١٢/ ٢٠١ ، وسيبويه في الكتاب ٢/ ٣١٧ والنحاس في إعراب القرآن ٤/ ٥ .

يريد يا بني لبينى . قال : ويكون المعنى أنه ذكر الناسي الكافر ، ثم قصّ قصة الصالح بالنداء كما تقول في الكلام : فلان لا يصوم ولا يصلي فيا من يصوم ويصلي أبشر ، الوجه الثاني : أن الألف للاستفهام بمنزلة أم ، ويكون المعنى : أم من هو قانت كمن^(١) كالأول الذي ذكر بالنسيان والكفر^(٢) ، وهذا الاستفهام إنكار ، ونحو هذا قال الزّجاج^(٣) وأبو علي^(٤) والمبرّد^(٥) .

قال الزّجاج : تأويله أمن هو قانت كهذا الذي ذكرنا ممن جعل الله أنداداً^(٦) .

وقال المبرّد : ومن قرأ بالتخفيف استأنف ولم يأت بأمر التي هي آية الإصرار ، كأنه قال الذي هو قانت كهؤلاء وجواب الاستفهام محذوف لدلالة ما قبله وما بعده^(٧) عليه .

وقال أبو علي منكراً قول الفراء : إن الألف بمنزلة ياء من خفف ، كأن المعنى أمن هو قانت كمن هو بخلاف هذا الوصف ولا وجه للنداء هنا ؛ لأن هذا موضع معادلة وليس النداء مما يقع في هذا الموضع إنما يقع في مثل هذا الموضع الجمل التي تكون إخباراً وليس النداء كذلك ، ويدل على المحذوف هنا قوله : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ؛ لأن التسوية لا تكون [إلا^(٨) بين شيئين وفي جملتين . من أخبر] فالمعنى أمن هو قانت كمن جعل الله أنداداً ليضل عن سبيله .

(١) كذا في (أ) و(ب) وفي معاني الفراء بدل : (كمن) لفظة (خفيف) ٤١٧/٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٤١٧/٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٣٤٧/٤ .

(٤) انظر : الحجة : لأبي علي ٩٣/٦ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٣٤٧/٤ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) كذا في (أ) و(ب) . وفي الحجة : (لا تكون بين شيئين وفي جملتين في الخبر) . انظر : الحجة ٩٣/٦ .

قال أبو إسحاق : والقانت المطيع المقيم على الطاعة القائم بما يجب عليه من أمر الله ^(١) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : أمن هو قانت يريد طائعاً لله ، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ^(٢) .

وقال ابن عمر : ذاك عثمان بن عفان ^(٣) .

وقال مقاتل : بل هو عمار بن ياسر ^(٤) .

وقوله : ﴿ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ مضي تفسيره ^(٥) .

قوله تعالى : ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ مرة ^(٦) ؛ أي هو مطيع في الحالين .

قوله : ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ قال مقاتل : يحذر عذاب الآخرة ^(٧) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٤٧/٤ .

(٢) ذكر ذلك الماوردي عن ابن عباس لكن من رواية الضحاك ، انظر : تفسيره ١١٧/٥ ، وذكره المؤلف في أسباب النزول ٣٣٨ من دون سند ، وتفسير الوسيط ٥٧٣/٣ والبغوي في تفسيره ١١٠/٧ ، والقرطبي في الجامع ٢٣٩/١٥ .

(٣) أخرج ذلك المؤلف عن ابن عمر في تفسيره الوسيط ٥٧٣/٣ ، وذكره أيضاً في أسباب النزول من دون سند ٣٨٨ ، وذكره البغوي في تفسيره ١١١/٧ ، والقرطبي في الجامع ٢٣٩/١٥ .

(٤) في (أ) و(ب) : (يسار) ، وهو تصحيف . والصحيح (ياسر) ، كما سيأتي في الكلام التالي . وهو في المصادر التالية أثبتنا : تفسير مقاتل ٦٧٢/٣ ، وتفسير الماوردي ١١٧/٥ ، وأسباب النزول للمؤلف ٣٨٨ ، وتفسير الوسيط للمؤلف ٥٧٤/٣ ، وزاد المسير ١٦٧/٧ ، والجامع للقرطبي ٢٣٩/١٥ .

(٥) انظر : سورة عمران ١١٣ .

(٦) كذا في (أ) و(ب) ولعل المعنى (ساجداً مرة وقائماً مرة) .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣٧٢/٣ .

﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : يعني الجنة لمن يعقل ليسوا سواء^(١) .

قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال مقاتل : الذين يعلمون أن ما وعد الله من الثواب والعقاب حق يعني عمار بن ياسر ، والذين لا يعلمون ذلك أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي^(٢) ، ونحو هذا قال الكلبي ، قال : نزلت في عمار بن ياسر وفي مواليه بني مخزوم^(٣) .

وقال أبو إسحاق : أي هل يستوي العالم والجاهل وكذلك لا يستوي المطيع والعاصي^(٤) ، وعلى هذا ضرب العالم والجاهل مثلاً للمطيع والعاصي ، والقول هو الأول . قوله : ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَبِ﴾ ؛ أي إنما يتعظ ذوو العقول كعمار بن ياسر ودونه من المؤمنين ، فأما الجاهل الكافر فإنه لا يتعظ ولا يرتدع .

١٠ . قوله تعالى : ﴿قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ؛ أي صدقوا بتوحيد الله . ﴿أَنفُؤا رَبِّكُمْ﴾ بطاعته واجتناب معصيته ، قال ابن عباس : يريد جعفر بن أبي طالب وأصحابه الذين خرجوا معه^(٥) إلى أرض الحبشة^(٦) .

(١) لم أقف على نسبه لابن عباس انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٣٧٢ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٣٧٢ .

(٣) ذكر الماوردي في تفسيره عن الكلبي أنها في عمار بن ياسر ، انظر : تفسيره ١١٧/ ٥ ، وكذلك ذكره البغوي عن الكلبي . انظر : تفسيره ١١١/ ٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٤٧ .

(٥) (معه) ساقطة من (ب) .

(٦) ذكر ذلك القرطبي في الجامع عن ابن عباس . انظر : ٢٤٠/ ١٥ ، وذكره المؤلف في تفسيره الوسيط ٥٧٤/ ٣ .

وتم الكلام^(١) ثم قال : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ قال ابن عباس : وحدوا الله^(٢) . وقال مقاتل : أحسنوا العمل في هذه الدنيا^(٣) .

قوله تعالى : ﴿حَسَنَةٌ﴾ قال^(٤) : يريد الجنة كقوله : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ [يونس : ٢٦] ، وعلى هذا قوله : ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ ظرف لإحسانهم وهو عملهم توحيدهم .

وقال السدي : معنى الحسنة هاهنا : الصحة والعافية يقول لهم في هذه الدنيا الصحة والعافية^(٥) ، وعلى ما قال في هذه الدنيا ظرف للحسنة لا للإحسان ، والقول هو الأول ؛ لأن المحسن بالتوحيد والأعمال الصالحة وعد الأجر في الآخرة لا في الدنيا ، وأما نعمة الدنيا من الصحة والمال ، فإنها تسبيغ للكافر ولا تحلو للمؤمن دنياه .

قوله : ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾ قال ابن عباس : يريد ارحلوا من^(٦) مكة وهذا حث لهم على الهجرة من مكة إلى حيث يأمنون .

وقال الكلبي : ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾ يعني : المدينة^(٧) واسعة آمنة ، فخصّ الأرض هاهنا بالمدينة ، والظاهر أنها غير مختصة بها على ما ذكر ابن عباس ؛ لأن

(١) انظر : المكنى في الوقف والابتداء ٤٨٧ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٢ / ٣ .

(٤) لم أقف على نسبه لابن عباس ، انظر : تفسير مقاتل ٦٧٢ / ٣ .

(٥) أخرجه الطبري عن السدي . انظر : تفسيره ٢٠٣ / ١٢ . وذكر ذلك الثعلبي عن السدي . انظر : تفسيره ٣ / ١٠ ونسبه الماوردي للسدي ، انظر : تفسيره ١١٨ / ٥ ، ونسبه البغوي للسدي ، انظر : تفسيره ١١١ / ٧ .

(٦) ذكر ذلك المؤلف في تفسير الوسيط عن ابن عباس ، انظر : ٥٧٤ / ٣ ، ونسبه البغوي في تفسيره : لابن عباس . انظر : ١١١ / ٧ ، وذكر ابن الجوزي القول ولم ينسبه ، انظر : زاد المسير ١٦٨ / ٧ .

(٧) انظر : تنوير المقباس ٤٥٩ ، وتفسير مقاتل ٦٧٢ / ٣ .

جعفراً وأصحابه لم يهاجروا إلى المدينة ، ولو كان المراد بالأرض الواسعة المدينة لهاجروا إليها ولكنها على الإطلاق الذي ذكر .

قال أبو إسحاق : وإنما ذكرت سعة الأرض هاهنا لمن كان يحابي الذي يعبد الأصنام ، فأمر بالمهاجرة عن البلد الذي يكره فيه على عبادتها كما قال عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [النساء : ٩٧] ^(١) .

قوله : ﴿ إِنَّمَا يُؤَيِّتُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ قال ابن عباس : يريد الصابرين على دينهم ^(٢) ، يقول سيكرمون في الآخرة بما لا يهتدي إليه عقل عاقل ولا وصف واصل ، ولا يهتدي إليه حساب الحاسب ولا يعرف .

قال أبو إسحاق : أي من صبر على طاعة الله أعطي أجره بغير حساب ^(٣) ، فمعنى ﴿ الصَّابِرُونَ ﴾ الذين صبروا على توحيد الله وطاعته وقاسوا البلاء ولم يفارقوا دينهم ، كجعفر وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم حين اشتد عليهم الأمر صبروا وهاجروا ، وقال الكلبي : الصابرون على المارزي ^(٤) ، والقول الأول هو الذي يليق بسياق الآية ، قوله : ﴿ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ وقال الكلبي : يصب عليهم الرزق في الجنة صَبًّا ^(٥) ، وقال أبو إسحاق : جاء في التفسير بغير مكيال ولا ميزان ، وهذا وإن كان الثواب وما يتنعم به الإنسان من اللذة والسرور والراحة لا يقع عليه كيل

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٤٧ / ٤ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٤٨ / ٤ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٤٥٩ . قال الليث : يقال مارزأ فلان فلاناً شيئاً ؛ أي ما أصاب من ماله شيئاً ولا انتقص منه . قال : والرُّزءُ : المصيبة ، والاسم الرزينة والمرزئة وفلان قليل الرُّزءِ للطعام ، وقد أصابه رُزءٌ عظيمٌ ، وجمعه أرزَاءٌ . انظر : تهذيب اللغة (رزأ) ٢٤٩ / ١٣ .

(٥) ذكر نحوه القرطبي في الجامع ٢٤١ / ١٥ ، ونسبه للحسين بن علي رضي الله عنهما .

ولا وزن ، فإنه يمثل ما يعلم بحسابه القلب ومما يدركها بنظر فيعرف مقدار القلة من^(١) الكثرة .

١١-١٢ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا ﴾ قال مقاتل : إن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ : ما يحملك على الذي أتيتنا به ، ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وسادة قومك يعبدون اللات والعزى فتأخذ بها ؟ فأنزل الله عز وجل : قل يا محمد إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين^(٢) ، إني أمرت أن أعبد على التوحيد والإخلاص لا يشوب عبادتي شرك ، وأمرت لأن أكون أول المؤمنين ، قال صاحب النظم : زيدت اللام في قوله لأن أكون ؛ لأن التأويل قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ، وأمرت بذلك لأن أكون أول المسلمين ؛ أي إذا عبدته مخلصاً له الدين ، كنت أول المسلمين في الجزاء والثواب ، فيكون دخول اللام في قوله [كان^(٣)] دليلاً على هذا الإضمار ، وعلى ما ذكره هذا اللام هي لام أجل^(٤) .

١٣ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي ﴾ قال مقاتل : إن عصيت ربي فرجعت إلى دين آبائي^(٥) ، وهذا مما سبق تفسيره في سورة الأنعام . [آية : ١٥] .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٤٨ . ولفظها : « فإنه يمثل ما يعلم بحاسة القلب بما يدرك بالنظر . . . » .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٣٧٢ .

(٣) (كان) ساقطة من (ب) .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٢٤٢ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٧٢ .

١٤ . قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ [الآية] ^(١) . بالتوحيد لا أشرك به شيئاً .

١٥ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ قال ابن عباس ^(٢) ومقاتل وغيرهما : صاروا إلى النار ، وأهليهم من الأزواج والخدم في الجنة ، أهلاً إن أطاعه ، فإذا عصاه ورث ذلك الأهل من أطاع الله ، وهو قول ابن عباس وقتادة ^(٣) ومجاهد .

قال أبو إسحاق : هذا يعني به الكفار فإنهم خسروا أنفسهم بالتخليد في النار وخسروا أهليهم ؛ لأنهم لم يدخلوا الجنة مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة ^(٤) .

١٦ . وقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ ذكر تفسير الظلل في سورة البقرة [آية : ٢١٠] ، قال ابن عباس : يريد مثل السقف فيه أصناف العذاب ^(٥) ، وقال مقاتل : يعني أطباقاً من النار تلتهب عليهم ^(٦) ، وهذا كقوله : ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ٥٥] ، وكقوله : ﴿ لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ [الأعراف : ٤١] الآية .

(١) ساقطة من (أ) .

(٢) ذكر ذلك الثعلبي عن ابن عباس ، انظر : تفسيره ١٠/ ٤ ب ، ونسبه البغوي لابن عباس . انظر : تفسيره ٧/ ١١٢ ، وكذلك نسبه القرطبي لابن عباس ١٥/ ٢٤٣ ، وانظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٣ .

(٣) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد . انظر : تفسيره ١٢/ ٢٠٥ ، ونسبه الماوردي لمجاهد ، انظر : تفسيره ٥/ ١١٩ ، وذكر قريباً منه عن قتادة ، وهو بلفظ : خسروا أنفسهم بما حرموها من الجنة وأهليهم من الخور العين الذين أعدوا لهم في الجنة . انظر : تفسير الماوردي ٥/ ١١٩ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٤٨ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٣ .

وقوله : ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ قال مقاتل : يعني : مهاداً من النار ^(١) .

وقال ابن عباس : يريد سقفاً من النار فيه أصناف العذاب ^(٢) .

قال السدي : وهي لمن تحتهم ظلل ، وهكذا حتى ينتهي إلى القعر ^(٣) ، وعلى هذا القول سمى ما تحتهم ظلل ؛ لأنه لمن تحتهم ظلل .

وقال صاحب النظم : الظلة لا تقع إلا على ما كان مظلاً من فوق ، ولكنه - عز وجل - أعلم أن النار محيطه بهم ، فجعل النار التي فوقهم ظلل وحاذى بها النار التي من تحتهم ، فأخرجها على لفظ التي فوقهم كما قال : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى : ٤٠] وما أشبهها من باب المحاذاة .

قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ﴾ رفع بالابتداء ، والمعنى : ذلك الذي وصف من العذاب ^(٤) وما أعد لأهل الضلال . ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ قال ابن عباس : يريد أوليائه ^(٥) .

﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ قال : يريد يا أوليائي فخافوني ، والمعنى : إن ما ذكر من العذاب معد للكفار ، وهو تخويف للمؤمنين ليخافوه فيخشوه بالطاعة والتوحيد ، ثم أمرهم بذلك فقال : يا عباد فاتقون .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٣ / ٣ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ذكره المؤلف في تفسيره الوسيط عن السدي . انظر : تفسير الوسيط ٥٧٥ / ٣ .

(٤) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٨ / ٤ .

(٥) ذكر ذلك القرطبي عن ابن عباس انظر : الجامع ٢٤٣ / ١٥ .

١٧. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ قال ابن عباس والمفسرون: يعني: الأوثان والشيطان^(١)، وعبادة الشيطان طاعته.

﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ رجعوا إليه بالطاعة.

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ قال ابن عباس: لهم البشري في الدنيا بالجنة في الآخرة^(٢).

١٨. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قال مقاتل: يعني أحسن ما في القرآن من الطاعة^(٣).

وقال السدي: يتبعون القول أحسن ما يؤمرون فيعملون به^(٤)، والقول على هذا التفسير القرآن، وقال قتادة: أحسنه طاعة الله^(٥)، وعلى هذا القول كل^(٦) يقال فيتبعون ما فيه طاعة الله.

قال ابن عباس والكلبي: هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه مساوئ ومحاسن، فيحدث بأحسن ما سمع منه، ويكف عما سوى ذلك من القبيح فلا يحدث به^(٧).

(١) لم أقف على نسبه لابن عباس، وقد أخرج الطبري عن مجاهد وابن زيد والسدي أن المراد به: الشيطان، انظر: تفسيره ٢٠٦/١٢، وذكر الماوردي عن مجاهد وابن زيد أن المراد به: الشيطان، وعن الضحاك والسدي أن المراد به: الأوثان. انظر: تفسيره ١٢٠/٥.

(٢) ذكر ذلك الطبري في تفسيره ولم ينسبه، انظر: ٢٠٦/١٢، والثعلبي في تفسيره ولم ينسبه ١٠/٥ ب، والبغوي في تفسيره ولم ينسبه ١١٢/٧.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٦٧٣/٣.

(٤) أخرج ذلك الطبري عن السدي، انظر: تفسيره ٢٠٦/١٢، ونسبه الماوردي للسدي، انظر: تفسيره ١٢٠/٥، وكذلك نسبة البغوي للسدي، انظر: تفسيره ١١٣/٧.

(٥) أخرج ذلك الطبري ٢٠٦/١٢ عن قتادة، ونسبه الماوردي ١٢٠/٥ لقتادة.

(٦) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب: (كل ما يقال).

(٧) ذكر ذلك الماوردي عن ابن عباس انظر: تفسيره ١٢١/٥، ونسبه القرطبي لابن عباس، انظر: الجامع ٢٤٤/١٥.

وقال ابن زيد : نزلت هذه الآية ^(١) في من آمن قبل بعث محمد عليه السلام ، وهم زيد بن عمرو وسلمان وأبو ذر ، لم يأتهم نبي ولا كتاب ، ولكنهم سمعوا قول الباقين ، وكان أحسنه عندهم قول لا إله إلا الله فاتبعوه .

وقال ابن عباس في رواية عطاء ^(٢) : أن أبا بكر - رضي الله عنه - آمن بالنبي ﷺ وصدقه ، فجاء عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة والزبير ، وسعيد بن زيد ، وسعد بن أبي وقاص ، فسألوه فأخبرهم بإيمانه فنزلت فيهم : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ۖ يَرِيدُونَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ .

﴿ فَيَسْتَمِعُونَ أَحْسَنَهُ ۖ ﴾ وعلى هذا الأحسن بمعنى الحسن ، والمعنى : فيتبعون حسنه وكله حسن . وذكر أبو إسحاق في هذه الآية وجهين ؛ أحدهما : أن يكون يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن ، قال : وجائز أن يكونوا يستمعون ما أمر الله به جميعه ، فيتبعون أحسن ذلك نحو القصاص والعفو ، فإن من عفا وترك ما يجب له أعظم ثواباً ممن اقتص ، قال : ومثله ﴿ وَلَمَنِ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ﴾ [الشورى : ٤١] الآية إلى أن قال : ﴿ وَلَمَنِ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣] .

١٩ . قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي : يقول من سبق في علم الله أنه في النار ، أفأنت تنقذه فتجعله مؤمناً ^(٣) ^(٤) ؟ وقال في رواية عطاء : يريد أبا

(١) أخرج ذلك الطبري عن ابن زيد . انظر : تفسيره ٢٠٧/١٢ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره ١٠/٥ لابن زيد ، وكذلك نسبه البغوي ١١٣/٧ لابن زيد ، وكذلك نسبه القرطبي ١٥/٢٤٤ لابن زيد . وقال ابن كثير بعد أن ذكر ذلك عن ابن زيد : « والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأتاب إلى عبادة الرحمن . . . » انظر : تفسير ابن كثير ٨٤/٦ .

(٢) ذكره المؤلف في أسباب النزول ٣٨٨ من دون سند ، وذكره أيضاً في تفسيره الوسيط ٣/٥٧٥ ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ٧/٢١٤ عن ابن إسحاق .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/٣٤٩ .

(٤) ذكر ذلك المؤلف في تفسير الوسيط ٣/٥٧٦ ، وذكره البغوي في تفسيره ١١٣/٧ عن ابن عباس

لهب^(١) وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان به^(٢) ،
وأما معنى الاستفهامين في قوله : ﴿ أَفَمَنْ ﴾ و ﴿ أَفَأَنْتَ ﴾ قال الفراء :
هذا مما يراد به استفهام واحد ، فيسبق الاستفهام إلى غير موضعه فيرد
الاستفهام إلى موضعه الذي هو له ، وإنما المعنى والله أعلم : أفأنت تنقذ
من حقت عليه كلمة العذاب^(٣) ، وعلى هذا الاستفهام الأول في غير
موضعه فأعيد الثاني في موضعه .

وقوله : ﴿ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ هو من حقت عليه كلمة العذاب فكأنه قال : أفأنت
تنقذه ، وقال أبو إسحاق : هذا من لطيف العربية ومعناه معنى الشرط والجزاء ،
وألف الاستفهام هاهنا معناها معنى التوقيف ، والألف الثانية في أفأنت جاءت
مؤكددة معادة لما طال الكلام ؛ لأنه لا يصلح في كلام العربية أن تأتي بألف الاستفهام
في الاسم وألف أخرى في الخبر ، والمعنى : أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت
تنقذه^(٤) ، هذا كلامه ، وشرح قوله إن هذا على معنى الشرط والجزاء ؛ لأن المعنى
من حقت عليه كلمة العذاب لم تنقذه .

والاستفهام الأول تقرير ، والثاني إنكار ، بمعنى لا تنقذه ولا تقدر^(٥) عليه .

(١) عبدالعزيز بن عبدالمطلب بن هاشم من قريش عم رسول الله ﷺ ، وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية ،
ومن أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام .

كان غنياً عتياً كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه ، فأذى أنصاره وحرّض عليهم وقاتلهم ، مات بعد
وقعة بدر بأيام ولم يشهد لها . انظر : نسب قريش ١٨ ، والمحرر ١٥٧ ، والأعلام ١٢ / ٤ .

(٢) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط ٣ / ٥٧٦ ، وذكره أيضاً البغوي : عن ابن عباس ، انظر : تفسيره
١١٣ / ٧ ، وذكره القرطبي عن ابن عباس . انظر : الجامع ١٥ / ٢٤٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٤١٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٤٩ .

(٥) انظر : معاني القرآن للنحاس ٦ / ١٦٣ ، والدر المصون ٦ / ١٢ .

وقال الكسائي : الاستفهام الأول محذوف الجواب ، ومعناه : أفمن حقت عليه كلمة العذاب كالمؤمن الذي لم تحق عليه كلمة العذاب ، فحذف الجواب ^(١) ، ومثله في هذه السورة كثير كقوله : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ [الزمر : ٢٢] ، وقوله ﴿ أَفَمَنْ يَبْقَىٰ بِوَجْهِهِ ﴾ الآية [الزمر : ٢٤] ، وقوله : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَنِيتٌ ﴾ [الزمر : ٩] ، وعلى هذا الاستفهام الثاني لا تعلق له بالأول .

وذكر صاحب النظم قول الفرءاء ، فقال : نظمه أفأنت تنقذ من حق عليه كلمة العذاب ^(٢) ، كالإنكار لهذا المعنى إلا أنه قدم قوله : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴾ ، ثم ثنى عليه قوله : ﴿ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ ﴾ ، فأعاد الاستفهام ، وقال : ﴿ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ ؛ لأنه أشرك فيه هؤلاء الذين ذكرهم وغيرهم من أهل النار ، على تأويل أفأنت تنقذهم وتنقذ غيرهم ممن في النار ؛ أي لا يمكنك ذلك .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْقَرُوا رَبَّهُمْ هُمْ عُرِفُوا مِنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ لكن هاهنا ليست للاستدراك ؛ لأنها لم تأت بعد نفي ؛ كقولك : ما رأيت زيدا لكن عمرا ، وإنما أتت بعد الإيجاب فتكون كترك قصة إلى قصة تامة مخالفة للأولى ، نحو جاءني زيد لكن عمرو لم يأت ^(٣) .

وقوله : ﴿ هُمْ عُرِفُوا مِنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ قال ابن عباس : يريد من زبرجد وياقوت ^(٤) ، والمبنية من صفة الغرف الأولى والثانية ؛ لأنها كلها مبنية .

قال أبو إسحاق : أي لهم منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها ^(٥) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٥٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦ / ١٦٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرءاء ٢ / ٤١٨ .

(٣) انظر : المقتضب للمبرد ٤ / ١٠٧ ، ١٠٨ ، وحروف المعاني للزجاجي ١٥ ومعاني الحروف للرماني ١٣٣ .

(٤) ذكر ذلك القرطبي عن ابن عباس انظر : الجامع ١٥ / ٢٤٥ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٥٠ .

قوله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ ، قال أبو عبيدة^(١) والزجاج : نصبه على المصدر ؛ لأن قوله : ﴿لَهُمْ عُرْفٌ﴾ بمعنى وعدهم الله عرفاً وعداً .

قوله تعالى : ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ ؛ أي ما وعد الكافرين من النار والمؤمنين من الجنة .

٢١ . قال صاحب النظم : قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ تَرَأَىٰ فِي السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ﴾ ؛ أي أدخل ذلك الماء ﴿يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ﴾ ، والكلام في معنى السلك قد تقدم^(٢) ، والينابيع جمع ينبوع وهو مفعول من نبع يقال نَبَعَ الماء يُنْبَعُ وَيَنْبُعُ ، ثلاث لغات ذكرها الفراء والكسائي^(٣) .
قال أبو عبيدة : ينبوع ما جاش من الأرض^(٤) .

وقال أبو إسحاق : ومعنى ينابيع الأمكنة التي ينبع منها الماء^(٥) .

قال الشعبي والضحاك : كل ماء في الأرض فابتدأه من السماء^(٦) . كما قال الله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ^(٧) مَاءً فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ) ، ومعنى الآية أن الله تعالى ينبه على قدرته بإنزاله الماء من السماء ، وإدخاله ذلك في ينابيع الأرض ، وهي كل موضع ينبع منه ماء .

(١) انظر : مجاز القرآن ١٨٩ / ٢ .

(٢) لعله عند قوله : ﴿الَّذِينَ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [طه ٥٣] .

(٣) نبع الماء يُنْبَعُ وَيَنْبَعُ وَيَنْبُعُ . هذا نص الفراء والكسائي في تهذيب اللغة (نبع) ٨ / ٣ .

(٤) انظر : مجاز القرآن ١٨٩ / ٢ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥٠ / ٤ .

(٦) أخرج ذلك الطبري عن الشعبي . انظر : تفسيره ٢٠٨ / ١٢ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره ٥ / ١٠ ب للشعبي والضحاك ، ونسبه البغوي للشعبي . انظر : تفسيره ١١٤ / ٧ ونسبه القرطبي للشعبي والضحاك انظر : الجامع ٢٤٦ / ١٥ .

(٧) نص الآية : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المؤمنون ١٨] .

وقوله : ﴿يَنْبِغُ﴾ نصبها بحذف الخافض ؛ لأن التقدير فسلكه في ينابيع الأرض ، فلما حذف الخافض انتصب ^(١) .

قال مقاتل : فجعله عيوناً وركايا ^(٢) في الأرض ، ثم يخرج بذلك الماء من الأرض زرعاً مختلفاً ألوانه من أصفر وأخضر وأبيض .

﴿ثُمَّ يَهِيْجُ﴾ ؛ أي يجف ، قال الأصمعي : يقال للنبت [إذا جفاهه ^(٣)] قد هاج يهيج هيجاً ^(٤) .

وقال أبو عبيدة : إذا ذوى الرطب كله فقد هاج ، ويقال هاجت الأرض وهو إذا ذوى ما فيها من الخضرة ^(٥) .

قال ابن عباس : يهيج يصفر ^(٦) .

وقال مقاتل : يبس فتراه بعد الخضرة مصفراً ^(٧) .

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا﴾ قال أبو عبيدة : الحطام والرفات والدرين واحد في كلام العرب ، وهو ما يبس من النبات وغيره .

قال مقاتل : يعني هالكاً بعد الخضرة ، روى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية قال : هذا مثل ضربه الله للقرآن ولصدور من في الأرض ، يقول أنزل من

(١) انظر : فتح القدير للشوكاني ٤ / ٤٥٨ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٧٤ .

(٣) كذا رسمها في (أ) و(ب) ولعل الصواب (إذا جفّ) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (هاج) ٦ / ٣٤٩ .

(٥) انظر : مجاز القرآن ٢ / ١٨٩ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٧٤ .

السماء قرآناً سلكه في صدور من في الأرض ، ثم يخرج به زرعاً مختلفاً بعضه أفضل من بعض ، فأما المؤمن فيزداد إيماناً و يقيناً ، وأما الكافر الذي في قلبه مرض فإنه يهيج كما يهيج الزرع^(١) .

وقال مقاتل : هذا مثل ضربه الله للدنيا كمثل النبت بينما هو أخضر إذ هو قد تغير كذلك تهلك الدنيا بعد بهجتها وزيتها^(٢) ، وكلا القولين ليس بظاهر ولا يوافقهما اللفظ ، إنما معنى الآية على ما هو في الظاهر ، ينبت الله على عظم قدرته بإنزاله الماء من السماء وإدخاله في العيون التي يخرج منها ، ثم إنباته بذلك الماء الزروع المختلفة الألوان ثم يهيجها بعد ، يدل على هذا قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا ﴾ قال أبو إسحاق : أي تفكر لذوي العقول ، فيذكرون ما لهم في هذا من الدلالة على توحيد الله عز وجل^(٣) ، وليس المراد بهذا الدنيا ولا القرآن .

٢٢ . قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ ، قال مقاتل : أفمن وسع الله قلبه للتوحيد^(٤) ، وذكرنا معنى الشرح في ما تقدم^(٥) .

وروي عن ابن مسعود ، أنه قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ، فقالوا : يا رسول الله وما هذا الشرح ؟ قال : « نور يقذفه الله في القلب فيفسح القلب » ، ف قيل له : فهل لذلك من أمانة ؟ قال : « نعم » ، قال : وما هي ؟ قال : « الإجابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت »^(٦) .

(١) ذكر ذلك الشوكاني في فتح القدير ٤ / ٤٥٨ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٧٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٥١ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٧٥ .

(٥) انظر : تفسير الأنعام ١٢٥ .

(٦) أخرج ذلك الطبري عن ابن مسعود . انظر : تفسير سورة الأنعام ٥ / ٢٦ وأخرجه الثعلبي عن

ابن مسعود . انظر : تفسيره ١٠ / ٦٦ ، وأورده ابن كثير في تفسيره ٣ / ٩٨ مرسلًا ومفصلاً ، وقال هذه

طرق لهذا الحديث مرسله ومتصلة يشد بعضها بعضا والله أعلم . وقال ابن حجر في تخريج أحاديث =

قوله : ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ قال قتادة : النور كتاب الله به يأخذ وإليه ينتهي ^(١) .

وقال عطاء عن ابن عباس : فهو على يقين من ربه ^(٢) ، وقال مقاتل : على هدى من ربه ^(٣) ، المعنى فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين ، قال أبو إسحاق : المعنى أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته ، والجواب متروك ؛ لأن الكلام دال عليه ، وهو قوله ^(٤) : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، ونحو هذا قال المبرد ^(٥) ، وصاحب النظم وذكره مقاتل ، فقال : يقول ليس المشرح صدره بتوحيد الله كالقاسي قلبه عنه ليسا سواء ^(٦) ، واختلفوا في من نزلت الآية فيه ، فروى عطاء عن ابن عباس : أنها نزلت في حمزة وعلي وأبي لهب وولده ^(٧) .

الكشاف ٤/ ١٤٣ رواه الثعلبي : والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود ، وفيه فروة الرهاوي فيه كلام ، ورواه الترمذي الحكيم في النوادر في الأصل السادس والثمانين ١٢٧ وفي إسناده رجل ضعيف .

وأخرجه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود . انظر : المصنف ١٣/ ٢٢١ ، وأخرجه البغوي عن ابن مسعود ، انظر : تفسيره ٧/ ١١٤ .

(١) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ١٢/ ٢٠٩ ، ونسبه الثعلبي لقتادة ، انظر : تفسيره ١٠/ ١٦ ، ونسبه الماوردي في تفسيره لقتادة ، انظر : ٥/ ١٢١ ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير لقتادة ، انظر : ٧/ ١٧٣ .

(٢) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط عن عطاء عن ابن عباس ، انظر : الوسيط ٣/ ٥٧٧ ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ونسبه لابن عباس ، انظر : ٧/ ١٧٣ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٥١ .

(٥) ذكر ذلك القرطبي ونسبه للمبرد . انظر : الجامع ١٥/ ٢٤٧ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٩ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٥ .

(٧) ذكر ذلك المؤلف في أسباب النزول من دون سند . انظر : أسباب النزول للواحدي ٣٨٩ ، وذكره أيضاً في تفسيره الوسيط عن عطاء . انظر : الوسيط ٣/ ٥٧٧ ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير لعطاء ، انظر : ٧/ ١٧٤ .

قال مقاتل : نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل ^(١) .

وقال الثمالي : نزلت في عمار بن ياسر ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال الفراء : من ذكر الله ، عن ذكر الله كما تقول أتخمت من طعام أكلته وعن طعام أكلته سواء ، المعنى أنهم جعلوه كذباً فأقسى قلوبهم ^(٣) .

وقال أبو إسحاق : يقال قسا قلبه عن ذكر الله ومن ذكر الله ، فمن قال من ذكر الله فالمعنى كلما تلي ذكر الله قسا قلبه ، ومن قال عن ذكر الله فالمعنى : أنه غلظ قلبه وجفا عن قبول ذكر الله ^(٤) عز وجل ، قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ﴾ ؛ أي القاسية قلوبهم من ذكر الله ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ .

٢٣ . قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ روى [سعيد^(٥)] بن أبي وقاص ، أن أصحاب النبي ﷺ قالوا له : لو حدثتنا ، فأنزل الله ^(٦) : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ قال ابن عباس ^(٧) والمفسرون : يعني القرآن ^(٨) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٥ / ٣ .

(٢) ذكر ذلك الماوردي في تفسيره ونسبه لمقاتل ، انظر : ١٢٢ / ٥ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٤١٨ / ٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥١ / ٤ .

(٥) كذا في (أ) و(ب) وهو تصحيف (سعد) .

(٦) أخرج ذلك الطبري عن سعد بن أبي وقاص انظر : تفسيره ١٥٠ / ٧ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٣٤٥ / ٢ عن سعد بن أبي وقاص وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . ونسبه الثعلبي في تفسيره لابن مسعود وابن عباس ، انظر : ٦ / ١٠ ب ، ونسبه ابن الجوزي لسعد بن أبي وقاص ، انظر : زاد المسير ١٧٦ / ٤ ، ونسبه القرطبي في الجامع لسعد بن أبي وقاص ٢٤٨ / ١٥ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٢١٠ / ١٢ ، وتفسير الماوردي ١٢٢ / ٥ ، وزاد المسير ١٧٥ / ٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٨ / ١٥ .

ومعنى الحديث في اللغة ما يحدث به المحدث^(١)، وسمي القرآن حديثاً؛ لأن النبي ﷺ كان يحدث به قومه ويخبرهم بما ينزل عليه منه .

وقوله : ﴿ كِتَابًا ﴾ قال الزَّجَّاج : منصوب على البدل من قوله ﴿ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ مُتَشَبِّهًا ﴾ قال ابن عباس والمفسرون : يشبه بعضه بعضاً فهو متشابه المعاني متشابه الألفاظ^(٣) ، كما قال قتادة : تشبه الآية الآية والحرف الحرف^(٤) .

قوله تعالى : ﴿ مَّثَانِي ﴾ قال مقاتل وغيره : ثنى فيه المواعظ والأمر والنهي والتخويف ، وذكر الجنة والنار والثواب والعقاب وقصص الأمم الخالية^(٥) .

وذكرنا تفسير المثاني عند قوله : ﴿ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾ [الحجر: ٨٧] .

وقوله : ﴿ نَقَشِعُرُ مِنْهُ ﴾ قال مقاتل : يعني ما في القرآن من الوعيد جلود الذين يحشون ربهم^(٦) ، ومعنى نقشعر جلودهم : تأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث في جلد الإنسان عند الوجل والخوف^(٧) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (حدث) ٤/ ٤٠٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٥١

(٣) لم أقف على نسبه لابن عباس . انظر : تفسير الطبري ١٢/ ٢١٠ ، وتفسير البغوي ٧/ ١١٤ .

(٤) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسير ١٢/ ٢١٠ ، ونسبه الثعلبي لقتادة ، انظر : تفسيره ١٠/ ١٧ ، ونسبه الماوردي لقتادة ، انظر : تفسيره ٥/ ١٢٢ ، ونسبه القرطبي لقتادة ، انظر : الجامع ٢٤٩/ ١٥ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٥ ، وتفسير الطبري ١٢/ ٢١٠ ، وتفسير الثعلبي ١٠/ ١٧ ، وتفسير الماوردي ٥/ ١٢٣ ، وتفسير البغوي ٧/ ١١٥ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٥ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (القشعر) ٣/ ٢٧٧ .

قال الفراء : تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم خوفاً من آية العذاب ، ثم تلين عند آية الرحمة^(١) .

وقال أبو إسحاق : إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله - عز وجل - ثم تلين جلودهم وقلوبهم إذا ذكرت آيات الرحمة^(٢) ، وهذا قول المفسرين في هذه الآية^(٣) ، وظاهر قوله : ﴿ نَقَشَعُ مِنْهُ ﴾ أوجب الاقشعرار للخائفين من جميع القرآن ، لكن الاقشعرار والخشية خصصا قوله : (منه) ، فعلم أن المراد بقوله (منه) آيات العذاب والوعيد ؛ لأن القشعريرة لا تكون إلا عند سماع آية العذاب من دون سماع غيرها .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ معنى تلين تطمئن ؛ ولذلك وصل بـإلى ، والمراد بالاقشعرار المذكور في الآية : الاشمئزاز والاضطراب وضده الاطمئنان ، ومعنى إلى ذكر الله : الجنة والثواب فحذف مفعول الذكر للعلم به^(٤) .

قال مقاتل : إلى ذكر الله يعني الجنة وما فيها من الثواب^(٥) ، قال قتادة في هذه الآية : هذا نعت أولياء الله ، نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم ، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم ، إنما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٤١٨/٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥٢/٤ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢١١/١٢ ، وتفسير الثعلبي ١٠/١٧ ، وتفسير الماوردي ١٢٣/٥ ، وزاد المسير ١٧٥/٧ .

(٤) انظر : زاد المسير ١٧٦/٧ ، وفتح القدير للشوكاني ٤٥٩/٤ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٥/٣ .

(٦) ذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير ١٧٦/٧ ، والشوكاني في فتح القدير ٤٥٩/٤ ، كلاهما عن قتادة .

قوله : ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ قال المفسرون : يعني القرآن هدى الله ^(١) ، فذلك إشارة إلى أحسن الحديث ، وقال أبو إسحاق : الذي وهبه الله لهؤلاء من خشيته وخوف عذابه ورجاء رحمته ^(٢) .

قوله : ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ قال ابن عباس : من يخذله الله فما له من مرشد ^(٣) .

وقال مقاتل : من أضله الله عن الهدى فلا أحد يهديه إليه ^(٤) .

٢٤ . قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَنْتَقِي يَوْجَهُهُ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ ذكرنا معنى الالتقاء في ما تقدم ، ومعناه هاهنا الاستقبال كما يقال : اتقيته بحقه ، قال صاحب النظم : الالتقاء هاهنا الاستقبال كرهاً لا طوعاً لأن النار تقصد وجوههم وأنشد النابغة :

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرَدْ إِسْقَاطُهُ فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ ^(٥)
أي استقبلتنا بها .

وأنشد :

ما زالَ يمتحنُ العلا ويروضها حتى اتقته بكيماءِ السُّودِ ^(٦)

(١) انظر : تفسير الطبري ١٢ / ٢١١ ، وتفسير مقاتل ٣ / ٦٧٥ ، وزاد المسير ٧ / ١٧٨ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٥٢ .

(٣) ذكر القرطبي هذا المعنى ولم ينسبه ، انظر : الجامع ١٥ / ٢٥٠ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٧٥ .

(٥) انظر : ديوان النابغة ٣٠ ، والشعر والشعراء ٩٢ ، وشرح المعلقات العشر ١٥٤ ، والبحر المحيط ٧ / ٤٢٤ .

(٦) انظر : ديوان أبي تمام ١٠٠ .

قال ابن عباس وسعيد بن المسيب : نزلت في أبي جهل^(١) .

واختلفوا في كيفية انتقاء الكافر النار بوجهه ، فقال مجاهد : يجر على وجهه في النار^(٢) .

وقال الكلبي : ينطلق به إلى النار مغلولاً ، فإذا رمت به الخزنة فيها لم يتقها بأول من وجهه^(٣) .

وقال مقاتل : في عنقه حجر ضخمة مثل الجبل العظيم من الكبريت ، تشتعل فيه النار وهو معلق في عنقه ، يشتعل على وجهه وهو لا يطيق رفعها عنه ؛ من أجل الأغلال التي في يده وعنقه^(٤) .

وقال الفراء والكسائي : هذا مما جوابه محذوف المعنى : أضمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن يدخل الجنة^(٥) ؟ وتم الكلام^(٦) .

ثم أخبر عما تقول الخزنة للكفار بقوله : ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ قال ابن عباس : يريد جزاء ما كنتم تعملون^(٧) .

(١) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ونسبه لابن المسيب ، انظر : ٨/١٠ ، وذكره المؤلف في تفسيره الوسيط ولم ينسبه ، انظر : ٥٧٩/٣ .

(٢) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد . انظر : تفسيره ٢١١/١٢ ، ونسبه الثعلبي لمجاهد . انظر : تفسيره ٨/١٠ ، ونسبه البغوي في تفسيره لمجاهد ، انظر : ١١٧/٧ .

(٣) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط عن الكلبي ، انظر : ٥٧٩/٣ ، وذكر نحوه البغوي عن عطاء ، انظر : تفسيره ١١٧/٧ ، وكذلك ذكر نحوه القرطبي عن عطاء وابن زيد ، انظر : الجامع ٢٥١/١٥ . انظر : تفسير مقاتل ٦٧٦/٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٤١٨/٢ ، ومعاني القرآن للأخفش ٦٧١/٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ١٧٠/٦ .

(٥) انظر : الإيضاح لابن الأنباري ٨٦٨/٢ ، والقطع والائتناف للنحاس ٦٢١ ، والمكتفى للداني ٤٨٩ .

(٦) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط ٥٧٩/٣ ونسبه لعطاء .

قال صاحب النظم : قوله (وقيل) معطوف على مضمرة قبله تقديرًا فمن^(١) يتقي بوجهه سوء العذاب إذا كان يوم القيامة وقيل للظالمين ، وعلى هذا لا يصح الوقف عند قوله : ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ؛ لاتصال قوله : ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ بما قبله ، والقول هو الأول ، وهذا تكلف لا معنى له .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ﴾ ، يعني من قبل كفار مكة . قال مقاتل : كذبوا رسلهم بالعذاب أنه غير نازل بهم^(٢) ، ﴿فَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال ابن عباس : وهم آمنون في أنفسهم^(٣) . وقال مقاتل : يعني وهم غافلون عنه .

٢٦ . قوله تعالى : ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخُرَى﴾^(٤) ؛ أي الهوان والعذاب الذي يخزيهم به في الحياة الدنيا ، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ مما أصابهم في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ولكنهم لا يعلمون^(٥) ، والمعنى أنهم لو كانوا عالمين لعلموا أن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا فيرتدعوا .

٢٧-٢٨ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ يعني أهل مكة ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ في حال عربيته وبيانه ، وذكر قرآنًا توكيدًا كما تقول جاءني زيد رجلاً صالحاً ، وجاءني عمرو إنساناً صالحاً عاقلاً ، فتذكر رجلاً وإنساناً توكيداً^(٦) .

(١) كذا رسمها بالأصل ولعل الصواب (تقديره أفمن يتقي) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٦ / ٣ .

(٣) ذكر نحوه ابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : زاد المسير ١٧٨ / ٧ .

(٤) في (أ) : (فأذاهم الله) وهو تصحيف

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٦ / ٣ .

(٦) ذكر ذلك الزجاج في معاني القرآن ٣٥٢ / ٤ .

وذكر أبو علي هذه الآية في المسائل الحلبية ، فقال : قوله ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ حال من القرآن في قوله : ﴿ وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ ، ولا يمنع أن يُنَكَّر ما جرى في كلامهم معرفة من نحو هذا ؛ ومن ثم أجاز الخليل في قول الشاعر :

يا هِنْدُ هِنْدُ بَيْنَ خَلْبٍ وَكَبَدٍ^(١)

أن يكون المعنى يا هند أنت هند بين خلب وكبد ، فجعله نكرة لوصفه له بالظرف . ومثل ذلك قول الآخر :

علا زيدنا يوم [النقا]^(٢) رأسَ زيدكم^(٣)

قال مقاتل : قرأنا عربياً ليفقهوه ، ﴿ غَيْرَ ذِي عَوْجٍ ﴾ يعني ليس بمختلف ولكنه مستقيم^(٤) ، كقوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف : ١] . وقال الكلبي : غير ذي عوج مستقيم على الكتب لا عوج فيه^(٥) .

(١) انظر : المسائل الحلبيات لأبي علي ٢٩٨ ، والكتاب لسيبويه ٢/ ٢٣٩ ، واللسان (خلب) ١/ ٣٦٤ ، والخلب : عظيم مثل ظفر الإنسان لاصق بناحية الحجاب ممالي الكبد ، وهي التي تلي الكبد والحجاب والكبد ملتزق بحانب الحجاب . انظر : تهذيب اللغة (خلب) ٧/ ٤٢٢ . والشاهد فيه : رفع هند الثانية على إضمار مبتدأ وتقديرها نكرة موصوفة بها بعدها ، والتقدير : أنت هند مستقرة بين خلب وكبد ، ولم أتوصل إلى قائل هذا البيت .

(٢) في (ب) : (التقى) .

(٣) البيت لرجل من طيء وعجزه : بأبيض من ماء الحديد يمان . النقا : الكثيب من الرمل . ويوم النقا : الواقعة التي كانت عند النقا . الأبيض : السيف . يمان : منسوب إلى اليمن . انظر : المسائل الحلبيات ص ٢٩٨ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٤٥٢ ، والكامل ٣/ ١٥٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٦ .

(٥) ذكر نحوه مقاتل في تفسيره ٣/ ٦٧٦ .

٢٩. قوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ ، المتشاكسون . قال أبو إسحاق : المختلفون العسرون الذين لا يتفقون^(١) ، وقال المبرد : يقال شَكِسَ يَشْكِسُ شَكْسًا إذا عسر وهو رجل شكس ؛ أي عسر ، وقد شَكِسَ إذا تَعَاسَرَ^(٢) ، وقال الليث^(٣) : التشاكس التنازع والاختلاف . والليل والنهار [شاكسان^(٤)] ؛ أي يتضادان^(٥) ، إذا جاء أحدهما ذهب الآخر ، والمفسرون قالوا في التشاكس : أنهم المختلفون^(٦) .

قوله تعالى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ وقرئ سِلْمًا^(٧) ، قال الفراء : وهما متقاربان في المعنى ، وكأن سلمًا مصدر لقولك سَلِمَ له سَلَمًا ، والعرب تقول رِبَحَ رِبْحًا وَرَبِحًا وَسَلِمَ سِلْمًا وَسَلَمًا وسلامة ، فسالم من صفة الرجل وسَلِمَ مصدر لذلك^(٨) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥٣/٤ .

(٢) انظر : إعراب القرآن للنحاس : ١٠/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٢/١٥ .

(٣) الليث بن المظفر ، هكذا ساءه الأزهري ، وقال في البلغة : الليث بن نصر بن يسار الخراساني . وقال غيره : الليث بن رافع بن نصر بن يسار . قال الأزهري : كان رجلاً صالحاً انتحل كتاب العين للخليل لينفق كتابه باسمه ويُرْعَب فيه ، قال ابن المعتز : كان من أكتب الناس في زمانه وقال عن نفسه : ما تركت شيئاً من فنون العلم إلا نظرت فيه إلا النجوم ؛ لأنني رأيت العلماء يكرهونه . انظر : مقدمة تهذيب اللغة للأزهري ٢٨/١ ، وإنباه الرواة ٤٢/٣ ، وبغية الوعاة ٢٧٠/٢ .

(٤) في كتاب العين (يتشاكسان) ، وكذا في تهذيب اللغة .

(٥) انظر : كتاب العين (شكس) ٢٨٨/٥ ، وتهذيب اللغة (شكس) : ٥/١٠ ، واللسان (شكس) ١١٢/٦ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢١٣/١٢ ، وتفسير الثعلبي ٨/١٠ ، وتفسير الماوردي ١٢٤/٥ ، وتفسير البغوي ١١٨/٧ .

(٧) قرأ ابن كثير وأبو عمرو : سالماً ، وقرأ الباقر : سَلَمًا . انظر : كتاب السبعة لابن مجاهد ٥٦٢ والحجة لأبي علي ٩٤/٦ ، والتذكرة لابن غلبون ٦٤٧/٢ .

(٨) انظر : معاني القرآن للفراء ٤١٩/٢ .

وقال أبو إسحاق : من قرأ سَالماً فهو الفاعل على سلم فهو سالم ، ومن قرأ سِلماً وسَلماً فهما مصدران وضعهما على معنى رجلاً ذا سلم لرجل^(١) ، واختار أبو عبيد سالماً ، وقال : إنما اخترنا سالماً لصحة التفسير فيه ، وذلك أن السالم الخالص وهو ضد [المشرك]^(٢) ، وأما السلم فهو ضد المحارب ولا موضع للحرب هاهنا^(٣) .

قال المبرّد : قد يكون السلم كما قال ويكون بمعنى سالم أيضاً ، كما يقول القائل ملكته سلماً وأخذته سلماً ؛ أي سلماً لا منازع لي فيه ، وكذلك تقول إن كان لك في الدار شرك فهو اليوم سلم لك ؛ أي مخلصه^(٤) ، وعلى هذا فالقراءتان سواء ، وأما معنى الآية فقال أبو إسحاق : هذا المثل ضرب لمن وحّد الله - عز وجل - ولمن جعل معه شريكاً ، فالذي وحّد الله مثله مثل السالم لرجل لا يشركه فيه غيره ، ومثل الذي عبد غير الله مثل صاحب الشركاء المتشاكسين^(٥) ، وهذا معنى ما ذكره المفسرون^(٦) في هذه الآية ، قال مقاتل : يقول هل يستوي عبد يشترك فيه نفر مختلفون يملكونه جميعاً ورجل خالص لرجل لا شركة فيه لأحد^(٧) ؟ وقال عطاء عن ابن عباس : يريد : من كان مملوكاً بين عدة من الرجال مثل من كان

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥٢/٤ . ونص العبارة : ويقرأ (سَلماً) وسِلماً ، فسالماً على معنى اسم الفاعل . سَلِمَ فهو سَلَمٌ . وسَلِمَ مصدران وصف بهما على معنى ورجلاً ذا سَلَمٍ .

(٢) كذا في (أ) و(ب) ، وهو تصحيف والصحيح (المشرك) .

(٣) نص على اختيار أبي عبيد ابن زنجلة في حجة القراءات ٦٢٢ ، والثعلبي في تفسيره ٨/١٠ ، والقرطبي في الجامع ٢٥٣/١٥ ، والشوكاني في فتح القدير ٤٦٢/٤ .

(٤) لم أقف على قول المبرّد . انظر : الكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢٣٨/٢ ، وحجة لابن زنجلة ٦٢٢ . وقال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك عندنا أنها قراءتان ومعروفتان ، وقد قرأ بكل واحدة منها علماء من القراء ، متقاربتا المعنى فبأيتها قرأ القارئ فمصيب . . تفسير الطبري ٢١٣/١٢ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥٣/٤ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢١٣/١٢ ، وتفسير الثعلبي ٨/١٠ ، وتفسير البغوي ١١٨/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٢/١٥ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٦/٣ .

لا يملكه إلا واحد^(١)، قال صاحب النظم وغيره : المملوك الذي يملكه شركاء متشاكسون كل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه فيه ، ولا ينفقون عليه لعسرهم وسوء أخلاقهم ، والذي هو سالم لرجل لا يتنازع فيه ، والأول : مثل : لعابد الأوثان ، والثاني : مثل : للموحد يقول : فأَي هذين خير ؟ فكذلك أنتم إذا كان لكم مالك واحد خير من أن يكون يملككم شركاء متشاكسون مختلفون فيكم وفي ملككم ومعاملتكم^(٢) .

وقال قتادة : هذا المشرك تتنازعه الشياطين لا يُقَرَّبُه بعضهم لبعض ، ورجلاً سالمًا لرجل هو المؤمن أخلص الدعوة لله والعبادة^(٣) ، وعلى هذا القول الشركاء المتشاكسون مثل الشياطين ، وعلى قول الجماعة مثل للأوثان ، ثم قال : ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ وقال مقاتل : يقول هل يستوي من يعبد آلهة شتى مختلفة يعني الكافر والذي يعبد رباً واحداً يعني : المؤمن ، فذلك قوله : ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ يقول : هل يستويان في الشبه ؟^(٤)

وقال أبو إسحاق : أي هل يستوي مثل الموحد ومثل المشرك^(٥) ؟ وقال صاحب النظم : أي هل يستويان في المثل ؛ أي في الصفة ؟ قال : والمثل هاهنا بمعنى : الصفة كقوله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ [الرعد : ٣٥] الآية ، وهذا استفهام معناه الإنكار ؛ أي لا يستويان^(٦) ، وذلك أن الخالص للملك واحد يستحق من معونته وحياطته وتدبيره ما لا يستحقه صاحب الشركاء المختلفين في أمره .

(١) لم أقف عليه .

(٢) ذكر نحوه ابن عطية ٨٠ / ١٤ ، وابن الجوزي ١٧٩ / ٧ ، والقرطبي ٢٥٣ / ١٥ .

(٣) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره : ٢١٤ / ١٢ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٧ / ٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥٣ / ٤ .

(٦) انظر : تفسير البغوي ١١٨ / ٧ ، وزاد المسير ١٨٠ / ٧ .

قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال مقاتل : خصصهم الله تعالى بما ذكر من المثل والحجة ، فقال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حين خصهم ^(١) هذا كلامه ، وعلى ما قال القول مضمراً كأنه قيل الحمد لله على أن [خصهم] ^(٢) وقطعهم بالحجة ، وقال غيره : تم الكلام ^(٣) ، ثم استأنف فقال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ؛ أي له الحمد كله من دون غيره من المعبودين .

قوله تعالى : ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بل هاهنا تدل على انقضاء الكلام الأول [واستأنف ^(٤)] كلام آخر ^(٥) ، وهو قوله : ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس : لا يعلمون ما يصيرون إليه من العقاب ^(٦) ، وقال مقاتل : لا يعلمون توحيد ربهم ^(٧) ، والمراد بالأكثر هاهنا الجميع ^(٨) .

٣٠ . ثم أخبر نبيه ﷺ أنه يموت ، وأن هؤلاء الذين يكذبونه عاقبتهم الموت يموتون ويجتمعون للخصومة عند الله .

قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ قال مقاتل : يعني : أهل مكة .

٣١ . ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ قال : أنت يا محمد وكفار مكة ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصَّمُونَ﴾ ^(٩) ، وعلى هذا القول الاختصام يختص بمشركي مكة

(١) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٧/٣ ، ولكن نص العبارة عنده : فخصهم النبي ﷺ ، فقال : قل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حين خصهم .

(٢) كذا في : (أ) و(ب) ، ولعل الصواب (خصهم) .

(٣) انظر : القطع والاشتقاق للنحاس ٦٢١ ، والمكتفى للداني ٤٨٩ .

(٤) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب : (واستأنف كلام) .

(٥) انظر : الجنى الداني في حروف المعاني ٢٣٥ .

(٦) قال البغوي في تفسيره لا يعلمون ما يصيرون إليه ولم ينسبه ، انظر : ١١٨/٧ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٧/٣ .

(٨) قال البغوي ١١٨/٧ : المراد بالأكثر الكل ، وكذلك ذكره ابن الجوزي ١٨١/٧ .

(٩) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٧/٣ .

ومحمد ﷺ، وذهب أكثر المفسرين إلى أن هذا عام، وأن قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ مَّبْتُونُونَ﴾ المراد به كل أحد من بني آدم المسلم والكافر.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصَّمُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم^(١). ويدل على صحة هذا التفسير، ما روي أن الزبير قال لرسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: [أكرر عليها^(٢)] ما كان بيننا مع خواص الذنوب؟ قال: نعم لتكررن حتى يؤدي الرجل إلى كل ذي حق حقه، قال الزبير: والله إن الأمر لشديد^(٣).

وقال الكلبي: في قوله: ﴿تَخَصَّمُونَ﴾ تتكلمون بحججكم^(٤).

٣٢. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: كذب على الله بأن له ولداً وشريكاً^(٥).

(١) أخرج الطبري: عن ابن عباس بلفظ: يخاصم الصادق الكاذب والمظلوم الظالم والمهتدي الضال، والضعيف المستكبر. انظر: تفسير الطبري ١/١٢، وذكره الثعلبي في تفسيره بنص عبارة المؤلف ولم ينسبه، انظر: ٩/١٠، وكذلك ذكره البغوي بنص عبارة المؤلف ولم ينسبه، انظر: ٧/١١٨، وقال القرطبي: تخاصم الكافر والمؤمن والظالم والمظلوم. عن ابن عباس وغيره. انظر: الجامع ١٥/٢٥٤.

(٢) كذا في الأصل فيكون الضمير يعود على النفس أو لعله تصحيف والصواب: (علينا) حتى يتناسب مع ما بعده.

(٣) أخرج ذلك الإمام أحمد عن الزبير مع اختلاف بعض الألفاظ. انظر: مسند الإمام أحمد ١/١٦٤ وأخرجه الطبري عن الزبير. انظر: تفسيره ٢/١٢، وأخرجه الترمذي عن الزبير. انظر: سنن الترمذي كتاب التفسير، باب ٤١ ومن سورة الزمر، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح: ح ٣٧٠/٥، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٠٠ للطبراني، وقال: رجاله ثقات. وأخرجه الحاكم في المستدرک عن الزبير، وقال على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي على شرط مسلم، انظر: المستدرک ٢/٤٣٥، وكذلك أخرجه الثعلبي في تفسيره عن الزبير، انظر: ٩/١٠ ب.

(٤) انظر: تنوير المقباس ٤٦١.

(٥) انظر: تنوير المقباس ٤٦٢، وتفسير مقاتل ٣/٦٧٧.

﴿وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ﴾ قال ابن عباس : يريد كذبك يا محمد ^(١) .

وقال مقاتل : يعني بالحق وهو التوحيد ^(٢) .

وقال آخرون : يعني بالقرآن ^(٣) ، وهو الصدق ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ لما جاءه .
﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ قال ابن عباس : يريد : مقاماً للجاحدين ،
وهو استفهام تقرير يعني : أنه كذلك ^(٤) .

قال صاحب النظم : أليس حرف جحد وقع عليه استفهام فصار تحقيقاً ^(٥) ،
وتأويله : وللكافرين مثوى في جهنم كقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا ^(٦)

٣٣ . قوله تعالى : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ﴾ قال ابن عباس : يريد : النبي ﷺ
﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أبو بكر وأصحابه ، وهذا قول علي بن أبي طالب وأبي
العالية ^(٧) .

(١) انظر : تنوير المقباس ٤٦٢ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٧/٣ .

(٣) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ٢/١٢ ، وذكر ذلك البغوي ولم ينسبه ، انظر : تفسيره
١٢٠/٧ ، وكذلك ذكره القرطبي ولم ينسبه : ٢٥٦/١٥ .

(٤) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط ولم ينسبه ، انظر : ٥٨١/٣ ، وذكره القرطبي بلفظ : مقام
للجاحدين ولم ينسبه ، انظر : الجامع ٢٥٦/١٥ .

(٥) انظر : الجنى الداني في حروف المعاني ٣٢ .

(٦) انظر : ديوانه ٧٤ ، والخصائص ٤٦٥/٢ ، والجنى الداني ٣٢ .

(٧) أخرج ذلك الطبري عن علي رضي الله عنه ، انظر : تفسيره ٣/١٢ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره لعلي
وأبي العالوية والكلبي ، انظر : تفسيره ١٠/١٠ ب ، وكذلك نسبه أبو حيان في البحر لعلي وأبي العالوية
والكلبي ، انظر : البحر المحيط ٤٢٨/٧ .

وقال قتادة : الذي جاء بالصدق هو محمد ﷺ ، جاء بالتوحيد ، وصدق به المؤمنون أصحاب النبي ﷺ^(١) ، وهو قول ابن عباس^(٢) .

وقال مجاهد : والذي جاء بالصدق وصدق به هم الذين يحيئون بالقرآن ، فيقولون هذا الذي قد أعطيتونا واتبعوا ما فيه^(٣) ، وتقدير نظم الآية على هذه الأقوال والذي جاء بالصدق والذي صدق به ، ويكون الذي في معنى [جمع^(٤)] ، كقولك من صدق وعلى هذا يتوجه أيضاً قول عطاء : والذي جاء بالصدق الأنبياء وصدق به الأتباع^(٥) ، وقال سعيد بن جبير : الذي جاء بالصدق قال : لا إله إلا الله مصداقاً به^(٦) .

قوله : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ قال ابن عباس : الذين يخافونني وآمنوا بي^(٧) ، وقال مقاتل : أولئك هم المتقون الشرك^(٨) .

٣٥ . قوله تعالى : ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ يتعلق بمحذوف دلّ عليه الكلام كأنه قيل أعطاهم ما يشاءون ليكفر^(٩) عنهم سيئاتهم أي يسترها عنهم

(١) أخرج ذلك الطبري ٣/١٢ عن قتادة ، ونسبه الثعلبي لقتادة ومقاتل ، تفسيره ١٠/١٠ ب ، ونسبه القرطبي لابن زيد ومقاتل وقتادة . الجامع ٢٥٦/١٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣/١٢ ، وتفسير الماوردي ١٢٦/٥ .

(٣) أخرجه ابن حجر في تغليق التعليق عن مجاهد ، انظر : ٢٩٨/٤ ، وأخرجه الطبري عن مجاهد ، انظر : تفسيره ٤/١٢ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره لمجاهد ، انظر : ١٠/١١ أ ، ونسبه القرطبي للنخعي ومجاهد ، انظر : الجامع ٢٥٦/١٥ .

(٤) في (أ) : (جماع) .

(٥) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره عن عطاء ، انظر : ١٠/١٠ ب ، ونسبه البغوي في تفسيره لعطاء ، انظر : ١٢٠/٧ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٧/٣ .

(٩) انظر : الدر المصون ١٦/٦ .

بالمغفرة ، ودلّ عليه قوله : ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال مقاتل : يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي^(١) .

٣٦-٣٨ . قوله عز وجل : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ قال ابن عباس : يريد النبي ﷺ^(٢) ، يقول : يكفيك عداوة من عاداك ، وقال مقاتل : يعني أوما الله يكفي النبي ﷺ عدوه^(٣) ، وتوحيد العبد قراءة أكثر القراء وهو اختيار أبي عبيد ، قال : لقوله : ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾^(٤) وكانت المخاطبة للنبي ﷺ .

وقال الفراء : إن قريشاً قالت للنبي ﷺ : إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا لعبك إياها ، فأنزل الله عز وجل : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ محمدًا ﷺ^(٥) .

وقال أبو إسحاق : هذا يدلُّ على النصر وعلى أنه كقوله : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣] ، وهو مثل : ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(٦) [الحجر: ٩٥] ، فعلى قول هؤلاء ، المراد بالعبد محمد ﷺ ، ومعنى الكفاية كفاية عداوة المعادي حتى يغلبهم ويظهر عليهم ، وعلى ما ذكر الفراء كفاية معرفة الآلهة .

وقال أبو معاذ النحوي : من قرأ عبده على الواحد فالمراد به الجمع ، وهو مذهب صاحب النظم ، قال : معناه أن الله كاف عبده المؤمن وعبده الكافر هذا

(١) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٨/٣ .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٤٦٢ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٨/٣ . بلفظ : أما الله (بكاف عبده) يعني : النبي ﷺ يكفيه عدوه .

(٤) قرأ حمزة والكسائي : عباده بالألف وقرأ الباقر : عبده . انظر : تفسير الطبري ٥/١٢ ، والحجة : لأبي علي ٩٥/٦ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٦٢٢ ، وأشار القرطبي إلى اختيار أبي عبيد . انظر : الجامع : ٢٥٧/١٥ ، وكذلك أشار إليه الشوكاني في فتح القدير ٤/٤٦٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٤١٩/٢ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/٣٤٥ .

بالثواب وهذا بالعقاب^(١)، ومن قرأ عباده على الجمع قال : همت أمم الأنبياء بهم وقصدوهم بالشر كقوله : ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [غافر: ٥] ، فكفاهم الله شر من عاداهم^(٢) ، وقال : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ ؛ أي محمداً والأنبياء قبله ذكر ذلك الفراء^(٣) ، وقال أبو علي : المراد بالعباد الأنبياء ، كفى إبراهيم ونوحاً الغرق ويونس ما دفع إليه ، فهو - سبحانه - كافيك يا محمد كما كفى هؤلاء الرسل قبلك عليهم السلام^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ قال ابن عباس : يريد أصنامهم^(٥) .

وقال مقاتل : ويخوفونك بالذين يعبدون من دونه ، وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ أما تخاف أن يصيبك من آهتنا جنون أو خبل^(٦) ؟ وقال معمر : قالوا للنبي : لتكفن عن شتم آهتنا أو لنأمرنها فتخبلنك^(٧) .

وقال قتادة في هذه الآية : إن خالد بن الوليد مشى إلى العزى ليكسرها بالفأس ، فقال له سادنها : احذر كها يا خالد إن لها شدة لا يقوم عليها شيء ، فعمد خالد إلى العزى فهشم أنفها حتى هشمها بالفأس^(٨) .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٥٧/١٥ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ١٢٠/٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٤١٩/٢ .

(٤) انظر : الحجة لأبي علي ٩٦/٦ .

(٥) ذكر ذلك الماوردي ونسبه للكليبي والسدي . انظر : تفسيره ١٢٧/٥ انظر : تنوير المقباس ٤٦٢ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٨/٣ .

(٧) أخرج ذلك عبدالرازق في تفسيره عن معمر . انظر : تفسير عبدالرازق ١٧٣/٢ ، وذكره القرطبي ولم ينسبه ، انظر : الجامع ٢٥٨/١٥ .

(٨) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ٦/١٢ ، وأورده السيوطي في الدر ٢٢٩/٧ وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم ، ونسبه القرطبي في الجامع ٢٥٨/١٥ لقتادة .

قال أبو إسحاق : فهذا معنى : ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ لأن تخويفهم خالداً تخويفهم للنبي ﷺ ، لأنه وجه خالد^(١) .

ثم ذكر سبب ضلالتهم فقال : ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ الآية ، ثم أعلم أنهم مع عبادتهم الأصنام مقرّون بأن الله خالق السموات والأرض ، فقال : ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ .

ثم أمره أن يحتج عليهم بأن ما يعبدون من دون الله لا يملكون كشف ضرر ، فقال : ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : بمرض أو فقر وبلاء وشده^(٢) ، ﴿هَلْ هُنَّ كَشَفَتْ ضُرِّيَّ﴾ هل تقدر الآلهة أن تكشف ما ينزل بي من الضر ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ بخير وصحة ﴿هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِي﴾ هل تقدر أن تحبس عني تلك الرحمة ؟ قال أبو إسحاق : قرئ كاشفات وممسكات بالتنوين وبغيره ، فمن نون فلائنه غير واقع ؛ لأن المعنى هل هن يكشفن ضرره أو يمسكن رحمته ، ومن أضاف فعلى الاستخفاف وحذف التنوين وكلا الوجهين حسن^(٣) ، هذا كلامه ، وشرحه أبو علي ، فقال : من نون فلائنه مما لم يقع ، وما لم يقع من أسماء الفاعلين فالوجه فيه النصب ووجه الجر أنه لما حذف التنوين ، وإن كان المعنى على إثباته [وعاقبت^(٤)] الإضافة التنوين والمعنى على التنوين وعلى هذا قوله : ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ [المائدة : ١] ، وقوله : ﴿عَارِضًا مُسْتَغْبِلًا أَوْ دَائِمًا﴾ [الأحقاف : ٢٤] ، وقوله : ﴿عَارِضٌ مُؤْتِرُنَا﴾^(٥) [الأحقاف : ٢٤] .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥٥ / ٤ .

(٢) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط ونسبه لابن عباس ومقاتل . انظر : ٥٨٢ / ٣ ، وانظر : تفسير مقاتل ٦٧٨ / ٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج : ٣٥٥ / ٤ ، وتفسير الطبري ٧ / ١٢ .

(٤) في (أ) و(ب) : (وعاقبة) .

(٥) انظر : الحجة لأبي علي ٩٦ / ٦ .

قال مقاتل : فسألهم النبي ﷺ عند ذلك فسكتوا ولم يجيبوه ، فقال الله للنبي ﷺ ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ يعني : بالله يثق الواثقون ^(١) .

٣٩ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَنْقُورِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ هذه الآية والتي بعدها مفسرة في سورتين قبل هذه السورة [الأنعام : ١٣٥ ، هود : ٩٣] .

٤١ . قوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ يعني : القرآن ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ قال ابن عباس : يريد لجميع الخلق .

﴿ بِالْحَقِّ ﴾ قال : ليس فيه شيء من الباطل ^(٢) ، ﴿ فَمَنْ أَهْتَكَدَ فَلِنَفْسِهِ ﴾ ، وهذه الآية مفسرة في آخر سورة يونس [آية : ١٠٨] .

٤٢ . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ قال الكلبي : لم نوكلك بهم ولا تؤخذ بهم ، قال : وهذا قبل أن [أمر ^(٣)] بالقتال فلما أمر بالقتال نسخت هذه الآية ^(٤) .

وقال أبو إسحاق : أي ما أنت عليهم بحفيظ ، ثم أخبر بأنه الحفيظ عليهم القدير ^(٥) ، فقال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال :

-
- (١) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٨ / ٣ .
 (٢) ذكر هذا المعنى ابن الجوزي في زاد المسير ولم ينسبه ، انظر : ١٨٥ / ٧ ، وذكره المؤلف في تفسيره الوسيط منسوباً لابن عباس ، انظر : ٥٨٣ / ٣ .
 (٣) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب (يؤمر) .
 (٤) انظر : الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي ٣٤٥ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٤٤٢ ، وقال ابن الجوزي : وإذا كان معناه التهديد والوعيد فلا وجه لنسخه . ولم أقف على نسبته للكلبي ، وقد نسبه المؤلف في الوسيط ٥٨٣ / ٣ لمقاتل ، وقال مقاتل : نسختها آية السيف ، انظر : ٦٧٩ / ٣ .
 (٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥٦ / ٤ .

لكل إنسان نفسان ؛ أحدهما : نفس العقل الذي يكون به التمييز ، والآخر : نفس الروح الذي يكون به الحياة^(١) ، واختار ابن الأنباري وأبو إسحاق^(٢) هذا .

قال ابن الأنباري : الروح هو الذي به الحياة ، والنفس هي التي بها العقل ، فإذا نام النائم قبض الله نفسه ولم يقبض روحه ، ولا يقبض الروح إلا عند الموت ، قال : وسميت النفس نفساً لتولد النفس منها واتصاله بها^(٣) .

وقال أبو إسحاق : لكل إنسان نفسان ، نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام فلا يعقل ، والأخرى نفس الحياة وإن زالت زال معها النفس ، والنائم يتنفس ، قال : وهذا الفرق بين توفي نفس النائم في النوم وتوفي نفس الحي^(٤) ، قال : ونفس الحياة هي الروح وحركة الإنسان ونموه يكون به ، فقوله : ﴿يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ يعني : الأرواح ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾ قال ابن عباس : يريد حين آجالها^(٥) ، وقال مقاتل : يقول عند آجالها^(٦) .

والمعنى عند فراقها الجسد وهو وقت انقضاء آجالها إذا انقضى الأجل فارقت الأرواح الأجساد ، ومعنى الموت خروج الروح من الجسد وفراقه إياها ، فموت الأنفس التي هي الأرواح خروجها من الأبدان ، والميت من فارقه الروح وإن شئت جعلت هذا من باب حذف المضاف على تقدير حين موت أبدانها^(٧)

(١) نسبه الثعلبي ١١٠/١، والماوردي ١٢٨/٥، والقرطبي ٢٦١/١٥ لابن عباس، وكذا السيوطي في الدر ٢٣٠/٧ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥٦/٤، والزاهر لابن الأنباري ٣٧٤/٢، ٣٧٥ .

(٣) انظر : الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري ٣٧٤/٢، وذكر ذلك الأزهري في تهذيب اللغة عن ابن الأنباري (نفس) ٧/١٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥٦/٤ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٤٦٣ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٨/٣ .

(٧) انظر : روح المعاني للألوسي ٧/٢٤ .

وأجسادها ، ويدل على صحة هذا قوله : ﴿وَأَلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ ؛ أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت ؛ أي لم تنقض آجالها في منامها ؛ أي في منام أجسادها ؛ لأن النفس التي تتوفى عند الموت لا تنام وإنما تنام الأجساد ، والتي تتوفى عند النوم هي التي يكون بها العقل والتمييز .

قوله : ﴿فَيَمْسِكُ﴾ ؛ أي عن [الجسد^(١)] حتى لا تعود إليه وهي التي قضى عليها الموت . وقرئ [قُضِيَ عليها الموت^(٢)] والوجه القراءة الأولى ، لقوله : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى﴾^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَيُرْسِلُ الْآخَرَى﴾ فكما أن هذا الفعل مبني للفاعل كذلك حكم الذي عطف عليه ، ومن بنى الفعل للمفعول به فهو في المعنى مثل بناء الفعل للفاعل والأول أئين ، وقوله : ﴿وَيُرْسِلُ الْآخَرَى﴾ ، قال مقاتل : ويرسلها إلى الجسد^(٤) ، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال ابن عباس : يريد التي بقي من أجلها شيء إلى انقضاء أجلها^(٥) .

قال سعيد بن جبير في هذه الآية : يقبض أنفس الأحياء والأموات ، فيمسك أنفس الأموات ، ويرسل أنفس الأحياء فلا يغلط^(٦) .

(١) في (ب) : (الأجساد) .

(٢) قوله : (وقرئ قضى عليها الموت) ساقطة من (ب) .

(٣) قرأ حمزة والكسائي : قُضِيَ بضم القاف والياء مفتوحة والموت رفع . وقرأ الباقر بفتح القاف . الموت نصباً . انظر : الحجة لأبي علي ٩٧ / ٦ ، والكشف عن وجوه القراءات ٦٢٤ ، والإقناع في القراءات السبع لابن الباذش ٧٥٠ / ٢ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٩ / ٣ .

(٥) ذكر نحوه الماوردي ونسبه لابن عباس ، انظر : تفسيره ١٢٨ / ٥ .

(٦) أخرج ذلك الطبري ٩ / ١٢ عن سعيد بن جبير دون قوله : فلا يغلط . ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٦ / ٧ لسعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ : فلا يخطئ بشيء منها ، وأورده المؤلف في الوسيط ٥٨٤ / ٣ بهذا اللفظ .

قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يعني : لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح ، وإرسال ما يرسل منها ، ونحو هذا روي عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : تلتقي أرواح الأحياء والأموات في المنام ويتساءلون ، ثم ترد أرواح الأحياء إلى أجسادها فلا يخطئ منها شيء ^(١) ، فذلك قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، وقال في رواية عطاء : إن في ذلك لآيات يريد لبرة لقوم يتفكرون في عظمة الله وقدرته ، وأنه لا يقدر على هذا أحد غيره ^(٢) ، وقال مقاتل : يعني لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث ^(٣) ، يريد : أن توفي نفس النائم وإرسالها بعد التوفي دليل على البعث ، وهذا كما روي أنه مكتوب في التوراة ، يا ابن آدم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث ^(٤) .

٤٣ . قوله تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا ﴾ ؛ أي بل اتخذوا ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ﴾ ، قال ابن عباس ومقاتل : نزلت في أهل مكة زعموا أن الأصنام شفعاؤهم عند الله ^(٥) ، فقال الله تعالى منكرًا عليهم : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ﴾ والمعنى آلهة شفعاء ؛ لأن الله ليس يشفع حتى يقال لمن عبد غيره اتخذ دونه شفيعاً ، ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ أُولَئِكَ كَانُوا ﴾ يعني : الآلهة ﴿ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ ^(٦) ومثله كثير ، وتقدير الجواب : أو لو كان بهذه الصفة تتخذونهم ^(٧) .

(١) ذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٦/٧ ، ونسبه ابن كثير لابن عباس لكن بلفظ : يمسك أنفس الأموات ، ويرسل أنفس الأحياء ولا يغلط ، انظر : تفسير ابن كثير ٩٦/٦ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٦٧٩/٣ .

(٤) ذكر ذلك المؤلف في الوسيط ٥٨٤/٣ .

(٥) لم أقف على نسبته لابن عباس ، انظر : تفسير مقاتل ٦٧٩/٣ ، وزاد المسير ١٨٦/٧ .

(٦) في (أ) : (ولا يهتدون) ، وهو تصحيف .

(٧) انظر : البحر المحيط ٤٣١/٧ .

٤٤. ثم أخبر أنه لا شفاعة لهم لأحد إلا بإذنه ، فقال : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾ ، قال مقاتل : قل جميع من يشفع إنما هو بإذن الله ^(١) ، والمعنى لا يملك الشفاعة أحد إلا بإذنه كما قال : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، قال أبو علي : معناه الشفاعة في الآخرة وإنما نسبت الشفاعة إلى الله - سبحانه - إبطالاً لشفاعة من ادعت شفاعته لهم من الآلهة ، ونفيًا لها فنسبت الشفاعة إلى الله لما لم تكن إلا بأمره بها وبإذنه فيها ، وإن كانت الملائكة والأنبياء فاعلوها في الحقيقة ^(٢) .

وقال مجاهد : لله الشفاعة جميعاً لا يشفع أحد إلا بإذنه ^(٣) .

٤٥. وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ ﴾ معنى الاشمئزاز في اللغة : النفور والاستكبار ^(٤) ، وضده المطاوعة وتقول العرب : اشمأز الرمح إذا لم يطاوع الثقاف ، ومنه قول عمرو :

إذا عض الثقاف ^(٥) بها اشمأزت ^(٦)

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٧٩ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد . انظر : تفسيره ١٢/ ١٠ ، ونسبه البغوي ٧/ ١٢٣ لمجاهد .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (شمز) ١١/ ٣٠٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ١٨١ .

(٥) الثقاف : هو ما تسوى به الرماح . انظر : الصحاح (ثقف) ٤/ ١٣٣٤ واللسان (ثقف) ٩/ ٢٠ .

(٦) البيت لعمر بن كلثوم وعجزه :

وولته عَشُورَةً زَبُونَا

انظر : البيت في الدر المصون ٦/ ١٨ ، والبحر المحيط ٧/ ٧٢٦ ، واللسان (ثقف) ٩/ ٢٠ ، وتفسير

الثعلبي ١٠/ ١٢ ، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٦٠ ، وشرح المعلقات العشر ٩٣ .

قال أبو عبيد والزرَّاج : اشمأزت نفرت^(١) ، وكان المشركون إذا ذكر الله فقليل لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا من هذا ؛ لأنهم كانوا يقولون : إن الأوثان آلهة^(٢) .

قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل في تفسير اشمأزت : انقبضت عن التوحيد^(٣) ، وقال قتادة : استكبرت وكفرت^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني : الأصنام التي عبدوها من دونه ، قال ابن عباس ومقاتل : ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون^(٥) ، قال مجاهد ومقاتل : يعني قرأ النبي ﷺ بمكة سورة النجم ، فقال : « تلك الغرائق العلى » ففرح كفار مكة بذلك حين سمعوا أن لها شفاعة^(٦) .

(١) انظر : مجاز القرآن ٢ / ١٩٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزرَّاج ٤ / ٣٥٦ .

(٣) ذكر ذلك عنهم الثعلبي في تفسيره : ١٠ / ١٢ ب ، والبغوي في تفسيره ٧ / ١٢٣ ، ونسبه ابن الجوزي لابن عباس ومجاهد . انظر : زاد المسير ٧ / ١٨٧ ، وكذلك نسبه القرطبي لابن عباس ومجاهد . انظر : الجامع ١٥ / ٢٦٤ ، وأخرجه الطبري عن مجاهد ، انظر : تفسيره ١٢ / ١٠ ، وانظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٨٠ .

(٤) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ١٢ / ١٠ ، ونسبه الثعلبي لقتادة ، انظر : تفسيره ١٢ / ١٠ ب ، ونسبه البغوي لقتادة ، انظر : تفسيره ٧ / ١٢٣ ، وكذلك نسبه ابن الجوزي لقتادة ، انظر : زاد المسير ٧ / ١٨٧ .

(٥) ذكر ذلك الثعلبي ولم ينسبه ، انظر : تفسيره ١٠ / ١٢ ب ، والبغوي لم ينسبه ٧ / ١٢٣ ، وابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : ٧ / ١٨٧ ، وانظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٨٠ .

(٦) أخرج الطبري عن مجاهد قوله في تفسير : (اشمأزت) قال : انقبضت ، قال : وذلك يوم قرأ عليهم النجم عند باب الكعبة . انظر : تفسير الطبري ١٢ / ١٠ ، وذكر ذلك الثعلبي ولم ينسبه ، انظر : تفسيره ١٠ / ١٢ ب ، ونسبه البغوي ٧ / ١٢٣ لمجاهد ومقاتل ، ونسبه القرطبي في الجامع ١٥ / ٢٦٤ لجماعة من المفسرين . انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٨٠ ، وأما بالنسبة إلى قصة الغرائق فهي قصة باطلة ، وقد تكلم عنها العلماء قديماً وحديثاً فأثبتها القليل منهم وأيدها الأكثرون وأبطلوها ، وقد تقدم تفصيل الكلام عنها عند قوله تعالى : ﴿ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمِّيَّتِهِ ﴾ [الحج : ٥٢] ، وسيأتي أيضاً في سورة النجم .

وإليك إشارة إلى كلا القسمين : القسم الأول : من أثبت القصة منهم : الحافظ ابن حجر رحمه الله ، ذكر ذلك في فتح الباري في تفسير سورة الحج ٨ / ٤٣٨ ، وإبراهيم الكوراني ، ذكر ذلك الألويسي ، والسيوطي في لباب النقول ١٥٠ ، وقد رد عليه الألويسي في ذلك رداً شافياً كافياً في تفسير الألويسي ١٧٨ / ١٧ .

القسم الثاني : الذين أبطلوا القصة : على رأسهم ابن العربي ، فقد ردها سنداً ومتناً ، وقرر ذلك في عشرة مقامات ، انظر : تفسيره ٣ / ١٣٠٠ ، وتابعه على ذلك أيضاً القاضي عياض في كتابه الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٢ / ٧٥٠ فقد ردها سنداً ومتناً .

وحكى الفخر الرازي في تفسيره عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة ، فقال : هذا من وضع الزنادقة ، وصف فيه كتاباً . وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي وهو من كبار رجال السنة : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٣ / ٥٠ ، وعن جزم بوضع القصة أيضاً جزمًا ثابتاً الإمام ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣ / ٣١ ، وأورد الطبري في تفسيره عن المرتضي أحد أئمة الشيعة ، قال : وأما الأحاديث المروية في هذا الباب فهي مطعونة ومضعفة عند أصحاب الحديث ، انظر : تفسير الطبري ٧ / ٩١ ، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ذكر كثير من المفسرين قصة الغرائق ، ولكنها من طرق كلها مرسلّة ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، والله أعلم ، انظر : تفسيره ٤ / ٦٥٥ ، وكذلك رد القصة الإمام الشوكاني في تفسيره فتح القدير ٣ / ٤٦٢ ، وردها أيضاً الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد ١٧٥ . وردها أيضاً الألباني في كتاب سباه : نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق ، وكذلك ردها الغماري في كتابه : بدع التفاسير ٩٤ ، وأيضاً ردها الدكتور إبراهيم شعوط في كتابه : أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ٥٥ ، وكتب فيها الدكتور عبدالله بن إبراهيم الوهبي بحثاً شاملاً مفصلاً أورد فيه أدلة المثبتين للقصة ، ورد عليهم من جهة السند بنقاط عدة منها :

١- يحتمل أن المرسل عنه في هذه الطرق واحد ، وهذا مما يمنع اعتضاد بعضها ببعض ؛ لأن من شرط المعضد أن يكون من غير طريق المعضد .

٢- على تسليم اعتضاد بعضها ببعض كما هو رأي الحافظ ابن حجر ، فالأمر الذي تناولته أمر خطير يتعلق بالعقيدة وأمور العقائد لا يعتمد فيها على أخبار الآحاد فضلاً عن المرسلات .

وكذلك ردها من جهة المتن بنقاط عدة :

١- شذوذ تلك الروايات .

٢- اضطراب رواياتها .

٣- وقوع المدح بين ذمين .

٤- الغرائق في لغة العرب لا تطلق على الآلهة . انظر : البحث مفصلاً في مجلة كلية أصول الدين بالرياض للعام الجامعي ١٤٠٣ / ١٤٠٤ هـ ١٣ .

٤٧. قوله تعالى : ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ قال مقاتل : ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة^(١) .

وقال السدي : عملوا أعمالاً ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات^(٢) .

وقال عبد الله بن مسلم : عملوا في الدنيا أعمالاً كانوا يرون أنها تنفعهم فلم تنفعهم مع شركهم^(٣) ، والمعنى : أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام وظنوا أنها تقربهم إلى الله ، فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا ، وقد ظهر هذا المعنى في قوله : ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا﴾ قال ابن عباس : يريد من مساوئ أعمالهم من الشرك [وظلم^(٤)] أولياء الله^(٥) ، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ، قال : نزل بهم كل ما أنذرهم محمد ﷺ مما كانوا ينكرونه [ويكذبونه^(٦)] ويستهزئون به^(٧) .

٤٩. وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ فسرنا هذه الآية في أول هذه السورة .

وقوله : ﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ﴾ قال المفسرون : أعطيناه وآتيناه^(٨) ، قال أبو إسحاق : أعطيناه وآتيناه ذلك تفضلاً ، وكل من أعطى على غير جزاء فقد خوّل^(٩) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٨١ .

(٢) ذكر ذلك البغوي في تفسيره عن السدي انظر : ٧ / ١٢٤ ، ونسبه ابن الجوزي للسدي . انظر : زاد المسير ٧ / ١٨٨ ، وكذلك القرطبي ١٥ / ٢٦٥ نسبه للسدي .

(٣) انظر : تفسير غريب القرآن ٣٨٤ .

(٤) في (ب) : (والظلم) .

(٥) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ٧ / ١٢٤ .

(٦) في (ب) : (ويكذبوه) .

(٧) ذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المسير ولم ينسبه ، انظر : ٧ / ١٨٨ .

(٨) انظر : تفسير الطبري ١٢ / ١٢ ، وتفسير الثعلبي ١٠ / ١١٣ ، وتفسير البغوي ٧ / ١٢٤ .

(٩) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٥٧ .

قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾ ذكر الكناية ؛ لأن المراد بالنعمة الإنعام^(١) ، وقال مقاتل : إنما أعطيت الخير^(٢) فجعل النعمة بمعنى الخير .

قوله تعالى : ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ عندي ، قال ابن عباس : يريد إنما أعطانيه الله لكرامتي عليه^(٣) ، وقال مقاتل : على خير علمه الله عندي^(٤) .

وقال مجاهد : على شرف^(٥) ، وقال قتادة : على خير عندي^(٦) .

وقال آخرون : على علم من الله بأني له أهل^(٧) .

قال أبو إسحاق : يقول أن هذا الذي أعطيته قد علمت أني سأعطي ؛ أي أعطيته على شرف وفضل يجب لي ما أعطيته^(٨) ، فالعلم في قوله : ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يجوز أن يكون من الله ، ويجوز أن يكون من الإنسان ، ويجوز أن يكون عبارة من الشرف والفضل على ما حكينا عن هؤلاء ، فأعلم الله تعالى أنه قد يعطي اختباراً وابتلاء ، فقال : ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ ؛ أي تلك العطية فتنة من الله أي بلوى يبتلي بها العبد ليشكر أو يكفر قاله الزجاج^(٩) .

(١) انظر : زاد المسير ١٨٨/٧ ، وتفسير الوسيط ٥٨٥/٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٦٨٢/٣ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٦٨٢/٣ .

(٥) أخرج ذلك الطبري ١٢/١٢ عن مجاهد . انظر : تفسير مجاهد ٥٨٠ .

(٦) أخرج ذلك الطبري ١٢/١٢ عن قتادة ، ونسبه الثعلبي ١٣/١٠ ب لقتادة .

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ١٣/١٠ ب ، والبغوي ١٢٤/٧ ، والجامع ٢٦٦/١٥ .

(٨) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥٧/٤ بلفظ : أي أعطيته على شرف وفضل يجب له به هذا الذي أعطيت ، فقد علمت أني سأعطي هدى . .

(٩) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥٧/٤ .

وقال مقاتل : يقول الله تعالى بل تلك النعمة إذا ابتلي به ^(١) .

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ذلك استدراج من الله لهم قاله ابن عباس ^(٢) .

٥٠-٥١ . قوله تعالى : ﴿قَدْ قَالَهَا﴾ ؛ أي قال [ذلك] ^(٣) [الكلمة التي قالها هذا الإنسان الكافر وهو قوله : ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ ، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني : الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء ، قال مقاتل وغيره : يعني قارون ^(٤) حين قال : ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص : ٧٨] ، قال ابن عباس : كانوا قد بطروا نعمة الله فإذا آتاهم الله الدنيا فرحوا بها وطغوا ، وقالوا هذه كرامة من الله لنا وهم في معاصي الله يتمادون ^(٥) .

وقوله : ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال مقاتل : ما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيئاً ^(٦) والمعنى أنهم ظنوا ما آتيناهم لكرامتهم علينا ولم يكن كذلك ؛ لأنهم وقعوا في العذاب ولم يغن عنهم ما كسبوا شيئاً ، وقال أبو إسحاق : أي قد قالها من قبلهم فأحبطت ^(٧) أعمالهم ، وعلى هذا معنى الآية أن قولهم : إنما يؤتينا الله لكرامتنا عليه أحبط أعمالهم ، فكنى عن إحباط العمل بقوله : ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ^(٨) فآصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ؛ أي جزاؤها يعني العذاب ، وهو قول ابن عباس والجميع ^(٨) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٦٨٢ / ٣ لكن بلفظ : (بلاء ابتلي به) وهو المناسب للسياق .

(٢) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٢٤ / ٧ ، وكذلك ذكره ابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : ١٨٩ / ٧ .

(٣) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب (تلك) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٦٨٢ / ٣ ، والبغوي ١٢٤ / ٧ ، وزاد المسير ١٨٩ / ٧ ، والجامع ٢٦٦ / ١٥ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٦٨٢ / ٣ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥٧ / ٤ .

(٨) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٢٥ / ٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ولم ينسبه ، انظر : ١٨٩ / ٧ .

قوله : ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ قال ابن عباس : لا يعجزونني في الدنيا والآخرة^(١).

وقال مقاتل : وما هم بسابقي الله بأعمالهم الخبيثة حتى يجزيهم بها^(٢) ، وقال أبو إسحاق : أي إلى الله مرجعهم فيجازيهم بأعمالهم^(٣).

٥٢. قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ قال ابن عباس : أو لم يعلم يا محمد قومك^(٤).

وقال مقاتل : وعظهم ليعتبروا في توحيده وذلك حين مطروا بعد سبع سنين ، فقال : أو لم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء ويقتر على من يشاء^(٥) ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ ؛ أي في بسط الرزق وتفتيره .

٥٣. قوله تعالى : ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ المفسرون كلهم قالوا إن هذه الآية نزلت في قوم خافوا إن أسلموا ألا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام ، كالشرك وقتل النفس ومعاداة النبي ﷺ والقتال والزنا وغير ذلك من الذنوب العظام ، فأنزله الله - عز وجل -^(٦) هذه الآية ، ودعاهم ووعدهم المغفرة ، وفرح النبي ﷺ بهذه الآية ، ورآها وأصحابه من أوسع الآيات في مغفرة الذنوب .

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٨٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٥٧ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٨٢ .

(٦) أخرج ذلك البخاري عن ابن عباس انظر : صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله : ﴿يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ ٦ / ٣٣ ، وأخرجه الطبري عن ابن عباس ، انظر : تفسيره ١٢ / ١٤ ، وأخرجه الثعلبي عن ابن عباس ، انظر : تفسيره ١٠ / ١٣ ب ، وأخرجه المؤلف في أسباب النزول ٣٩٠ =

قوله : ﴿أَسْرِفُوا﴾ قال مقاتل : يعني بالإسراف الشرك والدماء والأموال والزنا^(١).

وقوله : ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ لا تيأسوا ؛ وذلك أنهم ظنوا أن لا توبة لهم .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أعلم الله - عز وجل - أن من تاب وآمن غفر له كل ذنب ، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لمن تاب .

٥٤ . ثم دعاهم إلى التوبة ، فقال : ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ قال مقاتل : ارجعوا من الشرك والذنوب إلى الله فوحده .

﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ أخلصوا لله بالتوحيد ثم خوفهم ، فقال : ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ لاتمنعون من عذاب الله^(٢).

٥٥ . قوله تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ، قال مقاتل والكلبي : هو القرآن يقول أحلوا حلاله وحرموا حرامه^(٣) ، واختاره أبو إسحاق قال : ودليل ذلك قول الله : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾^(٤).

وقال الحسن : التزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته ، فإن الذي أنزل عليه ثلاثة أوجه ذكر القبيح ليتجنب ، والأدون لثلا يرغب فيه ، والأحسن ليؤثر ويتبع ،

= عن ابن عباس ، وأورده السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول ١٨٥ وعزاه لابن أبي حاتم بسند صحيح ، وانظر : تفسير مقاتل ٦٨٣/٣ ، وانظر : تفسير البغوي ١٢٥/٧ ، وانظر : الصحيح المسند من أسباب النزول ١٣٠ .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٦٨٣/٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٦٨٣/٣ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٦٨٣/٣ ، وتنوير المقباس ٤٦٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للرجاج ٣٥٨/٤ .

ونحو ذلك قال السدي : الأحسن ما أمر الله به في كتابه^(١) ، وقال ابن زيد : يعني المحكمات يقول اتبعوها وكلوا علم المتشابه إلى عالمه^(٢) .

قوله تعالى : ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَعْتَهُ﴾ قال ابن عباس : يريد الموت^(٣) ، وذلك أنهم يموتون بعتة فيقعون في العذاب ، وهو قوله : ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ، قال : يريد وأنتم آمنون حتى يفاجئكم الموت .

٥٦ . قوله تعالى : ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ مذهب الكوفيين في هذا إضمار (لا) ، المعنى أنيبوا إلى ربكم وبادروا التوبة لئلا تقول نفس ، ومذهب البصريين حذر أن تقول نفس وخوف أن تقول^(٤) . قال المبرّد : أي بادروا خوف أن تقول نفس ، وحذر أن تقول نفس^(٥) ، وما قبله من الكلام يدل على المبادرة ، وقال أبو إسحاق : المعنى اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم خوف أن تصيروا إلى حال تقولون فيها هذا القول ؛ أي تصيروا إلى حال الندامة^(٦) ، ومثل هذا ﴿رَوَيْتُ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل : ١٥ ، لقمان : ١٠] و﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء : ١٧٦] ، وقد مر ، قال مقاتل : من قبل أن تقول يا حسرتي يعني يا ندامتا^(٧) ، قال ابن عباس : يقول يعني يوم القيامة^(٨) .

(١) انظر : قول الحسن والسدي في تفسير الثعلبي ١٠ / ١١٧ ، وتفسير البغوي ٧ / ١٢٨ ، وذكر في تفسير الوسيط : قول السدي فقط انظر : الوسيط ٣ / ٥٨٨ .

(٢) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١١٧ ، والقرطبي في الجامع ١٥ / ٢٧٠ .

(٣) ذكر هذا المعنى في تفسير الوسيط ولم ينسبه ، انظر : الوسيط ٣ / ٥٨٨ .

(٤) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤ / ١٧ ، والكشاف للزمخشري ٣ / ٣٥٢ والجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٢٧٠ .

(٥) انظر : قول المبرّد في تفسير البغوي ٧ / ١٢٩ ، وزاد المسير ٧ / ١٩٢ ، وفتح القدير ٤ / ٤١٧ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٥٩ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٨٤ .

(٨) لم أقف عليه .

قال أبو إسحاق : وحرف النداء يدل على تمكن القصة من صاحبها ، وتأويله أن الحسرة قد حلت به ولازمته ^(١) .

قوله تعالى : ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ ومعنى التفريط في اللغة إهمال ما ينبغي أن يتقدم فيه حتى يفوت ، ويفسر بالتضييع والتقصير ^(٢) ، وقد سبق تفسيره .

واختلفت ^(٣) عبارات المفسرين في تفسير هذه القطعة :

فقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد ضيعت من ثواب الله ^(٤) .

وقال مقاتل : ضيعت من ذكر الله ^(٥) ، وهذا قول الضحاك ^(٦) .

وقال مجاهد : في أمر الله ^(٧) ، وقال الحسن : في طاعة الله ^(٨) .

وقال سعيد بن جبير : في حق الله ^(٩) ، هذا ما ذكره المفسرون وهو معنى الآية ، ولم يذكروا تفسير قوله : ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ ، وذكر أهل المعاني :

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥٨ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (فرط) ١٣/ ٣٣١ ، والمفردات للراغب (فرط) ٣٧٦ .

(٣) في (أ) و(ب) : (واختلف) .

(٤) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط انظر : ٣/ ٥٨٩ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٤ .

(٦) ذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٩٢ ، والقرطبي ١٥/ ٢٧١ .

(٧) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد ، انظر : تفسيره ١٢/ ١٩ ، ونسبه الثعلبي لمجاهد ، انظر : تفسيره

١٠/ ١٧ ب ، ونسبه البغوي في تفسيره ٧/ ١٢٩ لمجاهد ، ونسبه ابن الجوزي لمجاهد ، زاد المسير ٧/ ١٩٢ ، وكذلك القرطبي ١٥/ ٢٧١ .

(٨) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٧ ب ، والبغوي في تفسيره ٧/ ١٢٩ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٩٢ ، والقرطبي في الجامع ١٥/ ٢٧١ .

(٩) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٧ ب ، والبغوي في تفسيره ٧/ ١٢٩ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٩٢ .

قال أبو عبيدة : في جنب الله وفي ذات الله واحد^(١) ، والمعنى على هذا القول أن ذات الله - تعالى - هو الله ، ويقدر المضاف فيكون التقدير على ما فرطت في أمر الله أو طاعة الله أو ذكر الله ، وقال الفراء : الجنب القرب ؛ أي في قرب الله وجواره^(٢) ، هذا كلامه ، والجنب بمعنى القرب كثير في الكلام يقال فلان يعيش في جنب فلان ؛ أي في قربه وجواره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ﴾ [النساء ٣٦] ، والمعنى على هذا ما فرطت في طلب جنب الله ؛ أي في طلب جواره وقربه وهو الجنة ، وهذا معنى قول ابن الأعرابي : في قرب الله من الجنة^(٣) .

وقال أبو إسحاق : معنى على ما فرطت في جنب الله ؛ أي فرطت في الطريق الذي هو طريق الله الذي دعاني إليه ، وهو توحيد الله والإقرار بنبوة رسوله ﷺ^(٤) ، وعلى هذا الجنب بمعنى الطريق ، والجنب بمعنى الجانب كثير ، والمعنى في الجانب الذي يؤدي إلى رضى الله ، وهذا الذي ذكرنا أوجه صحيحة موافقة اللغة^(٥) .

قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ أَلَسَّخِرِينَ ﴾ ؛ أي وما كنت إلا من المستهزين ، قال مقاتل : يعني المستهزين بالقرآن في الدنيا^(٦) .

وقال قتادة : لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله^(٧) ، وعلى هذا المعنى لمن الساخرين بأولياء الله .

(١) انظر : مجاز القرآن ٢ / ١٩٠ .

(٢) انظر : قول الفراء في تهذيب اللغة ١١ / ١١٧ ، ولم أقف عليه في معاني الفراء .

(٣) انظر : قول ابن الأعرابي في تهذيب اللغة (جنب) ١١ / ١١٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٥٩ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة ١١ / ١١٧ ، ومقاييس اللغة (جنب) ١ / ٤٨٣ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٨٤ .

(٧) أخرج ذلك الطبري : في تفسيره عن قتادة ، انظر : ١٩ / ١٢ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره لقتادة ، انظر : ١٠ / ١١٧ ب ، ونسبه البغوي ٧ / ١٢٩ لقتادة .

٥٧. قوله تعالى : ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ ؛ أي أرشدني إلى دينه ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْقِيَةِ﴾ الشرك قاله مقاتل^(١) .

٥٨. وقوله تعالى : ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ﴾ ؛ أي رجعة إلى الدنيا ، ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُنْحَسِنِينَ﴾ ؛ أي من الموحدين قاله ابن عباس^(٢) ومقاتل^(٣) ، وذكر الفراء في نصب فأكون وجهين ؛ أحدهما : على الجواب للو ، والآخر : بالرد على تأويل لو أن لي كرة ، وتأويله لو أن لي أن أكر ، ومثله قوله : ﴿إِلَّا وَحْيًا أَوْ وَرَآيَ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ﴾ [الشورى : ٥١] ، وأنشد :

فَمَا لَكَ مِنْهَا غَيْرُ ذِكْرِي وَحِسْبَةٍ وَتَسْأَلُ عَنْ رُكْبَانِهَا أَيْنَ يَمَّمُوا^(٤)
والمعنى إلا أن تذكر .

٥٩. قال الله تعالى : ﴿بَلَى﴾ ؛ أي يقال لهذا القائل : بلى ، قال أبو إسحاق : بلى جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي ، ومعنى لو أن الله هداني ما هديت فقليل بلى^(٥) ، وذلك أن الله - عز وجل - [من^(٦)] طريق الهدى

(١) ذكر هذا المعنى المؤلف في تفسيره الوسيط ولم ينسبه ، انظر : ٣٨٩ / ٣ ، والقرطبي في الجامع ولم ينسبه ٢٧٢ / ١٥ ، وكذلك ذكره من غير نسبه الشوكاني في فتح القدير ٤ / ٤٧١ ، ولم أقف عليه في تفسير مقاتل .

(٢) ذكر ذلك السمرقندي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٥٥ / ٣ ، وكذلك ذكره البغوي في تفسيره ولم ينسبه ١٢٩ / ٧ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٨٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٤٢٣ ، وقد استشهد بهذا البيت الطبري ١٢ / ٢٠ ، والثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٨ ، والسمين الحلبي في الدر المصون ٦ / ٢٠ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٧ / ٤٣٦ ، والقرطبي في الجامع ١٥ / ٢٧٢ . والشاهد منه : نصب : تسأل عطفاً على موضع الذكرى ؛ لأن معنى الكلام فمالك منها إلا أن تذكر . ولم أتوصل إلى قائله ، وفي بعض المصادر وحسرة بدل وحسبة .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٥٩ .

(٦) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب (بين) .

فالحجة له على خلقه ، وهذا معنى قوله : ﴿ قَدْ جَاءَكَ ءَايَتِي ﴾ . قال مقاتل : يعني آيات القرآن ، ﴿ فَكَذَّبَتْ بِهَا ﴾ قلت إنها ليست من الله ، ﴿ وَأَسْتَكْبَرَتْ ﴾ تكبرت عن الإيمان ^(١) بها ، والقراءة على التذكير في قوله : قد جاءتك وكذبت واستكبرت وكنت ؛ لأن النفس تقع على الذكر والأنثى فخطب المذكر ، وروى الربيع بن أنس ^(٢) عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقرأ على التأنيث ^(٣) .

قال أبو عبيد ولو صح هذا عن النبي ﷺ كان حجة لا يجوز لأحد تركه ، ولكنه ليس بمسند ؛ لأن الربيع لم يدرك أم سلمة ^(٤) ، والآية على الأولى ولا يعرف غيرها .

وقال الفرّاء : التأنيث وجه حسن لأنه ذكر النفس فخطبها ^(٥) .

وقال المبرّد : العرب تقول هو نفس واحد معناه إنسان واحد ^(٦) ، والجمع أنفس أكثره على التذكير ، يقولون ثلاثة أنفس ، قال الخطيئة :

ثلاثة أنفسٍ وثلاثُ ذودٍ لقد جَارَ الزمانُ على عيالي ^(٧)

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٨٤ .

(٢) في (أ) و(ب) : (الربيع عن أنس) ، وهو تصحيف والصحيح ما أثبتناه .

(٣) أخرج ذلك الثعلبي عن الربيع بن أنس عن أم سلمة . انظر : تفسيره ٨ / ١٠ ب ، وكذلك عزاه هذه القراءة القرطبي في الجامع للربيع بن أنس عن أم سلمة ، انظر : ٢٧٣ / ١٥ ، وقال ابن جرير : وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قرأ ذلك بكسر جميعه على وجه الخطاب للنفس . قال : والقراءة التي لا أستجيز خلافها قراءة الفتح . انظر : تفسير الطبري ٢١ / ١٢ ، وأشار إلى هذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط ٧ / ٤٣٦ .

(٤) ذكر ذلك الرازي في تفسيره ٧ / ٢٧ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٤٢٣ .

(٦) ذكر ذلك القرطبي في الجامع ٢٧٣ / ١٥ .

(٧) انظر : ديوانه ١٢٠ ، والجمل في النحو للخليل ٢٧١ ، والكتاب ٣ / ٥٦٥ ومجالس ثعلب ٣٠٤ ، =

وأكثر ما في القرآن من ذكر النفس على التأنيث كقوله : ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه : ٩٦] ، و﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف : ٥٣] ، و﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر : ٢٧] ، وذلك أنه ليس المراد بالنفس في هذه الآيات الإنسان ، ومعناه في هذه الآية الإنسان ، فالتذكير بمعنى الإنسان ، ومن كسر فعلى مذهب من أنث النفس ، وكل جائز غير أن الناس على قراءة من قرأ بالتذكير .

٦٠ . قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ ؛ أي زعموا أن له شريكاً وولداً .

﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ قال أبو إسحاق : القراءة الرفع على الابتداء والخبر ، ويجوز النصب على البدل من الذين كذبوا على الله ^(١) .

وقال الفراء : ترفع الوجوه ومسودة ؛ لأن الفعل قد وقع على الذين ، ومثله قولك : رأيت عبداً أمره مستقيم ، ولو نصبت على التذكير فقلت : رأيت عبداً أمره ^(٢) مستقيماً ، كان جائزاً .

قال عدي بن [يزيد ^(٣)] :

ذَرِينِي إِنَّ أَمْرَكَ لَنْ يُطَاعَا وَمَا أَلْفَيْتَنِي حِلْمِي مُضَاعَا ^(٤)

والخصائص لابن جني ٢ / ٤١٤ ، واللسان (نفس) ٦ / ٢٣٥ والذود من الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة ويعني بثلاثة أنفس : نفسه وزوجه وابنته مليكة . وبالذود ثلاثاً من النوق كان يقوم بها على عياله ففقد إحدهما ، والشاهد فيه : ثلاثة أنفس : حيث ذكر الثلاثة مع أن النفس مؤنثة ؛ وذلك لأنه حملها على معنى الشخص المذكور .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٦٠ .

(٢) كذا في (أ) و(ب) وفي معاني الفراء رأيت عبداً مستقيماً أمره .

(٣) كذا في (أ) و(ب) والصحيح (عدي بن زيد) .

(٤) نسب الفراء هذا البيت لعدي بن زيد ٢ / ٤٢٣ ، وكذلك نسبة الزجاج لعدي بن زيد ٤ / ٣٦٠ ونسبه سيبويه لرجل من بجيله أو خثعم ، والشاعر يقول لمن تعذله على إتلاف ماله : ذريني فلن أطيع أملك فإن عقلي يأمرني بإتلاف المال في اكتساب الحمد ، وما عهدتني مضيع الحلم . انظر : الكتاب ١ / ١٥٦ .

فنصب الحِلْمَ والمُضَاعَ على التكرير ، ومثله :

ما للجمال مشيها ويئدا^(١)

فخفض المشي على التكرير^(٢) ، قال أبو علي : إن جعلت رأيت متعدياً إلى مفعولين كانت الجملة التي هي ﴿ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴾ في موضع نصب بكونها في الموضع للمفعول الثاني ، وإن جعلت رأيت بمنزلة أبصرت كانت الجملة في موضع الحال ، ولو أبدلت وجوههم من الذين ونصبت مسودة ، كانت على القول الأول مفعولاً ثانياً ، وعلى القول الآخر حالاً^(٣) .

قوله : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ ؛ أي عن الإيمان والتوحيد وربوبية الله تعالى . قاله ابن عباس^(٤) ، وفسرنا مثل هذا في هذه السورة .

٦١ . قوله تعالى : ﴿ وَيَجِئُ اللَّهُ ﴾ ؛ أي من جهنم ﴿ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ ؛ أي الشرك قاله ابن عباس^(٥) ، ومقاتل^(٦) ، ﴿ بِمَقَارِئِهِمْ ﴾ المفازة : الفوز وهو الظفر بالخير والنجاة من الشر ، وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَقَارِقٍ مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ [آل عمران : ١٨٨] ، وقرئ بمفازااتهم^(٧) ، قال المبرد :

(١) الرجز ينسب للزباء . انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٤٢٤ ، وشواهد العيني على هامش الخزانة ٤٤٨ / ١ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٤٢٤ .

(٣) انظر : المسائل الحلبيات لأبي علي ٦٣ .

(٤) ذكر الثعلبي : في تفسيره لفظ : عن الإيذان . ولم ينسبه ، انظر : ١٨ / ١٠ ب ، وكذلك ذكره بهذا اللفظ البغوي ، ولم ينسبه ، انظر : ١٢٩ / ٧ .

(٥) ذكر المؤلف هذا المعنى في تفسيره الوسيط ولم ينسبه ، انظر : ٥٩٠ / ٣ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) قرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمة والكسائي : (بمفازااتهم) جماعة ، وقرأ الباقر وحفص عن عاصم : ﴿ بِمَقَارِئِهِمْ ﴾ واحد ، انظر : الحجة لأبي علي ٦ / ٩٧ ، والكشف لمكي ٦٢٤ ، والإقناع في القراءات السبع لابن الباذش ٧٥١ / ٢ .

المفازة مفعلة من الفوز وهو السعادة^(١)، ومعناه المصدر ومفازة يعني عن مفازات، وإن جمع فحسن كقولك السعادة والسعادات، وقال الفرّاء: كلاهما صواب تقول في الكلام قد تبين أمر القوم وأمور القوم وارتفع الصوت والأصوات^(٢).

وقال أبو علي: الإفراد المصدر، ووجه الجمع أن المصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناساً كقوله: ﴿مَكَاتِرَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٥]، ومكاناتكم^(٣).

قال أبو عبيدة: بمفازتهم بمنجاتهم من الفوز^(٤)، والمعنى: ينجيهم الله بفوزهم؛ أي فنجاهم وفوزهم بالجنة، وهو معنى قول ابن عباس: فازوا بالجنة وزحزحوا عن النار^(٥)، وتأويله ينجيهم الله بما سبق لهم من السعادة والفوز، وقال مقاتل وابن زيد: بأعمالهم الحسنة^(٦)، وهذا معنى وذلك أن الأعمال الحسنة هي سبب الفوز ففسروها بسببها.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ﴾؛ أي العذاب عن ابن عباس ومقاتل^(٧)، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قال مقاتل: للموت^(٨)، وقال ابن عباس: لأنهم رضوا بالثواب^(٩).

(١) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ١٣٠/٧، وابن الجوزي في زاد المسير ١٩٤/٧.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٤٢٤/٢.

(٣) انظر: الحجة لأبي علي ٩٧/٦، وانظر: تفسير سورة الأنعام: آية ١٣٥.

(٤) انظر: مجاز القرآن ١٩١/٢ وهي بلفظ: (بنجاتهم).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) أخرج ذلك الطبري عن ابن زيد. انظر: تفسيره ٢٢/١٢، وانظر: تفسير مقاتل ٦٨٤/٣.

(٧) ذكر ذلك المعنى السمرقندي في تفسيره ولم ينسبه، انظر: ١٥٦/٣، وكذلك ذكره المؤلف في الوسيط

ولم ينسبه، انظر: ٥٩٠/٣، وانظر: تفسير مقاتل ٦٨٤/٣.

(٨) لم أقف عليه.

(٩) ذكر ذلك في الوسيط ولم ينسبه ٥٩٠/٣.

٦٢. قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ قال ابن عباس: لم يخرج شيء من الدنيا ولا من الآخرة عن ملكوته ولا من قدرته، يعني أن ما في الدنيا والآخرة فهو خالقه والقادر عليه^(١)، وقال أصحابنا: هذا من العموم الذي لم يدخله تخصيص؛ لأنه يقتضي تعميم الأشياء التي تكون مخلوقة.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ قال ابن عباس: حفيظ^(٢)، وقال مقاتل: وهو رب كل شيء من الخلق^(٣)، والمعنى أن الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها وتديرها من غير منازع ولا مشارك، ونظير قوله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قوله في سورة الرعد: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقد ذكر تفسيره.

٦٣. قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال أبو عبيدة: واحدها مقلد، وفيه لغة أخرى إقليد وأقاليد^(٤)، ويقال أيضاً: مقلاد ومقاليد مثل مفتاح ومفاتيح.

قال ابن عباس: يريد مفاتيح السموات والأرض بالرزق والرحمة^(٥).

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكر ذلك السمرقندي ولم ينسبه، انظر: تفسيره ١٥٦/٣.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٦٨٤/٣.

(٤) انظر: مجاز القرآن ١٩١/٢.

(٥) أخرج الطبري ٢٣/١٢ عن ابن عباس بلفظ: مفاتيحها، وذكر نحوه البغوي ١٣٠/٧ ولم ينسبه، وذكره المؤلف في الوسيط ٥٩١/٣ بنصه عن ابن عباس ومقاتل، قال وهو قول قتادة.

قال أبو إسحاق : وتفسيره أن كل شيء في السماوات والأرض فאלله خالقه وفتح بابه^(١) ، فالمقاليد على هذا تفسير المفاتيح التي يفتح بها ، وقال الليث : المقلاد الخزنة ومقاليد السموات والأرض خزائنها^(٢) ، وهذا قول الضحاك^(٣) .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ﴾ يعني : بالقرآن قاله مقاتل^(٤) ، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ خسروا حين لم يعبدوا من له مقاليد السموات والأرض ، فصاروا إلى النار إذ عبدوا المخلوق لا الخالق ؛ لأن كل ما يعبدون فهو مخلوق لله .

٦٤ . ثم أعلم أنه إنما ينبغي أن يعبد الخالق وحده لا شريك له ، فقال : (قل) لهم بعد هذا البيان ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِ أَنْعْبُدَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ قال مقاتل : وذلك أن كفار قريش دعوا النبي ﷺ إلى دين آبائه^(٥) .

وقال أبو إسحاق : (أفغير الله) منصوب (بأعبد) لا بقوله : (تأمروني) والمعنى : أفغير الله أعبد أيها الجاهلون في ما تأمروني^(٦) .

قال أبو علي : أعبد غير الله في ما تأمروني ، وفي ما تأمروني وجوه من القراءات : تأمروني بنونين وهو الأصل ، وتأمروني بنون مشددة على إسكان الأولى وإدغامها في الثانية ، وتأمروني بنون خفيفة على حذف إحدى النونين ، وينبغي أن تكون المصاحبة للضمير المنصوب ؛ لأنها قد حذفت في مواضع ، نحو فَلْيَسْتَنِي وَإِنِّي وَكَأَنِّي وَقَدِي ، وإنما قدرنا المحذوفة الثانية ؛ لأن التكرير والتثقيل بها

(١) انظر : معاني القرآن للرجّاج ٤ / ٣٦١ .

(٢) انظر : كتاب العين (قلد) ٥ / ١١٧ ، وتهذيب اللغة (قلد) ٩ / ٣٢ ، ومفردات الراغب (قلد) ٤١١ .

(٣) ذكر ذلك ابن الجوزي عن الضحاك انظر : زاد المسير ٧ / ١٩٤ ، والشوكاني في فتح القدير عن الضحاك ٤ / ٤٧٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٨٤ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٨٤ .

(٦) انظر : معاني القرآن للرجّاج ٤ / ٣٦١ .

وقع ، ولأن حذف [الأول^(١)] لحن لأنها دلالة الرفع^(٢) ، على ذلك يحمل قول الشاعر :

.. لا أباك تخوفيني^(٣)

وقوله : (أعبد) لا يجوز أن يكون التقدير فيه أن أعبد فلما حذف أن ، ارتفع أعبد ؛ لأنه حينئذ يصير في تقدير الصلة لـ (أن) فلا يعمل في ما تقدم عليه ، وقد قلنا إن غير ينتصب بأعبد ولكنه على التقدير الذي ذكره الزّجاج^(٤) أفعير الله أعبد ، وإن قدرت هو [التقدير^(٥)] نصبت غير بتأمروني ، ويكون المعنى : تأمروني بعبادة غير الله ، ويكون موضع أعبد وأن المضمرة نصب على تقدير البدل من غير كأنه : أعبادة غير الله تأمروني ، إلا أن الجار حذف كما حذف من قوله :

أمرتك^(٦) الخير

(١) كذا في (أ) و(ب) وفي الحجة : (الأولى) ، وهو الصواب .

(٢) انظر : الحجة ٩٩ / ٦ ، والكشف لمكي ٦٢٤ ، والإقناع ٧٥١ / ٢ .

(٣) البيت :

أبَالَوْتُ الَّذِي لَا بُدَّ أُنِي مَلَاقٍ لَا أَبَاكَ تُخَوِّفِينِي

انظر : الحجة لأبي علي ٩٩ / ٦ ، ١٠٠ ، والمقتضب ٣٧٥ / ٤ ، وقال أبو علي : حذف اللام من أبالك إنما يكون في الضرورة ، ولو لا أنها في حكم التأنيث في اللفظ لما عملت (لا) ؛ لأنها لا تعمل إلا في نكرة ، انظر : المقتضب ٣٧٥ / ٤ ، وقد نسب البغدادي البيت إلى أبي حية النميري . الخزانة ١١٨ / ٢ ، وكذلك في اللسان نسب إليه . انظر : اللسان (أبي) ١١ / ١٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٣٦١ / ٤ .

(٥) كذا في (أ) و(ب) ويستقيم الكلام من دونها .

(٦) جزء من بيت لعمر بن معدى كرب ، انظر : ديوانه ٣٥ ، وتتمة البيت :

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نسب

انظر : الكتاب ٣٧ / ١ ، والحجة لأبي علي ٣٣١ / ٢ ، والمحاسب ٥١ / ١ ، والمقتضب ٣٥ / ٢ ، والجمل في النحو للزّجاجي ٢٨ ، وشرح أبيات سيبويه للنحاس ٤٢ ، والمراد بالنسب : المال الثابت كالضياع ونحوها ، وقيل النسب : جميع المال ، والشاهد : حذف حرف الجر ؛ أي أمرتك بالخير . انظر : المقتضب ٣٥ / ٢ .

فصار التقدير بعد الحذف أغير الله تأمرني عبادته ، فأضمر المفعول الثاني للأمر والمفعول الأول علامة المتكلم ، وأن أعبد بدل من غير ، ومثل هذا في البدل قوله : ﴿ وَمَا أَنَسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ [الكهف: ٦٣] ؛ أي ما أنساني ذكره إلا الشيطان ، ذكر هذا كله أبو علي في كتابه ^(١) الحجة .

قال الأخفش : يريد أفغير الله أعبد تأمروني ، فاعترض تأمروني من الكلام ، وهذا كما تقول : هل ذهب فلان تدري ؟ على معنى في ما تدري ^(٢) ، وقوله : ﴿ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ قال ابن عباس : يريد الذين جهلوا عظمة الله وقدرته وجلاله ^(٣) .

٦٥ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ قال مقاتل : حذر الله نبيه أن يتبع دينهم ^(٤) ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ قال ابن عباس : يريد لئن داهنت وراكنت ، وهذا أدب من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ وتهديد لغيره ؛ لأن الله تعالى قد عصمه من الشرك والمداهنة ^(٥) والركون ، قوله : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكَتَ ﴾ تخصيص واحد ، وقد قال : ﴿ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ قال أبو عبيدة : مجاز هذا الأمرين اللذين يخبر عن أحدهما ويكون عن الآخر وهو في معناه ^(٦) ، يعني أن ذكر ما أوحى أن محمداً ﷺ يكف عن ذكر ما أوحى إلى غيره ؛ لأن المذكور يدل على المكفوف عنه ؛ لأنه هو المذكور بعينه ، هذا معنى

(١) انظر : الحجة ٦ / ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٧٢ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٨٥ .

(٥) ذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير : عن ابن عباس ، انظر : ٧ / ١٩٥ ، ونسبه المؤلف في الوسيط لابن عباس انظر : ٣ / ٥٩٢ .

(٦) انظر : مجاز القرآن ٢ / ١٩١ بلفظ مجازها مجاز الأمرين اللذين يخبر عن أحدهما ويكف عن الآخر ، وهو داخل في معناه .

ما ذكره أبو عبيدة ، وفيه وجه آخر وهو : أن المعنى أوحى إلى كل نبي منهم لئن أشركت ، وهذا معنى قول الأخفش ^(١) ؛ لأنه قال لم يقل أشركتم لأن المعنى على الأول والثاني معطوف عليه فاستغنى عنه ، كما تقول : قيل لزيد وعمرو ليذهبن ؛ أي قيل لزيد ليذهبن ولعمرو ليذهبن ، فاستغنى قولك عمرو عن أن يقال فيه ليذهبن ما صار لزيد ، وذكر مقاتل وجهاً آخر ، فقال : أوحى إليك وإلى الأنبياء قبلك بالتوحيد ^(٢) ، وعلى هذا التوحيد يكون محذوفاً ، ودل عليه قوله : ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ، ويكون خطاباً للنبي ﷺ خاصاً ، وقوله : ﴿لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ قال مقاتل : ليبطلن عملك الحسن ^(٣) الذي كان قبل الشرك ، فإن قيل على هذا مذهب الشافعي أن ما عمل المرتد قبل رده لا يحكم بطلانه حتى يموت على الردة ^(٤) ، وهذه الآية تدل على خلاف ما قال ؛ لأنه علق الحبوط بالإشراك ، والجواب عن هذا أن يقال : هذه الآية مطلقة ، وقد وردت آية أخرى ومقيدة بالموت وهي قوله : ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ - فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [البقرة : ٢١٧] ، ومذهب الشافعي حمل المطلق على المقيد .

٦٦ . ثم أمره بتوحيده ، فقال : ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ﴾ قال أبو إسحاق : اللفظ بالله - عز وجل - منصوب بقوله ﴿فَاعْبُدْ﴾ ، وهو إجماع في قول الكوفيين ^(٥) .

(١) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٥ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٥ .

(٤) ذكر ذلك الشنفي في أحكام الكتاب المبين ٢/ ٢٥٣ رسالة دكتوراه مقدمة من المحاضر/ سليمان بن عبدالعزيز السليمان ، وذكره القرطبي في الجامع ٣/ ٤٨ ، وابن العربي في أحكام القرآن ١/ ١٤٨ ولم أقف عليه عند الشافعي .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٦١ .

وأما الفاء في فاعبد قال أبو الفتح الموصلي : يقال زيداً فاضرب وعمرَ فاشكر ومحمداً فامرر ، وتقديره : زيداً اضرب وعمرَ اشكر وبمحمد امرر ، وعلى هذا قوله : ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ﴾ [المذثر: ٣] ؛ أي ثيابك طهر ، وكذلك ^(١) ما بعده . قال ابن عباس : بل الله فاعبد يعني فوحده ^(٢) ، وقال الكلبي : يقول أطع وكن من الشاكرين على ما أنعم به عليك ^(٣) .

٦٧ . قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ قال المفسرون : ما عظموا الله حق عظمتة ^(٤) ، وقد سبق الكلام فيه ^(٥) .

قال المفسرون : نزلت في المشركين ^(٦) حين أشركوا به غيره وأمروا النبي ﷺ بعبادة غيره ، ثم أخبر عن عظمتة ، فقال : ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ قال الزجاج : جميعاً منصوب على الحال ، المعنى والأرض إذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة ^(٧) .

ومعنى القبض في اللغة : ما قبضت عليه بجميع كفك ^(٨) .

أخبر الله تعالى عن قدرته ، فذكر أن الأرض كلها مع عظمتها وكثافتها في مقدوره كالتي يقبض عليه القابض بكفه ، فذكرت القبض وكان لا يقبض عليه

(١) انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٢٦٠ .

(٢) ذكر ذلك ابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : زاد المسير ٧ / ١٩٥ ، وكذلك ذكره القرطبي ولم ينسبه ، انظر : الجامع ١٥ / ٢٧٧ .

(٣) ذكر ذلك السمرقندي في تفسيره ٣ / ١٥٦ عن الكلبي .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٢ / ٢٥ ، والماوردي ٥ / ١٣٤ ، والبغوي ٧ / ١٣٠ .

(٥) انظر : تفسير سورة الأنعام ٩١ ، والحج ٧٤ .

(٦) ذكر ذلك مقاتل في تفسيره ٣ / ٦٨٥ ، وتفسير ابن عطية ١٤ / ١٠٢ ، وتفسير ابن كثير ٧ / ١٢٣ فقد نسب لمجاهد أنه قال : نزلت في قريش .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٦١ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (قبض) ٨ / ٣٤٩ .

تفهيماً لنا على عادة التخاطب في ما بيننا ، وكذا قوله : ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ، فذكرت اليمين للمبالغة في الاقتدار يعني أنه يطويها بقدرته ^(١) ، كما يطوي الواحد منا الشيء المقدور له طيه بيمينه ، وقال الأخفش : بيمينه يقول في قدرته نحو قوله : ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ [النساء : ٣٦] ؛ أي وما كانت لكم عليه قدرة وليس الملك لليمين دون الشمال وسائر ^(٢) الجسد ^(٣) ، وعلى هذا أنشد :

تلقاها عرابة باليمين ^(٤)

أي بالقوة والقدرة ، ثم نزه نفسه عن شركهم ، فقال : ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

٦٨ . قوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ صعق معناه مات ومضى الكلام فيه عند قوله : ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾

(١) هذا تأويل صفة اليد لله سبحانه وتعالى وهو خلاف مذهب السلف ، وقد أورد ابن جرير الطبري في تفسيره أقوال المؤولين لصفة اليد ، ورجح مذهب السلف ، وهو : أنها صفة من صفاته هي يد غير أنها ليست بجارحة كجوارح بني آدم .
انظر : تفسير الطبري ١٩٤ / ٤ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر وجوب الإيمان بصفة اليد وعدم تأويلها ، ونقل كلام المتقدمين من سلف الأمة : ويدل على إبطال التأويل أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها ، فلو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق إليه لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة . انظر : مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٩٠ / ٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٧٤ / ٢ .

(٣) هذا تأويل لصفة اليد وهو خلاف مذهب السلف في آيات الصفات ، قال ابن كثير عند هذه الآية : وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف : وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف ، انظر : تفسير ابن كثير ١٠٧ / ٦ .

(٤) هذا عجز بيت للشياخ وصدره :

إذا ما راية رفعت لمجد

انظر : ديوانه ٩٧ ، وتهذيب اللغة (غوب) ٢ / ٢٢١ ، والخصائص لابن جني ٢٥٢ / ٣ .

[الأعراف: ١٤٣]، ونحو هذا قال ابن عباس والمفسرون في تفسير صعق قالوا: مات من الفزع وشدة الصوت^(١).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «هم الشهداء متقلدو أسيافهم حول العرش»^(٢)، وهذا قول سعيد بن جبير^(٣) وابن عباس^(٤).

وروى أنس عن النبي ﷺ، قال: «هو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت»^(٥) وهذا قول مقاتل والسدي^(٦).

قال جابر: موسى ممن استثنى الله فلا يصعق وذلك بأنه قد صعق مرة^(٧).

-
- (١) انظر: تفسير الطبري فقد أخرجه عن السدي ٢٩/١٢، وتفسير الثعلبي ٢٢/١٠ ب، وتفسير مقاتل ٣٨٧/٣، وتفسير البغوي ١٣١/٧.
- (٢) أخرج ذلك الطبري في تفسيره عن أبي هريرة، انظر: ٣٠/١٢، وأخرجه الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة، وقال هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، انظر: المستدرک کتاب التفسير ٢/٢٥٣، وأورده الديلمي في الفردوس عن أبي هريرة، انظر: الفردوس بمأثور الخطاب ٣١٢/٢.
- (٣) أخرج ذلك الطبري: عن سعيد بن جبير، انظر: تفسيره ٣٠/١٢، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره عن سعيد بن جبير، انظر: ١٧٥/٢، ونسبه في الوسيط لسعيد بن جبير، انظر: ٥٩٤/٣.
- (٤) أورد ذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٦/١٩٥، ونسبه لابن عباس بلا إسناد. ونسبه المؤلف في الوسيط ٣/٥٩٤ لعطاء عن ابن عباس بلا إسناد.
- (٥) أخرج ذلك الطبري عن أنس انظر: تفسيره ٢٩/١٢، وعزاه السيوطي في الدر اللغريابي وعبد بن حميد نصر السجزي في الإبانة وابن مردويه عن أنس انظر: الدر المنثور ٧/٢٥٠، وانظر: كتاب التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام ٢٨١.
- (٦) انظر: تفسير مقاتل ٣/٦٨٧، وأخرجه الطبري عن السدي، انظر: تفسيره ٢٩/١٢، ونسبه الماوردي في تفسيره للسدي، انظر: ٥/١٣٥، ونسبه ابن الجوزي لمقاتل. انظر: زاد المسير ٦/١٩٥.
- (٧) أخرج ذلك الثعلبي عن جابر. انظر: تفسيره ٢٣/١٠ ب، وعزاه السيوطي في الدر لابن المنذر عن جابر. انظر: الدر المنثور ٧/٢٥١.

وقال قتادة : الله أعلم [بُنْيَاهُ^(١)] هذه الآية^(٢) كقوله : ﴿وَيَوْمَ يُفْخَعُ فِي الصُّورِ﴾ [النمل : ٨٧] ، ﴿ثُمَّ نُفْخَعُ فِيهِ أُخْرَى﴾ يعني : نفخة البعث وهو قوله : ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ يعني : الخلق كلهم .

وقال مقاتل : فإذا هم قيام على أرجلهم ﴿يَنْظُرُونَ﴾ إلى البعث الذي كذبوا به^(٣) في الدنيا ، وعلى هذا المراد بقوله : فإذا هم قيام الذين ينكرون البعث والقول هو الأول .

قال ابن عباس : يريد جميع الخلق ينظرون قد بعثوا^(٤) ، وهذا كقوله : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين : ٦] ، روى أبو صالح عن ابن عباس : ينظرون ما يقال لهم^(٥) .

٦٩ . قوله تعالى : ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ قال السدي والحسن : بعدل ربها^(٦) ، وقال الضحاك : بحكم ربها^(٧) ، والمعنى أنها كانت مظلمة

(١) كذا لفظها عند الثعلبي والقرطبي وعند ابن جرير ، قال قتادة : «قد استثنى الله ، والله أعلم إلى ما صارت ثنيته» فلعله يكون المعنى «والله أعلم بها استثناء» .

(٢) ذكر ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ١٢ / ٣١ ، ونسبه الثعلبي ١٠ / ٢٤ ، والقرطبي ١٥ / ٢٨٠ لقتادة .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٦٨٧ .

(٤) قال القرطبي في الجامع : فإذا الأموات من أهل الأرض والسماء . ولم ينسبه ، انظر : ١٥ / ٢٨١ ، وقال ابن الجوزي في زاد المسير : فإذا هم يعني الخلائق . ولم ينسبه ، انظر : ٧ / ١٩٧ .

(٥) قال الثعلبي : في تفسيره : ينظرون أمر الله تعالى فيهم . ولم ينسبه ، انظر : ١٠ / ٢٤ ، وقال القرطبي في الجامع : ينظرون ما يفعل بهم . ولم ينسبه ، انظر : ١٥ / ٢٨١ ، وقال البغوي في تفسيره : ينتظرون أمر الله فيهم . ولم ينسبه ، انظر : ٧ / ١٣١ .

(٦) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره عن السدي ، انظر : ١٠ / ٢٤ ، ونسبه الماوردي في تفسيره للحسن ، انظر : ٥ / ١٣٦ ، ونسبه البغوي في تفسيره للحسن والسدي ، انظر : ٧ / ١٣٢ ، ونسبه القرطبي في الجامع للحسن وغيره ، انظر : ١٥ / ٢٨٢ .

(٧) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره عن الضحاك ، انظر : ١٠ / ٢٤ ، ونسبه القرطبي في الجامع للضحك انظر : ١٥ / ٢٨٢ .

بالجور والظلم ، فلما أراد الله الحساب والمجازاة والحكم بين الخلق أشرقت بعدله وحكمه فيها ، ولما كان الظلم يسمى ظلماً ، كما روي في الحديث المرفوع : «الظلم ظلمات يوم القيامة»^(١) جاز أن يسمى العدل نوراً على التناقض ، وقال آخرون : معنى النور هاهنا أن الله - عز وجل - يخلق في القيامة نوراً يلبسه وجه الأرض فتشرق الأرض به ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية فإنه قال : يريد لا شمس ولا قمر قد بدلت الأرض غير الأرض إلى أرض فضة لم يعص الله عليها ، ومعنى هذا أن النور المذكور في هذه الآية ليس من نور الشمس ولا من القمر وهو نور يخلقه الله فتضيء به الأرض^(٢) .

وقوله : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ يعني : كتب الأعمال وهو قول مقاتل^(٣) ، وفسرناه في سورة الكهف [آية ٤٩] .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد اللوح المحفوظ^(٤) .

وقوله : ﴿وَالشَّهَادَاتُ﴾ قال ابن عباس : يعني الذين يشهدون للرسول بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد ﷺ^(٥) .

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله : أن رسول الله ﷺ قال : «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» . انظر : صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب ١٥ تحريم الظلم ٣/ ١٩٩٦ . وأخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو . انظر : مسند أحمد ٢/ ٩١ ، ٩٥ ومن حديث أبي هريرة ٢/ ٤٣١ .

(٢) ذكر ذلك الثعلبي : في تفسيره ولم ينسبه . انظر : ١٠/ ٢٤ ، وب ، ونسبه القرطبي في الجامع ١٥/ ٢٨٢ لابن عباس ، وذكره المؤلف في الوسيط ٣/ ٩٤ ولم ينسبه ، انظر : ٣/ ٩٤ ، ونسبه الألويسي لابن عباس انظر : روح المعاني ٢٤/ ٢٩ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٦٨٨ .

(٤) ذكر ذلك القرطبي في الجامع عن ابن عباس . انظر : ١٥/ ٢٨٢ .

(٥) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ٢٤ ب عن ابن عباس ، ونسبه الماوردي ٥/ ١٣٧ ، والبغوي ٧/ ١٣٢ لابن عباس ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٩٨ لابن عباس .

وقال مقاتل : يعني الحفظة^(١) ، ويدل على هذا التفسير قوله : ﴿مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] .

٧٠ . ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ قال ابن عباس : يريد ثواب ما عملت^(٢) ، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ قال : يريد أي عالم بفعلهم لا أحتاج إلى كتاب ولا شاهد^(٣) .

٧١ . قوله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ قال أبو عبيدة : زمراً جماعات في تفرق بعضها في إثر بعض ، واحدها : زمرة^(٤) ، وأنشد للأخطل :

[شوقي^(٥)] إِلَيْهِمْ وَوَجَدَا يَوْمَ أَتَبَعَهُم

طَرَفِي وَمِنْهُمْ بَجْنِي كُوكَبُ زُمَرٍ^(٦)

قال مقاتل : يعني : أفواجاً كفار كل أمة على حدة .

قوله تعالى : ﴿رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ قال : يعني من أنفسكم^(٧) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٦٨٨ / ٣ .

(٢) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ولم ينسبه . انظر : ١٣٢ / ٧ ، وذكره السمرقندي في تفسيره بلفظ : جزاء ما عملت من خير وشر . انظر : ١٥٧ / ٣ .

(٣) ذكر ذلك البغوي : في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٣٢ / ٧ ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير بلفظ : لا يحتاج إلى كاتب ولا شاهد ، وهو الصواب ولم ينسبه ، انظر : ١٩٨ / ٧ ، وكذلك ذكره القرطبي بهذا اللفظ ولم ينسبه ، انظر : ٢٨٣ / ١٥ .

(٤) انظر : مجاز القرآن ١٩١ / ٢ ، ولفظ : واحدها زمرة ، بدل واحدها .

(٥) كذا في (أ) و(ب) ، وهو تصحيف والصحيح : (شوقاً) .

(٦) انظر : ديوانه ٩٩ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٦٨٨ / ٣ .

وقوله : ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُم﴾ قال ابن عباس : يريد ما أنزل الله على الأنبياء وما أمروا به من توحيد الله عز وجل ^(١) .

قوله : ﴿حَقَّتْ لِكَلِمَةِ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ قال مقاتل : يعني قوله : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ﴾ [ص : ٨٥] ^(٢) .

٧٣-٧٤ . قوله تعالى : ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ كان من حق الكلام أن يكون فتحت بغير واو حتى يكون جواباً لقوله : ﴿حَقَّتْ إِذَا جَاءُوهَا﴾ كما كان في قصة سوق الكفار ، واختلفوا في جواب ﴿حَقَّتْ إِذَا﴾ قال أبو عبيدة : الجواب مكفوف عنه والعرب تفعل ذلك كثيراً ، قال عبد مناف في آخر قصيدة :

حتى إذا سلكوهم في [قتائدهم] ^(٣)

شلا كما تطردُ الجمالةُ الشرّداً ^(٤)

وقال المبرّد : الجواب محذوف على تقدير حتى إذا كان كذا وكذا سعدوا وصاروا إلى السعادة ، قال : وحذف الجواب أبلغ عند العلم ^(٥) ، وقال أبو

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٦٨٨ / ٣ .

(٣) كذا في (أ) و(ب) ، وعند الطبري وأبي عبيدة : (قتائدة) واللسان كذلك ، انظر : اللسان (جل) ١٢٥ / ١١ .

(٤) انظر : مجاز القرآن ١٩٢ / ٢ ، وتفسير الطبري ٣٦ / ١٢ ، واللسان (جل) ١٢٥ / ١١ ، والشاهد : حذف جواب إذا لتفخيم الأمر ، والتقدير : بلغوا أمّهم ، أو أدركوا ما أحبوا وفتائدة : ثنية وقيل جبل بين المنصرف والروحاء ، والشل : الطرد ، والجمالة : هم أصحاب الجمال ، والشرد : جمع شروذ أي من الجمال .

(٥) نقل ذلك عن المبرّد النحاس في إعراب القرآن ٢٢ / ٤ ، والسمين الحلبي في الدر المصون ، انظر : ٢٥ / ٦ .

إسحاق : والقول عندي أن الجواب محذوف على تقدير حتى إذا جاؤوها وكانت هذه الأشياء إلى قوله : ﴿ فَأَدْخُلُوهَا خَلِيدِينَ ﴾ دخلوها ، فالجواب : دخلوها وحذف لأن في الكلام دليلاً^(١) عليه ، وقال الأخفش : الجواب قوله ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ على إلغاء الواو ، قال : وقد جاء في الشعر ما يشبه هذا وأنشد :

فإذا وذلك يأكْبِشُهُ لم يكنْ إلا توهمُ حالمٍ بخيالٍ^(٢)

قال : يريد فإذا ذلك ، وهذا مذهب أهل الكوفة يجوزون إدخال الواو زيادة^(٣) . وذكرنا هذا الخلاف في مواضع ، قال أبو الفتح الموصلي : أصحابنا يدفعون هذا التأويل ولا يجوزون زيادة هذه الواو ، ويرون أن الجواب محذوف على تقدير وقال لهم خزنتها صادفوا الثواب الذي [وعدوا به^(٤)] ، ويقرأ وفتحت وكذلك ما قبله بالتخفيف والتشديد فحجة التشديد ، قوله : ﴿ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ [ص : ٥٠] ، والتشديد يختص بالكثرة والتخفيف يصلح للقليل والكثير^(٥) .

قوله تعالى : (طبتم) قال ابن عباس : طاب لكم المقام^(٦) يعني أن الملائكة يخبروهم بطيب مقامهم في الجنة إذا دخلوها ، وقال مقاتل : إنهم قبل أن [يدخلوها الجنة^(٧)] يغتسلون بعين ماء ، فيطيب الله بشرتهم فلا تغبر وجوههم ولا تشعث

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٦٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٧٣ ، واللسان (لم) ١٢ / ٥٥١ ، والبيت : لتميم بن مقبل بن عوف .

(٣) ذكر ذلك النحاس في إعراب القرآن ٤ / ٢٢ ، والسمين الحلبي في الدر المصون ٦ / ٢٥ .

(٤) كذا في (ب) ، وفي (أ) : (وعدوا) ، وفي سر صناعة الإعراب لأبي الفتح الموصلي : (الذي وعدوه) . انظر : ٦٤٧ / ٢ .

(٥) قرأ نافع وابن عامر وابن كثير وأبو عمرو : (فُتِّحَتْ) . بالتشديد ، وقرأ عاصم وحزة والكسائي بالتخفيف . انظر : الحجة لأبي علي ٦ / ١٠٠ .

(٦) ذكر ذلك البغوي عن ابن عباس انظر : تفسيره ٧ / ١٣٣ ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير لابن عباس انظر : ٧ / ٢٠١ .

(٧) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب : (يدخلوا الجنة) .

رؤوسهم ولا تشحب أبدانهم أبداً ، فذلك قوله ^(١) : (طبتم) ، وهذا المعنى مروي عن علي رضي الله ^(٢) عنه ، وقال قتادة : لأنهم قد طيبوا قبل دخول الجنة بالمغفرة ، واقتص بعضهم من بعض لما كان بينهم فلما [ذهبوا] ^(٣) وطيبوا قال لهم الخزنة طبتم فادخلوها خالد بن ^(٤) ، قالوا قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾ ؛ أي بالجنة ﴿ وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ ﴾ قال ابن عباس والمفسرون : أرض الجنة ^(٥) ﴿ نَبَوُّا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ قال ابن عباس : نسكن منها حيث نشاء ^(٦) .

وقال أبو إسحاق : نتخذ منها من المنازل ما نشاء ^(٧) . وقال أبو إسحاق : نعم ثواب المحسنين ^(٨) .

٧٥ . قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾ قال أبو عبيدة : أطافوا بحفافية ^(٩) الليث : حف القوم سيدهم يحفون حفاً إذا أطافوا به

-
- (١) لم أقف عليه في تفسير مقاتل ، وقد ذكره الماوردي في تفسيره ونسبه لمقاتل . انظر : ١٣٨ / ٥ .
- (٢) أخرج ذلك الطبري عن علي رضي الله عنه ، انظر : تفسيره ٣٥ / ١٢ ، وأخرجه عبدالرازق في تفسيره عن علي رضي الله عنه ، انظر : ١٧٦ / ٢ ، وأخرجه الثعلبي : في تفسيره عن علي رضي الله عنه ، انظر : ٢٥ / ١٠ ب .
- (٣) كذا في (أ) و(ب) وفي تفسير الثعلبي وزاد المسير : هذبوا ، وهو الصواب .
- (٤) انظر : تفسير الثعلبي عن قتادة ١٠ / ٢٥ ، وزاد المسير عن قتادة ٧ / ٢٠٢ ، وتفسير الوسيط عن قتادة ٣ / ٥٩٥ .
- (٥) لم أقف على نسبته لابن عباس ، وقد أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة والسدي وابن زيد . انظر : تفسيره ١٢ / ٣٧ ، ونسبه الماوردي في تفسيره لأبي العالية وأبي صالح وقاتل السدي وأكثر المفسرين ، انظر : ١٣٨ / ٥ ، وقد ذكره الثعلبي ولم ينسبه ، انظر : تفسيره ١٠ / ٢٦ ب ، والبغوي ولم ينسبه ، انظر : ٧ / ١٣٤ .
- (٦) لم أقف على نسبته لابن عباس ، وقد أخرج الطبري عن السدي ، قال : «نزل منها حيث نشاء» انظر : ١٢ / ٣٧ .
- (٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٦٤ .
- (٨) لم أقف عليه ، وقد أورده المؤلف في الوسيط بهذا اللفظ ولم ينسبه ، انظر : ٣ / ٥٩٥ .
- (٩) انظر : مجاز القرآن ٢ / ١٩٢ .

وعكفوا^(١)، ومنه قوله : ﴿حَاقَيْنِ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ والحفاف ما حف الشيء إذا أحاط به وجمعه [أحفية^(٢)] . قال ذو الرمة :

لَهْنٌ إِذَا أَصْبَحْنَ مِنْهُ أَحْفَةً وَحِينَ يَرَوْنَ اللَّيْلَ أَقْبَلَ جَائِيًا^(٣)
لَهْنٌ أَيُّ لِلْجَفَانِ وَأَحْفَةٌ قَوْمٌ [استدار^(٤)] حَوْلَهَا وَحِفَافًا كُلُّ شَيْءٍ جَانِبُهُ .

ومنه قول طرفة :

كَأَنَّ جَنَاحِي مِضْرَحِي تَكْنَفَا حِفَافِيهِ شُكَّا فِي الْعَسِيبِ بِمُسْرَدٍ^(٥)
قال ابن عباس : يعني محققين بالعرش^(٦) ، وقال الأخفش : (من) في قوله ﴿حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ أدخلت تأكيداً كقولك ما بطأ بي من أحد^(٧) .

قوله تعالى : ﴿يَسْبِخُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قال ابن عباس : يريد حيث دخل الموحدون الجنة^(٨) ، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الخلائق ناطق بالعدل .

-
- (١) انظر : كتاب العين للخليل بن أحمد (حف) ٣٠ / ٣ .
(٢) كذا في (أ) و(ب) ، وفي تهذيب اللغة (حف) ٤ / ٤ : (جمعه أَحْفَةٌ) ، ولعله الصواب .
(٣) انظر : ديوانه ٦٦٠ بلفظ : ترون ، انظر : تهذيب اللغة (حف) ٤ / ٤ ، واللسان (حف) ٥١ / ٩ .
(٤) كذا في (أ) و(ب) وفي تهذيب اللغة (أحفة أي قوم استداروا بها) ، تهذيب اللغة (حف) ٤ / ٤ .
(٥) انظر : ديوانه ١٢ ، وتهذيب اللغة (حف) ٤ / ٤ ، واللسان (حف) ٥٠ / ٩ ، والشاعر يصف ناحيتي عسيب ذنب الناقة ، والخفيف : صوت الشيء كالرمية ، انظر : الزاهر في معاني كلمات الناس ٣٩٦ / ٢ ، وشرح المعلقات العشر ٤٣ .
(٦) لم أقف على نسبته لابن عباس وقد أخرجه الطبري ٣٧ / ١٢ عن قتادة والسدي ، وذكره الثعلبي ٢٦ / ١ ، والبعوي ١٣٤ / ٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٢٠٢ / ٧ بغير نسبة .
(٧) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٧٣ / ٢ .
(٨) لم أقف عليه .

قوله : ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس : تم وعد الله لهم وتم شكرهم لله ^(١) ، وعلى هذا أهل الجنة هم الذين قالوا الحمد لله رب العالمين ^(٢) ، وقال قتادة ومقاتل ^(٣) : بدأ الله خلق الأشياء بالحمد ، فقال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام : ١] ، فلما أفنى الخلق وبعثهم وحكم بينهم واستقر الفريقان في الدارين ختم ذلك بقوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

* * *

(١) لم أقف عليه .

(٢) ذكر ذلك الماوردي ١٤٠ / ٥ ، والبغوي ١٣٤ / ٧ ، وابن الجوزي ٢٠٢ / ٧ .

(٣) أخرج ذلك الطبري ٣٨ / ١٢ ، وأخرجه الثعلبي ٢٦ / ١٠ ب عن قتادة ، انظر : تفسير مقاتل ٦٨٩ / ٣ .

تفسير

سورة المؤمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿حَمَّ﴾ روي عن ابن عباس فيه أقوال ؛ أحدها حكاه السدي عنه ، قال : هو اسم الله الأعظم ^(١) ، وقال في رواية الوالبي : حم قسم ^(٢) ، وقال في رواية عكرمة ^(٣) : ﴿الر﴾ ، و﴿حَمَّ﴾ ، و﴿ت﴾ حروف للرحمن مقطعة ^(٤) .

-
- (١) أخرج ذلك الثعلبي في تفسيره عن السدي عن ابن عباس ، انظر : ٢٨ / ١٠ ، وذكر ذلك البغوي في تفسيره عن ابن عباس ، انظر : ١٣٧ / ٧ ، وكذلك القرطبي عن ابن عباس ، انظر : الجامع ٢٨٩ / ١٥ .
- (٢) أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس ، انظر : تفسيره ٣٩ / ١٢ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره لابن عباس ، انظر : ٢٨ / ١٠ ، ونسبه ابن الجوزي لابن عباس ، انظر : زاد المسير ٢٠٥ / ٧ ، وكذلك نسبه القرطبي لابن عباس ، انظر : الجامع ٢٨٩ / ١٥ .
- (٣) عكرمة بن عبدالله المدني ، تقدمت ترجمته في البقرة .
- (٤) أخرج ذلك الطبري عن عكرمة عن ابن عباس ، انظر : تفسيره ٣٩ / ١٢ ، ونسبه الثعلبي لابن عباس من رواية عكرمة ، انظر : تفسيره ٢٨ / ١٠ . وكذلك نسبه البغوي لعكرمة عن ابن عباس ، انظر : تفسيره ١٣٧ / ٧ ، وأيضاً ذكره ابن الجوزي عن عكرمة عن ابن عباس ، انظر : زاد المسير ٢٠٦ / ٧ .

وقال في رواية الكلبي: ﴿حَمَّ﴾ قضى ما هو كائن^(١)، وهو قول الضحاك واختيار الكسائي^(٢).

وقال قتادة: حم اسم من أسماء القرآن^(٣).

وقال الشعبي: هو اسم السورة^(٤)، والكلام في تفسير حروف الهجاء قد تقدم في أول سورة البقرة، والقراءة في حم على السكون؛ لأنها من حروف التهجي فإن جعلت حم اسماً للسورة فأعربته^(٥) جاز، قال أوفى^(٦):

يُذَكِّرُنِي حَمَ وَالرُّمُحُ شَاجِرٌ فَهَلَّا تَلَا حَمَ قَبْلَ التَّقْدِمِ

(١) انظر: تنوير المقباس ٤٦٧، وذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط ٤/٤.

(٢) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره عن الضحاك والكسائي، انظر: ٢٨/١٠، ونسبه البغوي في تفسيره للضحاك والكسائي، انظر: ١٣٧/٧، ونسبه ابن الجوزي، لابن عباس والضحاك والكسائي، انظر: زاد المسير ٢٠٦/٧، ونسبه القرطبي للضحاك والكسائي، انظر: ٢٨٩/١٥.

(٣) أخرج ذلك الطبري: عن قتادة، انظر: تفسيره ٣٩/١٢، ونسبه الثعلبي لقتادة، انظر: تفسيره ٢٨/١٠، ونسبه الماوردي لقتادة، انظر: تفسيره ١٤١/٥، ونسبه ابن الجوزي لقتادة ٢٠٦/٧.

(٤) ذكر الثعلبي في تفسيره عن الشعبي قال: شعار الشَّر، انظر: ٢٨/١٠.

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٦٥/٤.

(٦) شريح بن أبي أوفى العبيسي كذا نسبه له أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٩٣/٢، وأيضاً نسبته له الطبري في تفسيره ٣٩/١٢، والسمين الحلبي في الدر المنصور ٢٧/٦، وكذلك في مشاهد الإنصاف على شواهد الكشف ١٠٨/٤، وفي اللسان (حم) ١٥١/١٢، والبحر المحيط ٤٤٦/٧، وتفسير ابن عطية ١١٢/١٤، وقد اختلف في عزو هذا البيت اختلافاً كثيراً، فذكر ابن حجر في الفتح عن ابن إسحق أن البيت للأشتر النخعي، وذكر أبو مخنف أنه لم يلج بن كعب السعدي، ويقال كعب بن مدليج، ويقال إن البيت لشداد بن معاوية العبيسي، انظر: فتح الباري ٥٥٤/٨.

وقال الكميت^(١) :

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَمِ آيَةً تَأَوَّلَهَا [مِنْهَا^(٢)] تَقِيٌّ وَمُغْرِبٌ

٢. قوله تعالى : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ يجوز أن يكون حم ابتداء محذوف على هذا تنزيل الكتاب ، ويجوز أن يكون حم ابتداء وتنزيل الخبر ، ويجوز أن يكون تنزيل ابتداء وخبره من الله العزيز^(٣) في ملكه العليم بخلقه .

٣. قوله تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ ﴾ قال ابن عباس : غافر الذنب لمن يقول لا إله إلا الله^(٤) ، قال مقاتل : غافر الذنب يعني : الشرك^(٥) ﴿ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ من الشرك ، قال أبو عبيدة : التوب يجوز أن يكون مصدراً وجمعاً^(٦) .
وقال الأخفش : التوب جماعة التوبة^(٧) .

قال المبرّد : يجوز أن يكون مصدراً ، يقال : يتوب توباً ، مثل : قال يقول قولاً وتوبة بمنزلة قوله ، ويجوز أن يكون جمعاً لتوبة فتكون توبة وتوب مثل تمرّة وتمر ،

(١) هو : الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي ، تقدمت ترجمته .

(٢) كذا في (أ) و(ب) ، ولعل الصواب (منا) . انظر : مجاز القرآن ١٩٣ / ٢ ، والكتاب ٢٥٧ / ٣ وتفسير الطبري ٤٠ / ١٢ ، واللسان (حم) ١٥٠ / ١٢ ، والبحر المحيط ٤٤٦ / ٧ وتفسير ابن عطية ١١٣ / ١٤ .

(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢٥ / ٤ ، والدر المصون ٢٨ / ٦ ، والبحر المحيط ٤٤٧ / ٧

(٤) ذكر ذلك البغوي : في تفسيره ١٣٨ / ٧ عن ابن عباس ، والقرطبي في الجامع ٢٩٠ / ١٥ عن ابن عباس ، وذكره السمرقندي في تفسيره ١٦٠ / ٣ . ولم ينسبه .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٥ / ٣ .

(٦) انظر : مجاز القرآن ١٩٤ / ٢

(٧) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٧٤ / ٢ .

وكل ذلك حسن والمصدر أقرب إلى القلب ؛ لأن تاوب له أن يقبل هذا الفعل والآخر تقديره يقبل التوبات^(١) .

قوله : ﴿شَدِيدَ الْعِقَابِ﴾ قال ابن عباس : لمن اجتراً عليه ولم يقل لا إله إلا الله^(٢) ، وقال مقاتل : شديد العقاب لمن لا يوحده^(٣) .

قال الكسائي : شديد العقاب نعت للنكرة^(٤) ؛ تقول مررت برجل شديد البطش ولا تقول مررت بعبداً الله شديد البطش على النعت ، ولكنه لما جاء مع غافر الذنب وقابل التوب صلح كما قال : ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾^(٥) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ^(٦) فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ^(٧) [البروج : ١٤-١٦] ، ونحو هذا قال الفراء سواء^(٨) .

وقال الزَّجَّاج : أما خفض شديد العقاب فعلى البدل ؛ لأنه ما يوصف به النكرة^(٩) ، ونحو هذا قال الأخفش^(١٠) .

وقوله : ﴿ذِي الطَّلَوِ﴾ قال أبو عبيدة : ذي التفضل تقول العرب إنه لذو طول على قومه أي ذو فضل عليهم ، قال النابغة الجعدي :

وقال لجسّاس أغثنى بشربة
تفضل بها طولاً عليّ وأنعم^(١١)

(١) انظر : إعراب القرآن للنحاس : ٢٦/٢ ، والدر المصون ٢٩/٦ .

(٢) ذكر ذلك الثعلبي ٢٨/١٠ ب عن ابن عباس ، وذكره البغوي ١٣٨/٧ ولم ينسبه ، ونسبه القرطبي ٢٩٠/١٥ لابن عباس .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٥/٣ .

(٤) انظر : إعراب القرآن للنحاس : ٢٦/٤ ، والدر المصون ٢٩/٦ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٤/٣ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٦٦/٤ بلفظ : (مما يوصف به النكرة) .

(٧) انظر : معاني القرآن للأخفش : ٦٧٤/٢ .

(٨) انظر : مجاز القرآن ١٩٤/٢ ، واللسان (حصى) ١٥/٧ ، والزاهر ٩٧/٢ . انظر : ديوان النابغة

١٤٥ وفيه : (تمن) بدل (تفضل) و(وفضلاً) بدل : (طولاً) ، فعلى هذا لا يكون فيه شاهد ؛ فالشاهد في هذا البيت (طولاً) .

قال المبرّد : يقال طال علينا طولاً أي تفضل علينا تفضلاً^(١) ، ومن كلامهم :
طل علي بفضلك .

قال أبو إسحاق : الطول معناه الغنى والفضل والقدرة تقول لفلان علي طول
إذا كان له علي فضل^(٢) ، ومنه قوله : ﴿أُولُوا الطَّوْلَ مِنْهُمْ﴾ [التوبة : ٨٦] ، ومضى
تفسيره عند قوله : ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً﴾ [النساء : ٢٥] ، قال^(٣) ذي الغنى
عمن لا يقول لا إله إلا الله ، ونحو هذا قال مقاتل : ذي الغنى والفضل এমন لا
يوحده^(٤) ، قال الكلبي : ذو الفضل على عباده والمن عليهم^(٥) ، وقال مجاهد : ذي
السعة والغنى^(٦) .

ثم وحد نفسه فقال : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ الْمَصِيرُ﴾ يعني مصائر العباد في
الآخرة فيجزئهم بأعمالهم .

(١) ذكر نحو هذا المعنى النحاس في معاني القرآن ٢٠٣/٦ ولم ينسبه ، وكذلك الأزهري في تهذيب اللغة
(طال) ١٨/١٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٦٦/٤ .

(٣) هذا القول لابن عباس فقد أورده القرطبي منسوباً لابن عباس انظر : الجامع ٢٩١/١٥ ، وذكره
بهذا اللفظ الثعلبي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ٢٨/١٠ ب ، وكذلك ذكره من غير نسبة البغوي في
تفسيره ، انظر : ١٣٨/٧ ، وقد أخرجه الطبري : عن ابن عباس لكن بلفظ (ذي الغنى والسعة) ،
انظر : تفسيره ٤١/١٢ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٥/٣ بلفظ (ذي الغنى এমন لا يوحده) .

(٥) انظر : تنوير المقياس ٤٦٧ ، وذكره السمرقندي في تفسيره ولم ينسبه . انظر : ١٦١/٣ .

(٦) أخرج الطبري : عن مجاهد بلفظ (الغنى) ، انظر : تفسيره ٤١/١٢ ، وأورده الماوردي في تفسيره
بهذا اللفظ عن مجاهد ، انظر : ١٤٢/٥ ، وكذلك البغوي في تفسيره ١٣٨/٧ والقرطبي في الجامع
٢٩١/١٥

٤-٥ . قوله تعالى : ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال ابن عباس : يريد ما يكذب بما جئت به يا محمد^(١) ، إلا الذين كفروا ، قال ابن عباس : ما يجادل في دفع آيات الله بالباطل^(٢) إلا الذين كفروا ﴿ فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْإِلْدَادِ ﴾ قال ابن عباس : يريد تجارتهم من اليمن إلى مكة ومن مكة إلى الشام^(٣) ، وقال مقاتل : يقول لا يغرك ما هم فيه من الخير والسعة من الرزق فإنه متاع قليل ينتفعون به في الدنيا^(٤) ، وهو كقوله : ﴿ لَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْإِلْدَادِ ﴾ (١٦١) مَتَّعَ قَلِيلٌ الآية [آل عمران : ١٩٦-١٩٧] .

وقال أبو إسحاق^(٥) : أي فلا يغرك سلامتهم بعد كفرهم حتى إنهم يتصرفون حيث شاءوا فإن عاقبة أمرهم العذاب والهلاك ، ثم بين كيف ذلك وأعلم أن الأمم كذبت قبلهم فأهلكوا ، بقوله : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ يعني : رسولهم نوحاً .

وقال ابن عباس : كانوا أكثر عدداً وأظهر جلدألم يكن شبر في سهل أو جبل إلا وله رب^(٦) يملكه ، ﴿ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ ﴾ يريد : الأمم الذين تحزبوا على أنبيائهم بالكذب نحو عاد وثمود فمن بعدهم ، ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ ﴾

(١) انظر تنوير المقباس ٤٦٧ .

(٢) ذكر نحوه البغوي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٣٨ / ٧ ، وكذلك ابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : زاد المسير ٢٠٧ / ٧ .

(٣) ذكر ذلك القرطبي في الجامع عن ابن عباس ، انظر : ٢٩٢ / ١٥ ، وذكر نحوه الرازي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ٣٠ / ٢٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٥ / ٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٦٦ / ٤ .

(٦) لم أقف عليه .

قال الأخفش والفرّاء : جمع على كل حال ؛ لأن الكل مذكر فمعناه ^(١) [مع جماعة] ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ ؛ أي قصده بالقتل ، قال ابن عباس : ليقتلوه ^(٢) ، وعلى هذا معنى الأخذ ها هنا القتل ، ونحو هذا قال مقاتل : ليأخذوه ؛ أي ليقتلوه يعني همت كل أمة برسولهم أن يقتلوه ^(٣) ، قال ابن قتيبة : ليأخذوه ؛ أي ليهلكوه ، والأخذ يكون بمعنى الإهلاك كقوله : ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ [نكير]﴾ ^(٤) قال : ويقال ليحبسوه ويغلبوه ، ويقال للأسير : أخيد ^(٥) .

وقال قتادة : ليأخذوه فيقتلوه ^(٦) ، وعلى هذا القتل محذوف يدل عليه الأخذ ، واختار أبو إسحاق هذا ، فقال : ليأخذوه ؛ أي ليتمكنوا منه فيقتلوه ^(٧) .

﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾ قال مقاتل : خاصموا رسولهم وهو أنهم قالوا ما أنتم برسول الله ، وما أنتم إلا بشر مثلنا وهلا أرسل الله ملائكة ، هذا وأمثاله جداهم كما قيل لمحمد أيضاً ^(٨) .

-
- (١) كذا في (أ) و(ب) ، وفي معاني القرآن للأخفش معنى جماعة ، انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٧٥ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣ / ٥ .
- (٢) ذكر ذلك البغوي في تفسيره عن ابن عباس ، انظر : ٧ / ١٣٩ ، وذكره ابن الجوزي عن ابن عباس ، انظر : زاد المسير ٧ / ٢٠٧ .
- (٣) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٠٥ .
- (٤) كذا في (أ) و(ب) وفي تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (عقاب) .
- (٥) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٥ .
- (٦) أخرج ذلك الطبري في تفسيره عن قتادة انظر : ١٢ / ٤٢ ، وكذلك نسبه ابن الجوزي لابن عباس و قتادة ، انظر : زاد المسير ٧ / ٢٠٧ ، ونسبه القرطبي لقتادة والسدي ، انظر : الجامع ١٥ / ٢٩٣ .
- (٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٦٦ .
- (٨) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٠٥ ، ٧٠٦ .

قوله : ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ ؛ أي يطلوا ﴿بِهِ الْحَقُّ﴾ الذي جاءت به الرسل
﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ يريد كيف عاقبة الأمم المكذبة بأنواع
العقوبات ، وكيف هاهنا تقرير لعقوبتهم الواقعة بهم .

قال مقاتل : يعني أليس وجدوه حقاً^(١) ؟

٦ . قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك ؛ أي كما حق على الأمم التي كذبت
رسلاً كذا : ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من
قومك ، ثم فسر الكلمة بقوله : ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ قال الأخفش :
أي لأنهم وبأنهم^(٢) .

٧ . ثم أخبر - جل وعز - بفضل المؤمنين ، فقال : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ
حَوْلَهُ﴾ يعني : المقربين من الملائكة وهم حملة العرش والطائفون به .
قال الكلبي : وهم الكروبيون وهم سادة الملائكة^(٣) ، قوله تعالى :
﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ قال ابن عباس : يشهدون أنه لا إله إلا الله^(٤) ، وقال
مقاتل : يصدقون بأنه واحد لا شريك له^(٥) ، ويقولون : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ
كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً﴾ ؛ أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء ،
فلما نقل الفعل عنها نصب على التفسير ، والمعنى : عمت رحمتك من

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٠٦ .

(٢) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٥ .

(٣) ذكر ذلك البغوي : في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٣٩ / ٧ ، وكذلك ذكره ابن الجوزي ولم ينسبه ،
انظر : زاد المسير ٧/ ٢٠٨ .

(٤) قال ابن جرير : يقرون بالله أنه لا إله لهم سواه . ولم ينسبه ، انظر : تفسيره ١٢ / ٤٤ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٠٦ .

في السموات والأرض من الحيوان فهم ، يتقلبون فيها [وعمت^(١)] من فيها من الخلق^(٢) ، وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة^(٣) والمفسرون .

قوله : ﴿فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ قال ابن عباس وقتادة وغيره : من الشرك^(٤) ﴿وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ﴾ يعني : دينك الإسلام ، قاله مقاتل وابن عباس^(٥) ، وقال قتادة : طاعتك^(٦) ، وقال أبو إسحاق : لزموا طريق الهدى التي دعوت إليها^(٧) .

٨. قوله تعالى : ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ قال الفراء والزجاج : ﴿مَنْ﴾ نصبٌ من مكانين ، وإن شئت رددته على الهاء والميم في قوله : (وأدخلهم) وإن شئت (وعدتهم)^(٨) ، ومعنى : ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ من وحد الله .

٩. قوله تعالى : ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد واعصمهم من الشرك^(٩) ، وهو قول مقاتل^(١٠) ، وقال في رواية أبي

(١) في (أ) : (وعلمت) ، وهو تصحيف .

(٢) انظر : الدر المصون ٣١/٦ ، وتفسير البغوي ١٤١/٧ ، والجامع ٢٩٥/١٥ .

(٣) ذكر معنى ذلك الماوردي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٤٤/٥ ، ومقاتل في تفسيره ولم ينسبه ، انظر :

٧٠٦/٣ ، والبغوي في تفسيره ولم ينسبه ١٤١/٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ولم ينسبه ٢٠٨/٧ .

(٤) انظر : تنوير المقياس ٤٦٧ ، وأخرجه الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ٤٤/١٢ ، ونسبه الماوردي في

تفسيره ليحيى ١٤٥/٥ ، وذكره السمرقندي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٦٢/٣ ، وكذلك ذكره

ابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : ٢٠٨/٧ ، انظر : تفسير مقاتل ٧٠٧/٣ .

(٥) انظر تنوير المقياس ٤٦٧ ، وتفسير مقاتل ٧٠٧/٣ .

(٦) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ٤٥/١٢ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٦٨/٤ .

(٨) انظر : معاني القرآن للفراء ٥/٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٦٨/٤ .

(٩) لم أقف عليه .

(١٠) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٧/٣ .

صالح : وقهم العذاب ، وهو قول قتادة^(١) ، وكأن هذا أشبه لقوله :
﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني : يوم القيامة .

وقال مقاتل : ومن تق السيئات في الدنيا فقد رحمته يومئذ ، قال : فهو
على التقديم والتأخير ﴿وَذَلِكَ﴾ يعني : ما ذكر من دعاء الملائكة ﴿هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ﴾^(٢) .

١٠ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ قال الكلبي : إذا
أدخل الله أهل النار النار يقول كل إنسان لنفسه : مقتك يا نفس ، فنودوا
وهم في النار ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ إياكم إذ أنتم في الدنيا وقد بعث إليكم
الرسول فلم تؤمنوا أشد من مقتكم أنفسكم اليوم^(٣) ، وقال مجاهد :
مقتوا أنفسهم حين رأوا العذاب^(٤) ، فنودوا ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ الآية ،
وقال الحسن : نظروا في كتابهم يوم القيامة فمقتوا أنفسهم ، فناداهم
مناد من قبل الله : لمقت الله إياكم إذ أنتم في الدنيا وقد بعث إليكم
الرسول فلم تؤمنوا أشد من مقتكم أنفسكم اليوم^(٥) ، وقال مجاهد :
مقتوا أنفسهم حين رأوا العذاب ، فنودوا ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾^(٦) الآية .

(١) لم أقف على نسبته لأبي صالح ، وقد أخرجه الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ٤٦/١٢ ، ونسبه
ابن الجوزي لقتادة ، انظر : زاد المسير ٢٠٩/٧ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٧/٣ .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٤٦٨ ، وذكر المعنى الثعلبي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ٣٣/١٠ ب ، وذكره
ابن الجوزي في زاد المسير من غير نسبة ، انظر : ٢٠٩/٧ ، ونسبه القرطبي للكلبي ، انظر : الجامع
٢٩٦/١٥ .

(٤) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد ، انظر : تفسيره ٤٦/١٢ ، ونسبه القرطبي لمجاهد ٢٩٧/١٥ ، وذكره
الثعلبي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ٣٣/١٠ ب .

(٥) انظر : تفسير الحسن ٢٦٥/٢ ، ونسبه القرطبي للحسن ، انظر : الجامع ٢٩٧/١٥ .

(٦) سبق قريباً ذكر قول مجاهد والحسن ، ثم كرره مرة ثانية مع اختلاف بسيط في بعض الألفاظ ، ولم أقف
على هاذين القولين .

وقال الحسن : نظروا في كتابهم يوم القيامة فمقتوا أنفسهم فناداهم مناد من قبل الله : لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيثار فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم .

وقال محمد بن كعب : إذا خطبهم إبليس وهم في النار بقوله : ﴿إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ﴾ إلى قوله : ﴿وَلَوْ مُوًّا أَنْفُسَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ، مقتوا أنفسهم ، فنودوا ﴿لَمَقَّتُ اللَّهُ﴾ الآية^(١) .

قال مقاتل : إذا دخلوا النار وعابوها مقتوا أنفسهم ، فقال لهم الخزنة : ﴿لَمَقَّتُ اللَّهُ﴾ الآية^(٢) . وهذا قول جميع المفسرين ، قال الفراء : المعنى ينادون إن مقت^(٣) ولكن اللام تكفي من أم تقول ناديت أن زيدا قائم وناديت لزيد قائم ، ومثله قوله : ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتٍ لِيَسْجُتْنَهُ﴾ [يوسف: ٣٥] ، وفي الآية حذف وتقديم ، فالحذف هو مفعول المقت الأول ؛ لأن التقدير لمقت الله إياكم ، والتقديم هو أن تقول قوله : ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ﴾ قدم على الظرف المتعلق بالمقت الأول ، والتقدير : لمقت الله إياكم إذ تدعون إلى الإيثار فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم^(٤) .

قال أبو علي : وإنما جاز أن يتعلق الظرف بالمقت الأول وقد ذكر بعده خبره ؛ لأن الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها ، ألا ترى أنها تقع مواقع لا يقع

(١) ذكر ذلك القرطبي عن محمد بن كعب ، انظر : الجامع ٢٩٧/١٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٧/٣ .

(٣) كذا في (أ) و(ب) ، ولكن العبارة ناقصة ؛ فقد سقط سطران تقريباً كما في معاني القرآن للفراء ؛ فنص العبارة عنده : «ينادون أن مقت الله إياكم أكبر من مقتكم أنفسكم يوم القيامة ، لأنهم مقتوا أنفسهم إذ تركوا الإيثار ، ولكن اللام تكفي من أن تقول في الكلام : ناديت . . . » ، انظر : معاني القرآن للفراء ٦/٣ .

(٤) انظر : مشكل إعراب القرآن لمكي ٢٦٤/٢ ، والكشاف ٣٦٣/٣ ، والدر المصون ٣٢/٦ ، وفوائد في مشكل القرآن للعز بن عبد السلام ٢٢٦ .

غيرها ، ولا يجوز إذا أخبر عن الاسم أن يقع بعد الخبر عنه شيء يتعلق بالمخبر عنه ، قال : والظرف مع ما ذكرنا ينبغي أن يحمل على فعل آخر دل عليه المقت كأنه مقتكم إذ تدعون إلى الإيمان^(١) .

وقال الأخفش : اللام في ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ لام ابتداء ، ومعنى ينادون : يقال لهم ؛ لأن النداء قول ، وهو كما تقول : يقال لَزَيْدٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمْرٍو^(٢) .

١١-١٢ . قوله تعالى : ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ﴾ قال ابن عباس : يريدون كنا في الدنيا نطفأ ، ثم أحييتنا ، ثم أمتنا وبُعْثْنَا^(٣) .

وقال مقاتل : كانوا نطفة فخلقهم وأحياهم ، فهذه مودة وحياة أخرى^(٤) ، ثم أماتهم عند آجالهم ، ثم بعثهم في الآخرة ، فهذه مودة وحياة أخرى .

قال ابن مسعود : هذا مثل التي في البقرة : ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [آية : ٢٨] الآية^(٥) ، وهو قول قتادة وعامة المفسرين^(٦) ، وعلى هذا خلقهم أمواتاً نطفأ في أصلاب آبائهم سمي إماتة .

(١) لم أقف على قول أبي علي .

(٢) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/٦٧٥ .

(٣) أخرج الطبري عن ابن عباس روايات عدة وكلها قريبة من هذا المعنى ، انظر : تفسير الطبري ١/١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٢/٤٧ .

(٤) كذا في (أ) و(ب) ، ولفظ (أخرى) ليست في تفسير مقاتل وباقي كلامه فيه ٣/٧٠٧ .

(٥) أخرج ذلك الطبري عن ابن مسعود انظر : تفسيره ١٢/٤٧ ، وذكره الماوردي ونسبه لابن مسعود وقتادة ، انظر : تفسيره ٥/١٤٦ ، ونسبه القرطبي في الجامع ١٥/٢٩٧ لابن مسعود وابن عباس وقتادة والضحاك .

(٦) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ١٢/٤٧ ، ونسبه الثعلبي لابن عباس وقتادة والضحاك ، انظر : تفسيره ١٠/٣٣ ب ، ونسبه أبو حيان في البحر المحيط لابن عباس وقتادة والضحاك وأبو مالك ، انظر : ٧/٤٥٣ .

وقوله : ﴿أَتُنْتَبِئِينَ﴾ نعت للمصدر المحذوف ، والتقدير إمامتين اثنتين ، وقال السدي : أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم ، فسئلوا ، ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا في الآخرة^(١) .

قال مقاتل : وإنما قالوا هذا لأنهم كانوا قد كذبوا في الدنيا بالبعث فاعترفوا في النار بما كذبوا به ، وأكدوا ذلك الاعتراف بقولهم^(٢) : ﴿أَمَتْنَا أَتْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَتْنَيْنِ﴾ .

قوله تعالى : ﴿فَاعْتَرَفَا بِذُنُوبِنَا﴾ ؛ أي بتكذيبنا بالبعث في الدنيا ، واعترفاهم بالإماتة مرتين والإحياء مرتين ، اعتراف بذنوبهم ؛ لأنهم لم يكونوا يعترفون بذلك في الدنيا ، فلما اعترفوا في الآخرة بما كذبوا به في الدنيا كان ذلك اعترافاً بالذنب .

ثم سألوا الرجعة ، فقالوا : ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ قال ابن عباس : يريد هل من خروج من جهنم يردنا إلى الدنيا^(٣) فنعمل بطاعتك ، فقال الله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ﴾ ؛ أي ذلكم العذاب ، والعذاب وإن لم يتقدم له ذكر فقد دل عليه قوله : ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ ؛ لأنه يراد به خروج من العذاب^(٤) ، وقال مقاتل : ذلك المقت إنما كان ﴿بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ ؛ أي إذا قيل لا إله إلا الله أنكروتم ، وقتلتم : ﴿أَجْعَلِ لِّلْهَآءِ إِلَهًا وَجِدًا﴾ [ص: ٥] ، ﴿وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ ؛ أي وإن يجعل له شريكاً ﴿تُؤْمِنُوا﴾ تصدقوا ذلك الذي أشرك ، وتشهدوا أن له شريكاً^(٥) .

(١) أخرج ذلك الطبري : عن السدي ، انظر : تفسيره ٤٨ / ١٢ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره للسدي ، انظر : ٣٣ / ١٠ ب ، ونسبه الماوردي في تفسيره للسدي ، انظر : ١٤٦ / ٥ ، ونسبه القرطبي في الجامع للسدي ٢٩٧ / ١٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٧ / ٣ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٤٦٨ ، وذكر هذا المعنى ابن الجوزي في زاد المسير ولم ينسبه . انظر : ٢٠٩ / ٧ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣٣ / ١٠ ب ، وتفسير البغوي ١٤٣ / ٧ ، وزاد المسير ٢٠٩ / ٧ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٨ / ٣ .

﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ قال ابن عباس : فالحكم لله اليوم ، ولمن عصاه العذاب والعقاب ^(١) ، والمعنى أنه حكم بعذاب من أشرك به ، وله الحكم لا يرد حكمه ﴿أَلَعَلِّيَ الْكَبِيرُ﴾ قال ابن عباس : يريد الذي لا أعلى منه ولا أكبر ^(٢) .

١٣ . قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ قال مقاتل : يعني : السموات والأرض والشمس والقمر والرياح والسحاب والليل والنهار والفلك في البحر والنبت والثمار عاماً بعد عام ^(٣) .

قال الكلبي : يريكم آياته إذا سافرتم فرأيتم آثار قوم هلكوا ومنازلهم ^(٤) ، ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ يعني : المطر [^(٥)] فيتعض بهذه الآيات فيوحد الله ، ﴿إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ يرجع إلى طاعة الله ^(٦) .

١٤-١٥ . ثم أمر المؤمنين بتوحيده ، فقال : ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ؛ أي موحدين تخلصون لله الطاعة ، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ من أهل مكة ، ثم عظم نفسه عن شركهم ، فقال : ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ قال صاحب النظم : هو منظوم بقوله : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دون قوله : ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لارتفاعه في الإعراب ، ويجوز أن يكون على هو رفيع الدرجات ^(٧) ، كما قال : ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حَسَابًا﴾ [النبا: ٣٦] ، ثم قال : ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ [النبا: ٣٧] ، قال ابن عباس في رواية عطاء :

(١) انظر : تنوير المقياس ٤٦٨ .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٤٦٨ ، وتفسير البغوي ذكر القول ولم ينسبه ١٤٣/٧ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٨/٣ .

(٤) انظر : تنوير المقياس ٤٦٨ .

(٥) كذا في (أ) و(ب) ، وقد سقط لفظ (وما تذكر) .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٨/٣ ، وزاد المسير ٢١٠/٧ .

(٧) انظر : الكشف ٣/٣٦٤ ، والدر المصون ٣٢/٦ .

يريد يرفع درجاتكم ، الرفيع هاهنا بمعنى الرفع ، والمعنى : أنه يرفع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة^(١) ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه ومالكة ، قوله تعالى : ﴿يُلْقَى الرُّوحُ﴾ قال ابن عباس : يريد الموت^(٢) ، وقال مقاتل : ينزل الوحي من السماء^(٣) .

قال أبو إسحاق : تأويل الروح هاهنا ما به اهتداء الناس ؛ لأن كل مهتد حي وكل ضال ميت ، قال الله تعالى : ﴿أَمُوتُ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل : ٢١] ، وقال : ﴿أَوْمَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام : ١٢٢] ، وهذا جائز في خطاب الناس تقول لمن لا يفقه ما فيه فلاحه : أنت ميت^(٤) .

قوله تعالى : ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ قال ابن عباس : من قضائه^(٥) .

وقال مقاتل : بأمره^(٦) ، ﴿لِيُنذِرَ﴾ قال : المنذر النبي بما أوحى إليه^(٧) .

وقال الفراء : لينذر من يلقي عليه الروح^(٨) .

(١) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٠ / ٣٤ ، والبغوي ولم ينسبه ، انظر : ٧ / ١٤٣ ، وذكره المؤلف في تفسيره الوسيط من رواية عطاء عن ابن عباس ، انظر : ٧ / ٤ .

(٢) لم أقف عليه منسوباً لابن عباس ، ولم أقف على إطلاق الروح على الموت ، وهذا تفسير غريب .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧ / ٣٠٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن للرجاج ٤ / ٣٦٩ .

(٥) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ونسبه لابن عباس ، انظر : ٧ / ١٤٣ ، وكذلك نسبه ابن الجوزي لابن عباس ، انظر : زاد المسير ٧ / ٢١١ .

(٦) الذي في تفسير مقاتل بلفظ : (بإذنه) ، انظر : ٧ / ٣٠٨ ، وقد نسبه البغوي في تفسيره لمقاتل بلفظ المؤلف ، انظر : ٧ / ١٤٣ ، وكذلك ابن الجوزي نسبه لمقاتل بلفظ المؤلف ، انظر : زاد المسير ٧ / ٢١١ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٧ / ٣٠٨ ، ولفظ : لينذر النبيون بها في القرآن من الوعيد ، وذكره بنص المؤلف البغوي ٧ / ١٤٣ ولم ينسبه . وابن الجوزي ولم ينسبه ٧ / ٢١١ .

(٨) انظر : معاني القرآن للفراء ٦ / ٣ .

وقال أبو عبيد : لينذر الله^(١) ، وذكر أبو إسحاق أيضاً قال : والأحوط أن يكون لينذر النبي بما يوحى إليه ، والدليل على ذلك أن ابن عباس قرأ (لتنذر) بالتاء على مخاطبة النبي ﷺ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ أراد لينذرهم يوم التلاق ، فحذف المفعول وحرف^(٣) الجر ، قال الكلبي^(٤) والسدي^(٥) وقتادة^(٦) : يوم تلاق أهل السماء وأهل الأرض ، وهو اختيار الزّجاج^(٧) والفرّاء^(٨) .

وروي عن ابن عباس أيضاً قولان آخران ؛ أحدهما : يوم يلتقي العابدون والمعبودون^(٩) ، ثم يلتقي آدم وآخر ولده^(١٠) .

(١) ذكر ذلك الماوردي ونسبه للحسن ، انظر : تفسيره ١٤٨/٥ ، وابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : زاد المسير ٢١١/٧ ، وذكره القرطبي ٣٠٠/١٥ ولم ينسبه .

(٢) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٣٦٩/٤ ، وهي قراءة ابن كثير وورش ، انظر : حجة القراءات ٦٢٧ ، وأشار القرطبي في الجامع إلى أنه قرأ بها ابن عباس والحسن وابن السّمّيع ، انظر : ٣٠٠/١٥ ، وقال ابن مهران : قرأ يعقوب برواية روح وزيد (لتنذر يوم التلاق) بالتاء كقراءة الحسن وغيره ، وقرأ الباقون ﴿يُنْذِرُ﴾ بالياء ، انظر : المبسوط في القراءات العشر : ٣٢٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٣٦٩/٤ ، ويكون التقدير : (لينذرهم بالعذاب يوم التلاق) .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٤٦٨ ، ونسبه السمرقندي في تفسيره للكلبي ، انظر : ١٦٣/٣ .

(٥) أخرج ذلك الطبري عن السدي ، انظر : تفسيره ٥٠/١٢ .

(٦) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ٥٠/١٢ ، ونسبه القرطبي لابن عباس وقتادة ، انظر : الجامع ٣٠٠/١٥ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٣٦٩/٤ .

(٨) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٦/٣ .

(٩) ذكر ذلك الماوردي في تفسيره ، ونسبه لابن عباس ، انظر : ١٤٨/٥ ، ونسبه ابن الجوزي لابن عباس ، انظر : زاد المسير ٢١١/٧ .

(١٠) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس ، انظر : ١٣٠/٦ .

وقال ميمون بن مهران : يوم يلتقي الظالم والمظلوم ^(١) ، وهو اختيار أبي علي . ويجوز في التلاقي إثبات الياء على الأصل والحذف جائز حسن ؛ لأنه آخر الآية ^(٢) .

١٦ . قوله تعالى : ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾ يوم نصب على البدل من يوم التلاق ^(٣) .

قال الأخفش : أضاف اليوم إلى المبتدأ والخبر ؛ فلذلك لم ينون اليوم كما قال : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنَّنُونَ﴾ [الذاريات : ١٣] ، وهذا إنما يكون إذا كان اليوم في معنى ﴿إِذْ﴾ وإلا فهو قبيح ألا ترى أنك لو قلت : لَقَيْتُكَ زمان زيد أمير كان حسناً جائزاً ؛ أي إذ زيداً أمير ولو قلت ألقاك زمن زيد أمير لم يحسن ^(٤) .

قال قتادة : بارزون لا يستترهم جبل ولا شيء ^(٥) .

وقال مقاتل : بارزون من قبورهم ^(٦) .

قوله : ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ قال : لا يستتر على الله منهم شيء أحد ^(٧) ، وقال ابن عباس : لا يخفى على الله من أعمالهم شيء ^(٨) ، قال مقاتل : فيقول الرب :

(١) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره عن ميمون بن مهران ، انظر : ٣٤ / ١٠ ب ، وكذلك نسبه له البغوي في

تفسيره ١٤٣ / ٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٢١١ / ٧ .

(٢) انظر : الحجة لأبي علي ١٠٥ / ٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٦٩ / ٤ .

(٣) انظر : الدر المصون ٣٣ / ٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٧٦ / ٢ .

(٥) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ٥١ / ١٢ ، ونسبه ابن الجوزي لقتادة ، انظر : زاد المسير ٢١٢ / ٧ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٩ / ٣ .

(٧) كذا في (أ) و(ب) وفي تفسير مقاتل ٧٠٩ / ٣ : (لا يستتر على الله - عز وجل - منهم أحد) .

(٨) ذكر هذا القول الطبري في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ٥١ / ١٢ ، ونسبه ابن الجوزي لابن عباس ، انظر : زاد المسير ٢١١ / ٧ .

﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ يعني : يوم القيامة ، فلا يجيبه أحد ، فيقول لنفسه : ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارِ﴾ الذي لا شريك له القهار خلقه ^(١) .

وقال الكلبي : يقول الله - تعالى - إذا هلك من في السموات ومن في الأرض : لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيبه أحد ، فيرد هو على نفسه فيقول : لله الواحد القهار ^(٢) .

وقال الحسن : هو السائل وهو المجيب ؛ لأنه يقول ذلك حين لا أحد يجيبه فيجيب نفسه ^(٣) .

وقال عطاء عن ابن عباس : إن الدنيا فيها ملوك مختلفون كفار وغير ذلك ، ويومئذ ليس إلا الله الواحد القهار ^(٤) ، وعامة المفسرين على أن الله - تعالى - هو الذي يقول لمن الملك اليوم .

وقال عبدالله ^(٥) : إذا كان يوم القيامة فأول من يتكلم أن ينادي مناد : ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ الآية .

١٧ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ قال ابن عباس : إذا أخذ في حسابهم لا ينتصف ذلك اليوم حتى ^(٦) أهل الجنة في الجنة وأهل النار

(١) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٩ / ٣ .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٤٦٨ .

(٣) انظر : تفسير الحسن ٢٦٥ ، وتفسير الثعلبي ونسبه للحسن ، انظر : ٣٤ / ١٠ ب ، والجامع لأحكام القرآن ونسبه للحسن ٣٠٠ / ١٥ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) هو ابن مسعود كما في تفسير الثعلبي ٣٤ / ١٠ ب ، والجامع ٣٠٠ / ١٥ .

(٦) كذا في (أ) و(ب) ، وقد سقط لفظ (يَقْبِلُ) ، انظر : الجامع ٣٠١ / ١٥ ، ولم ينسبه ، والبحر المحيط ولم ينسبه ٤٥٦ / ٧ .

في النار ، وقال مقاتل : يفرغ الله من حسابهم في مقدار يوم من أيام الدنيا^(١) ، وهذا مما فسرناه قبل : [البقرة: ٢٠٢] .

١٨-١٩ . قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ ﴾ يقول لمحمد ﷺ : وأنذر أهل مكة ﴿يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ يقال أزف الشيء يأزف أزفاً ، إذا دنا ، ومنه يقال للقصير متأزف ، لتداني أعضائه بعضها من بعض ، قال^(٢) :

فَتَى قَدْ قَدَّ السِّيفُ لَا مُتَّأَزَفٌ^(٣)

قال عامة المفسرين : الآزفة القيامة^(٤) .

قال ابن عباس : أزف أمرها^(٥) ، وقال مقاتل : يعني اقتربت الساعة .^(٦) وهذا معنى قول الضحاك^(٧) : سميت آزفة لقربها .

قال أبو إسحاق : قيل لها آزفة ؛ لأنها قريبة وإن استبعد الناس مداها^(٨) وما هو كائن قريب . وقال غيره : الآزفة في الحقيقة نعت لمحدوف مقدر على تقدير

(١) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٩/٣ لكن بلفظ : (نصف يوم من أيام الدنيا) .

(٢) انظر : مقاييس اللغة لابن فارس (أزف) ٩٤/١ ، وتهذيب اللغة (أزف) ٢٦٦/١٣ ، والصاح (أزف) ١٣٣٠/٤ ، واللسان (أزف) ٤/٩ .

(٣) هذا صدر بيت للعجير وعجزه :

وَلَا رَهْلٌ لِّبَاتِهِ وَبَادِلُهُ

انظر : تهذيب اللغة : (أزف) ٢٦٦/١٣ ، واللسان (أزف) ٤/٩ .

(٤) أخرج ذلك الطبري ٥٢/١٢ عن مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد ، انظر : تفسير الماوردي ١٤٩/٥ ، والبغوي ١٤٤/٧ ، وزاد المسير ٢١٢/٧ .

(٥) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط ٨/٤ عن ابن عباس .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٩/٣ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٦٩/٤ .

يوم القيامة الآزفة ويوم المجازاة الآزفة^(١). وليس قوله: ﴿يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ من باب إضافة الشيء إلى نفسه، ولا يجوز ذلك عند البصريين.

قوله تعالى: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ﴾ (إذ) بدل من قوله: (يوم الآزفة)^(٢)، قال ابن عباس: إن القلوب تزل من مواضعها حتى تصير إلى الحنجرة^(٣).

وقال مقاتل: إن الكفار إذا عاينوا النار في الآخرة أخذتهم رعدة شديدة من الخوف، فيشهقوا شهقة تزول قلوبهم عن أماكنها، فنشبت في حلقهم فلا تخرج من أفواههم ولا ترجع إلى أماكنها^(٤).

قال الحسن: انتزعت قلوبهم من صدورهم فكظمت بها الحناجر فلم تستطع أن تلفظها ولم تعد إلى أماكنها^(٥)، ونحو هذا قال قتادة^(٦).

وهذا كقوله: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، وقوله: ﴿كَظِيمِينَ﴾ قال ابن عباس: مغمومين^(٧)، وقال مقاتل: مكرويين^(٨)، والكاظم معناه الساكت على ابتلائه غيظاً وغماً^(٩)، وقد سبق في آل عمران [آية: ١٣٤]، قال الزَّجَّاج: كاظمين منصوب على الحال؛ لأن القلوب لا يقال لها كاظمة وإنما

(١) انظر: الدر المصون ٦/٣٥، والبحر المحيط ٧/٤٥٦.

(٢) انظر: الدر المصون ٦/٣٥.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٣/٧٠٩.

(٥) ذكر نحو هذا الهواري ولم ينسبه، تفسير كتاب الله العزيز ٤/٥٨.

(٦) أخرج ذلك الطبري ١٢/٥٢ عن قتادة، ونسبه الماوردي ٥/١٤٩، والقرطبي ١٥/٣٠٢ لقتادة.

(٧) ذكر ذلك الماوردي ونسبه للكليبي، انظر: تفسيره ٥/١٤٩، وانظر: تنوير المقباس ٤٦٩، وزاد المسير وقد نسبه للمفسرين، انظر: ٧/٢١٣.

(٨) انظر: تفسير مقاتل ٣/٧٠٩.

(٩) انظر: تهذيب اللغة (كظم) ١٠/١٦٠، وجمهرة اللغة لابن دريد (كظم) ٣/١٢٤.

الكاظمون أصحاب القلوب ، والمعنى إذ قلوب الناس [لدى^(١)] الحناجر في حال كظمهم^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : يريد المشركين والمنافقين ﴿ مِنْ حِمِيرٍ ﴾ قريب ينفعهم ، ﴿ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ ﴾ فيهم فتقبل شفاعته^(٣) ، ويطاع من صفة النكرة على قول عامة المفسرين^(٤) ، وروى عطاء عن ابن عباس : أن الكلام تم عند قوله : (شفيع^(٥)) ، ثم رجع إلى نفسه جل جلاله ، وأخبر بربوبيته ، فقال : ﴿ يُطَاعُ ﴾ يريد نفسه والقول هو الأول ، وما قال أحد من أصحاب الوقف أن قوله : ﴿ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ وقف قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ قال ابن قتيبة : الخائنة و الخيانة واحدة كقوله : ﴿ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ﴾^(٦) [المائدة ١٣] ، والمعنى : يعلم خائنة الأعين .

(١) في (أ) و(ب) : (لدا) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٦٩ / ٤ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٤٦٩ ، وتفسير مقاتل ٧٠٩ / ٣ ، وزاد المسير ٢١٣ / ٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٧٠ / ٤ ، وإعراب القرآن للنحاس : ٢٩ / ٤ ، وتفسير ابن عطية ١٢٦ / ١٤ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : تفسير غريب القرآن ٣٨٦ .

قال مجاهد : هي نظر العين إلى ما نهي عنه ^(١) ، وقال الكلبي وسفيان ^(٢) : هي النظرة بعد النظرة ^(٣) ، وقال مقاتل : هي الغمزة في ما لا يحل بعينه ^(٤) .

قال ابن عباس : هي مسارقة النظر إلى ما لا يحل له ^(٥) ، قال أبو إسحاق : وذكر العلم هاهنا ليعلم أن المجازاة واقعة ^(٦) .

وقوله : ﴿ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ من عشقه لها ^(٧) ، وقال مقاتل : وما تسر القلوب في السر من المعصية ^(٨) ، وقال الكلبي : وما تخفي الصدور من الوسوسة ^(٩) .

٢٠ . وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾ قال ابن عباس : يحكم بالحق فيجزي بالحسنة الحسنه وبالسئته السئته ^(١٠) ، ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ قرىء بالياء والتاء ، فمن قرأ بالياء فوجهه أنه إخبار عن الذين ذكروا في قوله : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ ، ومن قرأ بالتاء فعلى معنى قولهم :

(١) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد ، انظر : تفسيره ٥٤ / ١٢ ، ونسبه الماوردي في تفسيره لمجاهد ، انظر : ١٥٠ / ٥ ، وكذلك نسبه البغوي لمجاهد ، انظر : ١٤٤ / ٧ ، ونسبه ابن الجوزي لمجاهد ، انظر : ٢١٣ / ٧ .

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق بن رافع بن عبدالله بن موهبة بن أبي بن عبدالله ، ويتبعه نسبه بإلياس بن مضر بن نزار ، تقدمت ترجمته .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٤٦٩ ، ونسبه الماوردي في تفسيره لسفيان ١٥٠ / ٥ وكذلك نسبه القرطبي لسفيان ، انظر : الجامع ٣٠٣ / ١٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٩ / ٣ .

(٥) ذكر ذلك الماوردي في تفسيره ١٥٠ / ٥ ونسبه لابن عباس ، وذكره البغوي في تفسيره ١٤٤ / ٥ ولم ينسبه ، وكذلك ذكره المؤلف في الوسيط ٨ / ٤ ولم ينسبه .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٧٠ / ٤ .

(٧) أي للنفس المنظور إليها .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٧٠٩ / ٣ .

(٩) ذكر ذلك الماوردي في تفسيره ونسبه للسدي ١٥٠ / ٥ ، وكذلك ابن الجوزي نسبه للسدي ٢١٣ / ٧ .

(١٠) لم أقف عليه .

والذين تدعون من دونه^(١)، قال ابن عباس: يريد شركاءهم^(٢)، وقال مقاتل: يعبدون من دون الله من الآلهة^(٣) ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾.

قال ابن عباس: يريد يوم القيامة^(٤)، والمعنى [لا يجاوزون]^(٥) بشيء؛ لأنهم لا يعلمون ولا يقدرُونَ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقوله الخلق ﴿أَبْصِيرُ﴾ بأعمالهم، ثم خوفهم مثل عذاب الأمم الخالية ليحذروا فيوحدوا الرب، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يريد اليمن والشام والأمصار^(٦).

قوله: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ قراءة العامة منهم على الغيبة لموافقة ما قبله من ألفاظ، وقرأ ابن عامر منكم على الانصراف من الغيبة إلى الخطاب كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] هو بعد قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ١]، وحسن الخطاب هاهنا أنه في شأن أهل مكة، فجعل الخطاب على لفظ المخاطبة لحضورهم، وهذه الآية في المعنى كقوله: ﴿مَكَثْتُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمْكِنْ لَكُمْ﴾ [الأنعام: ٦].

٢٤-٢١. وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية التي في ابتداء سورة الروم^(٧) [آية: ٩]، قال ابن عباس: يريد نمرود وفرعون وبخت نصر^(٨).

وقوله: ﴿وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي كانوا أشد بطشاً وأبقى في الأرض آثاراً.

(١) انظر: تفسير الطبري ١٢/٥٤، والحجة لأبي علي ٦/١٠٢، والمبسوط ٣٢٦.

(٢) ذكر أكثر المفسرين بأن المراد الأوثان ولم ينسوه، انظر: تفسير الطبري ١٢/٥٤ والثعلبي ١٠/٣٥ ب والبيهقي ٧/١٤٤، والجامع للقرطبي ١٥/٣٠٣.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٣/٧٠٩.

(٤) انظر: تنوير المقياس ٤٦٩.

(٥) كذا في (أ) و(ب)، وهو تصحيف ولعل الصواب (لا يجاوزون).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) انظر: الحجة: لأبي علي ٦/١٠٦، والمبسوط ٣٢٧.

(٨) لم أقف عليه.

﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ ؛ أي عذبهم وعاقبهم بها كقوله : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] ، ﴿ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ ؛ أي من عذاب الله ﴿ مِنْ وَاقٍ ﴾ يقبي العذاب عنهم ، والمعنى لم تنفعهم شدة قوتهم وبطشهم ، ثم ذكر سبب عذابهم فقال : ﴿ ذَلِكَ ﴾ ؛ أي ذلك العذاب إنما نزل بهم ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ ﴾ الآية ، ثم ذكر قصة موسى وفرعون ليعتبروا ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى ﴾ إلى قوله : ﴿ فَقَالُوا سَحَرُ كَذَّابٌ ﴾ قال أبو إسحاق : فقالوا ساحر كذاب جعلوا أمر الآيات التي يعجز عنها المخلوقون سحراً^(١) .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿ قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾ قال ابن عباس : معناه أعيذوا عليهم القتل كالذي كان أولاً^(٢) .

قال قتادة : كان فرعون أمسك عن قتل الولدان ، فلما بعث الله موسى عاد القتل عليهم ؛ ليصدهم ذلك عن متابعة موسى ومظاهرتة^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ قال أبو إسحاق : أي يذهب كيدهم باطلاً ويحيق بهم ما يريد الله عز وجل^(٤) .

٢٦-٢٧ . قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ قال أهل المعاني : هذا يدل على أن في خاصة فرعون من كان يمنعه من قتل موسى ، فخوفه من

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٧٠ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٤٦٩ ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ، ونسبه لابن عباس ، انظر : ٧ / ٢١٥ .

(٣) أخرج ذلك الطبري عن قتادة مختصراً ، انظر : تفسيره ١٢ / ٥٦ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره لقتادة ١٠ / ٣٥ ، ونسبه البغوي لقتادة في تفسيره ٧ / ١٤٥ ، ونسبه القرطبي لقتادة في الجامع ١٥ / ٣٠٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٧١ .

الهلاك بقتله^(١)، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ فليمنعه من القتل قاله ابن عباس^(٢)، ومقاتل^(٣)، والمعنى ليدع ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه من القتل إن قدر ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يبدله إلى عبادة الله^(٤).

وقال مقاتل: يبدل عبادتكم إياي^(٥)، ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾، وقرئ (وأن).

قال أبو إسحاق: معنى [أو]^(٦) أن: وقوع أحد الشيئين، المعنى إني أخاف أن يبدل دينكم فإن لم يكن مبطله أوقع فيه الفساد، ومن قرأ: (وأن) فيكون المعنى: أخاف إبطال دينكم والفساد معه^(٧)، وقرئ: ﴿يُظْهِرَ﴾ بضم الياء الفساد نصباً وهو أشبه بما قبله من قوله: ﴿يُبَدِّلَ﴾، فأسند الفعل إلى موسى في قوله ﴿يُبَدِّلَ﴾ فكذلك في ﴿يُظْهِرَ﴾؛ ليكون الكلام على وجه واحد، ومن قرأ يُظْهِرَ وأراد أنه إذا بُدِّلَ الدينُ ظهر الفساد بالتبديل، أو يكون أراد ويظهر في الأرض الفساد بمكانه^(٨).

(١) ذكر ذلك الماوردي في تفسيره ١٥١/٥، والبغوي في تفسيره ١٤٥/٧، وابن الجوزي في زاد المسير ٢١٦/٧.

(٢) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ١٤٥/٧، وابن الجوزي ٢١٦/٧ ولم ينسبه.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٧١١/٣.

(٤) قال القرطبي: عبادتكم لي إلى عبادة ربه، ولم ينسبه. انظر: ٣٠٥/١٥.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٧١١/٣.

(٦) زيادة يقتضيها المعنى.

(٧) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٧١/٤.

(٨) انظر: الحجة لأبي علي ١٠٨/٦، والمبسوط ٣٢٧.

وقال ابن عباس : يريد يغير أحكام فرعون^(١) ، وقال الكلبي : يتسامع به بني إسرائيل جميعهم وبما يدعو إليه فيركنون إلى قوله^(٢) .

وقال أبو إسحاق : جعل طاعة الله - عز وجل - هي الفساد^(٣) .

وقال مقاتل : فلما قال فرعون هذا وتوعد بالقتل ، استعاذ موسى بالله ، فقال قوله تعالى : ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ ﴾ متعظم عن الإيمان بالتحديد^(٤) .

٢٨ . ولما قصد فرعون قتل موسى علم به مؤمن آل فرعون وعظهم ، وهو ما ذكر الله - عز وجل - بقوله : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُُّؤْمِنٌ ﴾ روى عبيد^(٥) ، عن أبي عمرو^(٦) : رجل ساكنة الجيم ورجل ورجل مثل سبع سبع وعضد وعضد ، [والتحويف^(٧)] على هذا النحو مستمر^(٨) .

(١) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط ولم ينسبه . انظر : ٩ / ٤ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٧١ / ٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٧١١ / ٣ .

(٥) عبيد بن عقيل بن صبيح أبو عمرو الهلالي البصري ، راو ضابط ، صدوق ، روى القراءة عن أبان بن يزيد العطار وأبي عمرو بن العلاء وعن هارون الأعور ، وروى القراءة عنه خلف بن هشام وسليمان بن داود الزاهري ومحمد بن سعدان وغيرهم ، سئل عنه أبو حاتم الرازي ، فقال : صدوق ، وقال البخاري مات سنة سبع ومائتين . انظر : الجرح والتعديل للرازي : ٤١١ / ٥ ، وتهذيب التهذيب ٧٠ / ٧ ، وغاية النهاية ٤٩٦ / ١ .

(٦) زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله التميمي المازني أبو عمرو البصري ، إمام حافظ ، شيخ القراء والعربية وأحد القراء السبعة ، توفي سنة ١٥٤ هـ ، انظر : إنباء الرواة ١٣١ / ٤ ، وغاية النهاية ٢٨٨ / ١ ، وتهذيب التهذيب ١٧٩ / ١٢ .

(٧) كذا في (أ) و(ب) وهو تصحيف والصحيح (والتحقيق) .

(٨) انظر : الحجة : لأبي علي ١٠٨ / ٦ .

واختلفوا في هذا الرجل فقال مقاتل : كان قبطياً^(١) ، وهو قول السدي : كان ابن عم فرعون^(٢) ، وعلى هذا قوله : ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ من صفة رجل ، وقال عطاء عن ابن عباس : هو رجل من بني إسرائيل يكتُم إيمانه من آل فرعون^(٣) ، ويكون في هذه الآية على هذا القول تقديم وتأخير كما ذكره ابن عباس^(٤) .

قوله تعالى : ﴿أَنقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ ، وهو استفهام إنكار ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال أبو إسحاق : وقد جاء بما يدل على صدقه من آيات النبوة ، ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ ؛ أي لا يضركم كذبه^(٥) ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ من العذاب ، قال أبو الهيثم في تفسير هذه الآية : كل الذي يعدكم ، والمعنى [أن يكون]^(٦) موسى صادقاً يصيبكم كل الذي يندرکم ويتوعدكم به لا بعض دون بعض ؛ لأن ذلك من فعل الكهان ، فأما الرسل فلا يؤخذ عليهم وعد مكذوب^(٧) ، وأنشد لابن مقبل :

لولا الحياء ولولا الدين عبتكما ببعض ما فيكم إذ عبتما عوري^(٨)

(١) انظر : تفسير مقاتل ٧١١ / ٣ .

(٢) أخرج ذلك الطبري عن السدي ، انظر : تفسيره ٥٨ / ١٢ ، ونسبه الثعلبي للسدي ، انظر : تفسيره ٣٦ / ١٠ ب ، ونسبه الماوردي للسدي ، انظر : تفسيره ١٥٢ / ٥ ، وكذلك نسبه البغوي لمقاتل والسدي ، انظر : تفسيره ١٤٦ / ٧ .

(٣) ذكر ذلك الطبري ولم ينسبه ، انظر : تفسيره ٥٨ / ١٢ ، والثعلبي ولم ينسبه ، انظر : تفسيره ٣٦ / ١٠ ب ، وذكره أيضاً البغوي ولم ينسبه ، انظر : ١٤٦ / ٧ ، وابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : زاد المسير ٢١٧ / ٧ .

(٤) فيكون المعنى : وقال رجل مؤمن يكتُم إيمانه من آل فرعون ، انظر : تفسير الثعلبي ٣٦ / ١٠ ب ، وتفسير البغوي ١٤٦ / ٧ ، وكتاب الأضداد لابن الأنباري ٣٨١ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٧١ / ٤ .

(٦) كذا في (أ) و(ب) والصواب (إن يكن) .

(٧) ذكر ذلك الأزهري في تهذيب اللغة عن أبي الهيثم ، انظر : تهذيب اللغة (بعض) ٤٨٩ / ١ .

(٨) انظر : ديوانه ٧٦ ، وتهذيب اللغة (بعض) ٤٨٩ / ١ ، واللسان (بعض) ١٢٠ / ٧ ، والشعر والشعراء ٢٩٨ ، وهو تميم بن أبي بن مقبل من بني العجلان ، تقدمت ترجمته .

قال : أراد بكل ما فيكما ، هذا كلامه ، وبعض هاهنا أريد كل على مازعم ، وهو قول أبي عبيدة وهشام^(١) .

واحتجا بقول لبيد^(٢) :

أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النَّفُوسِ حِمَامُهَا^(٣)

وقال أحمد بن يحيى^(٤) : أجمع أهل النحو على أن البعض شيء من الأشياء أو شيء من شيء ، ومن ادعى بعضاً في هذا البيت بمعنى جمع فقد أخطأ ، وإنما أراد لبيد ببعض النفوس نفسه ، وقال في هذه الآية أنه كان وعدهم شيئين من العذاب عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فقال يصبكم هذا العذاب في الدنيا ، وهو بعض الوعد من غير أن ينفي عذاب الآخرة^(٥) .

وقال الليث : يقال إن بعض العرب تصل (بعض) كما تصل (بما) من ذلك قول الله تعالى : ﴿يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ يريد : يصبكم الذي يعدكم^(٦) .

(١) هشام بن معاوية الضرير ، أبو عبد الله النحوي الكوفي ، أحد أعيان أصحاب الكسائي ، له مقالة في النحو تعزى إليه صنف مختصر النحو ، والحدود ، والقياس توفي سنة ٢٠٩ هـ ، انظر : وفيات الأعيان ١٩٦/٢ ، ونزهة الألباء ٢٢٢ ، وبغية الوعاة ٣٢٨/٢ .

(٢) لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ، تقدمت ترجمته .

(٣) هذا عمز البيت وصدرة :

تراك أمكنة إذا لم أرضها

انظر : تهذيب اللغة (بعض) ١/٤٩٠ ، واللسان (بعض) ٧/١١٩ ، والمحاسب ١/١١١ الخصائص ١/٧٤ ، والدر المصون ٦/٣٨ ، وجهرة اللغة لابن دريد (بضع) ١/٣٠٢ . انظر : ديوان لبيد ١٧٥ ، وشرح المعلقات العشر ٧٨ ، والشاهد قوله (بعض النفوس) ؛ حيث أراد به كل أو جميع .

(٤) أحمد بن يحيى المعروف بثعلب أبو العباس ، تقدمت ترجمته .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (بعض) ١/٤٩٠ ، واللسان (بعض) ٧/١١٩ .

(٦) انظر : كتاب العين للخليل بن أحمد (بعض) ١/٢٨٣ ، وانظر : تهذيب اللغة (بعض) ١/٤٩٠ ، واللسان (بعض) ٧/١٢٠ .

قال أبو إسحاق : حق اللفظ كل الذي يعدكم ؛ لأن النبي إذا وعد وعداً وقع الوعد بأسره ، ثم قال في الجواب : هذا باب من النظر يذهب فيه الناظر إلى إلزام الحجة بأيسر ما في الأمر ، وليس في هذا نفي إصابة الكل .

ومثله قول القطامي ^(١) :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلُّ ^(٢)

وإنما ذكر البعض ليوجب له الكل ؛ لأن البعض هو الكل ، ولكن القائل إذا قال أقل ما يكون للمتأني إدراك بعض الحاجة ، وأقل ما يكون للمستعجل الزلل فقد أبان فضل التأني على المستعجل بما لا يقدر الخصم أن يدفعه وكأن مؤمن آل فرعون قال لهم : أقل ما يكون في صدقه أن يصبكم بعض الذي يعدكم ^(٣) ، واختصر بعض أهل المعاني هذا الجواب ، فقال : يصبكم بعض الذي يعدكم على المظاهرة في الحجاج أي أنه يكفي بعضه ، قال : وقيل إنه كان يتوعدهم أموراً مختلفة لكونهم على أوصاف من المعصية ^(٤) .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الشَّاكِرِينَ﴾ إلى دينه ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿كَذَّابٌ﴾ مفتر .

٢٩ . ثم ذكرهم هذا المؤمن ما هم فيه من الملك ليشكروا الله ويخافوا دركة انتقامه في تكذيب نبيه ، فقال : ﴿يَقَوْمٌ لَكُمْ أَلْمُكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي

(١) عمير بن شسيم بن عمرو بن عباد من بني جشم بن بكر أبو سعيد التغلبي ، تقدمت ترجمته .

(٢) انظر : ديوانه ٣ ، وتهذيب اللغة (بعض) ١ / ٤٨٩ ، واللسان (بعض) ٧ / ١٢٠ معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٧٢ ، والدر المصون ٦ / ٣٨ ، والشعر والشعراء ٤٨٥ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٧٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٢ / ٥٨ ، وتفسير ابن عطية ١٤ / ١٣٣ ، وتفسير البغوي ٧ / ١٤٦ ، وزاد المسير ٧ / ٢١٨ ، وتفسير الوسيط ٤ / ١٠ .

الْأَرْضِ ﴿١﴾ ؛ أي عالين في أرض مصر ، وقال عطاء عن ابن عباس : يريد ملككم قد ظهر على جميع ملك الملوك ^(١) .

وقال أبو إسحاق : أعلمهم أن لهم الملك في حال ظهورهم على جميع الناس ^(٢) ، فعلى هذا القول الأرض عام ، وأكثر المفسرين على أنه أرض مصر ^(٣) .

ثم أعلمهم أن بأس الله لا يدفعه دافع ولا ينصر منه ناصر ، فقال : ﴿فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ قال المفسرون : فمن يمنعنا من عذاب الله ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾ ، ومعنى الكلام أنه يقول لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي ، فلا مانع لعذابه إن حل بكم ^(٥) .

فلما سمع عدو الله فرعون ما قال المؤمن قال عند ذلك : ﴿مَا أُرِيكُمْ﴾ من الهدى ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾ لنفسي ، قال ابن عباس : ما أريد لكم إلا ما أريد لنفسي ^(٦) ، ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ قال مقاتل : يقول وما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى ^(٧) .

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٧٢ / ٤ .

(٣) ذكر ذلك الطبري في تفسيره ٥٨ / ١٢ ، والثعلبي في تفسيره ٣٧ / ١٠ ، والبغوي في تفسيره ١٤٧ / ٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٢١٩ / ٧ .

(٤) في (أ) و(ب) : (من) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٥٩ / ١٢ ، وتفسير الماوردي ١٥٤ / ٥ ، وتفسير البغوي ١٤٧ / ٧ وزاد المسير ٢١٩ / ٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٣١٠ / ١٥ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٧١٢ / ٣ .

٣٠. ثم ذكرهم المؤمن ما نزل من قبلهم ، فقال : ﴿يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾^(١) يعني إن أقمتهم على الكفر ، ﴿مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ قال ابن عباس : يريد : مثل إهلاك الأمم الذين كذبوا أنبياءهم^(١) .

٣١. ثم فسر الأحزاب ، فقال : ﴿مِثْلَ ذَابِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ الآية ؛ أي مثل حالهم في العذاب .

قوله تعالى : ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ قال مقاتل : أي لا يعذب على غير ذنب^(٢) ، قال ابن عباس : لا يهلكهم قبل [إيجاد]^(٣) الحجة عليهم بإرسال الرسول ، والمعنى : إن الأحزاب هلكوا بعد قيام الحجة عليهم بإرسال الرسول ، فاحذروا أنتم مثل حالتهم فقد أرسل إليكم موسى نبياً .

٣٢. ثم حذرهم المؤمن من عذاب الآخرة وهو قوله تعالى ﴿وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ والتنادي : تفاعل من النداء ، يقال : تنادى القوم ؛ أي نادى بعضهم بعضاً ، والأصل الياء وحذف الياء حسن في الفواصل ، ذكرنا ذلك في ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾^(٤) ، والمفسرون جميعاً على أن يوم التنادي يوم القيامة ، قالوا^(٥) : وذلك أن أهل النار ينادون أهل الجنة ، وأهل الجنة ينادون أهل النار كما ذكر الله عنهم في سورة الأعراف ﴿وَنَادَى

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧١٢/٣ .

(٣) كذا في (أ) و(ب) وفي تفسير الوسيط (اتخاذ) ١١/٤ ، وكذلك في تفسير البغوي ١٤٧/٧ ، وقد ذكرنا هذا المعنى ولم ينسبناه .

(٤) آية ١٥ ، وقرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر وحزمة والكسائي : (التناد) بغير ياء ، وعباس عن أبي عمرو (يوم التنادي) يثبت الياء . انظر : الحجة ١٠٤/٦ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٦٠/١٢ ، وتفسير الثعلبي ٣٧/١٠ ، وتفسير الماوردي ١٥٤/٥ ، وتفسير البغوي ١٤٧/٧ ، وزاد المسير ٢٢٠/٧ .

أَصْحَبُ النَّارِ أَصْحَبُ الْجَنَّةِ ﴿آية: ٥٠﴾ ، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَبُ الْجَنَّةِ أَصْحَبَ النَّارِ﴾
[آية: ٤٤] .

قال أبو إسحاق : يجوز - والله أعلم - أن يكون يوم التنادي مخففاً من التناد^(١) من قولهم نَدَّ فلان إذا هرب ، وهو قراءة ابن عباس وفسرها ، فقال : يندون كما تند الإبل^(٢) ، ويدل على صحة هذه القراءة قوله^(٣) : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ﴾ الآية [عبس: ٣٤] .

٣٣ . وقوله بعد هذا ﴿يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ قال الضحاك : وذلك إذا سمعوا زفير النار ندوا هرباً ، فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدوا ملائكة صفوفاً ، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه^(٤) ، فيجوز أن تكون قراءة العامة مخففة من التشديد كقول عمران بن حطان^(٥) ، فقال :

قَدْ كُنْتُ جَارَكَ حَوْلًا لَا تُرَوِّعُنِي فِيهِ رَوَائِعُ مِنْ إِنْسٍ وَلَا جَانٍ^(٦)

فخفف الجان لما أطلق ، وقد تكون الفواصل كالقوافي في أشياء^(٧) ، وانتصاب قوله : يوم التناد من وجهين ؛ أحدهما : الظرف للخوف كأنه خاف عليهم في ذلك

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٧٣ / ٤ .

(٢) انظر : الزاهر ، فقد أخرج ذلك عن ابن عباس ٣٥٩ / ٢ ، والبحر المحيط ٤٦٤ / ٧ .

(٣) انظر : الحجة لأبي علي ١٠٤ / ٦ .

(٤) ذكر ذلك الثعلبي عن الضحاك ، انظر : تفسيره ٣٧ / ١٠ ، وكذلك ذكره البغوي عنه ١٤٨ / ٧ ، وكذلك ذكره الزمخشري عن الضحاك ، انظر : الكشف ٣٧٠ / ٣ ، ونسبه ابن الجوزي للضحاك ، انظر : ٢٢٠ / ٧ .

(٥) عمران بن حطان بن ظبيان بن لوزان بن الحرث بن سدوس السدوسي ، ويقال الذهلي ، يكنى أبا شهاب ، تابعي مشهور ، وكان من رؤوس الخوارج من الصفرية ، ولما طال عمره وضعف عن الحرب اقتصر على التحريض والدعوة بشعره وبيانه ، وكان شاعراً مفلحاً كثيراً ، مات سنة ٨٤ هـ . انظر : الإصابة ١٧٨ / ٣ ، وميزان الاعتدال ٢٣٥ / ٣ ، والأعلام ٧٠ / ٥ .

(٦) انظر : الحجة ١٠٤ / ٦ ، والمحاسب ٧٦ / ٢ ، واللسان (جنن) ٩٦ / ١٣ .

(٧) انظر : الحجة ١٠٤ / ٦ .

اليوم لما يلحقهم من العذاب إن لم يؤمنوا ، والآخر : أن يكون التقدير إني أخاف عليكم عذاب يوم التناد ، وإذا كان كذلك كان انتصاب يوم انتصاب المفعول به لا انتصاب الظرف ؛ لأن إعرابه إعراب المضاف المحذوف^(١) ، ثم أخبر المؤمن عن ذلك اليوم ، فقال : ^(٢) [تولون مدبرين] ؛ أي إلى النار بعد الحساب قاله مقاتل^(٣) وقتاده^(٤) ، وقال مجاهد : هاربين غير معاجزين^(٥) ، وهو قول الضحاك كما حكينا^(٦) .

٣٤ . ثم وعظهم ليتفكروا ، فقال قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني يوسف بن يعقوب^(٧) أقام فيهم عشرين سنة يدعوهم إلى الله ثم مات^(٨) ، وقوله تعالى ﴿يَالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني قوله : ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ [يوسف : ٣٩] الآية ، قال أبو إسحاق : يعني بالآيات المعجزات^(٩) .

-
- (١) انظر : الحجة ٦ / ١٠٤ .
 (٢) كذا في (أ) و(ب) وقد سقط لفظ (يوم) .
 (٣) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧١٢ .
 (٤) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ١٢ / ٦٢ ، ونسبه الماوردي في تفسيره لقتادة ، انظر : ١٥٥ / ٥ .
 (٥) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد ، انظر : تفسيره ١٢ / ٦٢ ، ونسبه الثعلبي لمجاهد ، انظر : ٣٧ / ١٠ ب ، ونسبه البغوي لمجاهد ، انظر : تفسيره ٧ / ١٤٨ .
 (٦) سبق ذكره قريباً .
 (٧) انظر : تفسير الطبري ١٢ / ٦٣ ، وتفسير الثعلبي ١٠ / ٣٧ ب ، وتفسير الماوردي ٥ / ١٥٥ ، وتفسير البغوي ٧ / ١٤٨ .
 (٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٣١٢ .
 (٩) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٧٤ .

﴿فَازِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ قال ابن عباس : يريد من عبادة الله وحده لا شريك له ^(١).

قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ ؛ أي أقمتهم على كفركم وظننتم أن الله لا يجدد عليكم إيجاب الحجة . ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل الضلال ، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ مشرك مرتاب ضال شاك في توحيد الله وصدق أنبيائه .

٣٥ . قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ﴾ قال أبو إسحاق : الذين في موضع نصب بالرد على ﴿مِنْ﴾ ؛ أي كذلك يضل الله الذين يجادلون في آيات الله ، قال : ويجوز أن يكون في موضع رفع على معنى : هم الذين يجادلون ^(٢) [فيكم] ^(٣) تفسيراً للمسرف المرتاب ، ومعنى الآية الذين يجادلون في إبطال آيات الله ودفعها والتكذيب بها ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ بغير حجة ﴿أَتَتْهُمْ﴾ من الله ، ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ ؛ أي كبر جدالهم مقتاً كقوله : ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ [الكهف : ٥] ، وقد مر .

قوله تعالى : ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قال ابن عباس : يمقتهم الله ويمقتهم الذين آمنوا بذلك الجدال ^(٤) ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ؛ أي كما طبع على قلوبهم حتى كذبوا وجادلوا بالباطل .

﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ قال ابن عباس : يريد : يختم على قلوبهم ويقفل عليها ، فلا يسمعون الهدى ، ولا يعقلون الرشد ^(٥).

(١) ذكر ذلك البغوي عن ابن عباس ١٤٨/٧ ، وكذلك ذكره ابن الجوزي ولم ينسبه . انظر : ٢٢١/٧ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٧٤/٤ .

(٣) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب (فيكون) .

(٤) ذكر ذلك ابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : ٢٢٢/٧ ، ونسبه المؤلف في الوسيط لابن عباس ١٢/٤ .

(٥) ذكر ذلك المؤلف في الوسيط عن ابن عباس . انظر : ١٢/٤ .

وقال مقاتل : متكبر على عبادة الله والتوحيد ، جبار قتال في غير حق ^(١) .

والقراء مختلفون في قوله : ﴿ مُتَكَبِّرٌ ﴾ فأضافه بعضهم ونون بعضهم القلب ^(٢) .

قال أبو عبيد : والاختيار الإضافة ؛ لأن عبد الله ^(٣) قرأ : [على كل ^(٤) قلب متكبر] ، وهو شاهد لهذه القراءة ، ومن نون جعل القلب هو المتكبر .

وقال أبو إسحاق : الوجه الإضافة ؛ لأن المتكبر هو الإنسان ، قال : ويجوز أن تقول قلب متكبر ؛ أي صاحبه متكبر ^(٥) .

قال أبو علي : من نون جعل التكبر صفة للقلب فإذا وصف القلب بالتكبر كان صاحبه في المعنى متكبراً ، ومما يقوي ذلك أن الكبر قد أضيف إلى القلب في قوله : ﴿ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ ﴾ [غافر : ٥٦] ، فالكبر في القلب كالخضوع في العنق والصعر في الخد ، وهذه الأمور إذا أضيفت إلى هذه الأعضاء ووصفت بها ، كان الوصف شاملاً لجملة الشخص ، وكذلك الكتابة تضاف إلى اليد ثم الجملة توصف بالكاتب ، وأما من أضاف فلا بد له من تقدير حذف ، وهو يطبع على قلب كل متكبر ، ويكون المعنى : يطبع على القلوب [إذا كانت قلباً ^(٦)] من

(١) انظر : تفسير مقاتل ٧١٣ / ٣ .

(٢) قرأ أبو عمرو وحده : (عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٌ) يُنُونُ قلب ، وقرأ الباقر : ﴿ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٌ ﴾ مضاف ، انظر : السبعة لابن مجاهد ٥٧٠ ، والحجة ١٠٩ / ٦ ، والغاية في القراءات العشر ٢٥٤ .

(٣) عبد الله بن مسعود ، وقد أخرج ذلك عنه الطبري ١٢ / ٦٤ بلفظ : كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار ، انظر : تفسير الثعلبي ١٠ / ٣٨ ، والبغوي ٧ / ١٤٨ ، والقرطبي ١٥ / ٣١٤ ، وقال : فهذه قراءة على التفسير والإضافة .

(٤) كذا في (أ) و(ب) ، وهو تصحيف والصحيح (على قلب كل متكبر) كما أشارت إليه المراجع السابقة عن عبد الله بن مسعود .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٧٤ .

(٦) كذا في (أ) و(ب) ، وفي الحجة : إذا كانت قلباً قلباً ١١٠ / ٦ .

كل متكبر ، وفي قراءة عبدالله : على قلب كل متكبر ، وإظهار ﴿كُلِّ﴾ في حرفه يدل على أنه مراد في قراءة العامة ، وحسن حذف ﴿كُلِّ﴾ لتقدم ذكرها^(١) .

٣٦. قال المفسرون : لما وعظه المؤمن وزجره عن قتل موسى ، قال فرعون لوزيره هامان^(٢) : ﴿يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا﴾ قال ابن عباس : يريد : قصرًا بالطوب^(٣) ، وقال مقاتل : قصرًا مُشِيدًا بالآجر^(٤) ، وقال أبو إسحاق : وكل بناء عظيم فهو صرح^(٥) ، ومضى الكلام فيه . [القصص : ٣٨] .

قوله تعالى : ﴿لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابِ﴾ قال الكلبي : يعني الطرق من سماء إلى سماء^(٦) ، وقال مقاتل : يعني أبواب السموات^(٧) .

قال أبو إسحاق : والمعنى لعلني أبلغ إلى الذي يؤديني إلى السموات^(٨) ، وتفسير الأسباب مذكور في ما تقدم .

٣٧. قوله تعالى : ﴿فَأَطْلِعْ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ﴾ وقرئ فأطلع نصبًا ، قال الفراء : الرفع بالنسق على قوله : ﴿أَبْلُغُ﴾ ومن نصب جعله جواباً للفعل بالفاء^(٩) ، وهو قول أبي عبيد والكسائي^(١٠) ، وذكر أبو علي المعنى في

(١) انظر : الحجة ٦/ ١١٠ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٢/ ٦٤ ، وزاد المسير ٧/ ٢١٣ ، والقرطبي ١٥/ ٣١٤ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٤٧١ ، وتفسير الوسيط ٤/ ١٣ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧١٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٧٥ .

(٦) ذكر ذلك الثعلبي ولم ينسبه ، انظر : تفسيره ١٠/ ٣٨ ، والبغوي ولم ينسبه ، انظر : تفسيره ٧/ ١٤٩ ، والقرطبي ونسبه لأبي صالح ، انظر : الجامع ١٥/ ٣١٤ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧١٣ .

(٨) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٧٥ .

(٩) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٩ .

(١٠) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣ ، وتفسير البغوي ١٠/ ٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣١٥ .

القراءتين ، فقال : معنى قراءة العامة : لعلّي أبلغ ولعلّي أطلع كقوله : ﴿وَمَا يَذْكُرُكَ إِلَّا لَئَلَّاهُ يَنزَكِّي ۝٢٠ أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى ۝٢١﴾ [عبس: ٣-٤] ؛ أي لعلّه يتزكى أو لعلّه يتذكر ، ومن نصب جعله جواباً بالفاء ، والمعنى : أي إذا بلغت اطلعت كما تقول ألا تقع إلى الماء فتسبح ؛ أي ألا تقع وألا تسبح ، وإذا نصبت كان المعنى أنك إذا وقعت سبحت^(١) ، ونحو هذا ذكر المبرّد ، فقال : من رفع فإنها هو معطوف على أبلغ ، والتقدير : لعلّي أطلع ، إلا أن الفاء توجب أن ما قدر من الاطلاع بعد بلوغ الأسباب ، فكأنه لعلّي أبلغ الأسباب ثم أطلع ، إلا أن ثم أشد تراخياً من الفاء^(٢) ، ومن نصب جعله جواباً ، والمعنى : لعلّي أبلغ الأسباب فمتى بلغت اطلعت ، فالمعنى مختلف لأن الأول : لعلّي أبلغ ولعلّي أطلع ، والثاني : لعلّي أبلغ وأنا ضامن متى بلغت أن أطلع ، ومثل ذلك : ليت زيد يأتيك فيكرمك تمنى الإتيان والإكرام جميعاً ، وإذا قال : فيكرمك تمنى الإتيان وهو واثق بالإكرام إذا كان الإتيان^(٣) فهذا ما بينهما ، والقراءة الأولى أبين وعليها الناس .

قوله تعالى : ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ ؛ أي في ما يقول من أن له في السماء ربّاً .

وقال أبو إسحاق : هذا قول فرعون ؛ أي وإن كنت زعمت أني أطلع إلى إله موسى ، فإنما قلت هذا على دعوى موسى [لأنّي^(٤)] على يقين من ذلك . هذا كلامه .

(١) انظر : الحجة ١١١ / ٦ .

(٢) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣٣ / ٤ .

(٣) انظر : المقتضب ١٣ / ٢ ، ١٤ ، الدر المنثور ٤٢ / ٦ ، ٤٣ .

(٤) كذا في (أ) و(ب) ، والصحيح (لا أني) ، انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٧٥ / ٤ .

قال أهل المعاني: كان فرعون مشبهاً على طلب الرؤية في بلوغ السماء وإنما وقع له هذا لما قال لموسى: ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٢) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿[الشعراء: ٢٣، ٢٤]، فظن فرعون باعتقاده الباطل أنه لما لم يُرَ في الأرض أنه في السماء^(١)، فرام الصعود إلى السماء لرؤية إله موسى .

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ قال أبو إسحاق: ومثل ما وصفنا^(٢) ﴿زُنَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ قال ابن عباس: صده الله عن سبيل الهدى^(٣)، وهذا القول حجة لمن قرأ بضم الصاد^(٤) .

قال أبو عبيدة: وبه قرأ^(٥)، وفيه حجة أهل السنة في إثبات القدر أن الخير والشر من الله سبحانه^(٦) .

قال أبو علي: لأن ما قبله مبني للمفعول به فجعل ما عطف عليه مثله ومن قرأ: وَصَدَّ، فبنى الفعل للفاعل أراد صد فرعون الناس عن السبيل^(٧) .

(١) ذكر ذلك المؤلف في تفسيره الوسيط ١٣/٤ .

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٧٥/٤ .

(٣) ذكر ذلك البغوي ١٤٩/٧، والمؤلف في الوسيط ١٤/٤ عن ابن عباس .

(٤) قرأ عاصم وحمة والكسائي ﴿وَصَدَّ﴾ بضم الصاد، وقرأ الباقر (وَصَدَّ) بفتح الصاد، انظر: السبعة ٥٧٠، والحجة ١١١/٦ .

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣١٥/١٥ .

(٦) قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية ٣٢١/١: والذي عليه أهل السنة والجماعة أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله -تعالى- خالق أفعال العباد، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾، وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كوناً، ولا يرضاه ديناً .

(٧) انظر: الحجة ١١٢/٦ .

قال مقاتل : أراد وصد فرعون الناس حين قال لهم ما أريكم إلا ما أرى^(١) .
قال أبو علي : ومن صده قوله : ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ [الأعراف : ١٢٤ ، والشعراء : ٤٩] ،
ونحو ذلك مما أوعدهم لإيمانهم ، ومما يقوي هذه القراءة قوله : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [محمد : ١] ، وقوله : ﴿هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ﴾ [الفتح : ٢٥] ،
قال : ومن ضم الصاد فالمرين والصاد طغاة أصحابه والشيطان كما قال تعالى :
﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ﴾ [النمل : ٢٤]^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ قال مقاتل : يعني بناء الصرح وقوله
إنه يطلع إلى الله ، ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ إلا في خسار^(٣) وهلاك وبطلان ، ذكرنا تفسيره
عند قوله : ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود : ١٠١] ، وأنشد أبو عبيدة لجريز :

غَيْرُ مَنْ بَقِيَّةِ قَوْمٍ لُوطٍ إِلَّا تَبَا لِمَا عَمِلُوا تَبَابًا^(٤)

٣٨-٣٩ . ثم نصح المؤمن لقومه ، فقال : ﴿يَقَوْمِ أَتَعْبُدُونَ أَهْدَكُمْ سَبِيلَ
الرُّشَادِ﴾ يعني : طريق الهدى ، ﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ﴾ يعني :
الحياة في هذه الحياة الدنيا ، ﴿مَتَّعٌ﴾ قال المفسرون : قليل ، والمعنى أنه
يتمتع بها أياماً ثم تنقطع وتزول^(٥) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٧١٤ / ٣ .

(٢) انظر : الحجة ١١٢ / ٦ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧١٤ / ٣ .

(٤) كذا في (أ) و(ب) وفي ديوان جريز ٦٠ :

عُرَادَةُ مَتْنِ بَقِيَّةِ قَوْمٍ لُوطٍ أَلَّا تَبَا لِمَا عَمِلُوا تَبَابَا
وقبله قوله :

أتاني عن عُرَادَةِ قَوْلِ سُوءٍ فلا وأبي عُرَادَةَ مَا أَصَابَا
وعُرَادَةُ اسم راوية عن الراعي النميري ، والقصيدة يهجو بها جريز الراعي النميري . ولم أقف عليه
عند أبي عبيدة .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٦٧ / ١٢ ، وتفسير الثعلبي ٣٨ / ١٠ ب ، وتفسير البغوي ١٤٩ / ٧ ، وزاد المسير
٢٢٤ / ٧ ، والجامع ٣١٧ / ١٥ .

قال ابن عباس ﴿وَأَنَّ الْآخِرَةَ﴾ يعني : الجنة^(١) ، ﴿هِيَ دَارُ الْفَكَارِ﴾ قال : يريد التي لاتزول^(٢) ، وقال مقاتل : يعني استقرت الدار بأهل الجنة وأهل النار^(٣) ، فحمل الآخرة على الدارين ، وابن عباس خصها بالجنة .

٤٠ . ثم ذكر الفريقين ، فقال : ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ قال قتادة : الشرك^(٤) .

﴿فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ في العظم يعني : النار جزاء الشرك النار ، وهما عظيمان قاله مقاتل^(٥) .

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ قال ابن عباس : يريد قول لا إله إلا الله^(٦) .

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ قال : يريد وهو مصدق بالله - عز وجل - وبجميع الأنبياء^(٧) .

قوله : ﴿يُزَوِّجُونَ فِيهَا بَعْضَ حِسَابٍ﴾ قال ابن عباس : لايحاسب به الرجل أهله ولا وكيله^(٨) .

وقال مقاتل : يقول لاتبعة عليهم في ما يعطون في الجنة من الخير^(٩) .

(١) انظر : تنوير المقباس ٤٧١ .

(٢) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ولم ينسبه ١٤٩/٧ ، وابن الجوزي ولم ينسبه . انظر : زاد المسير ٢٢٤/٧ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧١٤/٣ .

(٤) أخرجه الطبري ٦٦/١٢ عن قتادة ، وذكره بغير نسبة ابن الجوزي ٢٢٤/٧ ، والقرطبي ٣١٧/١٥ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٧١٤/٣ .

(٦) ذكر ذلك القرطبي ٣١٧/١٥ ، والمؤلف في الوسيط ١٤/٤ عن ابن عباس .

(٧) انظر : الجامع ٣١٧/١٥ ، وتفسير الوسيط ١٤/٤ .

(٨) لم أقف عليه .

(٩) انظر : تفسير مقاتل ٧١٤/٣ .

٤١. ثم قال : ﴿وَنَقُومَ مَالِئٌ﴾ قال أهل المعاني : هذا استفهام عن حال نفسه والمراد به الاستفهام عن حال المخاطبين ، وهو من القلب الذي يوضحه المعنى ؛ تقول العرب مالي أراك حزيناَ معناه مالك ، ونحو هذا قوله : ﴿مَالِئٌ لَا أَرَى الْهَـذْهَدَ﴾ [النمل : ٢٠] .

والمعنى : أخبروني عنكم ؛ كيف هذه الحال ؟ ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ﴾ قال مجاهد : إلى الإيـمان بالله^(١) .

وقال مقاتل : إلى النجاة من النار يعني : التوحيد^(٢) .

﴿وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾ قال ابن عباس : إلى الشرك وفيه غداً دخول النار^(٣) .

٤٢. ثم فسر الدعوتين ، فقال : ﴿تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ اللام هاهنا بمعنى إلى يقال : دعوته إلى كذا وكذا ولكذا بمعنى واحد^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَأَشْرِكْ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ ؛ أي لا علم لي بأنه شريك لله ، ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ﴾ في انتقامه ممن كفر ، ﴿الْفَقْرِ﴾ لذنوب أهل التوحيد .

(١) أخرج ذلك الطبري ٦٨/١٢ عن مجاهد انظر : تفسير مجاهد ٥٨٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧١٤/٣ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٤٧٢ ، وذكر هذا المعنى البغوي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٤٩/٧ ،

وابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : زاد المسير ٢٢٥/٧ .

(٤) انظر : كتاب الجمل في النحو للخليل بن أحمد ٢٥٩ .

٤٣. قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قال المفسرون: حَقًّا^(١)، قال أهل المعاني والعريية: ﴿لَا﴾ رد لكلامهم ولما هم عليه، (وجرم) بمعنى وجب^(٢)، وذكرنا تفسير (لا جرم) في سورة هود [آية: ٨٩].

﴿أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ يعني: ما دون الله من المعبودين ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ وقال مقاتل: ليس له دعوة مستجابة^(٣).

وقال السدي: لا يستجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة^(٤)، والتقدير على هذين القولين: ليس له استجابة دعوة فحذف المضاف ذكره أبو إسحاق^(٥).

وقال مجاهد: ليس له دعاء في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنه جمد لا ينطق^(٦).

وقال قتادة: لأن الأوثان لم تأمر في الدنيا بعبادتها وفي الآخرة تبرأ من عابديها^(٧)، وعلى هذا القول لا يحتاج إلى إضمار تقدير المضاف.

٤٤. قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا نزل بكم العذاب ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ في الدنيا من النصيحة، قال مقاتل: فأوعده^(٨)، فقال: ﴿وَأَقِصُّ

(١) انظر: تفسير الطبري ٦٨/١٢، والثعلبي ٣٨/١٠، والبغوي ١٥٠/٧.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٧٦/٤، ومعاني القرآن للنحاس ٢٢٧/٦، والكتاب لسيبويه ١٣٨/٣.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٧١٥/٣.

(٤) أخرج ذلك الطبري ٦٩/١٢ عن السدي، ونسبه الثعلبي ٣٨/١٠، والبغوي ١٥٠/٧، وابن الجوزي ٢٢٥/٧ للسدي.

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٧٦/٤.

(٦) أخرج الطبري عن مجاهد بلفظ: (الوثن ليس بشيء). انظر: تفسيره ٦٩/١٢.

(٧) ذكر هذا المعنى الثعلبي في تفسيره ولم ينسبه، انظر: ٣٨/١٠.

(٨) انظر: تفسير مقاتل ٧١٥/٣.

أَمَرْتُ إِلَى اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١﴾ قال ابن عباس : يريد بأوليائه وأعدائه^(١) ، قال الكلبي : وهذا كله قول حَزِيلِ مؤمن آل فرعون^(٢) .

٤٥-٤٦ . قال مقاتل : فهرب المؤمن منهم إلى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه فذلك قوله : ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّامَكُرُوا﴾ يعني : ما أرادوا به من الشر^(٣) ، ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾ أحاط ونزل بهم ، ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ قال الكلبي : غرقوا في البحر ودخلوا النار^(٤) ، وذلك قوله : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ قال الزَّجَّاج : النار بدل من قوله : ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ قال : وجائز أن تكون مرتفعة على إضمار تفسير سوء العذاب كأن قائلًا قال : ما هو ، قال : وكان الجواب هو : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾^(٥) ، هذا كقوله : ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَُمُ النَّارُ﴾ [الحج : ٧٢] ، قال ابن مسعود في هذه الآية : إن أرواح آل فرعون في جوف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين ، فيقال يا آل فرعون هذه داركم^(٦) ، وقال مقاتل : تعرض أرواح آل فرعون وروح كل كافر على منازلهم من النار مرتين غدواً وعشيماً ما

(١) ذكر ذلك ابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : زاد المسير ٢٢٦/٧ ، والمؤلف في تفسيره الوسيط ولم ينسبه . انظر : ١٥/٤ .

(٢) ذكر ذلك الماوردي في تفسيره ١٥٨/٥ ، ولم ينسبه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧١٥/٣ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٤٧٢ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٣٩/١٠ ، وذكره المؤلف في الوسيط عن الكلبي ، انظر : ١٥/٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٧٦/٤ ونص العبارة (كأن قائلًا قال ما هو : فكان الجواب هو . .) .

(٦) أخرج ذلك الطبري عن السدي ، انظر : تفسيره ٧١/١٢ ، ونسبه الماوردي في تفسيره ١٥٩/٥ لابن مسعود ، وكذلك نسبه النحاس في معاني القرآن ٢٢٨/٦ ، والبغوي في تفسيره ١٥٠/٧ لابن مسعود ، ونسبه ابن الجوزي لابن مسعود وابن عباس ، انظر : زاد المسير ٢٢٨/٧ .

دامت الدنيا^(١)، وهذا قول قتادة ومجاهد^(٢)، ثم أخبرهم بمستقرهم في الآخرة ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا﴾ قرئ موصولة ومقطوعة^(٣) من الإدخال والقول مراد في القراءتين جميعاً كأنه يقال: في الآخرة أدخلوا وادخلوا، فمن قرأ بالقطع كان ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ مفعولاً بهم و﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ مفعولاً ثانياً، والتقدير إرادة حرف الجر ثم حذف، كما أنك إذا قلت دخل زيد الدار كان معناه: في الدار كما أن خلافه الذي هو خرج كذلك في التعدي، وكذلك قوله: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ﴾ [الفتح: ٢٧]، ومن قرأ بالوصل كان انتصاب آل فرعون على النداء، وأشد العذاب في موضع مفعول به، وحذف الجار وانتصب انتصاب المفعول به^(٤) وقال أبو إسحاق: من قرأ بالوصل فهو على الأمر بالدخول^(٥).

ويدل على هذه القراءة قوله: ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ [غافر: ٧٦، الزمر: ٧٢]، ومن قرأ بالقطع فهو على جهة الأمر للمبالغة بإدخالهم أشد العذاب^(٦)، وهذا الوجه اختيار أبي عبيد^(٧) لقوله: ﴿يُعْرَضُونَ﴾ فهذا يفعل بهم، فلذلك أدخلوا على تأويل أنه يؤمر بهم بإدخالهم.

(١) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٧١٥.

(٢) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ومجاهد، انظر: تفسيره ١٢/ ٧٢، ونسبه الماوردي في تفسيره لقتادة ومجاهد. انظر: ٥/ ١٥٩.

(٣) قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو (الساعة أَدْخِلُوا) موصولة، وقرأ نافع وحزمة والكسائي وعاصم في رواية حفص ﴿أَدْخِلُوا﴾ بفتح الألف وكسر الحاء. انظر: الحجة ١١٢/ ٦، والمبسوط ٣٢٧.

(٤) انظر: الحجة ٦/ ١١٣.

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٧٦.

(٦) انظر: معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٧٦.

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٢٠.

وقوله : ﴿ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ قال ابن عباس : يريد ألوان العذاب غير الذي كانوا يعذبون به بعد ما غرقوا ^(١) .

٤٧ . قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ ﴾ يعني : واذكر يا محمد لقومك إذ يتحاجون ، قال ابن عباس : يحاج بعضهم بعضاً ^(٢) ، وقال مقاتل : يعني يختصمون في النار ^(٣) ، ثم ذكر خصومتهم ، فقال : ﴿ فَيَقُولُ الصُّعَفَتُوا ﴾ الآية ، وهي مفسرة في سورة إبراهيم عليه السلام [آية : ٢١] .

٤٨ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ وهم الملوك والقادة ، ابن عباس ^(٤) ومقاتل ^(٥) ، ﴿ إِنَّا كُلُّ فِيهَا ﴾ نحن وأنتم الملوك والأتباع .

قال الفراء ^(٦) : رَفَعَتْ ﴿ كُلُّ ﴾ (بفيها) ، ولم تجعله تأكيداً (لِإِنَّا) ولو نصبته وجعلت خبر إنا ﴿ فِيهَا ﴾ جاز ، ومثله قوله : ﴿ إِنَّا أَلَمْرُكَلَهُ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ قال ابن عباس : إن الله قد قضى بين العباد وأنزلنا منازلنا من النار [وأنزل ^(٧)] منازلكم فيها ^(٨) ، فلما ذاق أهل النار شدة العذاب قالوا لخزنة جهنم .

-
- (١) ذكر ذلك البغوي ١٥١/٧ ، والمؤلف في الوسيط ١٦/٤ عن ابن عباس .
 (٢) لم أقف عليه .
 (٣) انظر : تفسير مقاتل ٧١٦/٣ .
 (٤) انظر : تنوير المقباس ٤٧٢ ، وقال في الوسيط ١٧/٤ : هم القادة والرؤساء . ولم ينسبه .
 (٥) انظر : تفسير مقاتل ٧١٦/٣ .
 (٦) انظر : معاني القرآن للفراء ١٠/٣ .
 (٧) كذا في (أ) و(ب) ، وهو تصحيف (وأنزلكم) ، ولعل لفظ (من النار) زائد .
 (٨) ذكر ذلك السمرقندي في تفسيره ولم ينسبه . انظر : ١٧٠/٣ ، ومن دون لفظ (من النار) .

قال أبو عبيدة : الخزنة جمع خازن فاعل وفعله مثل ظالم وظلمة^(١) ، وذكرنا معنى الخزن عند قوله^(٢) : ﴿ خَزَائِنُهُ ﴾ [الحجر : ٢١] .

٥٠ . قوله تعالى : ﴿ وَمَا دُعَتُوهُ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ قال ابن عباس : لا يرتفع دعاءهم إلى الله ولا يجيب دعوة الكافر^(٣) ، والمعنى أن دعائهم يبطل ويضل ولا ينفع .

٥١ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ النصر يكون بالحجة ، ويكون بالغلبة والقهر ، ويكون بإهلاك العدو ، وكل هذا قد كان للأنبياء والمؤمنين من قبل الله ؛ فهم المنصورون بالحجة على من [بأيديهم^(٤)] ، وقد نصرهم الله بالقهر ، وقد نصرهم بإهلاك عدوهم وأنجاهم مع من آمن معهم ، وهذا معنى قول المفسرين^(٥) في هذه الآية ، قالوا : وقد يكون نصر بالانتقام^(٦) لهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل حتى قتل به سبعون ألفاً ، فهم لا محالة منصورون في الدنيا

(١) انظر : مجاز القرآن ١٩٤ / ٢ .

(٢) انظر : المفردات للراغب (خزن) ١٤٦ .

(٣) ذكر ذلك البغوي ولم ينسبه . انظر : تفسيره ١٥٢ / ٧ ، وابن الجوزي ولم ينسبه . انظر : زاد المسير ٢٣٠ / ٧ .

(٤) كذا في (أ) و(ب) . ولعل الصواب (خالقهم) أو (ناوهم) كما ذكره البغوي في تفسيره ١٥٢ / ٧ ، وذكره في الوسيط بلفظ (خالقهم) . انظر : ١٧ / ٤ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٧٤ / ١٢ ، وتفسير الثعلبي ١٠ / ٤٠ ، وتفسير الماوردي ١٦٠ / ٥ ، وتفسير البغوي ١٥٢ / ٧ ، وزاد المسير ٢٣٠ / ٧ .

(٦) في (ب) زيادة لفظ (من) ولا معنى لها .

بأحد هذه الوجوه من النصر^(١)، قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ قال ابن عباس: يريد يوم القيامة^(٢).

وقال مقاتل: الأشهاد الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب^(٣)، وقال قتادة: الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم المكذبة^(٤)، قال المبرّد: وواحد الأشهاد يجوز أن يكون شاهداً؛ مثل طائر وأطيار وصاحب وأصحاب، ويجوز أن يكون شهيداً؛ كشریف وأشراف ویتیم وأیتام^(٥).

٥٢. ثم أخبر عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ﴾ ذكر تفسيره ووجه القراءة فيه في آخر سورة الروم^(٦)، قال ابن عباس: لا ينفع المشركين توبتهم^(٧)، ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ البعد من رحمة الله.

(١) انظر: تفسير الرازي ٧٦/٢٧، وتفسير البغوي ١٥٢/٧، وزاد المسير ٢٣٠/٧ وتفسير الوسيط ١٨/٤.

(٢) انظر: تنوير المقباس ٤٧٣، وذكر ذلك الماوردي ١٦٠/٥ والبغوي ١٥٢/٧، والقرطبي ٣٢٢/١٥ ولم ينسبه.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٧١٦/٣.

(٤) أخرج ذلك الطبري عن قتادة، انظر: تفسيره ٧٥/١٢، ونسبه الماوردي لقتادة، انظر: تفسيره ١٦٠/٥، ونسبه ابن الجوزي لقتادة، انظر: زاد المسير ٢٣١/٧.

(٥) لم أقف على قول المبرّد، انظر: الدر المصون ٤٧/٦، والبحر المحيط ٤٧٠/٧.

(٦) اختلفوا في الباء والتاء من قوله عز وجل: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ﴾: الروم/٥٧، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (لا تنفع) بالتاء هاهنا وفي المؤمن ٥٢ أيضاً. وقرأ نافع وابن عامر هاهنا بالتاء وفي المؤمن بالياء. انظر: الحجة ٤٥٠/٥.

(٧) ذكر ذلك البغوي ١٥٢/٧، والمؤلف في الوسيط ١٨/٤ ولم ينسبه.

﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ قال ابن عباس : أشد العذاب^(١) ، قال مقاتل :
جهنم^(٢) .

٥٣ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ قال ابن عباس : يريد : أرشدته
في جميع أموره^(٣) .

وقال مقاتل : الهدى من الضلالة يعني : التوراة^(٤) ، ﴿وَأَوْثَرْنَا﴾ من بعد
موسى ﴿بَنَى إِسْرَءِيلَ﴾ ؛ لأنهم ورثوه ﴿أَلَكَّتَبَ﴾^(٥) التوراة وما فيها البيان .

٥٤ . قوله تعالى : ﴿هُدًى﴾ أي هو هدى يعني : ذلك الكتاب
﴿وَذِكْرَى﴾ قال ابن عباس : موعظة^(٦) لأولى الألباب .

٥٥ . قوله تعالى : ﴿فَاصْبِرْ﴾ قال مقاتل : كان الله تعالى قد وعد نبيه - عليه
السلام - يريد : أن يعجل الله ذلك لاستهزائهم وتكذيبهم فأنزل الله
عز^(٧) وجل : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ في نصرتك ، وإظهار دينك
حق ، وهو قول الكلبي^(٨) ، والصبر على أذاهم منسوخ بالقتال^(٩) .

(١) لم أقف عليه ، وقال السمرقندي في تفسيره : عذاب جهنم ، ولم ينسبه ، انظر : ١٧٠ / ٣ ، وقال البغوي
في تفسيره : يعني جهنم . انظر : ١٥٢ / ٧ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧١٧ / ٣ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٧١٧ / ٣ .

(٥) (الكتاب) ساقطة من (أ) .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٤٧٣ .

(٧) كذا النص في (أ) و(ب) وفي تفسير مقاتل ٧١٧ / ٣ : «وذلك أن الله - تبارك وتعالى - وعد النبي ﷺ في
آيتين من القرآن أن يعذب كفار مكة في الدنيا ، فقالوا للنبي ﷺ متى يكون هذا الذي تعدنا ؟ يقولون
ذلك استهزاء وتكديباً بأنه غير كائن فأنزل الله» .

(٨) انظر : تنوير المقباس ٤٧٣ .

(٩) ذكر ذلك ابن حزم في الناسخ والمنسوخ ٥٣ ، وابن البارزي في ناسخ القرآن ومنسوخه ٤٧ . وقال =

قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ﴾ يعني: الصغائر على قول من جوزها على الأنبياء^(١)، وعند من لا يجوزها، يقول: هذا تعبد من الله لنبيه بهذا الدعاء كما ذكرنا في قوله: ﴿رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا﴾ [آل عمران: ١٩٤]^(٢)، وفي غير هذا من

ابن الجوزي في نواسخ القرآن ٤٤٤: «هذه الآية في هذه السورة في موضعين، وقد ذكروا أنها منسوخة بآية السيف، وعلى ما قرنا في نظائرها لا نسخ».

(١) وقد اختلف العلماء في عصمة الأنبياء اختلافاً كثيراً قبل النبوة وبعدها، فأما قبل النبوة فقال الآمدي في الأحكام ١٥٦/١، ذهب القاضي أبوبكر وأكثر أصحابنا وكثير من المعتزلة إلى أنه لا يمتنع عليهم المعصية؛ كبيرة كانت أو صغيرة، بل لا يمتنع عقلاً إرسال من أسلم وآمن بعد كفره، قال الآمدي: والحق ما ذكره القاضي؛ لأنه لا سمع يدل على عصمتهم عن ذلك، واختار ذلك الغزالي في المنحول ٢٢٣/١. وأما بعد النبوة: فقال شيخ الإسلام ابن تيمية: في منهاج السنة ٣٠٢/١: اتفق المسلمون على أن الأنبياء معصومون في ما يبلغون عن الله، وبهذا يحصل المقصود من البعثة. وقال الآمدي في الأحكام ١٥٦/١: وأما بعد النبوة فالاتفاق من أهل الشرائع قاطبة على عصمتهم عن تعمد ما يخل بصدقهم، في ما دلت المعجزة القاطعة على صدقهم فيه من دعوى الرسالة والتبليغ عن الله، واختلفوا في جواز ذلك عليهم بطريق الغلط والنسيان، فمنع منه الأستاذ أبو إسحاق وكثير من الأئمة لما فيه من مناقضة دلالة المعجزة القاطعة، وجوزه القاضي أبو بكر مصيراً منه إلى أن ما كان من النسيان وفلتات اللسان غير داخل تحت التصديق المقصود بالمعجزة، وهو الأشبه.

وقال ابن تيمية في منهاج السنة ٣٠٣/١ والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم، يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها.

وقال في الفتاوى ٣١٩/٤، فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، وقال الشنقطي في أضواء البيان ٥٣٨/٤: الذي يظهر لنا أن الصواب في هذه المسألة أن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لم يقع منهم ما يزري بمراتبهم العلية ومناصبهم السامية، ولا يستوجب خطأ منهم ولا نقصاً فيهم صلوات الله وسلامه عليهم، ولو فرضنا أنه وقع منهم بعض الذنوب؛ لأنهم يتداركون ذلك بالتوبة والإخلاص...». وقال الشيخ عبدالعزيز الناصر الرشيد في التنبيهات السننية على العقيدة الواسطية ٣٢٦: أما الأنبياء فاتفقت العلماء على أنهم معصومون في تبليغ الرسالة لا يجوز أن يستقر في ذلك شيء من الخطأ، وكذلك معصومون من الكبائر، أما الصغائر فقد تقع منهم ولكن لا يقرون عليها.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٢٤/١٥، وتفسير الوسيط ١٨/٤.

المواضع نحو قوله : ﴿رَبِّ أَحْكَمْ بِالْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢] وفائدته أنه يزيده درجة في الدعاء ويصير سنة لمن بعده ^(١).

قوله : ﴿يَا لَعَشِيٍّ وَالْإِبْكَرِ﴾ قال ابن عباس : يريد الصلوات الخمس ^(٢) وعلى هذا الإبكار عبارة عن صدر النهار إلى النصف ، والعشي من النصف إلى آخره .

وقال قتادة : يعني صلاة الفجر وصلاة العصر ^(٣) وهو قول الحسن ^(٤) ، وذكرنا تفسير العشي والإبكار في سورة [آل عمران : ٤١] .

٥٦ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَكَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ﴾ فسرناه في هذه السورة ^(٥) قال ابن عباس : يريد كفار قريش ^(٦) .

﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ قال : يريد ما يحملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من العظمة ^(٧) ، قال أبو إسحاق : المعنى ما في صدورهم إلا كبر ومعنى بباليغية : بباليغي إرادتهم فيه وإرادتهم دفع آيات الله ، ودل على هذا المعنى

(١) انظر : تفسير البغوي ١٥٢ / ٧ ، وتفسير الوسيط ١٨ / ٤ .

(٢) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ١٥٢ / ٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٢٣٢ / ٧ ، والمؤلف في الوسيط ١٨ / ٤ لابن عباس .

(٣) ذكر ذلك الماوردي في تفسيره ١٦١ / ٥ ، وابن الجوزي لقتادة ، انظر : زاد المسير ٢٣٣ / ٧ ، وكذلك نسبة القرطبي للحسن و قتادة . انظر : ٣٢٤ : ١٥ / ١٥ .

(٤) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره عن الحسن ، انظر : ١٠ / ٤٠ ، ونسبه البغوي في تفسيره للحسن ، انظر : ١٥٢ / ٧ ، وكذلك نسبة القرطبي للحسن و قتادة ، انظر : الجامع ٣٢٤ / ١٥ .

(٥) في الآية رقم ٤ صفحة ٣٥٧ .

(٦) ذكر ذلك ابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : زاد المسير ٢٣٣ / ٧ ، والمؤلف في الوسيط ولم ينسبه . انظر : ١٨ / ٤ .

(٧) ذكر ذلك البغوي في تفسيره عن ابن عباس انظر : ١٥٣ / ٧ ، وابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : ٢٣٣ / ٧ ، ونسبه المؤلف في الوسيط ١٨ / ٤ لابن عباس .

﴿يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ ، وليس المعنى ببالغي الكبر لأن الكبر قد أوقعوه ^(١) ، وهذا الذي ذكره أبو إسحاق هو معنى قول ابن عباس ^(٢) ، واختصره الفراء ، فقال : يريد تكبروا أن يؤمنوا بما جاء به محمد ﷺ ما هم ببالغي الكبر بنائلي ما أرادوا ^(٣) .

وقال مقاتل : نزلت الآية في اليهود ، وذلك أنهم قصدوا إبطال بيان محمد وما يأتي به من القرآن وتعظموا عن اتباعه وتكبروا ، متربصين خروج الدجال ، وقالوا إن الدجال منا ، وأنه يخرج فيملك الأرض ويرد الملك ^(٤) إلينا ، فأخبر الله أن هؤلاء لا يبلغون خروج الدجال ، ولا ينالون ما يتوقعون من الملك والكبر .

قال أبو إسحاق : ويدل على هذا القول قوله عقب هذا : ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ^(٥) قال مقاتل : أي من فتنة الدجال ، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولهم ، ﴿الْبَصِيرُ﴾ ^(٦) بهم وفي هذا تهديد لهم في ما يقدمون عليه .

وقال مجاهد : الكبر العظمة ^(٧) ؛ أي لا يبلغون تلك العظمة ؛ لأن الله تعالى مدّ لهم .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٧٧/٤ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ١٠/٣ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٧١٧/٣ ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١٨٦ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٧٧/٤ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٧١٨/٣ .

(٧) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد انظر : تفسيره ٧٧/١٢ ، وتفسير مجاهد ٥٨٤ والجامع لأحكام القرآن ٣٢٥/١٥ .

قال أهل المعاني : ما هم ببالغي مقتضى الكبر ؛ لأنهم يصيرون إلى الإذلال بكفرهم فلا يبلغون ما في صدورهم من مقتضى كبرهم^(١) .

وقال ابن قتيبة : إن في صدورهم إلا كبر [ماهم]^(٢) تكبر على محمد وطمع أن يعلوه ، وما هم ببالغي ذلك^(٣) .

٥٧ . قوله تعالى : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ قال عطاء عن ابن عباس : يريد الدجال يقول أكبر من خلقه^(٤) ، ونحو هذا قال الكلبي^(٥) ومقاتل^(٦) ، وليس هذا بالمختار ولا السائغ السهل أن يراد بالناس الدجال ، ولكن المعنى ما ذكره أصحاب المعاني ، وهو : أن الله تعالى نبّه على عظيم قدرته ، فقال : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مع عظمتها وكثرة أجرامها وثقل أجرامها ، مع وقوف الأرض والسماء من غير عمد ، وجريان الأفلاك بالكواكب من غير سبب ، أعظم في النفس وأهول في الصدر من خلق الإنسان ، وإن كان عظيماً بالحواس المهيأة للإدراك^(٧) ، ذهب قوم من المفسرين إلى أن المراد بالخلق هاهنا الإعادة لا الابتداء ، ودلّ بخلقه السموات والأرض على قدرته على خلق الناس ثانياً^(٨) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٧٧/٤ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٢٣١/٦ ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ١٠٣٢/٢ .

(٢) كذا في (أ) و(ب) ، وهي زيادة لا معنى لها ، وليست عند ابن قتيبة .

(٣) انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٨٧ .

(٤) ذكر ذلك الماوردي في تفسيره ونسبه لأبي العالية ، انظر : ١٦٢/٥ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره لأكثر المفسرين . انظر : ١٠/٤٠ ب .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٤٧٣ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٧١٨/٣ .

(٧) انظر : تفسير ابن عطية ١٤٩/١٤ ، وتفسير الشوكاني ٤٩٧/٤ ، وروح المعاني ٧٩/٢٤ .

(٨) انظر : تفسير ابن عطية ١٤٩/١٤ ، وزاد المسير ٢٣٤/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٥/١٥ .

قوله : ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس : يريد : المشركين ^(١) ، ثم ضرب مثل الكافر والمؤمن ، فقال : (وما يستوى) الآية ، قوله تعالى : ﴿قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ يعني : الكفار ، يقول : يقل نظرهم في ما ينبغي أن ينظروا فيه مما دعوا إليه ، وقرأ أهل الكوفة ^(٢) تذكرون بالتاء ؛ أي قل لهم قليلاً ما تذكرون ^(٣) .

٦٠ . قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال ابن عباس : يريد وحدوني واعبدوني أثبكم ^(٤) ، ويدل على صحة هذا التفسير ما روى النعمان بن بشير أَنَّ النبي ﷺ قال : «الدعاء هو العبادة» ، ثم قرأ هذه الآية ^(٥) . والدعاء بمعنى العبادة كثير في التنزيل كقوله : ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا لَأِئْتِنَا﴾ [النساء: ١١٧] ، ولما عبّر عن العبادة جعل الإنابة استجابة ليتجانس اللفظ ويدلُّ على صحة هذه الجملة قوله

(١) قال المؤلف في الوسيط ١٩/٦ : يعني الكفار ، ولم ينسبه ، وكذلك قال ابن الجوزي في زاد المسير ٢٣٤/٧ ، وقال في تنوير المقباس ٤٧٣ : يعني اليهود ، وكذلك قال البغوي في تفسيره ١٥٣/٧ : يعني اليهود ولم ينسبه .

(٢) الكوفة : بالضم ، المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ، سميت الكوفة لاستدارتها أو لاجتماع الناس بها ، وقيل : سميت كوفة بموضعها من الأرض ، وذلك أن كل رملة يخاطها حصيٌّ سُمِّيَ كوفة ، وقيل غير ذلك ، انظر : مراصد الاطلاع ١١٨٧/٣ .

(٣) انظر : الغاية في القراءات العشر ٢٥٤ ، انظر : كتاب التذكرة في القراءات ٦٥٣ . قرأ الكوفيون بتاءين ، وقرأ الباقر بياء وتاء .

(٤) أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس ، انظر : تفسيره ٧٨/١٢ ، ونسبه الماوردي ١٦٢/٥ لابن عباس ، ونسبه ابن الجوزي لابن عباس ، انظر : زاد المسير ٢٣٤/٧ .

(٥) أخرج ذلك الطبري ٧٨/١٢ عن النعمان بن بشير ، وأخرجه عنه الإمام أحمد ٢٧١/٤ ، والنسائي في السنن الكبرى ٤٥٠/٦ ، والترمذي في سننه في تفسير القرآن ، سورة المؤمن ٣٧٤/٥ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود في سننه في الصلاة ، باب الدعاء ١٦١/٢ ، وابن ماجه في سننه كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء ١٢٥٨/٢ ، وأبو نعيم في الحلية ١٢٠/٨ .

تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ قال مقاتل : يتكبرون عن التوحيد^(١) .

﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ قال ابن عباس والمفسرون وأهل العربية : صاغرين^(٢) ، وهذا مما فسرناه قبل [النحل : ٤٨] .

٦١ . ثم ذكرهم النعم فقال : ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ الآية وما بعدها ظاهر إلى قوله : ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ قال الكلبي : منزلاً إلى يوم تموتون ، فإذا تمم دفنتم فيها^(٣) ، والتقدير : موضع قرار ، ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ قال : سقفاً كالقبة^(٤) .

٦٤ . قوله تعالى : ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ قال مقاتل : خلقكم فأحسن خلقكم^(٥) ، وفسر ابن عباس هذا الإحسان ، فقال : خلق ابن آدم قائماً معتدلاً يأكل بيده ويتناول بيده ، وكل ما خلق الله يأكل بفيه^(٦) ، وروي عنه : فأحسن صوركم^(٧) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٧١٨/٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٧٩/١٢ ، والبغوي ١٥٧/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٨/١٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٧٧/٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢٣٢/٦ ، انظر : الصحاح (دخر) ٦٥٥/٢ ، وتهذيب اللغة (دخر) ٢٦٩/٧ .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٤٧٤ ، وقال القرطبي في الجامع : مستقراً لكم في حياتكم وبعد الموت ، ولم ينسبه . انظر : ١٥ : ٣٢٨ .

(٤) انظر : تنوير المقياس ٤٧٤ ، وتفسير البغوي ١٥٧/٧ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٧١٩/٣ .

(٦) ذكر ذلك البغوي ١٥٧/٧ ، والمؤلف في الوسيط ٢٠/٤ عن ابن عباس .

(٧) لم أفهم عليه ، ولعل المؤلف يشير إلى القراءة ، فقد قرأ الجمهور ﴿صَوَّرَكُمُ﴾ بضم الصاد ، وقرأ الأعمش وأبو رزين (صَوَّرَكُم) بكسر الصاد ، وقرأت فرقة (صَوَّرَكُم) بضم الصاد وإسكان الواو ، على نحو : بُسْرَةٍ وَبُسْر . انظر : البحر المحيط ٤٧٣/٧ ، وانظر : الدر المصون ٤٩/٦ ؛ فقد أشار إلى القراءتين الأخيرتين .

وقال أبو إسحاق : معنى ﴿فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ خلقكم أحسن الحيوان كله^(١) ، وهذا معنى ما ذكرنا عن ابن عباس ، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ قال : يعني من غير رزق الدواب والطير^(٢) .

٦٥ . وقوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ، قال الكلبي : حمد الله نفسه ، فقال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) .

٦٦ . وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾^(٤) مِنْ تُرَابٍ الآية ، أكثرها مفسر في سورة [الحج : ٥] .

قوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ قال ابن عباس : يريد : أجل الحياة إلى الموت ، فلكل أجل حياته ينتهي إليه^(٥) ، ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾ قال مقاتل : ولكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته في خلقكم^(٦) .

٦٩ . ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ قال مقاتل : يعني القرآن أنه ليس من الله^(٧) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٨٠ / ٥ سورة التغاين : آية ٣ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٤٧٤ ، وتفسير البغوي : ولم ينسبه ١٥٧ / ٧ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) سقط من (ب) لفظ (خلقكم) .

(٥) ذكر ذلك البغوي : في تفسيره ١٥٨ / ٧ ولم ينسبه ، وذكره المؤلف في الوسيط ٢٠ / ٤ عن ابن عباس .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٧٢٠ / ٣ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٧٢٠ / ٣ .

قال ابن زيد : هم المشركون^(١) ، ﴿ أَتَىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ قال ابن عباس : يقول ألم تر كيف أصرف قلوبهم إلى غير مرضاتي وديني^(٢) .

٧٢. قوله تعالى : ﴿ تَمَرَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ ومعنى السجر في اللغة الإيقاد في التنوير^(٣) ، قال ابن عباس : يريد كما يُسَجَّرُ التنوير ، ومعناه أنه يوقد عليهم^(٤) فيها ، وقال مجاهد ومقاتل : [يوقدهم^(٥) النار فصار] وقودها^(٦) .

٧٤-٧٥. وقوله تعالى : ﴿ صَلُّوا عَلَيَّ ﴾ قال ابن عباس : يريد نسيانهم^(٧) ، وقال غيره : [صلب^(٨)] عنا فلا نراهم ﴿ بَلْ لَّمْ تَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ﴾ ؛ أي شيء ينفع ويضر^(٩) فحذف للعلم به .

(١) أخرج ذلك الطبري ٨٣/١٢ عن ابن زيد ، ونسبه الثعلبي لابن زيد في تفسيره ١٠/٤٤ أ ، ونسبه القرطبي لابن زيد . انظر : الجامع ١٥/٣٣١ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (سجر) ١٠/٥٧٥ ، ومقاييس اللغة (سجر) ٣/١٣٥ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٤٧٥ ، وتفسير الثعلبي ولم ينسبه ١٠/٤٤ ب .

(٥) كذا في (أ) و(ب) وفي تفسير الطبري : [يوقدهم النار] وفي تفسير مقاتل : (يوقدون فصاروا وقودها) ، وفي الوسيط : (توقدهم النار فصاروا وقودها) ٤/٢١ .

(٦) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد انظر : تفسيره ١٢/٨٤ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره لمجاهد انظر : ١٠/٤٤ ب ، ونسبه البغوي لمجاهد ومقاتل انظر : تفسيره ٧/١٥٩ ونسبه ابن الجوزي لمجاهد . انظر : زاد المسير ٧/٢٣٧ . انظر : تفسير مقاتل ٣/٧٢٠ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب (سلبوا) .

(٩) انظر : تفسير الثعلبي ١٠/٤٥ أ ، وتفسير البغوي ٧/١٥٩ ، وزاد المسير ٧/٢٣٧ والجامع لأحكام القرآن ١٥/٣٣٣ .

قال مقاتل : أي الذي كنا نعبد كان باطلاً لم يكن شيئاً^(١) ، وهذا [يقول^(٢)] من ضاع عمله ما كنت أعمل شيئاً هذا هو القول ، ومن زعم أنهم أنكروا عبادة الأوثان فليس بشيء^(٣) ، قال الله تعالى : ﴿كَذَلِكَ﴾ الإضلال الذي أضل هؤلاء ، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾^(٤) ذَلِكَ ﴿العذاب الذي أصابكم﴾ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ؛ أي بالباطل الذي كان في أيديكم ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ يعني : نظر الخيلاء والتكبر قاله مقاتل^(٥) .

٧٧ . قوله تعالى : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ مفسر في هذه السورة أيضاً^(٥) .

قوله تعالى : ﴿فَكَا مَثَرِئَتِكَ بَعْضُ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ مفسر في سورة يونس

[آية : ٤٦] .

٧٨ . قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال مقاتل : إن كفار مكة سألوا النبي ﷺ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بآيَةٍ ، فقال الله : ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يعني : بأمر الله ، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ ؛ أي قضاؤه بين أنبيائه وأممهم ، والمراد هاهنا القتل ببدر ، ﴿فُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ ؛ أي لم يظلموا إذ عذبوا ﴿وَحَسِرَ﴾ عند ذلك ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ المكذبون بالعذاب^(٦) والمفترون على الله والمبطلون أصحاب الأباطيل .

٨٠-٨١ . قوله تعالى : ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ قال مجاهد وقتادة : تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد وتبلغوا عليها حاجاتكم في البلاد ما

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٢١ .

(٢) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب (يقوله) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٣٣٣ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٢١ .

(٥) آية ٥٥ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٢٢ .

كانت^(١) ، ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ تحملكم الإبل في البر وعلى السفن في البحر ، ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ يعني : دلائل قدرته ، قال ابن عباس : يريد في كل شيء^(٢) ، ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ بأنها ليست من الله .

٨٣ . قوله تعالى : ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ قال مجاهد : وهو قولهم نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب^(٣) .

قال الكلبي : نظروا بشرهم الذي كانوا عليه^(٤) ، ويدل على هذا التأويل قوله : ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يعني : فرحهم بالباطل الذي كانوا عليه .

وقال مقاتل : رضوا بما عندهم من العلم فقالوا لن نعذب^(٥) ، سمي ذلك علماً على ما يدعونه ويزعمونه ؛ فهو عندهم علم وهو في الحقيقة جهل ، وهذا معنى قول السدي : رضوا^(٦) [بجهالتهم^(٧)] ، وقال الحسن : كان عندهم أنه علم وهو جهل^(٨) .

(١) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد وقتادة ، انظر : تفسيره ١٢ / ٨٧ ، ونسبه المؤلف لمجاهد وقتادة في الوسيط ٢٢ / ٤ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٤٧٦ .

(٣) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد ، انظر : تفسيره ١٢ / ٨٩ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره لمجاهد ، انظر : ٤٥ / ٥ ب ، ونسبه الماوردي في تفسيره لمجاهد ، انظر : ١٦٥ / ٥ ، ونسبه البغوي لمجاهد ، انظر : تفسيره ٧ / ١٦٠ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٢٣ .

(٦) أخرج ذلك الطبري عن السدي ، انظر : تفسيره ١٢ / ٨٩ ، ونسبه ابن الجوزي للسدي ، انظر : زاد المسير ٧ / ٢٣٨ .

(٧) في (ب) : (بحالتهم) ، وهو تصحيف .

(٨) ذكر نحو هذا المعنى من غير نسبة عز الدين بن عبد السلام في مجاز القرآن ٢٥٧ .

٨٥. قوله تعالى : ﴿سُئِنَّا اللَّهُ أَلْتِي قَدْ حَلَّتْ فِي عِبَادِهِ﴾ قال ابن عباس : يريد هذا قضائي في خلقي ؛ أن من كذب أنبيائي وجحد ربوبيتي ، فإذا نزل به العذاب استكان وتضرع لم ينفعه ذلك عندي^(١) .

قال أبو إسحاق : سن الله هذه السنة في الأمم كلها أن لا ينفعهم إيمانهم إذا رأوا العذاب^(٢) ، وهذا تفسير قول أبو عبيدة : نصبها على مصدر ما جاء من فعل على غير لفظها^(٣) .

وقال مقاتل : واحذروا يا أهل مكة سنة الأمم الخالية^(٤) ، وعلى هذا نصبها على التحذير^(٥) ، كقوله : ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ [الشمس : ١٣] .

قوله تعالى : ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ قال ابن عباس : هلك عند ذلك المكذبون^(٦) ، وقال أبو إسحاق : الكافرون خاسرون في كل وقت ، ولكنه^(٧) بين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب^(٨) ، والله - تعالى - أعلم .

* * *

-
- (١) ذكر نحو هذا المعنى الطبري في تفسيره ٨٩ / ١٢ ، ولم ينسبه ، وكذلك البغوي في تفسيره ولم ينسبه ١٦٠ / ٧ ، وابن كثير في تفسيره ولم ينسبه . انظر : ١٥٧ / ٦ .
- (٢) انظر : معاني القرآن للزجاج : ٣٧٨ / ٤ .
- (٣) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٩٥ / ٢ .
- (٤) انظر : تفسير مقاتل ٧٢٣ / ٣ .
- (٥) انظر : تفسير الثعلبي ١٠ / ٤٦ أ ، والدر المصون ٥٤ / ٦ .
- (٦) ذكر هذا المعنى الطبري في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ٩٠ / ١٢ ، ونسبه ابن الجوزي لابن عباس ، انظر : زاد المسير ٢٣٩ / ٧ ، وكذلك نسبه المؤلف في الوسيط لابن عباس ، انظر : ٢٣ / ٤ .
- (٧) كذا في (أ) و(ب) وعند الزجاج (ولكنه تعالى بين) وهو أوضح .
- (٨) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٧٨ / ٤ .

تفسير

سورة فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿حَمَّ﴾ ذكرنا تفسيره^(١)، وقال قتادة: ﴿حَمَّ﴾ اسم من أسماء القرآن^(٢)

٢. قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الأخفش: تنزيل مبتدأ وكتاب خبر المبتدأ أخبر أن التنزيل كتاب^(٣)، ونحو هذا قال الزَّجَّاج، تنزيل: رفع بالابتداء وخبره كتاب فصلت آياته، هذا مذهب البصريين، وقال الفراء: يجوز أن يكون تنزيل مرتفع بـ: حم، ويجوز أن يرتفع بإضمار هذا المعنى: هذا تنزيل من الرحمن الرحيم أو هو تنزيل^(٤).

(١) انظر: أول سورة غافر .

(٢) أخرج ذلك الطبري عن قتادة، انظر: تفسيره ٣٩ / ١٢، ونسبه الثعلبي لقتادة . انظر: تفسيره ١٠ / ٢٨، ونسبه الماوردي في تفسيره لقتادة، انظر: ١٤١ / ٥، ونسبه ابن الجوزي لقتادة . انظر: زاد المسير ٢٠٦ / ٧ .

(٣) انظر: معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٨٠ .

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ١١ / ٣، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٣٧٩ .

قال صاحب النظم : هذا مثل نظمه : ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر : ٢] ، إلا أن تنزيل الكتاب معرفة للإضافة وتنزيل هو نكرة ، فقوله : (حم) اسم لجميع الحروف المعجمة كما قلنا في غيرها ، وهو مبتدأ وخبره في قوله : ﴿تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ على نظم ﴿كَتَبُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾^(١) ، قال : وقد قيل إنه نعت لقوله : ﴿تَنْزِيلُ﴾ ، وقيل : خبر ثان لقوله : (حم) منسوق على قوله : ﴿تَنْزِيلُ﴾ بغير واو العطف ، قال مقاتل : بين حلاله وحرامه^(٢) .

٣ . قوله تعالى : ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ قال الأخفش : نصب قرآنًا على الحال^(٣) .

قال الزَّجَّاج : المعنى بينت آياته في حال جمعه^(٤) ، وهذا معنى قول الفراء : ينتصب قرآنًا على الفعل ؛ أي فصلت آياته كذلك ، ويكون فيه النصب على القطع ؛ لأن الكلام تام عند قوله [آيات]^(٥) ، قال الأخفش : وإن شئت نصبته كأنه حين ذكره أقبل في مدحه ، فقال : ذكرنا قرآنًا عربيًا بشيرًا ونذيرًا ، وكان في ما مضى من ذكره دليل على ما أضمر^(٦) .

وقوله : ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قال مقاتل : لقوم يعلمون ما فيه ، ولو كان غير عربي ما فهموه^(٧) .

(١) انظر : الدر المصون ٦ / ٥٥ ، والكشاف ٣ / ٣٨١ .

(٢) لم أفق عليه في تفسير مقاتل ، وقد نسبة القرطبي في الجامع لقتادة ، انظر : ٣٣٧ / ١٥ ، وذكره المؤلف في الوسيط ولم ينسبه . انظر : ٢٤ / ٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٨٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٣٧٩ .

(٥) كذا في (أ) و(ب) ، وفي معاني القرآن للفراء (آياته) . انظر : ١١ / ٣ ، ١٢ .

(٦) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٨٠ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٣٥ .

وقال قتادة : لقوم يعلمون اللسان العربي ^(١) ، وقال ابن عباس : لقوم أعطاهم الله العلم بتوحيده وربوبيته ^(٢) .

٤ . قوله تعالى : ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ من صفة قوله : ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ قال الفراء : ما فيه قرآنًا عربيًّا ^(٣) .

قال ابن عباس : بشرًا لأولياء الله ونذيرًا لأعداء الله ^(٤) .

وقال مقاتل : بشيرًا بالجنة ونذيرًا من النار ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ أكثر أهل مكة أعرضوا عن الإصغاء ^(٥) إليه ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ تكبراً عنه .

٥ . قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ﴾ جمع كنان مثل غطاء وأغطية ^(٦) ، قاله المبرد والزجاج ^(٧) ، قال ابن عباس : الكنانة التي يكون فيها مثل السهام ^(٨) ، وقال مجاهد : كالكمة للنبيل ^(٩) .

(١) ذكر هذا المعنى الطبري في تفسيره ولم ينسبه ٩١ / ١٢ ، والماوردي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٦٨ / ٥ ، والبغوي ولم ينسبه ، انظر : تفسيره ١٦٣ / ٧ ، والقرطبي ولم ينسبه ، انظر : الجامع ٣٣٨ / ١٥ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ١٢ / ٣ .

(٤) ذكر هذا المعنى البغوي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٦٣ / ٧ ، والقرطبي في الجامع ولم ينسبه ، انظر : ٣٣٨ / ١٥ ، وكذلك ذكره المؤلف في الوسيط ولم ينسبه ، انظر : ٢٤ / ٤ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٧٣٥ / ٣ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (كن) ٤٥٢ / ٩ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢ / ٢٣٦ ، ٤ / ٣٧٩ .

(٨) ذكر ذلك المؤلف في الوسيط ولم ينسبه ، انظر : ٢٤ / ٤ .

(٩) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد ، انظر : تفسيره ٩١ / ١٢ ، ونسبه الثعلبي لمجاهد في تفسيره ١٠ / ٤٤٦ ، ونسبه الماوردي لمجاهد ٥ / ١٦٨ ، انظر : ٥ / ١٦٨ .

وقال مقاتل : يعني عليها الغطاء فلا تفقه ما تقول^(١) .

وقال أبو إسحاق : معناه في غلف مما تدعوننا إليه فلا يصل إلى قلوبنا ، ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ؛ أي صمم وثقل يمنع من استماع قولك ، والمعنى في ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع قولك^(٢) .

﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ قال الأخفش : معناه وبيننا وبينك ، وأدخلت من للتوكيد^(٣) .

قال ابن عباس : يريد إن الله تعالى طبع على قلوبهم ، ومنعهم من الهدى^(٤) .

قال أبو إسحاق : المعنى بيننا وبينك حاجز في النحلة والدين فلا نجامعك في مذهب^(٥) ، وقال الفرّاء ، بيننا وبينك فرقة في ديننا^(٦) ، فالحجاب على ما ذكرنا هو الحاجز من اختلافهم على الاجتماع .

وقال مقاتل : إن أبا جهل رفع ثوبه بينه وبين النبي ﷺ ، فقال : يا محمد أنت من ذاك الجانب ونحن من هذا الجانب ، فالحجاب هو الثوب الذي رفعه أبو جهل^(٧) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٣٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٨٠ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٨٠ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ١٢ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٣٦ .

قوله تعالى : ﴿ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَا ﴾ قال ابن عباس : فاعمل بما أرسلت به فإننا لا ندع شركنا وكفرنا بالله ^(١) .

وقال مقاتل : فاعمل أنت لإلهك الذي أرسلك إنا عاملون لألهتنا التي نعبد ^(٢) .

قال أبو إسحاق : أي فاعمل على دينك ومذهبك فإننا عاملون على ديننا ومذهبنا ^(٣) ، هذا معنى قول مذهب المفسرين ^(٤) ، قال : وجائز أن يكون فاعمل في إبطال أمرنا فإننا عاملون في إبطال أمرك ^(٥) ، وقال الفراء : فاعمل في هلاكنا فإننا عاملون في ذلك منك ^(٦) .

٦ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ هذا تألف لهم واستمالة لقلوبهم النافرة [عنهم] ^(٧) .

﴿ يُوحِي إِلَى أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ ﴾ قال مقاتل ^(٨) : هذا جواب لقولهم اعمل أنت لإلهك ونحن لألهتنا ، ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ﴾ بالتوحيد ، قال ابن عباس : يريد فادعوه واعبدوه وأخلصوا له بالتوحيد ^(٩) ، والمعنى لا تميلوا عن سبيله ، ووجهها

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٣٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن للرجّاج ٤ / ٣٨٠ .

(٤) كذا في (أ) و(ب) والمعنى : ما ذهب إليه المفسرون . انظر : تفسير الطبري ٩ / ١٢ ، وتفسير الثعلبي

١٠ / ١٤٦ ب ، والماوردي ٥ / ١٦٨ ، والبغوي ٧ / ١٦٣ .

(٥) ذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٢٤١ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ١٢ .

(٧) كذا في (أ) و(ب) ولعل المراد (عنه) .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٣٥ .

(٩) لم أقف عليه .

إليه وجوهكم بالطاعة والعبادة ﴿وَأَسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك . قاله ابن عباس ^(١) ومقاتل ^(٢) .

٧ . ثم أوعدهم إن لم يتوبوا ، فقال : ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ^(٣) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴿قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ : لَا يَقْرُونَ بِهَا وَلَا يَرُونَ إِيْتَاءَهَا﴾ ^(٤) ، وهو اختيار أبي إسحاق ، قال : لَا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الزَّكَاةَ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِمْ فَلَا يَعْطُونَهَا ^(٥) .

وقال عطاء عن ابن عباس : لَا يَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ^(٦) ، وعلى هذا القول معنى الآية : لَا يَطْهَرُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الشَّرْكَ كَالزَّكَاةِ طَهْرَةُ الْأَمْوَالِ .

وقال الكلبي : كَانَ الْمُشْرِكُونَ بِمَكَّةَ يَنْفَقُونَ النِّفَقَاتِ وَيَسْقُونَ الْحَاجَّ وَيَطْعَمُونَهُمْ ، فَحَرَمُوا ذَلِكَ مِنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَنَزَلَ هَذَا فِيهِمْ ^(٧) ، وهذا اختيار الفراء ^(٨) ، وهو معنى قول الضحاك ومقاتل ، قالَا : لَا يَتَصَدَّقُونَ وَلَا يَنْفَقُونَ فِي الطَّاعَةِ ^(٩) .

(١) ذكر ذلك ابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : زاد المسير ٢٤١/٧ ، وذكر ذلك القرطبي ٣٤٠/١٥ ولم ينسبه ، وذكره أيضاً المؤلف في الوسيط ٢٥/٤ ولم ينسبه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٣٦/٣ .

(٣) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ٩٣/١٢ ، وانظر : تفسير الحسن ٢٦٦/٢ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره للحسن و قتادة ، انظر : ٤٦/١٠ ب ، ونسبه البغوي في تفسيره للحسن و قتادة ، انظر : ١٦٤/٧ ، ونسبه ابن الجوزي للحسن و قتادة ، انظر : زاد المسير ٢٤١/٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٨٠/٤ .

(٥) أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس من رواية علي ، انظر : تفسيره ٩٣/١٢ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره لابن عباس ١٦٤/٧ ، ونسبه ابن الجوزي لابن عباس من رواية ابن أبي طلحة ، انظر : زاد المسير ٢٤١/٧ .

(٦) ذكر ذلك القرطبي في الجامع ولم ينسبه ، انظر : ٣٤٠/١٥ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء ١٢/٣ .

(٨) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ونسبه للضحاك ومقاتل ، انظر : ٤٦/١٠ ب ، ونسبه البغوي أيضاً لها ، =

ثم أخبر أن فيهم أعظم من هذا كفرهم بالآخرة ، فقال : ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ .

٨. قوله تعالى : ﴿غَيْرِ مَمْنُونٍ﴾ قال ابن عباس : غير مقطوع ^(١) .

انظر : تفسيره ١٦٤ / ٧ ، وكذلك نسبه لها ابن الجوزي في زاد المسير ٢٤٢ / ٧ ، والقرطبي في الجامع ٣٤٠ / ١٥ ، وانظر : تفسير مقاتل ٧٣٦ / ٣ ، والراجح - والله أعلم - هو القول الأول ، وهو قول الحسن وقتادة واختيار الزجاج ، وذلك لأن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة على الصحيح والراجح من أقوال العلماء . رجح ذلك محفوظ بن أحمد الكلواني في كتابه التمهيد ، وقال : نص عليه أحمد رحمه الله ، انظر : التمهيد في أصول الفقه للكلواني ٢٩٨ / ١ ، وكما رجحه الرازي في المحصول ٣٩٩ / ١ ، وكذلك رجحه الطوفي في شرح مختصر الروضة ، فقال : الكفار مخاطبون بفروع الإسلام في أصح القولين ٢٠٥ / ١ ، ورجحه الشيخ الشنقيطي في مذكرة أصول الفقه فقال : والحق أنهم مكلفون بها لدلالة النصوص على ذلك ، فمن الأدلة عليه قوله تعالى : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ ^(١٢) قَالُوا لَوْ نَك مِنَ الْمُصَلِّينَ ^(١٣) وَلَوْ نَك بِطَعْمِ أَلْسِنَةٍ ^(١٤) ، وقوله تعالى : ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ^(١٥) ثُمَّ لَنَجِّمَ صَلَوَهُ ^(١٦) ثُمَّ لَنُفِ سَلِيلَهُ دَرَعَهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ^(١٧) ، ثم بين السبب بقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ ^(١٨) وَلَا يَحْضَ عَلَى طَعَامِ الْيَسْكِينِ ^(١٩) . انظر : مذكرة أصول الفقه ٣٣ ، ولذلك رجح الطبري : القول بأن المراد بالآية لا يقرون بها ولا يرون إتياءها ، فقال : والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا : معناه لا يؤدون زكاة أموالهم ، قال : وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة ، وأن في قوله : ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ دليلاً على أن ذلك كذلك ؛ لأن الكفار الذين عنوا هذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، إلى أن قال : وفي إتباع الله قوله ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ قوله : ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ ما ينبئ عن الزكاة في هذا الموضع معني بها زكاة الأموال . انظر : تفسير الطبري ٩٣ / ١٢ .

وقال ابن كثير بعد أن ذكر قول قتادة : وأن المراد بها الذين يمنعون زكاة أموالهم ، قال : وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين واختاره ابن جرير ، قال : وفيه نظر ؛ لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة على ما ذكره غير واحد ، وهذه الآية مكية ، اللهم إلا أن يقال : لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان مأموراً به في ابتداء البعثة كقوله تعالى : ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَاكِهِ﴾ ^(٢٠) قال : فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنما بين أمرها بالمدينة ، قال : ويكون هذا جمعاً بين القولين . انظر : تفسير ابن كثير ١٦٢ / ٦ .

(١) أخرج الطبري : عن ابن عباس يقول : غير منقوص ، انظر : تفسير الطبري ٩٣ / ١٢ ، وكذلك أورده الماوردي في تفسيره بهذا اللفظ منسوباً لابن عباس ، انظر : ١٦٩ / ٥ ، وأورده الثعلبي في تفسيره بنص المؤلف عن ابن عباس ، انظر : ١٤٧ / ١٠ ، وكذلك أيضاً ذكره بلفظه البغوي ونسبه لابن عباس ، انظر : ١٦٤ / ٧ ، وأيضاً ذكره بلفظه القرطبي ونسبه لابن عباس ، انظر : الجامع ٣٤١ / ١٥ .

وقال مقاتل : غير منقوص ^(١) .

وقال مجاهد : غير محسوب ^(٢) .

قال المبرّد : فيه قولان ؛ أحدهما : غير مقطوع من قولك مننت الحبل ؛ أي قطعته ، ومنه قولهم قدّ منه السفر ؛ أي قطعه ، ويكون غير ممنون ، أي لا يمن به عليهم ^(٣) ، وهذا معنى قول مجاهد .

٩- ١١ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَبِئْكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ استفهام توبيخ وتقرّيع ^(٤) ، كأنه يوبخهم على كفرهم بالله الذي خلق الأرض في يومين ، قال السدي عن أصحابه : خلق الله تعالى ما كان عرشه عليه وهو قوله : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ [هود: ٧] ، فلما أراد أن يخلق السماء والأرض أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء ، وكان ذلك الدخان من نفس الماء حين تنفس فخلق منها سماء واحدة ، وسنذكر كيف كان ذلك عند قوله : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى ﴾ [آية: ١١] الآية ، ثم أيس ذلك الماء فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والإثنين ، وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والإربعاء ، فذلك قوله : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا ﴾ قال ابن عباس : يريد الأشجار والثمار والأعشاب والحبوب والأنهار ^(٥) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٣٦ .

(٢) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد ، انظر : تفسيره ١٢/ ٩٤ ، ونسبه الماوردي في تفسيره لمجاهد ، انظر :

٥/ ١٦٩ ، ونسبه الثعلبي لمجاهد ، انظر : تفسيره ١٠/ ٤٧ ، ونسبه البغوي لمجاهد ، انظر ٧/ ١٦٤ .

(٣) ذكر القولين الأزهري في تهذيب اللغة (من) ١٥/ ٤٧٠ ، والسمين الحلبي في الدر المصون ٦/ ٥٦ .

(٤) انظر : البحر المحيط ٧/ ٤٨٥ .

(٥) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ٧/ ١٦٥ ، وكذلك ذكره المؤلف في الوسيط ولم ينسبه ،

انظر : ٤/ ٢٦ .

﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ قال ابن عباس : يريد ما يكون في الشتاء من الطعام والنبات والألوان ، وما يكون في الصيف من الثمار والأعنان والحبوب^(١) .

وقال مقاتل : يقول وقسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم^(٢) ، وهذا معنى قول الحسن : أقواتها أرزاقها^(٣) .

وقال محمد بن كعب : قدّر أقوات الأبدان قبل أن يخلق الأبدان^(٤) ، ويكون التقدير : وقدّر فيها أقوات أهلها .

وقال قتادة : أقواتها وجبالها ودوابها وأنهارها وبحارها وشجرها^(٥) ، وعلى هذا التقدير : أسباب أقواتها .

قال مجاهد : أقواتها من المطر^(٦) ، وعلى هذا الأقوات للأرض لا للسكان . والمعنى : أن الله تعالى قدّر لكل أرض حظها من المطر ، وقال عكرمة : في كل أرض

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٣٧/٣ .

(٣) أخرج ذلك الطبري في تفسيره عن الحسن ، انظر : ٩٥ / ١٢ ، وأورده عبدالرزاق في تفسيره عن الحسن ، انظر : ١٨٤ / ٢ ، وانظر : تفسير الحسن ٢٦٦ / ٢ ، ونسبه الماوردي في تفسيره للحسن ، انظر : ١٧٠ / ٥ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره للحسن والسدي ، انظر : ١٠ / ٤٧ أ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) أخرج ذلك الطبري ٩٦ / ١٢ عن قتادة ، ونسبه الثعلبي لقتادة في تفسيره ١٠ / ٤٧ أ ، ونسبه الماوردي لقتادة في تفسيره ١٧٠ / ٥ .

(٦) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد ، انظر : تفسيره ٩٦ / ١٢ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره لمجاهد ، انظر : ١٠ / ٤٧ أ ، وكذلك نسبه الماوردي في تفسيره لمجاهد ٥ / ١٧١ ، وانظر : تفسير مجاهد ٥٨٥ .

شيئاً لا يصلح في غيرها السابري بسابور^(١) واليماني باليمن ، والقبطي بمصر^(٢) ، وكذا بكذا ، وهو قول سعيد بن جبير والضحاك^(٣) ، واختيار الفراء ، قال : يقول جعل في هذه البلدة ما ليس في هذه ليتعاشوا ويتجروا^(٤) ، وقال الحسن^(٥) : الخبز لأهل قطر ، والتمر لأهل قطر ، والذرة لأهل قطر ، والسّمك لأهل قطر ، وهذه رواية حبان عنه^(٦) .

قوله : ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ قال أبو إسحاق : أي في تنمة أربعة^(٧) أيام يعني الثلاثاء والإربعاء ، وهما مع الأحد والإثنين أربعة .

قال ابن الأنباري : وهذا يجري مجرى قول الرجل أعطيناك ألفاً في شهر ، وألوفاً في شهرين ، فيدخل الألف في الألوف والشهر في الشهرين ، وإنما نسق

(١) سابور : اسم ملك من ملوك الأكاسرة : وهي بلدة ولاية بين خوزستان وأصبهان ، وكان السبب في تسميتها بذلك : أن سابور بن أردشير لما تخلى عن مملكته وغاب عن أهل دولته لحكم المنجمين بقطع يكون عليه ، خرج أصحابه يطلبونه فلما انتهوا إلى نيسابور قالوا : نيسب سابور ؛ أي ليس سابور ، فسميت نيسابور ، وبين سابور خواست ونهاوند اثنا عشر فرسخاً ، ومن سابور إلى شيراز خمسة وعشرون فرسخاً ، وسابور في الإقليم الثالث ، وطولها ثمان وسبعون درجة وربع ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة ، وسابور أيضاً : موضع بالبحرين فتح على يد العلاء بن الحضرمي في أيام أبي بكر - رضي الله عنه - عنة في سنة ١٢ هـ ، وقيل : في أيام عمر رضي الله عنه ، انظر : معجم البلدان ٣/ ١٦٧-١٨٦ .

(٢) أخرج ذلك الطبري في تفسيره عن عكرمة دون قوله : والقبطي بمصر ، انظر : ٩٦/ ١٢ ، وكذلك نسبة الثعلبي لعكرمة والضحاك بزيادة عما ذكره المؤلف ، انظر : ٤٧/ ١٠ ، ونسبه الماوردي في تفسيره لعكرمة ، انظر : ١٧١/ ٥ ، وكذلك نسبة البغوي لعكرمة والضحاك ، انظر : تفسيره ٧/ ١٦٥ .

(٣) أخرج الطبري رواية الضحاك في تفسيره ٩٦/ ١٢ ، وأما نسبته لسعيد بن جبير فلم أقف عليه .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢ .

(٥) كذا في : (أ) و(ب) وفي تفسير الثعلبي وتفسير البغوي وتفسير الوسيط للكلبي .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ٤٧/ ١٠ ب ، وقد صرح بأن هذه رواية حبان عن الكلبي ، ونسبه البغوي في تفسيره للكلبي ، انظر : ٧/ ١٦٥ ، وكذلك نسبة المؤلف في الوسيط للكلبي ، انظر : ٢٦/ ٤ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٨١ .

بخلق الجبال والتبريك وتقدير الأقوات ، وإن كانت هذه الأشياء خلق أيضاً على الخلق المذكور في قوله : ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ لما في هذه الأشياء من الزيادة على الخلق ، والعرب تنسق الشيء على الشيء إذا كان فيه زيادة على معناه ، وإن كان هو ، هو وأنشد الفراء :

فإن رُشيداً وابن مروان لم يكنْ ليعمل حتى يُصدِرَ الأمرَ مَصْدَرًا^(١)

فنسق ابن مروان على رشيد وهو هو ، لأن فيه زيادة على معناه بذكر النسبة ، هذا كلام ابن الأنباري^(٢) .

وقوله : ﴿ سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ ﴾ قال السدي : يقول من سأل فهذا الأمر^(٣) .

وقال قتادة : سواء لا زيادة فيه ولا نقصان جواب لمن سأل في كم خلقت السموات والأرض فيقال في أربعة أيام^(٤) .

وقال مقاتل : عدلاً لمن يسأل الرزق للسائلين^(٥) ، وهذا وهم ؛ لأن الرزق غير مستوٍ للسائلين وإنما هو على إرادة الله لا على مسألة السائل ، وكل الناس

(١) لم أقف عليه عند الفراء وقد ورد البيت غير منسوب في كتاب الأضداد ١١٠ ، ورشيد هو ابن مروان ، نسق عليه لما فيه من زيادة المدح .

(٢) انظر : كتاب الأضداد لابن الأنباري ١٠٩ ، ١١٠ .

(٣) أخرج ذلك الطبري في تفسيره ٩٧ / ١٢ عن السدي ، ونسبه الثعلبي في تفسيره للسدي ، انظر : ١٠ / ٤٧ ب ، ونسبه البغوي ٧ / ١٦٥ لقتادة والسدي .

(٤) أخرج الطبري عن قتادة بلفظ : من سأل عن ذلك وجده كما قال الله ، انظر : ٩٧ / ١٢ ، وذكره بهذا اللفظ أيضاً الثعلبي في تفسيره عن قتادة ، انظر : ١٠ / ٤٧ ب ، ونسبه البغوي لقتادة والسدي في تفسيره ٧ / ١٦٥ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٣٧ .

سواء في المسألة ، والرزق يجري عليهم مختلفاً ، وتوهمه وهم أيضاً ابن زيد فقال :
قدر ذلك على قدر مسائلهم^(١) .

وذكر أبو إسحاق قولاً آخر ، فقال : للسائلين معلق بقوله : ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ لكل محتاج إلى القوت ، وإنما قيل للسائلين ؛ لأن قوله في أربعة أيام قد دلَّ على حال عددها ، فكأنه قال : استوت سواء كما تقول في أربعة أيام تماماً ، ومن خفض جعل سواء صفة للأيام وأراد مستويات ، فجعل المصدر في موضع الاسم كما تقول (اسبره بدرهم تمام) ؛ أي تام ، ومن رفع فعلى معنى هي^(٢) .

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ قال ابن قتيبة : طعن الملحدون على هذه الآية مع قوله : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات : ٣٠] ، فقالوا هذه الآية تدل على أنه خلق الأرض قبل السماء ؛ لأنه ذكر خلق الأرض ثم قال بعدما فرغ من ذكر خلق الأرض ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ ، وقال في موضع آخر : ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا﴾ ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات : ٢٧-٣٠] ، فدلَّت هذه الآية على أنه خلق الأرض بعد السماء فادعوا التناقض ، وأجاب عن هذا بأن قال : إنما كان يجد الطاعن متعلقاً لو قال والأرض بعد ذلك خلقها أو ابتدأها أو أنشأها ، وإنما قال دحاهها ، فابتداء خلق الأرض كان قبل خلق السموات ، ثم خلق السموات ثم دحا بعد ذلك الأرض [ثم]^(٣) ؛ أي بسطها ومدها وكانت ربوة مجتمعة^(٤) ، وهذا الذي قاله هو معنى قول الكلبي : دحيت الأرض من مكة بعد السماء بألفي سنة^(٥) .

(١) أخرج ذلك الطبري عن ابن زيد ، انظر : تفسيره ٩٧ / ١٢ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره لابن زيد ، انظر : ٤٧ / ١٠ ب .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٨١ / ٤ .

(٣) كذا في (أ) و(ب) وهي زائدة لا معنى لها .

(٤) ذكر ذلك ابن الأنباري في كتابه الأضداد ١٠٨ عن ابن قتيبة . ولم أقف عليه عند ابن قتيبة .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٤٧٨ .

قال أبو بكر بن الأنباري : هذا الذي ذكره ابن قتيبة هو قول قطرب ، أخذ عنه وهو خطأ من قبل أنه لما خلق الأرض في يومين ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ ﴾ كان الخلق والدحو جميعاً يدخلان في هذه الأربعة أيام ، وإذا دخلا في الأربعة أيام كان خلق الأرض ودحوها قبل خلق السماء ، فبقي التناقض بين الاثنين وإن خرج الدحو من الأربعة زاد عدد الأيام على ما أخبر الله به فإذا لم يشف جواب ابن قتيبة ، وخلق السموات والأرض محصور بستة أيام أربعة منها للأرض كما ذكرها الله في هذه السورة واثنان للسموات ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ، قال أبو بكر : والجواب عندي في المسألة أن خلق السموات والأرض على ما ذكر الله في هذه السورة ، وقوله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ معناه : والأرض مع ذلك ، وأنشد :

فَقُلْتُ لَهَا فَيَنِي إِلَيْكَ فَإِنِّي حَرَامٌ وَإِنِّي بَعْدَ [ذلك] ^(١) لَيْبٌ

أراد مع ذلك ^(٢) ، وإقامة بعض الصفات مقام بعضها سائر مشهور ، وهذا الذي قاله أبو بكر قول ابن عباس في رواية عطاء وقول مجاهد ، قال : مع ذلك دحاها كقوله : ﴿ عُنْطِلَ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ [القلم : ١٣] ؛ أي مع ذلك ^(٣) ، ويجوز أن يكون تأويل قوله : ﴿ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ بمعنى : ويجري مجرى حروف الأضداد ، وشاهد هذا قوله : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] ، قال بعضهم معناه : من قبل الذكر لأن الذكر هو القرآن ^(٤) .

(١) كذا في (أ) و(ب) ، وكتاب الأضداد ١١٠ : (ذاك) وهذا هو الأصوب ؛ لأنه يستقيم معه وزن البيت بينما ينكسر مع رواية (ذلك) ، والبيت لهذبة بن خشرم .

(٢) انظر : كتاب الأضداد ١١٠ .

(٣) لم أقف على نسبته لابن عباس ، وقد أخرجه الطبري عن مجاهد ، انظر : تفسيره ٤٦/١٥ ، وقد ذكر هذا المعنى ابن الأنباري في الأضداد ١١٠ .

(٤) انظر : الأضداد ١٠٨ .

قال أبو بكر : قال مقاتل واتبعه جماعة من أهل العلم : على ذلك خلق الله السموات قبل الأرض ، واحتج بقوله : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات : ٣٠] قال : وتأويل قوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ التقديم على خلق الأرض ، والتقدير : قل أئنكم لتكفرون بالذي استوى إلى السماء وهي دخان إلى قوله : ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [آية : ١٢] ثم خلق الأرض في يومين فقدم خلق الأرض والتقديم والتأخير معلومان في كلام العرب ، قال الله تعالى : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران ٥٥] ، ومعناه : إني رافعك إلي ومتوفيك ^(١) ، وقال : ﴿وَلَوْ يَجْعَلُ لَهُ عِوَجًا ۖ﴾ [الكهف : ١ ، ٢] ، وقال غير مقاتل : خلق السماء قبل الأرض ، وتأويل قوله : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ ، ثم كان قد استوى وهي دخان قبل أن يخلق الأرض فأضمر فيه كان ، كما قال تعالى ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف : ٧٧] ، معناه : إن يكن قد سرق ، وجاء في الحديث : «إن نظرت إلى سيرة عمر لم يسئ» ^(٢) ، معناه : لم يكن أساء .

قال الشاعر :

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمةٌ ولم تجدي من أن تعرَى بها بُدًا ^(٣)

معناه : لم تكن ولدتي ، وقال تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف : ٤] ، قالوا المعنى فكان قد جاءها ، ونحو هذا القول روى هارون بن عنترة عن أبيه ، قال : سأل رجل ابن عباس فقال : قرأت [اثنتين] ^(٤) تخالف إحداهما الأخرى قال : من قبل رأيك [اثنتين] ^(٥) ما هما ؟ قال : قوله : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾

(١) ذكر ذلك ابن الأنباري في كتاب الأضداد ١١١ عن مقاتل .

(٢) لم أفق عليه .

(٣) البيت لزائد بن صعصعة ، انظر : شذور الذهب ٣٣٩ ، ومغني اللبيب ٣٣ .

(٤) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب : (اثنتين) .

(٥) في (ب) كتبت (اسي) .

[فصلت: ١١] ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، قال ابن عباس: خلق السماء قبل أن يخلق الأرض ثم دحا الأرض بعدما خلق السماء^(١).

قال أبو بكر: والذي اختاره أن خلق الأرض قبل خلق السماء؛ لأن ظاهر القرآن عليه أدل والحجج له أوضح^(٢).

وذكرنا في سورة الأعراف [آية: ٥٤] وجه الحكمة في خلق الله تعالى السموات والأرض في ستة أيام مع قدرته على خلقها في لحظة لو أراد.

قال السدي في قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ قيل: ذلك الدخان من نفس الماء حين تنفس خلقها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبعاً في يومين في الخميس والجمعة^(٣)، ومعنى قوله: ﴿أَسْتَوَىٰ﴾ عمد وقصد^(٤) إلى خلقها،

(١) ذكر ذلك القرطبي عن ابن عباس، انظر: الجامع ٣٤٦/١٥.

(٢) لم يصرح ابن الأنباري بهذا في كتاب الأضداد فلعله ذكره في غيره من مؤلفاته، انظر: ١٠٨-١١١، ولكن هذا، هو الصحيح والثابت عن السلف، وهو أن: الأرض خلقت قبل السماء، وقد سئل ابن عباس عن هذا فأجاب: بأن الأرض خلقت أولاً ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى. انظر: صحيح البخاري كتاب التفسير سورة فصلت ٦/٣٥، ومعاني القرآن للنحاس ٦/٢٤٨، وتفسير ابن كثير ٦/١٦٣، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن للأنصاري ٣٧٣.

(٣) ذكر ذلك ابن عطية في تفسيره ولم ينسبه، انظر: ١٤/١٦٨، وذكره المؤلف في الوسيط عن السدي، انظر: ٤/٢٧.

(٤) هذا قول الزجاج، انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/٣٨١. قال الطبري ١/١٩٢، وبعد أن ساق معاني الاستواء وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ علا عليهن وارتفع فديرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات، وقال الفراء: الاستواء في كلام العرب على جهتين؛ إحداهما: أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته، أو: يستوي من اعوجاج فهذان وجهان، وجه ثالث: أن تقول: كان فلان مقبلاً على فلان، ثم استوى علي وإلي يشأمني، على معنى: أقبل إلي وعلي فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾، وقال ابن عباس: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ صعد، وهذا كقولك للرجل: كان قائماً فاستوى قاعداً، وكان قاعداً فاستوى قائماً، وكل في كلام العرب جائز. انظر: معاني الفراء ١/٢٥، وتهذيب اللغة لفيف السين ١٣/١٢٤، والفتاوى لابن تيمية ٥/٩٥.

والمعنى : ثم عمد إلى خلق السماء . وذكرنا معاني الاستواء عند قوله : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩] .

قوله تعالى : ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آئِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ قال مجاهد عن ابن عباس : قال الله للسموات : أطلعي شمسك وقمرك ونجومك ، وقال للأرض : شققي أنهارك وأخرجي ثمارك^(١) ، والمعنى على هذا : آتيا ما أمركما ؛ أي افعلاه كما يقال إيت ما هو الأحسن .

وقد قال المفسرون^(٢) : إن الله تعالى قال : أما أنت يا سماء فأطلعي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم ، وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات وشققي عن الأنهار ، وكان الله ركب فيها العقول لما خاطبها وقال لهما افعلا ما أمركما طوعاً ، وإلا أَلْجَأْتُكُمَا إِلَى ذَلِكَ حَتَّى تَفْعَلَا كَرهًا ، وهذا الذي ذكرنا معنى قول أبي إسحاق : أطيعا إطاعة أو تكرهان كرها^(٣) فأطاعتا وأجابتا بالتطوع ، وهو قوله : ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ومفعول الإتيان محذوف على تقدير آتينا أمرك^(٤) طائعين كأنهما أطاعتا لما سخرهما الله له وأمرهما ولم يجوجا إلى الإكراه ، وإنما قال : ﴿طَائِعِينَ﴾ فجمع جمع من يعقل ؛ لأنهن لما خوطبن جرين مجرى ما يعقل ويميز^(٥) كما قال في النجوم : ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] ،

(١) أخرج ذلك الطبري في تفسيره ٩٨/١٢ عن مجاهد عن ابن عباس ، ونسبه الثعلبي في تفسيره ١٠/٤٨ ، والبغوي ٧/١٦٦ لابن عباس .

(٢) انظر : الطبري والثعلبي والبغوي المواضع السابقة ، والقرطبي ٣٤٣/١٥ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٨١/٤ .

(٤) انظر : فتح القدير للشوكاني ٥٠٨/٤ .

(٥) انظر : شرح ملحمة الإعراب ١٠٥ .

قال الفرّاء : لما تكلمتا كانتا كالرجال^(١) ، يعني جمعاً مع الرجال ، وهذا الذي ذكرنا قول الفرّاء وأبي إسحاق^(٢) .

وذكر عن أبي عمران الجوني أنه قال : والله لو أن السماء عصته لخلق لها من العذاب عذاباً يوجعها كما يتجع الإنسان ، والله لو أن الأرض عصته لخلق لها من العذاب عذاباً يوجعها كما يتجع الإنسان^(٣) ، هذا الذي ذكرنا هو مذهب أهل التفسير في هذه الآية ، ومذهب أهل المعاني : أن هذا عبارة عن تكوينه إياها ، والمعنى : كَوْنُهَا فكَانَتَا وَجَرْتَا عَلَى اطْرَاد كَجِرْيَانِ الطَّائِعِ لَمَّا أَمَرَ بِهِ^(٤) ، وحمل القول هاهنا على المجاز كما قال الشاعر :

امتلأ الحوضُ وقالَ قطني^(٥)

قال أبو عبيدة في هذه الآية : هذا مجاز الموات والحيوان الذي يشبه تقدير فعله بفعل الآدميين^(٦) ، والصحيح ما عليه المفسرون . قال ابن قتيبة : وما في نطق السماء والأرض من العجب ؟ ! والله ينطق الجلود والأيدي والأرجل ، ويسخر الجبال والطير بالتسبيح كما قال : ﴿يَنْجَالُ أَوْيِ مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سبأ: ١٠] ، وقال : ﴿وَلِنْ مِنْ

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٣/٣ .

(٢) انظر : معاني الفرّاء ١٣/٣ ، ومعاني الزّجاج ٣٨١/٤ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ٢٥٠/٦ ، ووضح البرهان للنيسابوري ٢٦٦/٢ .

(٥) هذا صدر بيت من الرجز وعجزه :

مَلَأَ رُويْدًا قَدْ مَلَأَتْ بَطْنِي

وهو غير منسوب وقد تقدم مراراً .

(٦) انظر : مجاز القرآن ٢٩٦/٢ .

شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴿[الإسراء: ٤٤]﴾ ، ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْطِ﴾ [الملك: ٨] ، كما [تقول] ^(١) يكاد يتقد غيظاً عليك في أشباه لهذا كثيرة ^(٢) .

١٢ . قوله تعالى : ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ قال المفسرون : خلقهن وصنعهن ^(٣) . قال أهل اللغة : القضاء وضع الشيء على إتمام وإحكام ^(٤) .

وأنشدوا قول الهذلي :

وعليهما مسرودتان قضاهما ^(٥)

قالوا : معناه عملهما وصنعهما ، وذكرنا معاني القضي ^(٦) عند قوله : ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ [البقرة: ١١٧] .

قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ قال مقاتل : وأمر في كل سماء بما أراد ^(٧) .

(١) في (ب) : (يقال) .

(٢) انظر : مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ١١٣/٢ .

(٣) انظر : تفسير الماوردي ١٧٣/٥ ، وتفسير ابن عطية ١٦٩/١٤ ، وزاد المسير ٢٤٥/٧ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (قضى) ٢١١/٩ ، ومقاييس اللغة (قضى) ٩٩/٥ ، والصاح (قضى) ٢٤٦٤/٦ .

(٥) هذا صدر البيت وعجزه :

داودُ أو صنعُ السَّوَابِغِ تُبِعَ

انظر : ديوان الهذليين ١٩/١ ، وتهذيب اللغة (قضى) ٢١١/٩ ، ومقاييس اللغة (قضى) ٩٩/٥ ،

والصاح (قضى) ٢٤٦٤/٦ ، ومشكل القرآن وغريبه ١٠٦/٢ وغريب الحديث لابن قتيبة

٢٩٩/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٥/١٥ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (قضى) ، ومفردات الراغب (قضى) ٤٠٦ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٧٣٧/٣ .

وقال قتادة : خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحتها^(١) ، وهذا يدل على أن في كل سماء شمساً وقمرأً ونجوماً .

وقال السدي : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم^(٢) ، ونحو هذا روى عطاء عن ابن عباس ، قال : يريد ما خلق في كل سماء من الملائكة والبرد والثلوج وما لا يعلمه إلا الله^(٣) ، قال : والله في كل سماء بيت تحج إليه وتطوف به الملائكة كل واحد منها مقابل إلى البيت الذي تحته إلى السماء الدنيا ، وفيها البيت المعمور وهو مقابل الكعبة^(٤) ، ولو وقعت منها حصاة ما وقعت إلا على الكعبة .

قوله : ﴿ وَحَفَظًا ﴾ قال الأخفش : كأنه قال وحفظناها حفظاً ؛ لأنه [قال]^(٥) حين قال : وزيناها بمصابيح قد أخبر أنه نظر في أمرها وتعاهدها ، وذلك يدل على الحفظ^(٦) .

(١) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ٩٩ / ١٢ ، ونسبه الماوردي لقتادة ، انظر : تفسيره ١٧٣ / ٥ ، ونسبه الثعلبي لقتادة والسدي في تفسيره ١٠ / ٤٨ ، وكذلك نسبه البغوي لقتادة والسدي ١٦٦ / ٧ .

(٢) أخرج ذلك الطبري عن السدي ، انظر : تفسيره ٩٩ / ١٢ ، ونسبه الثعلبي لقتادة والسدي ، انظر : تفسيره ١٠ / ٤٨ ، ونسبه ابن الجوزي للسدي ، انظر : زاد المسير ٧ / ٢٤٦ .

(٣) ذكر ذلك البغوي في تفسيره عن عطاء عن ابن عباس ، انظر : ١٦٦ / ٧ ، ونسبه القرطبي لابن عباس ، انظر : الجامع ١٥ / ٣٤٥ ، ونسبه المؤلف في الوسيط لعطاء عن ابن عباس ، انظر : ٢٧ / ٤ .

(٤) ذكر نحو هذا القرطبي عن ابن عباس ، انظر : الجامع ١٥ / ٣٤٥ .

(٥) كذا في (أ) و(ب) وليست في معاني القرآن للأخفش ؛ فهي زائدة لا معنى لها .

(٦) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٨١ .

وقال أبو إسحاق معناه : وحفظناها من استماع الشياطين بالكواكب ، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر^(١) من صفة ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بخلقه قاله مقاتل^(٢) .

١٣ . وقوله : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ ؛ أي فإن لم يقبلوا رسالتك بعد هذه الإبانة ولم يوحّدوا الله ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ﴾ ؛ أي أنذرتكم أن ينزل بكم ما نزل بمن كفر من الأمم من قبلكم ، قال ابن عباس : يريد هلاكاً مثل هلاك عاد وثمود^(٣) .

وقال ، الكلبي : عذاباً^(٤) منصّباً عليهم ، وكل صاعقة عذاب .

وقال قتادة : وقية مثل وقية عاد وثمود^(٥) ، قال المبرّد : الصاعقة المنيّة أيّش^(٦) ما كان ، وهو قول مقاتل^(٧) ، وذكرنا تفسير الصواعق في ما مضى [البقرة : ١٩] .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٨٢ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٣٧ / ٣ .

(٣) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ١٦٦ / ٧ ، والمؤلف في الوسيط ٢٨ / ٤ ولم ينسباه .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٤٧٨ .

(٥) أخرج ذلك الطبري عن قتادة انظر : تفسيره ١٠٠ / ١٢ .

(٦) كذا رسمها في (أ) و(ب) ولعل المراد على أي هيئة كانت كما هو معنى قول مقاتل .

(٧) الذي في تفسير مقاتل ٧٣٧ / ٣ : كل من يموت من عذاب أو سقم أو قتل فهو مصعوق .

١٤- ١٥ . قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ يريد الرسل الذي أتت آباء الرسل الذين ^(١) أهلكوا بالصاعقة من هاتين الأمتين ، وقوله : ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ ؛ أي ومن خلف الرسل الذين بعثوا إلى آبائهم رسلاً إليهم ، قال الفراء : من بين أيديهم أتت الرسل آباءهم ومن كان قبلهم ومن خلفهم ، يقول وجاءتهم أنفسهم من بعدهم رسل من بعد أولئك الرسل ، فتكون الهاء والميم في خلفهم للرسل ، قال : وتكون لهم فجعل من خلفهم لما معهم ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ﴾ مفعول المشيئة محذوف ، لدلالة الكلام عليه تقديره : لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة وكانوا إلينا رسلاً ، وليس المعنى إن شاء ربنا أنزل الملائكة لأنه لا يفيد ^(٣) .

قوله تعالى ﴿ فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ يحتمل أن يكون هذا إقراراً منهم بإرسالهم ثم جحودهم وعنادهم بالكفر ، ويحتمل أن يكون هذا منهم استهزاء ^(٤) ، ثم قصّ الله تعالى قصة كفر الأمم الماضية والسبب في عتوهم وإقامتهم على الكفر فقال ، قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ قال مقاتل : فتكبروا في

(١) كذا رسمها في (أ) و(ب) ، وقال البغوي : أراد ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم من قبلهم ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ يعني : ومن بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم الذين أرسلوا إليهم ؛ فالكناية في قوله من بين أيديهم راجعة إلى الرسل ، وفي قوله ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ راجعة إلى الرسل ، انظر : تفسير البغوي ١٦٦/٧ ، ١٦٧ .

وقال القرطبي ٣٤٦/١٥ : يعني من أرسل إليهم وإلى من قبلهم .

(٢) يقول الفراء : أتت الرسل آباءهم ومن كان قبلهم ومن خلفهم ، يقول : وجاءتهم أنفسهم رسل من بعد أولئك الرسل ، فتكون الهاء والميم في (خلفهم) للرسل ، وتكون هم تجعل من خلفهم لما معهم . انظر : معاني القرآن للفراء ١٣/٣ .

(٣) انظر : الدر المصون ٦٠/٦ ، والبحر المحيط ٤٨٩/٧ ، وتفسير البغوي ١٦٧/٧ ، وزاد المسير ٢٤٧/٧ .

(٤) ذكر ذلك القرطبي في الجامع ٣٤٦/١٥ .

الأرض عن الإيمان وعملوا بغير الحق^(١) ، وقال ابن عباس : عتوا على الله تعالى وأعجبته أنفسهم^(٢) وأجسامهم ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِتًا قُوَّةً﴾ قال مقاتل : يعني حين هددهم بالعذاب قالوا نحن نقدر على دفعه عن أنفسنا بفضل قوتنا^(٣) ، فقال الله رداً عليهم ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا﴾^(٤) ذلك وقد علموا أن الله سلط على نمرود بعوضة فما قدر أن يدفع عن نفسه .

قوله تعالى : ﴿وَكُنُوزًا يَّاتِيَنَا يَجْحَدُونَ﴾ ؛ أي بحججنا عليهم يكفرون ، وهذا في النظم متصل بقوله : ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ .

١٦ . ثم ذكر عذابهم بقوله : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قال ابن عباس : باردة^(٥) وهو قول مقاتل^(٦) ، وقتادة^(٧) .

وقال مجاهد : شديداً^(٨) .

وقال أبو عبيدة : الريح الصرصر الشديدة الصوت^(٩) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٣٨ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) لم أقف عليه عند مقاتل ، وقد ذكره البغوي ٧/ ١٦٩ وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٤٧ ، والقرطبي ١٥/ ٣٤٧ من دون نسبة .

(٤) كذا في (أ) و(ب) ونص الآية : ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٤٧٨ ، وقد نسب ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٧٤ ، والمؤلف في الوسيط ٤/ ٢٨ لابن عباس .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٣٨ .

(٧) أخرج ذلك الطبري عن قتادة انظر : تفسيره ١٢/ ١٠٢ ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٤٨ ، والقرطبي في الجامع ١٥/ ٣٤٧ لقتادة .

(٨) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد ، انظر : تفسيره ١٢/ ١٠١ ، ونسبه الماوردي في تفسيره ٥/ ١٧٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٤٨ لمجاهد .

(٩) انظر : مجاز القرآن ٢/ ١٩٦ .

قال أبو إسحاق : والصرصر في أكثر التفسير : الشديدة البرد ^(١) .

وقال الفراء : هي الباردة تحرق كما تحرق النار ^(٢) .

وذكر ابن السكيت القولين ، فقال : ريح صرصر فيه قولان يقال : [صر] ^(٣) من الصر وهو البرد فأبدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل كما ^(٤) تجفجف وأصله تجفجف ، ويقال هو من صرير الباب ومن الصرة وهي : الضجة ^(٥) ، ومنه قوله : ﴿ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرْقٍ ﴾ [الذاريات : ٢٩] واختار المبرد القول الثاني ، وقال : الريح الصرصر الشديدة الصوت ^(٦) ، وأنشد لابن ميادة ^(٧) :

أَشَاقَكَ الْمَنْزِلُ وَالْمَحْضَرُ أَوْدَتْ بِهِ رَيْدَانَةَ صَرْصَرُ ^(٨)

ومن هذا يقال : صَرْصَرُ الْأَخْطَبُ وَالصَّفَرُ يُصْرِصِرُ صَرْصَرَةً ^(٩) ، قوله تعالى : ﴿ فِي أَيَّامٍ نَحْسَتِ ﴾ قال ابن عباس : يريد كانوا يتشاءمون بتلك الأيام ^(١٠) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٨٢ ، ومن دون لفظ أكثر .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ١٣ .

(٣) كذا في (أ) و(ب) وفي تهذيب اللغة (صرر) .

(٤) في تهذيب اللغة بلفظ : (كما قالوا) ، وهو أوضح .

(٥) انظر قول ابن السكيت في : تهذيب اللغة (صر) ١٢ / ١٠٧ ، واللسان (صرر) ٤ / ٤٥٠ .

(٦) انظر الكامل للمبرد ٤ / ٤٢ .

(٧) الرَّمَّاحُ بن أبرد بن بريان بن سراقبة بن سليمان بن ظالم بن جذيمة بن يربوع أبو شريحيل المري المعروف بابن ميادة وهي أمه ، وكان من الشعراء المجيدين ، كثير الشعر ، وهو مخضرم أدرك الدولتين : الأموية والعباسية ، ومات في خلافة المنصور . انظر : تهذيب ابن عساكر ٥ / ٣٣١ ، والشعر والشعراء ٥٢٠ ، والأعلام ٣ / ٣١ .

(٨) استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢ / ١٩٦ .

(٩) قال الليث : صر الجندب يصير صريراً وصر الباب يصر ، وكل صوت شبه ذلك فهو صرير إذا امتد ، فإذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادة ضوعف كقولك : صرصر الأخطب صرصرة ، انظر : تهذيب اللغة (صر) ١٢ / ١٠٦ ، ولسان العرب (صرر) ٤ / ٤٥٠ .

(١٠) انظر : تنوير المقباس ٤٧٨ ، وتفسير الوسيط ٤ / ٢٩ .

وقال قتادة : النحسات النكرات المشؤمات^(١) ، وقال مجاهد : مشؤمة^(٢) .
 قال مقاتل^(٣) والضحاك : النحسات الشدائد^(٤) ، هذا قول المفسرين .
 قال الليث : النحس خلاف السعد والجميع النحوس من النجوم وغيرها
 تقول هذا يوم نحس^(٥) .
 وقال أبو عبيدة : نحسات ذوات نحوس وأشاييم^(٦) .
 والقراء قرؤوا نحسات بكسر [الحاء]^(٧) وسكونها^(٨) ، وأنشد الفراء :
 أبلغ جُذاماً ولُحماً أن إخوتهم طياً و[نهر القوم]^(٩) نصرهم نحس^(١٠)

-
- (١) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، انظر : تفسيره ١٠٣/١٢ ، ونسبه الماوردي لمجاهد و قتادة ، انظر : تفسيره ١٧٤/٥ .
 (٢) أخرج ذلك الطبري : عن مجاهد ، انظر : تفسيره ١٠٣/١٢ ، ونسبه الماوردي في تفسيره لمجاهد و قتادة ، انظر : تفسيره ١٧٤/٥ ، ونسبه القرطبي لمجاهد و قتادة ، انظر : الجامع ٣٤٧/١٥ .
 (٣) انظر : تفسير مقاتل ٧٣٨/٣ .
 (٤) أخرج ذلك الطبري عن الضحاك ، انظر : تفسيره ١٠٣/١٢ ، ونسبه القرطبي للضحاك ، انظر : ٣٤٨/١٥ .
 (٥) انظر : كتاب العين (نحس) ١٤٤/٣ ، وتهذيب اللغة (نحس) ٣١٩/٤ .
 (٦) انظر : مجاز القرآن ١٩٧/٢ ، وبلغظ : (ذوات نحوس أي مشاييم) .
 (٧) في (ب) : (الجيم) ، وهو تصحيف .
 (٨) قرأ ابن كثير و نافع و أبو عمرو (في أيام نحسات) الحاء موقوفة ، والباقيون ﴿نَحْسَاتٍ﴾ مكسورة الحاء .
 انظر : السبعة ٥٧٦ ، والحجة ١١٦/٦ .
 (٩) كذا في (أ) و (ب) ، وهو تصحيف والصحيح (وبهراء قوم) .
 (١٠) انظر : معاني القرآن للفراء ١٤/٣ ، وتفسير الطبري ١٠٤/١٢ ، والبحر المحيط ٤٨١/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٨/١٥ .

قال : وهذا لمن يثقل ، ومن خفف بناءه على قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ نَخَسِرُ ﴾ [القمر : ١٩] ، ونحو هذا قال أبو إسحاق : ومن قرأ نَحَسَات فواحداهما نَحْسٌ ^(١) .

قال أبو علي الفارسي : النحس كلمة تكون على ضربين ؛ أحدهما : أن تكون اسماً ، والآخر : أن تكون وصفاً ، فما جاء فيه اسماً ، مصدرأً قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ نَخَسِرُ ﴾ [القمر : ١٩] ، فالإضافة إليه تدل على أنه اسم وليس بوصف ، ولو كان وصفاً لم يضاف إليه ، وقال المفسرون في نحسات قولين ؛ أحدهما : الشديد البرد ، والآخر : أنها المشؤومة عليهم ، وتقدير قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ نَخَسِرُ ﴾ في يوم شؤم ، وقالوا يومٌ نَحْسٌ ويومٌ نَحْسٌ على الأول وذلك يحتمل أمرين ؛ أحدهما : نعتاً مثل فسّل ورذّل ، والآخر : أن يكون مصدرأً وصف به مثل رَجُلٍ عَدِلٍ ، والنَّحْسُ في اللغة البرد ، وأنشد الأصمعي :

كَأَنَّ سُلَاقَةً عَرَضَتْ لِنَحْسٍ يُحِيلُ شَفِيفَهَا الْمَاءَ الزَّلَالَا ^(٢)

أي وُضِعَتْ في ريح باردة فبردت ، وشَفِيفُهَا : بَرْدُهَا ، ومعنى يُحِيلُ : يَصُبُّ ؛ يقول فبردها يَصُبُّ الْمَاءَ فِي الْحَلْقِ وَلَوْلَا بَرْدُهَا لَمْ يُشْرَبِ الْمَاءُ ^(٣) ، ومن قرأ نَحَسَات أسكن العين لأنها صفة مثل : غيلان وصَعْبَاتٍ وخِذَلَاتٍ ، ويجوز أن يكون جمع المصدر ، فتركه على [إسكانه] ^(٤) في الجمع كما قالوا : [ذِرْوَةٌ وَذِرْوَاتٍ] ^(٥) وَضَرْبَةٌ وَضَرْبَاتٌ .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٨٣ / ٤ .

(٢) البيت منسوب لابن الأحرر تهذيب اللغة (نحس) ٣١٩ / ٤ وهو ، اللسان (نحس) ٢٢٧ / ٦ ، والحجة ١١٧ / ٦ ، وهو من قصيدة في شعره ١٢٦ .

(٣) شرح ألفاظ البيت ليس في الحجة وهو في تهذيب اللغة (نحس) ٣٢٠ / ٤ .

(٤) كذا في (أ) و(ب) وفي الحجة : (على الحكاية) .

(٥) كذا في (ب) ، وفي (أ) : (زورة وزورات) .

قال أبو الحسن : لم أعلم في النحس إلا الإسكان ، فإذا كان الواحد من نحو
 ذا مسكناً أسكن في الجميع ؛ لأنها صفة ، ومن كسر العين جعله صفة من باب
 فَرَقٌ وَنَزَقَ وجمع على ذلك ، إلا أنا [لا نعلم] ^(١) منه فعلاً كما علمنا من [فرق
 فرق] ^(٢) وإن [أبدل] ^(٣) بخلافه الذي هو سَعِدَ ، فقلت : كما أن سعد على فَعَلَ
 كذلك النحس في القياس ، وإن لم يسمع منه نَحَسَ يَنْحَسُ كما سُمِعَ سَعِدَ يَسْعَدُ ،
 فكأنه استعمل على تقدير ذلك كما أن فقيراً وشديداً استعملوا على تقدير فَعَلَ إن لم
 [يسمع] ^(٤) فَفَرَّ ولا شَدَّدَ استغنى عنه بافتقر واشتدَّ ، وكذلك نَحَسَ في قول من
 قال نَحِسَاتٍ ^(٥) .

قوله : ﴿إِنذِيَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ ؛ أي عذاب الهون والذل والهلاك وهو
 العذاب الذي به يخزون ، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ أشد إهانة ، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾
 لا يمتنعون من العذاب .

١٧ . ثم ذكر قصة ثمود ، فقال : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ﴾ الاختيار عند جميع النحويين
 رفع ثمود على الابتداء ، ويجوز فيه النصب على البعد ، وهو قراءة
 الحسن ^(٦) ، وليس هذا كقوله : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ﴾ [يس : ٣٩] ، فإن الرفع
 والنصب فيه سواء ، قال الفراء : وذلك لأن أما تطلب الأسماء وتمتنع
 من الأفعال ؛ فهي بمنزلة الصلة للاسم ، ولو كان حرفاً يلي الاسم
 إذا شئت والفعل إذا شئت ، كان الرفع والنصب معتدلين مثل قوله :

(١) كذا في (أ) و(ب) وفي الحجة : (لم نعلم) .

(٢) كذا في (أ) و(ب) : (فرق فرق) مكرره وفي الحجة : (فرق) .

(٣) كذا في (أ) و(ب) وفي الحجة : (استدللت) .

(٤) في الحجة : (يستعمل) .

(٥) هذا نهاية ما نقله عن أبي علي الفارسي في الحجة ٦/ ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ١٤ ، وتفسير الطبري ١٢/ ١٠٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٥٤
 والدر المصون ٦/ ٦٣ ، والجامع للقرطبي ١٥/ ٣٤٩ .

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَهُ﴾ ، ألا ترى أن الواو تكون مع الفعل ومع الاسم فتقول عبدالله ضربته وزيداً تركته لأنك [تركته^(١)] تقول وتركت زيداً ، فتصلح في الفعل الواو كما صلحت في الاسم ، ولا تقول أما ضربت فعبدالله كما تقول أما عبدالله فضربه^(٢) .

قوله تعالى : ﴿فَهَدَيْتَهُمْ﴾ قال ابن عباس : بيّنّا لهم^(٣) سبيل الهدى وسبيل الضلالة ، وقال قتادة ومقاتل : بيّنّا لهم^(٤) ، وقال مجاهد : دعونا^(٥) .

﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ قالوا : اختاروا الكفر والضلالة على الإيمان والرشاد^(٦) .

وقال الفرّاء : في هذه الآية يقول دللناهم على مذهب الخير ومذهب الشر كقوله : ﴿وَهَدَيْتُهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٧) [البلد : ١٠] ، فقد أجمعوا على أن هذا هدى بيان ودعاء^(٨) .

(١) كذا في (أ) و(ب) وفي معاني الفرّاء : (لأنك تقول وتركت زيداً) .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٤ / ٣ .

(٣) أخرج ذلك الطبري ١٠٤ / ١٢ ، وعن ابن عباس ، ونسبه البغوي : في تفسيره ١٦٩ / ٧ لابن عباس ، ونسبه ابن الجوزي لابن عباس وسعيد بن جبیر ، انظر : زاد المسير ٢٤٨ / ٧ ، ونسبه القرطبي ٣٤٩ / ١٥ لابن عباس وغيره .

(٤) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، ونسبه الماوردي في تفسيره ١٧٥ / ٥ لقتادة ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٤٨ / ٧ لقتادة ، انظر : تفسير مقاتل ٧٣٩ / ٣ .

(٥) نسب ذلك البغوي وابن الجوزي والمؤلف في الوسيط ٢٩ / ٤ لمجاهد بلفظ دعوناهم .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٠٤ / ١٢ ، والبغوي ١٦٩ / ٧ ، وزاد المسير ٢٤٩ / ٧ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١٥ / ٣ .

(٨) انظر : تفسير الطبري ١٠٤ / ١٢ ، وتفسير الماوردي ١٧٥ / ٥ ، وتفسير البغوي ١٦٩ / ٧ وزاد المسير ٢٤٨ / ٧ .

وقال الفراء : والهدى على وجه آخر الذي هو الإرشاد ، من ذلك قوله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَةً﴾ [الأنعام : ٩٠] ، وهو كثير في القرآن ، وظهر بهذا أنه ليس معنى قوله : ﴿فَبِهِدَّتْهُمْ﴾ أردنا هدايتهم ، ولو أراد ذلك ما اختاروا الكفر على الإيثار ولكنه ميّز لهم الطريق بإرسال الرسل .

قوله تعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال المفسرون : الهون والهوان ^(١) ، وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿يُمَسِّكُهُ عَلَى هُونٍ﴾ [النحل : ٥٩] ، والمعنى صاعقة العذاب ذي الهون وهو الذي يهينهم ويخزيهم ، ومعنى قوله : ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال ابن عباس : يريد : من تكذيبهم صالحاً وعقرهم الناقة ^(٢) ، وقال مقاتل : بما كانوا يعملون من الشرك ^(٣) .

١٩ . قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ قال أبو علي : الظرف هاهنا بمنزلة (إذا) ، ومن ثم أجيب بالفاء في قوله : ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النحل : ١٧] ، كما تجاب (إذا) بها ؛ لأنه لا يجوز أن يكون العامل فيه ما قبله من قوله : ﴿وَنَجِّنَا﴾ لأنه فعل ماض ، إذ ليس المعنى : ونجينا الذين آمنوا ثم يحشر ، وليس العامل أيضاً يحشر ؛ لأنه فعل مستقبل ، فإذا لم يكن في هذا الكلام فعل ظاهر يتعلق به الظرف تعلق بما دل عليه قوله : ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ^(٤) ومثل هذا قوله : ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمْنِهِمْ﴾ [الإسراء : ٧١] ، ألا ترى أن قوله : ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ﴾ ماض ، وقوله : ﴿نَدْعُوا﴾ مستقبل كما أن يحشر كذلك ، فجعل الظرف بمنزلة إذا ، فيصير التقدير إذا دعي كل أناس بإمامهم لم يظلموا وعدل فيهم ،

(١) أخرج ذلك الطبري ١٢/ ١٠٥ عن السدي ، ونسبه الماوردي للسدي ، انظر : تفسير الثعلبي ١٠/ ٥٠ ، وزاد المسير ٧/ ٢٤٩ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٤٧٨ ، وتفسير الوسيط ٤/ ٢٩ ولم ينسبه ، والجامع ١٥/ ٣٤٩ ، ولم ينسبه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٣٩ .

(٤) انظر : الحجة ٦/ ١١٨ ، وحجة القراءات ٦٣٥ .

وكذلك التقدير في هذه الآية إذا حشروا أعداء الله وقفوا فهو قوله : ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال المفسرون : يجبس أولهم على آخرهم ^(١) ، وذكرنا تفسيره في سورة النمل [آية : ١٧] .

واختلف القراء في قوله : ﴿يُحْشَرُ﴾ فالعامة على ضم الياء ، وقرأ نافع نحشر بالنون أعداء الله نصباً لأنه معطوف على قوله : ﴿وَنَجِّنَا﴾ ، فيحسن أن يكون وفقه على لفظ الجمع وبناء الفعل للفاعل ويقويه قوله : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ [مريم : ٨٥] ، وقوله : ﴿وَحْشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَعَاذِرْ﴾ [الكهف : ٤٧] ، ووجه القراء أن الكلام قد تم قبله من قصة ثمود فلما تم الكلام استأنفوا ولم يحملوا على (نجينا) ، وقد قال الله : ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الصافات : ٢٢] ، فاختراروا نحشر هاهنا على النون ؛ لأن الحاشرين لهم المأمورون بقوله : ﴿أَحْشَرُوا﴾ ؛ فلذلك لم يجعلوه وفق قوله : ﴿وَنَجِّنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، ويقوي بناء الفعل للمفعول له أنه قد عطف عليه مثله وهو قوله : ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النحل : ١٧] ، وكلا الأمرين حسن ^(٢) .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ، وذكر المفسرون في هذه الآية مرفوعاً ^(٣) : «أن العبد يقول يوم القيامة أليس قد وعدتني ألا تظلمني ، فيقول الله له فإن لك ذلك ، قال فإني لا أقبل عليّ شاهداً إلا من نفسي ، فيختم على فيه وتكلم أركانه بما كان يعمل» ^(٤) ، فذلك قوله : ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

(١) أخرج ذلك الطبري عن السدي ، انظر : تفسيره ١٠٦/١٢ ، ونسبه الثعلبي لقتادة والسدي ، انظر : تفسيره ١٠/١٥٠ ، ونسبه الماوردي ١٧٦/٥ لمجاهد .

(٢) انظر : الحجة ١١٨/٦ .

(٣) أي حديثاً مرفوعاً .

(٤) أخرجه مسلم : كتاب الزهد والرقائق ٢٢٨٠/٣ ، والطبري ١٠٧/١٢ ، والثعلبي ٥٠/١٠ عن أنس .

قال مقاتل : تنطق جوارحهم بما كتمت الألسن من عملهم بالشرك^(١) .

قال عطاء عن ابن عباس : وجلودهم يريد فروجهم^(٢) ، وهو قول الكلبي والسدي^(٣) ، قال الفرّاء : الجلد هاهنا الذكر ، وهو مما كنى الله عنه كما قال : ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُؤَاخِذُوهُنَّ سِرًّا ﴾ [البقرة: ٢٣٥] يريد : النكاح وكما قال : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ ﴾ [المائدة: ٦] ، والمراد أو قضى أحد منكم حاجته^(٤) .

٢١ . وقوله تعالى : ﴿ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ خطاب للجلود كما يخاطب الآدميون ؛ وذلك أنها لما كانت نطقت وخوطبت أجريت مجرى آدمي كقوله : ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤] ، قوله تعالى : ﴿ أَنْطَقَ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ عام ، ومعناه كل شيء مما ينطق .

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ ﴾ ابتداء خطاب من الله تعالى وليس من جواب الجلود في شيء .

٢٢ . قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ ﴾ ؛ أي ما كنتم تستترون من ذلك لأنكم ما كنتم تظنون ذلك ، فحذف ﴿ مِنْ ﴾ وهو توبيخ لهم ، قال مجاهد : ما كنتم تتقون^(٥) ذلك ، وقال قتادة : ما كنتم تظنون^(٦) ، وكلاهما معنى وليس بتفسير ، والتفسير ما ذكره السدي

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٣٩ .

(٢) ذكر ذلك ابن الجوزي عن ابن عباس ، انظر : زاد المسير ٧ / ٢٥٠ ، ونسبه المؤلف في الوسيط : لابن عباس ، انظر : ٤ / ٣٠ .

(٣) نسبه القرطبي للسدي وعبيد الله بن أبي جعفر والفرّاء . انظر : الجامع ١٥ / ٣٥٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ١٦ .

(٥) أخرج ذلك الطبري في تفسيره ١٢ / ١٠٨ عن مجاهد ، ونسبه الماوردي ٥ / ١٧٦ ، والبغوي ٧ / ١٧٠ لمجاهد .

(٦) أخرج ذلك الطبري عن قتادة ، ونسبه الماوردي لقتادة .

وما كنتم تستخفون^(١)، وقوله: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ﴾ الآية . قال ابن عباس: وذلك أن الكفار كانوا يقولون إن الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكن يعلم ما يظهر^(٢).

٢٣. قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ﴾ قال الكلبي: ظنكم أن الله لا يعلم ما تعملون وهو لا تخفى عليه خافية^(٣)، ذلك الظن أرداكم: أهلككم، قاله مقاتل^(٤)، والإرداء في اللغة: معناه الإهلاك ومنه الردى^(٥). وقال ابن عباس: طرحكم في النار^(٦).

وقال الكلبي: أغواكم وصدكم عن الهدى^(٧).

قال أبو إسحاق: ظنكم مرفوع بخبر الابتداء، وأرداكم خبر ثان، قال: ويجوز أن يكون ﴿ظَنُّكُمْ﴾ بدلاً من (ذلكم)، ويكون المعنى: وظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم^(٨).

(١) أخرج ذلك الطبري عن السدي، ونسبه البغوي لأكثر أهل العلم، وذكره ابن الجوزي ولم ينسبه،

انظر: زاد المسير ٢٥١/٧

(٢) ذكر ذلك ابن الجوزي، والمؤلف في الوسيط ٣٠/٤ عن ابن عباس.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٣/٧٤٠.

(٥) انظر: الصحاح (ردى) ٦/٢٣٥٥، واللسان (ردى) ١٤/٣١٦.

(٦) ذكر ذلك البغوي ٧/١٧١، والمؤلف في الوسيط ٣٠/٤ عن ابن عباس.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/٣٨٤.

٢٤. ثم أخبر عن حالهم ، فقال : ﴿ فَإِنْ يَصْبِرُوا ﴾ قال مقاتل : على النار^(١) ، ﴿ فَأَلْتَارُ مَتَوًى لَهُمْ ﴾ مسكن ﴿ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ قال الليث : العتب المؤاخذه ؛ يقال عتب على فلان وأعتبني فلان ؛ أي ترك ما كنت أجد عليه من أجله ، ورجع إلي فأرضاني عنه بعد إسقاطه إياي ، واستعتب فلان إذا طلب أن يعتب ؛ أي يرضى^(٢) ، والمعنى إن يسألوا : أن يرجع لهم إلى ما يحبون لم يرجع لأنهم لا يستحقون ذلك ، قال أبو معاذ النحوي : إن يستقيلوا ربهم لم يقلهم^(٣) .

٢٥. قوله تعالى : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ ﴾ قال أبو عبيد : قبيض الله فلاناً لفلان جاءه به^(٤) .

وقال الزَّجَّاج : قبيضنا لهم سبينا لهم من حيث لا يحتسبون^(٥) .

قال مقاتل : هيأنا لهم قرناء من الشياطين^(٦) ، وقال : ألزمناهم قرناء من الشياطين ، وهذا صريح في تكذيب القدرية ؛ لأن الله - تعالى - أضاف إلى نفسه تسبيب الشياطين لهم حتى أضلوهم^(٧) ، وهو قوله : ﴿ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من أمر الآخرة ، وعلى هذا المعنى : زينوا لهم الدنيا حتى آثروها ،

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٤٠ .

(٢) انظر : كتاب العين (عتب) ٢ / ٧٦ ، وانظر : تهذيب اللغة (عتب) ٢ / ٢٧٨ ، واللسان (عتب) ١ / ٥٧٨ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (عتب) ٢ / ٢٧٧ ، واللسان (عتب) ١ / ٥٧٩ .

(٤) لم أقف على نسبته لأبي عبيد ، وقد ورد في الصحاح بهذا اللفظ انظر : (قيض) ٣ / ١١٠٤ انظر : تفسير الرازي ٢٧ / ١١٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٣٥ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج : ٤ / ٣٨٤ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٤٠ .

(٧) قال ابن كثير في تفسيره : « يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين ، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته ، وهو الحكيم في أفعاله بما قبيض لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن » . انظر : ٦ / ١٧١ .

ودعوهم إلى التكذيب بما خلفهم من أمر الآخرة وإنكار البعث ، وما خلفهم عطف في الظاهر على ما بين أيديهم ، وليس المعنى على ذلك ؛ لأنه مفعول فعل مضمّر على تقدير وأنسوهم ما خلفهم ، فيكون ^(١) هذا من باب :

علفتها تبنًا وماءً باردًا ^(٢)

وقال الكلبي : زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة ؛ لأنه لاجنة ولا نار ولا بعث ، وما خلفهم من أمر الدنيا : فزينوا لهم ما كانوا عليه من الضلالة والشبهة والكفر ^(٣) ، ونحو هذا قال مقاتل سواء ^(٤) ، وهذا القول اختيار الفراء ، وقال : زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة ، وقالوا لاجنة ولا نار وما خلفهم من أمر الدنيا ، فزينوا لهم اللذات وجمع الأموال وترك النفقات في وجوه البر ^(٥) ، وذكر أبو إسحاق وجهًا آخر ، فقال : زينوا أعمالهم التي كانوا يعملونها ويشاهدونها وما خلفهم وما يعزمون أن يعملوه ^(٦) ، وهو معنى قول ابن زيد : زينوا لهم ما مضى من خبيث أعمالهم : وما بقي من أعمالهم ^(٧) .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٣٥٥ / ١٥ .

(٢) هذا صدر البيت ، وعجزه قوله :

حتى شنت همالة عينها

ولم أقف على نسبته لقائل معين ، انظر : الخصائص لابن جني : ٤٣٣ / ٢ ، وشرح الأبيات المشككة الإعراب لأبي علي ٥٧٢ ، ومعاني القرآن للفراء ٣ / ١٢٤ ، واللسان (قلند) ٣ / ٣٦٧ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٣٠٤ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٤٧٩ ، ونسبه الماوردي في تفسيره ١٧٨ / ٥ للكلبي ، وذكر القرطبي نحوه ونسبه لابن عباس ، انظر : الجامع ٣٥٥ / ١٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٤١ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ١٧ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٨٤ .

(٧) لم أقف عليه ، وقد ذكر نحوه الماوردي في تفسيره ١٧٨ / ٥ ولم ينسبه .

٢٦. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ قال الأخفش: أي لا تطيعوه كما تقول سمعت لك وهو - والله أعلم - على وجه لا تسمعوا القرآن^(١)، قال الكلبي: إن كفار قريش كان يوصي بعضهم بعضاً إذا رأيتهم محمداً يقرأ القرآن فعارضوه باللغو والباطل^(٢).

وقال مقاتل: هذا قول أبي جهل لكفار قريش قال: إذا سمعتم القرآن من محمد وأصحابه، فارعوا أصواتكم بالأشعار والكلام في وجوههم؛ حتى تلبسوا عليهم قولهم فيسكتون^(٣).

وقال مجاهد: والغوا فيه بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق^(٤).

وقال المبرّد: اللغو كل كلام لا وجه^(٥) له، يقال منه لغا يلغو فهو لاغ، ويلغي لغا فهو لغٍ. قال رؤبة:

عن اللغا ورث التكلم^(٦)

وقرأ العامة من اللغي ومن اللغو يقال لغواً، وهو قراءة عيسى^(٧) بن عمر.

(١) انظر: معاني القرآن للأخفش ٦٨٣/٢.

(٢) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ونسبه لابن عباس، انظر: ١٧١/٧، وكذلك ذكره ابن الجوزي ولم ينسبه، انظر: ٢٥٢/٧، وذكره المؤلف في الوسيط ولم ينسبه، انظر: ٣١/٤.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٧٤١/٣.

(٤) أخرج ذلك الطبري ١١٢/١٢ عن مجاهد، ونسبه الماوردي ١٧٨/٥ لمجاهد، وكذلك نسبه البغوي ١٧١/٧، وابن الجوزي ٢٥٢/٧ لمجاهد.

(٥) ذكر ذلك النحاس عن المبرّد. انظر: إعراب القرآن ٥٩/٤.

(٦) انظر: تهذيب اللغة (رفث) ٧٧/١٥، واللسان (رفث) ١٥٣/٢، وصدره قوله:

ورُبَّ أسراب حجيح كُظم

(٧) انظر: تفسير ابن عطية ١٨٠/١٤، والبحر المحيط ٤٩٤/٧.

قال الزَّجَّاج : اللغو الكلام الذي لا يحصل منه نفع ولا على فائدة ولا تفهم حقيقته^(١) ، وذكرنا تفسير اللغو في مواضع ، [البقرة: ٢٢٥ ، والمائدة: ٥٩] ، قوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال مقاتل : يقول لكي تغلبوهم فيسكتون^(٢) .

٢٧ . قوله تعالى : ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ﴾ قال مقاتل : بأسوأ ما كانوا^(٣) يعملون وهو الشرك .

٢٨ . ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الشديد ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾ ، وقوله : ﴿النَّارُ﴾ قال أبو إسحاق : رفع بدلاً من قوله^(٤) ﴿أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾ قال : وإن شئت رفعت ﴿النَّارُ﴾ على التفسير كأنه قيل ماهو : ف قيل ﴿النَّارُ﴾ وقوله : ﴿هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ قال ابن عباس : يريد دار المقام^(٥) ، وقال مقاتل : لا يموتون^(٦) .

وقال الفرَّاء : قوله ﴿هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ وهي الدار بعينها ، وذلك [جواب]^(٧) إذا اختلف اللفظان كقوله لأهل الكوفة منها دار صالحة والدار هي الكوفة^(٨) ، وذكر أبو إسحاق نحواً من ذلك^(٩) ، وهو تكلف منها ؛ لأنه ذكر النار وليست

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٨٤ / ٤ بلفظ وهو الكلام الذي لا يُحْصَل ولا تفهم حقيقته .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٤١ / ٣ .

(٣) لفظ الآية (أسوأ الذي كانوا يعملون) .

(٤) لعل في عبارة المؤلف سقطاً هاهنا ، فنص العبارة عند الزَّجَّاج : المعنى ذلك العذاب الشديد جزاء أعداء الله (النار) ، رفع بدل من (جزاء أعداء الله) وإن شئت . . إلخ . انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٨٤ / ٤ .

(٥) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ١٧٢ / ٧ ولم ينسبه ، وابن الجوزي ولم ينسبه ، انظر : زاد المسير ٢٥٢ / ٧ ، وذكره المؤلف في الوسيط ٣٢ / ٤ ولم ينسبه .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٧٤١ / ٣ .

(٧) كذا في (أ) و(ب) وفي معاني الفرَّاء (صواب) .

(٨) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١٧ / ٣ .

(٩) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٨٥ / ٤ .

باسم المستقر ولا موضع حتى يشكل الكلام إذا قيل لهم فيها دار ، ولو كان النار ينبئ عن مكان أو مقر لا حتجنا إلى ما ذكرنا ، ألا ترى أن الكوفة اسم لمكان وليست النار كذلك ، فذكر الله - تعالى - أن النار جزاءهم ، ثم ذكر أن إقامتهم فيها دائمة فقال : ﴿ هُمْ فِيهَا ﴾ ؛ أي في النار ، ﴿ دَارُ الْخُلْدِ ﴾ ؛ أي دار إقامة لا انتقال منها ، وقوله : ﴿ جَزَاءُ ﴾ ؛ أي للجزاء ، ويجوز أن يكون مصدراً دل على فعله ما ذكر كأنه قيل يجزيهم جزاء بها كانوا بآياتنا يحجدون^(١) .

قال مقاتل : يعني القرآن يحجدون أنه من عند الله وقد عرفوا أن محمداً صادق^(٢) .

٢٩ . قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال مقاتل : في القرآن أي يقولون هذا القول في النار^(٣) ، ﴿ رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ﴾ وجه القراءة في الحرفين قد تقدم ذكره^(٤) .

قوله : ﴿ أَضْلَانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾ قالوا جميعاً هما إبليس من الجن وقاييل قاتل أخيه من الإنس ؛ لأنهما منشأ المعصية^(٥) .

-
- (١) انظر : تفسير ابن عطية ١٤ / ١٨٠ ، والكشاف للزخشري ٣ / ٣٩٠ ، والبحر المحيط ٧ / ٤٩٥ .
 (٢) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٤١ .
 (٣) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٤٢ .
 (٤) ذكر ذلك في سورة النساء : آية ١٦ ﴿ وَالَّذِينَ يَأْتِيْنَهَا مِنْكُمْ ﴾ ، فقرأ ابن كثير ﴿ وَالَّذِينَ ﴾ بتشديد النون ، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمة والكسائي بتخفيف ذلك . انظر : الحجة لأبي علي ٣ / ١٤١ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ١٩٣ ، ٦٣٦ .
 (٥) أخرج ذلك الطبري في تفسيره عن قتادة انظر : ١٢ / ١١٣ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٠ / ٥٢ ب ، ونسبه الماوردي في تفسيره للسدي ، انظر : ٥ / ١٧٨ وذكره البغوي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ٧ / ١٧٢ ، ونسبه ابن الجوزي للمفسرين ، انظر : زاد المسير ٧ / ٢٥٣ . وانظر : التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام للسهيلى ٢٨٥ .

﴿جَعَلَهُمَا نَحْتًا أَعْدَمًا﴾ قال مقاتل : يعني أسفل منا في النار ^(١) .

﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ قال ابن عباس : يريد أشد عذاباً ^(٢) .

قال أبو إسحاق : ليكونا في الدرك الأسفل من النار ^(٣) .

ثم أخبر عن المؤمنين :

٣٠. فقال قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ قال مقاتل : قالوا ربنا الله فعرفوه ، ثم استقاموا على المعرفة فلم يرتدوا عنها ^(٤) ، وقال مجاهد : لم يشركوا به حتى لقوه ^(٥) ، وقال عكرمة عن ابن عباس : استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله ^(٦) ، قال : وسئل ابن عباس : أي آية أرخص في كتاب الله ؟ فقال : هذه الآية ^(٧) .

وقال أبو بكر رضي الله عنه : استقاموا ؛ أي لم يلتفتوا إلى غيره ^(٨) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٤٢ .

(٢) ذكر ذلك الطبري في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٢/ ١١٤ ، وكذلك ذكره الماوردي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ٥/ ١٧٩ ، ونسبه البغوي في تفسيره لابن عباس ، انظر : ٧/ ١٧٢ وكذلك نسبه المؤلف في الوسيط لابن عباس ، انظر : ٤/ ٣٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٨٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٤٢ .

(٥) أخرجه الطبري ١٢/ ١١٥ عن مجاهد ، ونسبه البغوي ٧/ ١٧٢ لمجاهد وعكرمة ، وقال ابن الجوزي ٧/ ٢٤٥ استقاموا على التوحيد ونسبه لأبي بكر ومجاهد .

(٦) أخرج ذلك الطبري ١٢/ ١١٥ عن عكرمة ، ونسبه الثعلبي ١٠/ ٥٣ ألمجاهد وعكرمة ، ونسبه البغوي ٧/ ١٧٢ لمجاهد وعكرمة .

(٧) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره ٦/ ١٧٣ عن ابن عباس ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٣٢٢ بلفظ (أرحب) ، وعزه لعبد بن حميد عن ابن عباس .

(٨) أخرج ذلك الطبري ١٢/ ١١٥ عن أبي بكر ، وتفسير الوسيط ٤/ ٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٥٨ .

وقال ابن عباس : نزلت هذه الآية في أبي بكر ، وذلك أن المشركين قالوا ربنا الله والملائكة بناته وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فلم يستقيموا ، وقالت اليهود : ربنا الله وعزير ابن الله ، ومحمد ليس بنبي فلم يستقيموا .

وقال أبو بكر : ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد ﷺ عبده ورسوله فاستقام^(١) ، وعلى هذا القول الاستقامة على الإيمان ، يدل على صحته ما روى أنس أن النبي ﷺ قال^(٢) في هذه الآية : «قد قالت الناس ثم كفر أكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام»^(٣) .

قال معمر : كان الحسن إذا تلا هذه الآية قال : اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة^(٤) .

وذهب كثير من المفسرين إلى أن الاستقامة على طاعة الله وأداء الفرائض ولزوم السنة^(٥) ، وهو معنى قول عمر وعثمان رضي الله عنهم .

(١) ذكر ذلك المؤلف في أسباب النزول عن عطاء عن ابن عباس ، انظر : أسباب النزول ٣٩٤ ، وكذلك ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٥٤ عن عطاء عن ابن عباس ، وكذلك نسبه القرطبي ١٥/ ٣٥٧ لابن عباس عن عطاء .

(٢) (قال) ساقطة من (ب) .

(٣) أخرج ذلك عن أنس - رضي الله عنه - الترمذي في التفسير باب : ٤٣ ، ومن سورة حم السجدة ٥/ ٣٧٦ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وأخرجه النسائي في تفسيره ٢/ ٢٦١ ، وأشار محققاً التفسير إلى ضعفه ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٦/ ٢١٣ ، وأشار المحقق إلى ضعفه ، انظر : تحفة الأشراف ١/ ١٣٩ حديث رقم ٤٣٣ .

(٤) أخرج ذلك الطبري في تفسيره ١٢/ ١١٥ عن معمر عن قتادة ، انظر : تفسير الحسن ٢/ ٢٦٧ ، ونسبه البغوي ٧/ ١٧٢ للحسن عن قتادة ، وكذلك نسبه القرطبي في الجامع ١٥/ ٣٥٨ للحسن .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٢/ ١١٥ ، والماوردي ٥/ ١٧٩ ، والبغوي ٧/ ١٧٢ ، وزاد المسير ٧/ ٢٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٥٨ .

وقال قتادة والحسن^(١) وابن عباس : استقاموا على ما فرض عليهم^(٢) .

قوله تعالى : ﴿تَتَزَلُّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا﴾ قال ابن عباس : يريد عند الموت^(٣) ، وهو قول مجاهد^(٤) ، وقال قتادة : إذا قاموا من قبورهم^(٥) ، وهو قول مقاتل ، وقال : وهم الحفظة ؛ وذلك أن المؤمن إذا خرج من قبره رأى ملكه قائماً على رأسه ، يقول أنا كنت أرفع عملك لا تخف ولا تحزن ، وأبشر بالجنة التي كنت توعده^(٦) . قال زيد بن أسلم : هذه البشري تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث^(٧) .

وقوله : ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ ؛ أي بأن لا ، فحذف الجار قال ابن عباس : لا تخافوا من الموت ، لا تحزنوا على ما خلقتكم من أهل وولد فأنا خليفتمكم عليهم^(٨) .

-
- (١) انظر : أقوالهم في تفسير الطبري ١٢ / ١١٥ ، وتفسير الثعلبي ١٠ / ٥٢ ، ٥٣ ، وتفسير البغوي ١٢٧ / ٧ ، وزاد المسير ٧ / ٢٥٤ ، والجامع ١٥ / ٣٥٨ .
- (٢) أخرج ذلك الطبري ١٢ / ١١٦ عن ابن عباس ، ونسبه الماوردي ٥ / ١٧٩ لابن عباس والحسن وقتادة ، ونسبه البغوي ٧ / ١٧٢ وابن الجوزي ٧ / ١٧٢ لابن عباس .
- (٣) ذكر ذلك البغوي ٧ / ١٧٣ عن ابن عباس ، ونسبه ابن الجوزي لابن عباس ومجاهد ، انظر : زاد المسير ٧ / ٢٥٤ ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤ / ٣٤ لابن عباس .
- (٤) اخرج ذلك الطبري ١٢ / ١١٦ عن مجاهد ، ونسبه الماوردي ٥ / ١٨٠ لمجاهد وزيد بن أسلم ، ونسبه ابن الجوزي ٧ / ٢٥٤ لابن عباس ومجاهد .
- (٥) ذكر ذلك الماوردي ونسبه لثابت ومقاتل ، ونسبه البغوي في تفسيره لقتادة ومقاتل ، ونسبه ابن الجوزي لقتادة . انظر : المواضع الساقية .
- (٦) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٤٢ .
- (٧) ذكر ذلك السمرقندي في تفسيره ٣ / ١٨٣ عن زيد بن أسلم ، ونسبه الثعلبي ١٠ / ٥٣ ب لوكيع بن الجراح ، ونسبه القرطبي ١٥ / ٣٥٩ لوكيع وابن زيد ، وذكر ذلك الماوردي ٥ / ١٨٠ ولم ينسبه ، ونسبه ابن كثير ٦ / ١٧٤ لزيد بن أسلم .
- (٨) ذكر ذلك ابن كثير ٦ / ١٧٤ ونسبه لمجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم ، وذكره المؤلف في تفسير الوسيط ٤ / ٣٤ ولم ينسبه .

وقال مجاهد : لا تخافوا ما تقدمون عليه ، ولا تحزنوا على ما خلفتم^(١) .

٣١ . قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمُ ۖ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَقُولُونَ نَحْنُ أَعْوَانُكُمْ وَأَنْصَارُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : يريد في حياتكم إلى الممات وفي الآخرة حتى تبعثون إلى أن تصيروا إلى منازلكم في الجنة^(٢) ، وقال الكلبي : نحن الذين كنا معكم في الحياة الدنيا^(٣) .

وقال مجاهد : هم قرناؤهم الذين كانوا معهم^(٤) .

وقال السدي : نحن الحفظة الذين كنا معكم^(٥) .

قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : تتمنون^(٦) . كقوله : ﴿ لَمْ يَكُنْ فِيهَا فَكَيْهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴾ [يس: ٥٧] وقد مر .

-
- (١) أخرج ذلك الطبري : في تفسيره ١١٦/١٢ عن مجاهد ، ونسبه الثعلبي ٥٣/١٠ ب لمجاهد ، ونسب نحوه الماوردي ١٨٠/٥ لمجاهد ، ونسبه البغوي ١٧٣/٧ لمجاهد ، ونسبه ابن الجوزي ٢٥٤/٧ لمجاهد ، ونسبه ابن كثير ١٧٤/٦ لمجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم .
- (٢) ذكره الماوردي ١٨٠/٥ وابن الجوزي ٢٥٥/٧ ، وابن كثير ١٧٤/٦ ولم ينسبه .
- (٣) انظر : تنوير المقباس ٤٨٠ .
- (٤) أخرج ذلك الثعلبي في تفسيره عن مجاهد ، وزاد على ما ذكر المؤلف « في الدنيا فإذا كان يوم القيامة قالوا لن نفارقكم حتى ندخلكم الجنة » انظر : ١٠/٥٤ ب ، وكذلك ذكره القرطبي ٣٥٩/١٥ بنص الثعلبي ونسبه لمجاهد .
- (٥) أخرج ذلك الطبري ١١٧/١٢ عن السدي ، ونسبه الثعلبي ٥٤/١٠ ب ، والماوردي ١٨٠/٥ ، والبغوي ١٧٣/٧ ، والقرطبي ٣٥٩/١٥ للسدي .
- (٦) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ولم ينسبه ، انظر : ١٠/٥٥ أ ، وكذلك ذكره الماوردي ١٨٠/٥ ونسبه لمقاتل ، وذكره البغوي ١٧٣/٧ ولم ينسبه ، وكذلك ذكره القرطبي ١٥٩/١٥ ولم ينسبه ، انظر : تفسير مقاتل ٧٤٢/٣ .

٣٢. قوله تعالى: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ قال الكلبي: رزقاً^(١)، وذكرنا تفسير النزول في آخر سورة آل عمران [آية: ١٩٨]، والكهف [آية: ١٠٧].

قال الأخفش: نزلاً منصوب من جهتين؛ أحدهما: على المصدر على معنى أنزلناه نزلاً، والآخر: على الحال على معنى منزلاً كما تقول: جاء زيد مشياً يعني ماشياً^(٢)، وشرحه أبو علي، فقال: نزلاً يحتمل ضربين؛ أحدهما: أن يكون جمع نازل كقوله:

أو تنزلون فإننا معشر نزل^(٣)

ويكون المعنى: لكم ما تدعون من غفور رحيم نازلين، والثاني: أن يكون نزلاً يراد به القوت الذي يقام للنازل والضيف، ويكون حالاً من قوله: ما تدعون والعامل في الحال معنى الفعل في ﴿لَهُمْ﴾ وذو الحال ﴿مَا﴾؛ أي ثبت لهم ما يدعون نزلاً ومن غفور رحيم صفة للنزل، هذا قول أبي علي، وعلى ما ذكره الأخفش: النزول اسم أقيم مقام الإنزال، ونحو ذلك قال أبو إسحاق معناه وأبشروا بالجنة تنزلونها نزلاً^(٤)، والقول قول أبي علي^(٥).

(١) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ١٥٥، والبغوي ٧/ ١٧٣، والسمرقندي ٣/ ١٨٣ ولم ينسبه، وقال في تنوير المقباس ٤٨٠: ثواباً وطعاماً وشراباً لكم.

(٢) انظر: معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٨٤ بأخصر مما ذكره المؤلف، وقد عزاه له النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٦٠، والزجاج في معاني القرآن ٤/ ٣٨٦.

(٣) هذا عجز بيت للأعشى وصدره قوله:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا

انظر: ديوانه ٤٨، وكتاب الجمل في النحو ١٩٣، والمحتسب ١/ ١٩٥، والكتاب ٣/ ٥١، وشرح المعلقات العشر ١٤٧.

ونزل: جمع نازل. وكانوا ينزلون عن الخيل عند ضيق المعركة فيقاتلون على أقدامهم، وفي ذلك الوقت يتداعون: نزل.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٨٦.

(٥) لم أقف عليه عند أبي علي، انظر: الدر المصون ٦/ ٦٧.

٣٣. وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح وهو رسول الله ﷺ دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله ^(١) ، وهو قول السدي ومقاتل وابن سيرين ^(٢) .

وقال في رواية عطاء هو أبو بكر - رضي الله عنه - دعا إلى الله ، وعمل صالحاً ، وقام لله بحقه وفرائضه ، وأسلم بقلبه ولسانه وحده ^(٣) .

وقال الحسن : هو المؤمن دعا إلى الله وعمل صالحاً ^(٤) .

(١) ذكر ذلك البغوي ١٧٣ / ٧ ، ونسبه لابن سيرين والسدي وابن عباس ، وكذلك نسبه ابن الجوزي لابن عباس والسدي وابن زيد ، انظر : زاد المسير ٢٥٧ / ٧ ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٣٥ / ٤ لابن عباس .

(٢) أخرج ذلك الطبري ١١٨ / ١٢ عن السدي وابن زيد ، ونسبه الثعلبي ١٠ / ١٥٥ لابن سيرين والسدي وابن زيد ومقاتل ، ونسبه الماوردي ١٨١ / ٥ للحسن والسدي ، ونسبه القرطبي ٣٦٠ / ١٥ لابن سيرين والسدي وابن زيد والحسن .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) ذكر ذلك البغوي ١٧٣ / ٧ عن الحسن ، وكذلك نسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٥٧ / ٧ ، والقرطبي ٣٦٠ / ١٥ للحسن .

وقالت عائشة : نزلت في المؤذنين ، وهو قول عكرمة^(١) ، وقال في قوله : ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ صام وصلى^(٢) ، وقال أبو أمامة : صلى ركعتين بين الأذان والإقامة^(٣) .

٣٤ . قوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قال أبو إسحاق : (لا) زائدة مؤكدة المعنى ولا تستوي الحسنة والسيئة^(٤) ، وهذا عام في كل حسنة وسيئة ، يقول الله تعالى : لا يستويان عند الله وعند الناس .

قال عكرمة عن ابن عباس : الحسنة لا إله إلا الله والسيئة الشرك^(٥) ، وعنه أيضاً قال : الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والإساءة^(٦) ، وهذا هو القول

(١) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/٥٥ ونسبه لعكرمة وعائشة ، وكذلك نسبه ابن عطية في تفسيره ١٤/١٨٥ لقيس ابن أبي حازم وعائشة وعكرمة ، وكذلك نسبه البغوي ٧/١٧٣ لعائشة وعكرمة ، ونسبه ابن الجوزي ٧/٢٥٦ لعائشة ومجاهد وعكرمة ، ونسبه ابن كثير في تفسيره ٦/١٧٧ لعائشة وابن عمر وعكرمة ، ثم قال ابن كثير والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم ، فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان مشروعاً بالكلية ؛ لأنها مكية والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة . فالصحيح إذاً أنها عامة .

(٢) ذكر ذلك ابن الجوزي ٧/٢٥٧ ونسبه لعكرمة ، وكذلك نسبه القرطبي ١٥/٣٦٠ وأبو حيان لعكرمة ، انظر : البحر المحيط ٧/٤٩٧ .

(٣) أخرج ذلك الطبري ١٢/١١٨ ، ونسبه الثعلبي لأبي أمامة ١٠/٥٥ ، وأيضاً نسبه له البغوي في تفسيره ٧/١٧٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/٢٥٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/٣٨٦ .

(٥) ذكر ذلك الماوردي في تفسيره ٥/١٨٢ ، وابن الجوزي ٧/٢٥٧ ، والقرطبي في الجامع ١٥/٣٦١ عن ابن عباس .

(٦) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/٥٥٥ ، والبغوي ٧/١٧٤ عن ابن عباس ، وقد أورد بعض المفسرين هذا منسوباً للضحاك وغيره ، انظر : تفسير الماوردي ٥/١٨٢ ، وزاد المسير ٧/٢٥٨ ، والبحر المحيط ٧/٤٩٨ .

لدلالة ما بعده عليه ، وهو قوله : ﴿ اَدْفَعْ بِاَلَّتِي هِيَ اَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ﴾ معناه ادفع السيئة بالتي هي أحسن كدفع الغضب بالصبر والإساءة بالعفو .

قوله : ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ ﴾ فإذا فعلت ذلك ودفعت السيئة بالتي هي أحسن السلام إذا لقي من يعاديه سلم عليه ليلين له ^(١) ، قال الكلبي ومقاتل : نزلت في أبي جهل وهو الذي بينه وبين النبي ﷺ عداوة ، فأمر النبي ﷺ أن يقابل ما يلقي منه من المكروه بالعفو والصفح ^(٢) .

وقال مقاتل بن حيان : هو أبو سفيان ابن حرب ، وهذا أولى ؛ لأنه لان للمسلمين بعد عداوته بالمصاهرة التي وقعت بينه وبين النبي ﷺ ، ثم أسلم وصار ولياً في الإسلام حميماً بالقرابة ^(٣) ، وأبوجهل - لعنه الله - لم يصبر بهذه الصفة حتى قتل كافراً ، وقال السدي : هذا قبل القتال ^(٤) .

٣٥ . قوله : ﴿ وَمَا يُلْقُهَا ﴾ الآية قال الفراء : ما يلقي دفع السيئة بالحسنة إلا من هو صابر أو ذو حظ عظيم ، فأنثها لتأنيث الكلمة ولو أراد الكلام فذكر كان صواباً ^(٥) .

وقال أبو إسحاق : وما يلقي هذه الفعلة إلا الذين صبروا ؛ أي على كظم ^(٦) ، والقول ما قال أبو إسحاق ، وليس للكلمة هاهنا معنى ؛ لأنه ليس المراد أن تؤتى

(١) قال ذلك عطاء انظر : تفسير الوسيط ٣٦ / ٤ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٤٨٠ ، وذكر ذلك الماوردي في تفسيره ١٨٢ / ٥ ، والقرطبي في الجامع ٣٦٢ / ١٥ . انظر : تفسير مقاتل ٧٤٣ / ٣ .

(٣) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ١٠ / ٥٥ ، والبغوي ٧ / ٣٦٢ ، والقرطبي ١٥ / ٣٦٢ وقال : وهو أظهر من الأول ، انظر : تفسير الوسيط ٣٦ / ٤ .

(٤) ذكر ذلك القرطبي ولم ينسبه .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ١٨ / ٣ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٨٦ ، ونصها : «أي إلا الذين يكظمون الغيظ» .

وتلقى هذه الكلمة ، وإنما المراد أن تلقى هذه الحالة وهي الفعلية وهي دفع السيئة بالحسنة ، قال مقاتل : [لا يؤتيها^(١)] .

قوله تعالى : ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ قال قتادة ومقاتل : الحظ العظيم الجنة^(٢) ؛ أي ما يلقاها إلا من وجبت له الجنة ، ويجوز أن يكون المراد : ذو حظ في الثواب والخير^(٣) .

٣٦ . ثم أمره أن يستعيز بالله إن صرفه الشيطان عن الاحتمال بقوله : ﴿وَلِمَا يَنْزَغُكَ﴾ الآية مفسرة في آخر سورة الأعراف [آية : ٢٠٠] .

٣٧ . ثم ذكر علامات توحيده ، فقال : ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ الآية ، قوله تعالى : ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ الكناية [تعود]^(٤) إلى الآيات .

٣٨ . قوله تعالى : ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا﴾ قال ابن عباس : يريد عن عبادتي في السجود^(٥) ، ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة كقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ في آخر سورة الأعراف [آية : ٢٠٦] .

قوله تعالى : ﴿لَا يَسْمُونَ﴾ أي لا يملون ولا يفترون .

٣٩ . قوله تعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ قال ابن عباس : مقشعرة ، قال قتادة : غبراء متهشمة^(٦) .

(١) كذا في (أ) و(ب) وفي تفسير مقاتل : (لا يؤتاها) انظر : ٧٤٣ / ٣ .

(٢) أخرج ذلك الطبري ١٢ / ١٢٠ عن قتادة ، ونسبه البغوي ٧ / ١٧٥ ، وابن الجوزي ٧ / ٢٥٨ لقتادة ، ونسبه القرطبي ١٥ / ٣٦٣ لقتادة ومجاهد ، انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٤٣ .

(٣) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ١٠ / ٥٥ ب ، والبغوي في تفسيره ٧ / ١٧٥ .

(٤) لفظ (تعود) ساقطة من (ب) .

(٥) ذكر ذلك ولم ينسبه : الثعلبي ١٠ / ٥٥ ب ، والبغوي ٧ / ١٧٥ ، والقرطبي ١٥ / ٣٦٤ .

(٦) أخرج ذلك الطبري ١٢ / ١٢٢ عن قتادة ، ونسبه ابن الجوزي ٧ / ٢٦٠ لقتادة .

قال الأزهري : وإذا يبست الأرض ولم تمطر قيل قد خشعت ، وسمعت العرب تقول : رأينا أرض بني فلان خاشعة هامة ما فيها خضراء^(١) .

قوله تعالى : ﴿ أَهْزَّتْ ﴾ ؛ أي تحركت بالنبات ﴿ وَرَبَّتْ ﴾ عظمت وارتفعت ؛ لأن النبات إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض ، وهي أنها تنتفخ ثم [تصعد^(٢)] عن النبات ، قاله الفراء والزجاج : ربت زاد ريعها ، وهو قول مقاتل^(٣) : [أضعفت^(٤)] النبات ، وهذا مفسر في سورة الحج [آية ٥] .

٤٠ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا ﴾ قال ابن عباس : يريد بالملحد المعاند عن الإيمان المستحل لما حرم الله^(٥) ، وذكرنا تفسيره في سورة النحل [آية ١٠٣] ، قال مجاهد : يلحدون في آياتنا بالمكاء واللغظ^(٦) .

وقال مقاتل : يميلون عن الإيمان بالقرآن^(٧) .

قوله تعالى : ﴿ أَفَنَ يُلْقَى فِي النَّارِ ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : يعني أبا جهل^(٨) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (خشع) ١٥٢ / ١ .

(٢) كذا في (أ) و(ب) وفي معاني الفراء (تصدع) ١٨ / ٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٨٨ / ٤ وقال الأزهري

في تهذيب اللغة (صعد) ٤ / ٢ قال الليث : الصدع نبات الأرض ؛ لأنه يصدع الأرض فتصدع به .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ١٨ / ٣ ، وتفسير مقاتل ٧٤٤ / ٣ بلفظ : وأضعفت النبات .

(٤) في (ب) : (ضعفت) .

(٥) قال القرطبي ٣٦٦ / ١٥ قال ابن عباس : هو تبديل الكلام ووضع في غير موضعه .

(٦) أخرج ذلك الطبري ١٢ / ١٢٣ عن مجاهد ، ونسبه لمجاهد : الثعلبي ١٠ / ٥٦ ، أ ، والماوردي ١٨٤ / ٥ والبغوي ٧ / ١٧٥ ، وابن الجوزي ٧ / ٢٦١ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٧٤٤ / ٣ .

(٨) انظر : تنوير المقباس ٤٨١ ، وتفسير مقاتل ٧٤٤ / ٣ ، ونسبه الثعلبي ١٠ / ٥٦ لمقاتل ، ونسبه الماوردي

١٨٥ / ٥ للكلبي ، ونسبه البغوي ٧ / ١٧٦ لمقاتل ، ونسبه ابن الجوزي ٧ / ٢٦١ لابن عباس وعكرمة ومقاتل .

قوله تعالى : ﴿أَمْ مِّن يَّاتِيَةٍ ءَامِنَةٍ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : يعني حمزة^(١) ، وقال مقاتل : يعني النبي ﷺ^(٢) ، وقال الكلبي : هم المؤمنون^(٣) .

قوله تعالى : ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ قال ابن عباس^(٤) وجميع المفسرين : هذا تهديد لهم ووعيد^(٥) .

قال أبو إسحاق : هذا لفظ الأمر ، ومعناه الوعيد والتهديد^(٦) ، وقد بين لهم المجازاة عند الخير والشر .

٤١ . قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾^(٧) يعني القرآن ، قال المفسرون : يعني أبا جهل وأصحابه لما جاءهم حين جاءهم^(٨) ، ثم أخذ في وصف الذكر وترك جواب الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم أو ما أشبه هذا من التقدير ، والثاني : أن جوابه قوله : ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ قال الفراء : الوجه الأول أقرب الوجهين ، وأشبه بما جاء في القرآن^(٩) ، واختار صاحب النظم الوجه الثاني ، وقال قوله تعالى :

(١) ذكر ذلك البغوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ٣٦٦ / ١٥ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٥٠٠ / ٧ ، ولم ينسبه ، ولم أقف عليه في تفسير مقاتل ، ولم أجد من المفسرين من نسبه إليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٤٤ / ٣ .

(٣) ذكر ذلك القرطبي في الجامع ٣٦٦ / ١٠ ولم ينسبه .

(٤) لفظ (ابن عباس) ساقطة من (ب) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٢ / ١٢٤ ، وتفسير الثعلبي ١٠ / ٥٦ ، وتفسير الماوردي ٥ / ١٨٥ تفسير البغوي ٧ / ١٧٦ ، ولم أقف على نسبه لابن عباس .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٨٨ .

(٧) بالذكر) ساقطة من (ب) .

(٨) ذكره في تنوير المباس ٤٨١ بهذا اللفظ ، وقال أبو حيان : «هم قريش ومن تابعهم من الكفار غيرهم» . انظر : البحر المحيط ٥٠٠ / ٧ .

(٩) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ١٩ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقتضي جواباً ولم يجئ به ، ومر في وصف الذكر إلى قوله : ﴿حَكِيمٌ حَمِيدٌ﴾ .

ثم أخذ في وصف آخر فقال : ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ﴾ إلى قوله : ﴿عِقَابٌ أَلِيمٌ﴾ ، ثم رجع إلى الذكر ، فقال : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ إلى أن قال : ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾^(١) فهو جواب لقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ .

﴿وَإِنَّهُ لَكَنْتُبٌ عَزِيزٌ﴾ قال الكلبي : كريم على ربه^(٢) ، قال مقاتل : منيع من الباطل فلا يستذل ؛ لأنه كلام الله^(٣) ، وقال قتادة : أعزه الله فلا يجد الباطل إليه سبيلاً^(٤) .

(١) ذكر ذلك النحاس في إعراب القرآن ٤ / ٦٤ ، وأيضاً ذكره مكّي في مشكل إعراب القرآن ٢ / ٢٧٣ ، وقد استبعد السمين الحلبي في الدر المصون ٦ / ٦٨ هذا من وجهين ؛ أحدهما : كثرة الفواصل ، والثاني : تقدم من يصح الإشارة إليه بقوله ﴿أُولَئِكَ﴾ ، وهو قوله ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ واسم الإشارة يعود على أقرب مذكور ، ثم ذكر في تقديره خمسة أوجه غير هذا : أحدها : أنه محذوف لفهم المعنى وقدر : معذبون أو مهلكون أو معاندون . الثاني : ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ الثانية بدل من ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ الأولى ، والمحكوم به على البدل محكوم به على المبدل منه ، فيلزم أن يكون الخبر ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ . الثالث : أن الخبر قوله ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ﴾ والعائد محذوف تقديره لا يأتيه الباطل منهم . الرابع : أن الخبر قوله ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ والعائد محذوف أيضاً تقديره : ما يقال لك في شأنهم . الخامس : ذهب إليه بعض الكوفيين أنه قوله ﴿وَإِنَّهُ لَكَنْتُبٌ عَزِيزٌ﴾ ، وهذا غير مُتَعَقِّل ، والجملة من قوله ﴿وَإِنَّهُ لَكَنْتُبٌ﴾ حالية و﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ﴾ صفة لكتاب ، و﴿نَزِيلٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أو صفة لكتاب . . .

وذهب ابن عطية ١٤ / ١٩١ إلى أن الخبر مقدر لكن بعد قوله : ﴿حَكِيمٌ حَمِيدٌ﴾ .

(٢) ذكر ذلك الثعلبي : في تفسيره ونسبه لابن عباس ، انظر : ١٠ / ١٥٦ ، ونسبه البغوي ٧ / ١٧٦ للكلبي عن ابن عباس ، ونسبه ابن الجوزي ٧ / ٢٦٢ للكلبي ، انظر : تنوير المقباس ٤٨١ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٤٤ .

(٤) أخرج ذلك الطبري في تفسيره ١٢ / ١٢٤ ، وذكر نحوه البغوي ٧ / ١٧٦ ونسبه لقتادة والسدي ، وكذلك القرطبي ١٥ / ٣٦٧ ذكر نحوه ونسبه لقتادة والسدي .

٤٢. وهذا معنى قوله : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ قال الكلبي : لا تكذبه التوراة والإنجيل والזبور ، ولا يجيء كتاب من بعده يكذبه^(١) .

وقال مقاتل : لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ، ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله^(٢) ، فالباطل على هذا التفسير معناه الكذب .

وقال قتادة : لا يستطيع الشيطان أن يبطل فيه حقاً ، ولا يحق فيه باطلاً ، والباطل على هذا الشيطان ، وهو قول السدي : لا يستطيع أن يغير أو يزيد أو ينقص^(٣) ، ونحو هذا قال مجاهد : لا يدخل فيه الشيطان ما ليس فيه ولا أحد من الكفرة^(٤) ، واختار الزجاج هذا القول ، فقال : معناه أنه المحفوظ من أن ينقص فيه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزداد فيه فيأتيه الباطل من خلفه ، قال : والدليل على هذا قوله : ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٥) [الحجر: ٩] ، والباطل على هذا الزيادة والنقصان وهو قول ثالث .

قوله تعالى : ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾ في خلقه . (حميد) إليهم .

(١) انظر : تنوير المقياس ٤٨١ ، ونسبه الثعلبي ١٠/٥٦-ب ، والقرطبي ١٥/٣٦٧ للكلبي .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/٧٤٥ .

(٣) أخرج ذلك الطبري ١٢/١٢٥ عن قتادة والسدي ، ونسبه البغوي ٧/١٧٦ والقرطبي ١٥/٣٦٧ لقتادة والسدي ، ونسبه ابن الجوزي ٧/٢٦٢ لقتادة .

(٤) ذكر ذلك ابن الجوزي عن مجاهد ، انظر : زاد المسير ٧/٢٦٢ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/٣٨٨ .

٤٣. ثم عزى نبيه على تكذيبهم ، فقال قوله تعالى : ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ قال قتادة : يعزیه يقول قد قيل للأنبياء قبلك ساحر وشبه ذلك^(١) .

قال مقاتل : ما يقال لك من التكذيب بالعذاب أنه ليس بنازل إلا ما قد قيل للرسول من قبلك من التكذيب بالعذاب^(٢) .

والمعنى إن كذبك قومك فقد كذبت رسل من قبلك ، وقيل لهم كما يقول الكفار لك هذا قول المفسرين في هذه الآية^(٣) .

وذكر أصحاب المعاني قولين آخرين ؛ أحدهما : ما يقال لك من الدعاء إلى الحق وعبادة الله إلا ما قد قيل للرسول من قبلك ، والثاني : أن الذي يقال له ما ذكر بعده من قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، فيكون على جهة الوعد والوعيد^(٤) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ لمن آمن بك ﴿ وَذُو عِقَابٍ ﴾ لمن كذبك .

٤٤. قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا مَجْمُوعًا ﴾ ذكرنا تفسير هذا عند قوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣] ، وذكرنا تفسير الأعجمي عند قوله :

(١) أخرج ذلك الطبري ١٢/١٢٦ عن قتادة ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٣٦٢ للحسن وفتادة والجمهور ، ونسبه أبو حيان في البحر ٧/٥٠١ لقتادة .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/٧٤٥ ونص العبارة : « ما يقال لك من التكذيب بالقرآن أنه ليس بنازل عليك إلا ما قد قيل للرسول من قبلك من قومهم من التكذيب لهم أنه ليس بالعذاب بنازل بهم ؛ يعزى نبيه ﷺ ليصبر على الأذى والتكذيب » .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٢/١٢٦ ، وتفسير الماوردي ٥/١٨٦ ، وتفسير ابن عطية ١٤/١٩٢ تفسير البغوي ٧/١٧٦ ، وزاد المسير ٧/٢٦٣ .

(٤) ورد ذلك في تنوير المباس ٤٨١ ، وتفسير الماوردي ٥/١٨٦ ، وتفسير ابن عطية ١٤/١٩٢ ، وزاد المسير ٧/٢٦٣ ، والجميع ذكروا القول الثاني ، أما القول الأول ؛ فقد ذكره القرطبي في الجامع ١٥/٣٦٧ ، والشوكاني في فتح القدير ٤/٥١٩ ، والألوسي في روح المعاني ٢٤/١٢٩ .

﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ [النحل: ١٠٣]، والمعنى : لو جعلنا هذا الكتاب الذي تقرأه على الناس يعني لغة العرب ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ ، وقال مقاتل بن سليمان : يعني هلا بينت آياته بالعربية حتى نفقهه ونعلم ما يقول محمد^(١) .

قال ابن قتيبة : وكان التفصيل للسان العرب ﴿أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أقرآن أعجمي ونبي عربي ، وكان ذلك أشد لتكذيبهم^(٢) ، قاله قتادة^(٣) [والمفسرون]^(٤) وهو استفهام على وجه الإنكار ، والمعنى : المنزل عليه عربي والمنزل أعجمي .

قال أبو علي : الأعجمي مثل العجمي ومن ثم قوبل به العربي في قوله : ﴿أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ ، ويرتفع كل واحد منهما على أنه خبر مبتدأ محذوف ، وهذه الآية في المعنى كقوله : ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ ﴿١٨٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨، ١٩٩]^(٥) .

قال أبو إسحاق : والأعجمي منسوب إلى اللسان الأعجم^(٦) .

قال الله تعالى : ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هُوَ﴾ ؛ أي القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِفَاءٌ﴾ من الهلكة والأوجاع ، وقال مقاتل : شفاء لما في القلوب

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٤٦ .

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩٠ .

(٣) لم أقف على نسبه لقتادة . انظر : تفسير الطبري ١٢/ ١٢٦ ، وتفسير الثعلبي ١٠/ ٥٦ ب ، وتفسير البغوي ٧/ ١٧٧ ، وزاد المسير ٧/ ٢٦٣ .

(٤) في (أ) : (المسلمون) وهو تصحيف .

(٥) انظر : الحجة لأبي علي ٦/ ١٢٢ .

(٦) انظر : معاني القرآن للرجاج ٤/ ٣٨٩ .

للذي فيه من البيان^(١)، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ قال ابن عباس : يريد صمم من الاستماع للقرآن^(٢).

قال صاحب النظم : هذا يحتمل وجهين ؛ أحدهما : أن يكون منقطعاً مما قبله ومبتدأ ، ويكون خبر المبتدأ في قوله : ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ ، والوجه الآخر : أن يكون منتظماً بما قبله على تأويل : قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون وقر في آذانهم^(٣).

قوله تعالى : ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ قال ابن عباس : القرآن عليهم عمى أعمى الله قلوبهم فلا يفقهون^(٤).

وقال مقاتل : عموا عن القرآن فلا يبصرونه ولا يفقهونه^(٥).

وقال قتادة : عموا عن القرآن وصموا عنه^(٦).

وقال السدي : عميت قلوبهم عنه^(٧).

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٤٦.

(٢) انظر : تنوير المقباس ٤٨١ ، وذكره الماوردي ٥/ ١٨٧ ولم ينسبه ، وكذلك ذكره القرطبي ١٥/ ٣٦٩ ولم ينسبه .

(٣) ذكر ذلك السمين الحلبي في الدر المصون ٦/ ٧٠ .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد أخرج الطبري ١٢/ ١٢٨ نحوه عن قتادة والسدي .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٤٦ .

(٦) أخرج ذلك الطبري ١٢/ ١٢٨ عن قتادة ، ونسبه الماوردي ٥/ ١٨٧ ، والبغوي ٧/ ١٧٧ ، وابن الجوزي ٧/ ٣٦٢ لقتادة .

(٧) أخرج ذلك الطبري ١٢/ ١٢٨ عن السدي ، ونسبه في الوسيط ٤/ ٣٨ للسدي .

والمعنى : وهو عليهم ذو عمى فحذف المضاف يدل على هذا قراءة ابن عباس : وهو عليهم [عمى]^(١) على النعت^(٢) ، وقرأت العامة على المصدر ، قال أبو عبيدة : وهو الوجه لقوله : ﴿هُدًى وَشَفَاءٌ﴾ وكذلك عمى هو مصدر مثلها ، ولو كان هاد وشاف لكان الكسر في عم أجود فيكون نعتاً مثلها^(٣) .

قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ قال ابن عباس : يريد مثل البهيمة التي لا تفهم إلا دعاء ونداء^(٤) .

وقال مجاهد : بعيد من قلوبهم^(٥) يبعد عنهم ما يتلى عليهم ، وقال الفرّاء : تقول للرجل الذي لا تفهم كلامه : أنت تنادي من مكان بعيد . قال : وجاء في التفسير كأنها ينادون من السماء فلا يسمعون^(٦) .

وقال صاحب النظم : أي إنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم^(٧) .

٤٥ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ هذا تعزية للنبي ﷺ يقول آتيناك الكتاب ، فكذب به قومك وصدق بعضهم^(٨) ، آتيناه موسى

(١) كذا في (أ) و(ب) ولعل الصواب (عم) .

(٢) ذكر ذلك الطبري ١٢/١٢٨ ، والثعلبي ١٠/٥٧ ، والفرّاء في معاني القرآن ٣/٢٠ ، والنحاس في إعراب القرآن ٤/٦٥ ، والقرطبي في الجامع ١٥/٣٦٩ .

(٣) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/٥٧ عن أبي عبيدة ، وكذلك ذكره القرطبي في الجامع ١٥/٣٦٩ عن أبي عبيدة ، ولم أقف عليه عند أبي عبيدة .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) أخرج ذلك الطبري ١٢/١٢٨ عن مجاهد ، ونسبه الماوردي في تفسيره ٥/١٨٧ ، والقرطبي في الجامع ١٥/٣٧٠ لعلي ومجاهد .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/٢٠ .

(٧) ذكر هذا المعنى البغوي ٧/١٧٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/٢٦٣ .

(٨) كذا رسمها في (أ) و(ب) ، والأوضح أن يكون المعنى (كما) .

الكتاب فمن مكذب به ومصدق ، وهو قوله : ﴿ فَاحْتُلِفَ فِيهِ ﴾ ، ثم أعاد الكلام إلى مكذبي هذه الأمة ، فقال : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ يعني في تأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى يريد يوم القيامة كما قال : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ [القمر : ٤٦] .

قوله تعالى : ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ يعني المصدق والمكذب بالعذاب الواقع بمن كذب ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ ﴾ من صدقك وكتابك ﴿ مُرِيبٍ ﴾ ، وقال الكلبي في هذه الآية : لولا أن الله تعالى أخر هذه الأمة إلى يوم القيامة ، لأتاهم العذاب كما فعل بغيرهم من الأمم ^(١) .

٤٧ . قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا ﴾ إخبار أن علم القيامة متى تقوم عند الله لا يعلمه غيره ، قال مقاتل : إن اليهود سألو النبي ﷺ وقالوا : أخبرنا عن الساعة إن كنت نبياً عرفتها ، فقال : لا أعلمها إلى الله أرد علمها ، فأنزل الله هذه الآية ^(٢) ، والمعنى لا يعلم وقت الساعة إلا هو فعلمه إذا سئل مردود إليه .

﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا ﴾ قال أبو عبيدة : أوعيتها ، وهي ما كانت فيه الثمرة واحدها كم وكمه ^(٣) .

وقال المبرّد : أي من أغطيتها والواحد كم ، ومن قال في الجمع أكمة قال في الواحد كِمَامٌ ؛ مثل عنان وأعنة وزمام وأزمة ^(٤) ، وقرئ ثمرة وثمرات والإفراد يدل على الكثرة فيستغنى به عن الجمع ، ويقوي ذلك قوله : ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى ﴾

(١) انظر : تنوير المقباس ٤٨١ ، وذكر هذا المعنى الطبري ١٢/١٢٩ ، والثعلبي ١٠/٥٧ ب ، والبغوي

١٧٧/٧ ولم ينسبه ، ونسبه القرطبي ١٥/٣٧٠ للكلبي .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/٧٤٧ ، وذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٢٦٤ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢/١٩٨ .

(٤) انظر : الكامل للمبرّد ٣/٣٧ ، ونسبه النحاس في إعراب القرآن ٤/٦٦ للمبرّد .

[فاطر: ١١] ، فكما أفرد أنثى وأريد به الجمع كذلك ينبغي أن يكون ثمرة مفرداً ، ومن جمع قال المعنى على الجمع ، ألا ترى أنه لا يراد ثمرة دون ثمرة ، وإذا كان كذلك كان الجمع حسناً وإن كان الأفراد يدل عليه^(١) .

وقوله : ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ ؛ أي ينادي الله المشركين : أين شركائي .

قال الزَّجَّاج : أي في قولكم وزعمكم والله واحد لا شريك له ، وقد بين ذلك في قوله : (أين شركائي الذين كنتم تزعمون * قالوا آذناك)^(٢) قال ابن عباس ومقاتل : أجبناك ، كقوله : ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق ٢:] يعني سمعت^(٣) .

قال الكلبي : أعلمناك^(٤) وهو قول الفرَّاء والزَّجَّاج^(٥) .

﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ شاهد بأن لك شريكاً ؛ يتبرأون يومئذ من أن يكون مع الله شريك ، وهذا من كلام المشركين وجوابهم في قول عطاء ومقاتل^(٦) ، وقال

(١) انظر : السبعة ٥٧٧ ، والحجة ١١٨ / ٦ ، وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ﴿مِن ثَمَرَةٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ ، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم : (ثَمَرَةٌ) واحدة .

(٢) كذا لفظها في (أ) و(ب) ، وهذا خطأ ، فإن نص الآية عند الزَّجَّاج ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا آذَنْتَكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ آية ٤٧ . انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٩١ / ٤ .

(٣) ذكر ذلك ابن عطية في تفسيره ١٩٦ / ١٤ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٥٠٤ / ٧ عن ابن عباس ، انظر : تفسير مقاتل ٤٤٧ / ٣ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٤٨٢ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢٠ / ٣ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣٩١ / ٤ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١ / ١٣ ، وتفسير البغوي ١٧٨ / ٧ ، وزاد المسير ٢٦٥ / ٧ ، وتفسير مقاتل ٤٤٧ / ٣ .

الكلبي : هذا من قول الشركاء التي يعبدونها في الدنيا قالوا أعلمناك ما منا من شهيد بما قالوا^(١) ، وهذا القول اختيار الفرّاء وابن قتيبة^(٢) .

٤٨ . ثم أخبر أنه لا ينفعهم ما كانوا يعبدون من دون الله بقوله : ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ ﴾ ؛ أي قال : وبطل في الآخرة ما كانوا يعبدون في الدنيا ﴿ وَظَنُّوا ﴾ ؛ أي علموا وأيقنوا ، قاله مقاتل^(٣) ، ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيجٍ ﴾ يعني فرار عن النار .

٤٩ . قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمُؤُاْ لِإِنْسَنُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾ قال مقاتل : [يقول لأهل الكفر]^(٤) .

قال عطاء عن ابن عباس : يريد الوليد بن المغيرة^(٥) ﴿ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾ قالوا : لا يزال يسأل ربه الخير والعافية والغنى ، والمصدر هاهنا مضاف إلى المفعول ، يدل على ذلك قول عبدالله من دعا بالخير^(٦) ﴿ وَلَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ قالوا : الفقر والبلاء

(١) انظر : تنوير المقباس ٤٨٢ ، وتفسير الثعلبي ٥٧/١٠ ب ، وزاد المسير ٢٦٥/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٧١/١٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢٠/٣ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩٠ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٤٤٧/٣ .

(٤) كذا في (أ) و(ب) ، وفي تفسير مقاتل ٤٤٨/٣ (يقول لا يمل الكافر) .

(٥) ذكر ذلك ابن عطية في تفسيره ١٩٧/١٤ ولم ينسبه ، والقرطبي في الجامع ٣٧٢/١٥ ، وأبوحيان في البحر المحيط ٥٠٤/٧ .

(٦) عبدالله بن مسعود ، انظر : تفسير الثعلبي ٥٨/١٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢٨٤/٦ ، وتفسير ابن عطية ١٩٧/١٤ ، والبحر المحيط ٥٠٤/٧ ، وهذه ليست من القراءات السبع .

والشدة^(١)، ﴿فَيَتَوَسَّطُ قَنُوطٌ﴾ شديد اليأس والقنوط من روح الله، قال أبو إسحاق: المعنى [لا يمل]^(٢) الخير الذي يصيبه وإذا اختبر بشيء يئس وقنط^(٣).

٥٠. قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾ يقول ولئن آتيناه خيراً وعافية وغنى وصحة ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ قال ابن عباس: يريد من عندي^(٤)، وقال مقاتل: يعني أنا أحق بهذا^(٥)، وقال مجاهد: هذا بعلمي وأنا محقوق^(٦) به، قال الزَّجَّاج: هذا واجب بعلمي استحققت^(٧)، وكل هذا من خلاق الكافر حب المال والغنى غير سائم حتى إذا مسه الشر صار إلى حال القانط ووجم وجوم الآيس، وإذا عاد إليه المال نسي أن الله هو المتفضل عليه بما أعطاه فيطر، ويظن أنه المستحق لذلك ثم يشك في البعث، فيقول: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾، ثم يتوهم أن له مع كفره في الآخرة منزلة، فيقول: ﴿وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾ يقول إني لست على يقين من البعث وقيام الساعة، فإن كان الأمر على ذلك ورددت إلى ربي ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ قال ابن عباس: كما أعطاني في

(١) انظر: تفسير مقاتل ٤٤٨/٣، وتفسير الطبري ٢/١٣، وتفسير البغوي ١٧٨/٧، وزاد المسير ٢٦٦/٧، والجامع لأحكام القرآن ٣٧٢/١٥.

(٢) في (أ) و(ب): (لأهل) وهو تصحيف، والصحيح كما في معاني الزَّجَّاج (لا يمل).

(٣) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٩١/٤.

(٤) ذكر ذلك القرطبي في الجامع عن ابن عباس، انظر: ٣٧٣/١٥.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٤٤٨/٣.

(٦) أخرج ذلك الطبري عن مجاهد، انظر: تفسيره ٣/١٣، ونسبه النحاس في معاني القرآن ٢٨٤/٦.

لمجاهد، انظر: تفسير مجاهد ٥٨٧.

(٧) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٩١/٤.

الدنيا سيعطيني في الآخرة لكرامتي عليه^(١)، وقال مقاتل: يعني الجنة كما أعطاني في الدنيا^(٢).

قال الله تعالى: ﴿فَلْتَنَبِّئِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ قال ابن عباس: [لنفقهنهم]^(٣) يوم القيامة على مساوئ أعمالهم.

٥١. قوله: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَّ بَجَانِبِهِ﴾ مفسرة في سورة بني إسرائيل [آية: ٨٣]، وقوله: ﴿فَذُودُ عَكَاءٍ عَرِيضٍ﴾ قال مقاتل: كثير^(٤).

قال الفرء وأبو إسحاق: معنى عريض هاهنا كثير، وكذلك إن وصفته بالطول كان معناه كثيراً^(٥)، والمعنى: أنه يسأل ربه أن يكشف ما به؛ لا يمل من الدعاء في الشدة، ويعرض عن الدعاء في الرخاء.

وقال بعض أهل المعاني: إنما خص العرض لأنه أبلغ إذ العرض يدل على الطول ولا يدل الطول على العرض؛ إذ قد يصح طويل ولا عرض له، ولا يصح عريض لا طول له؛ لأن العرض الانبساط في خلاف جهة الطول الامتداد في أي جهة كان^(٦).

(١) ذكر هذا المعنى المؤلف في الوسيط ولم ينسبه، انظر: ٤٠ / ٤.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ٤٤٨ / ٣.

(٣) كذا في (أ) و(ب)، وكذلك في تفسير البغوي ١٧٨ / ٧ عن ابن عباس، وفي تفسير الوسيط: ٤٠ / ٤ (لَنَفَقْنَهُمْ) ولعله أصوب، وقال الألوسي في روح المعاني ٤ / ٢٥: لتعلمنهم بحقيقة أعمالهم ولنبرنهم بعكس ما اعتقدوا فيها، فيظهر لهم أنهم مستحقون للإهانة لا الكرامة كما توهموا.

(٤) كذا في (أ) و(ب) وفي تفسير مقاتل (كبير) ٤٤٨ / ٣.

(٥) انظر: معاني القرآن للفرء ٢٠ / ٣، ومعاني القرآن للزجاج ٣٩١ / ٤.

(٦) انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرمانى ١٠٤٦ / ٢، وتفسير ابن عطية ١٩٩ / ١٤، وروح المعاني ٥ / ٢٥.

٥٢. ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ ، وذلك أنهم قالوا ما هذا القرآن إلا شيء تبدعه من تلقاء نفسك ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ ؛ أي فلا أحد أضل ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ وهو أنتم ؛ أي فلا أحد أضل منكم .

٥٣. قوله تعالى : ﴿سَرُّيَهُمْ ءَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ واحد الأفاف أفق وهو الناحية من نواحي الأرض ، وكذلك أفاف السماء أطرافها ونواحيها ، قال مجاهد في الأفاف : ما يفتح من القرى ، وفي أنفسهم فتح مكة^(١) ، وهذا قول السدي والحسن ، قالوا : هي ظهور محمد في الأفاف وعلى مكة^(٢) ، واختاره ابن قتيبة^(٣) .

وقال مقاتل : سنريهم آيات عذابنا في البلاد إذا مروا بها ، وفي أنفسهم يعني القتل ببدر^(٤) .

وهو قول ابن عباس في رواية عطاء وقتادة^(٥) .

-
- (١) ذكر ذلك النحاس في معاني القرآن ٢٨٦/٦ عن مجاهد ، ونسبه البغوي ١٧٩/٧ لمجاهد والحسن والسدي ، ونسبه الثعلبي ٥٨/١٠ ب للمنهال والسدي ، وذكره الفخر الرازي ١٣٩/٢٧ ولم ينسبه .
 (٢) أخرج ذلك الطبري ٥/١٣ عن السدي ، ونسبه الثعلبي للمنهال والسدي ، انظر : ٥٨/١٠ ب ، ونسبه ابن الجوزي ٢٦٧/٧ للحسن ومجاهد والسدي ، ونسبه القرطبي ٣٧٤/١٥ للمنهال والسدي .
 (٣) انظر : تفسير غريب القرآن ٣٩٠ .
 (٤) انظر : تفسير مقاتل ٤٤٨/٣ ، ٤٤٩ .
 (٥) لم أقف على نسبه لابن عباس ، وقد نسبه الثعلبي ٥٨/١٠ ب ، والبغوي ١٧٩/٧ ، وابن الجوزي ١٦٧/٧ وقتادة .

وقال ابن زيد : آياتنا في الآفاق الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والبحار ، وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ، وسبيل الغائط والبول واختلاف مجاريهما مع اتفاق موضع الأكل والشرب^(١) .

وقال أبو إسحاق : وفي أنفسهم من أنهم كانوا نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظماً ثم كُسيت لحماً ، ثم نقلوا إلى التمييز والعقل^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ قال مقاتل : أن القرآن من الله^(٣) ، وقال ابن عباس : أن الذي جئت به هو الحق^(٤) .

والاختيار قول مجاهد يقول : تفتح القرى ومكة على محمد حتى يعرفوا أن الذي أتى به من القرآن هو من عند الله ؛ لأنهم بذلك يعرفون أنه مؤيد من قبل الله بعدما كان واحداً لا ناصر له ، وإنما كان الاختيار هذا القول لأنهم لم يكونوا رأوا فتح القرى ومكة ثم رأوه في ما بعد ، وأما الشمس والقمر وهلاك الأمم فهو مما قد رأوه فلا يقال فيه ﴿ سَتْرِيَهُمْ ﴾ إلا أن يحمل على معنى سنعرفهم ونفتح أبصار قلوبهم حتى يستدلوا بها على توحيد صانعها ، وليس يليق هذا المعنى بما قبله وهو قوله : ﴿ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ والمراد به القرآن ولا بما بعده ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ قال مقاتل : يكف بربك شاهداً أن القرآن من الله^(٥) ، والمعنى أنه شاهد الأشياء لا يغيب عنه منها شيء .

(١) أخرج الطبري ١٣/٥ عن ابن زيد نحو ذلك ، ونسبه الثعلبي ١٠/٥٨ ب ، والبغوي ٧/١٧٩ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ونسبه القرطبي في الجامع ١٥/٣٧٤ ، ٣٧٥ إعطاء وابن زيد .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/٣٩١ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/٤٤٩ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٤٨٢ ، وذكره الماوردي ٥/١٨٩ ولم ينسبه .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/٤٤٩ .

قال أبو إسحاق : ومعنى الكفاية هاهنا : أن الله - عز وجل - قد بين لهم ما فيه كفاية في الدلالة^(١) .

قال الفرّاء : إن شئت جعلت (أنه) في موضع خفض على التكرير (أو لم يكف بربك بأنه) ، وإن شئت جعلته رفعاً على قولك : أو لم يكف بربك شهادته على كل شيء والرفع أحب إلي^(٢) .

وقال الزّجاج : موضع (أنه) نصب ، المعنى : أو لم يكف لأنه على كل شيء شهيد^(٣) .

٥٤ . قوله : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : في شك من البعث والثواب والعقاب^(٤) .

قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ يعني أحاط بالأشياء كلها علماً بالبعث وغيره ، والمعنى أنه عالم بكل شيء علماً يحيط به يعلم الغيب والشهادة .

(١) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٣٩٢/٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢١/٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٣٩٢/٤ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٤٨٢ ، وتفسير مقاتل ٤٤٩/٣ .

تفسير

سورة الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٢ . ﴿حَمْدٌ ۝ عَسَقَ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : قذف ومسح وخسف - والله أعلم - ما سيكون^(١) .

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس ، قال : (ع) فيها عذاب . (س) فيها مسح (قاف) فيها قذف ، يدل على هذا التفسير ما روي أنه لما نزلت هذه الآية عرفت الكآبة في وجه رسول الله ﷺ ، فسئل عن ذلك ، فقال : «أخبرت ببلاء ينزل على أمتي ؛ خسف ومسح وريح تقذفهم في اليم»^(٢) .

قال الكلبي عنه : أن علياً - رضي الله عنه - يعلم حساب الفتن بهذه الحروف^(٣) ، وروى عكرمة عنه أنه قال لنافع بن الأزرق في هذه الآية ، (ح)

(١) لم أقف على هذه الرواية .

(٢) رواية أبي الجوزاء إلى آخر قوله في اليم . انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ١٠ / ٦٠ ، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٢٧١ أول الرواية إلى قوله : قذف .

(٣) ذكر ذلك الثعلبي ١٠ / ٦٠ ، والقرطبي ١٦ / ٢ عن ابن عباس .

حلمه ، (م) مجده ، (ع) علمه ، (سين) سناؤه ، (ق) قدرته ، أقسم الله - عز وجل - بها^(١) .

وقال صاحب النظم : علم الله في هذه السورة أن (حم) مثل (عسق) ، ويكون (حم) مبتدأ و(عسق) خبراً له ؛ أي إن الحروف المعجمة كلها في المعنى واحدة من حيث إنها كلها أس للسان ، فدل بهذا القول على أن كل ما جاء به من هذه الحروف في أوائل السور جاءت اسماً للحروف ، وأنها كلها أس للبيان الذي به قامت الحجة على الخلق ، فيكون هذا كقولك : زيد أخوك في أن زيدا مبتدأ وأخاك خبره . هذا كلامه^(٢) ، والأولى ما قدمنا ذكره عن ابن عباس ؛ لأنه لا يكون على ما ذكر صاحب النظم : كعين ، س ق يختص بالذكر من بين سائر الحروف ، والله أعلم بما أراد .

٣ . قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ قال ابن عباس : ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحى إليه حم عسق ، فذلك قوله : كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك^(٣) ، وعلى هذا هذه الحروف أوحيت إلى الأنبياء كما أوحيت إلى محمد ﷺ ، وقال في رواية عطاء : يريد أخبار الغيب وما يكون قبل أن يكون أوحى إليك وإلى الذين من قبلك^(٤) ، وعلى هذا لم يوح إلى الذين من قبل محمد ﷺ هذه الحروف بعينها ، وإنما أوحى أخبار الغيب كما أوحى إلى محمد ﷺ ، وأخبار الغيب التي تدل عليها هذه الحروف ، ومعنى (كذلك) ؛ أي كالوحي

(١) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ١٠ / ٦٠ / أ . انظر : جامع البيان للطبري ١٣ / ٦ ، وزاد المسير ٧ / ٢٧١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢ .

(٢) لم أقف على هذا القول .

(٣) انظر : الكشف والبيان للثعلبي ١٠ / ٦٠ ب ، وجامع البيان ١٣ / ٦ ، وتفسير البغوي ٧ / ١٨٤ ، وزاد المسير ٧ / ٢٧٢ ، والجامع للقرطبي ١٦ / ٣ .

(٤) ذكر ذلك في الوسيط : عن عطاء . انظر : ٤ / ٤٢ .

الذي تقدم يوحى إليك ، ويجوز أن يكون كهذا الذي يأتي في السورة ،
وذكرنا بيان هذا عند قوله : ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة : ٢] ، والمعنى
في التشبيه ما ذكرنا عن ابن عباس .

وقال أهل المعاني في التشبيه : إن بعضه كبعض^(١) ما تضمن من الحجج
والمواعظ والفوائد التي يعمل بها في الدين ، وقال صاحب النظم : معنى قوله
﴿ كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ أن من تقدم من الأنبياء ممن أوحى إليهم
الكتاب أوحى إليهم بهذه الحروف ؛ لأنها أس للبيان في كل أمة وبكل لسان ، وإن
كان في بعضها اختلاف في الجرس واللفظ فمرجعها كلها إلى شيء واحد ، قال :
وقد قيل : إن تمام الكلام عند قوله ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ على تأويل أن حم عسق كذلك ؛ أي
مثله ، ثم يتدئ قوله : يوحى إليك الله العزيز الحكيم^(٢) . وقرأ ابن كثير : يُوحَى
بضم الياء وفتح الحاء وحجته قوله : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ [الزمر : ٦٥] ، وقوله :
﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ ﴾ [هود : ٣٦] .

وقوله : ﴿ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ تبين للفاعل كأنه قيل : من يوحى ؟ فقيل : الله .
ومثله قوله : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [النور : ٣٦] ، ثم قال : ﴿ رِجَالٌ ﴾ كأنه
قيل : (من يسبح ؟) فقال : (يسبح رجال) ومثله :

لِيُبَيِّنَ لِيُزِيدَ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ^(٣)

(١) قال النحاس : كذلك الوحي الذي تقدم ، انظر : معاني القرآن للنحاس ٦ / ٢٩٢ . وقال مكّي : وحياً
مثل ذلك يوحى الله إليك ، مشكل إعراب القرآن ٢ / ٢٧٥ .

(٢) من قرأ : (كذلك نُوحى إليك) بالنون وكسر الحاء أو بالياء وفتح الحاء وقف على قوله : ﴿ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكَ ﴾ ؛ لأن ما بعده غير متعلق بقوله : ﴿ يُوحَى ﴾ في كلا القراءتين . إذ هو مرفوع بالابتداء والخبر ،
ومن قرأ بالياء وكسر الحاء لم يقف على ﴿ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ ؛ لأن ما بعده فاعل ﴿ يُوحَى ﴾ . انظر : إيضاح
الوقت والابتداء لابن الأنباري ٢ / ٨٨٠ ، والقطع والانتشاف للنحاس ٦٣٨ ، والمكتفى للداني ٥٠١ .

(٣) البيت : لنهشل بن حري من مرثية يرثي بها يزيد بن نهشل . انظر : الخزائن ١ / ١٤٧ . انظر : كتاب
سبويه وقد نسبته للحارث بن نهيك : ١ / ٢٨٨ ، وغير منسوب في المحتسب ١ / ٢٣٠ ، وانظر : شرح =

وقد مر ، وهذا قول الفراء والكسائي والزجاج وأبي علي ، ومن قرأ يوحى على بناء الفعل للفاعل ، فإن اسم الله - عز وجل - يرتفع بفعله وما بعده مرتفع بالوصف^(١) وموضع الكاف في كذلك نصب على قراءة العامة ورفع على قراءة ابن كثير^(٢) .

٤-٥ . ثم عظم نفسه فقال : ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ، ولما قال : ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ، قال : ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ والكلام في القرآن ، وتفسير هذه الحروف قد تقدم في سورة مريم .

قال ابن عباس في رواية عطاء : تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن ، يريد من مقالة المشركين ، والمعنى تكاد السماوات كل واحدة منها تنفطر فوق التي تليها من قول المشركين : اتخذ الله ولداً^(٣) ، نظيرها التي في آخر سورة مريم^(٤) .

وقال أهل المعاني : تكاد السموات يتفطرن استعظماً للكفر بالله والعصيان له [على جعله على عباده^(٥)] ، يدل على هذا قوله : ﴿وَأَلْمَلِكُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ؛ أي ينزهونه عما لا يجوز في صفته ، وهذا راجع معناه إلى ما ابن عباس .

أبيات سيبويه ٩٣ ، وعجزه :

وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِفُ

(١) انظر : الحجة للقراء السبعة ١٢٦/٦ ، وكتاب : التذكرة في القراءات لابن غلبون ٢/٦٦١ ، ومعاني القرآن للفراء ٣/٢١ ، ومعاني القرآن للزجاج : ٣٩٣/٤ .

(٢) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/٧١ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٦٣٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٩٣/٤ .

(٣) انظر : الكشف والبيان للثعلبي ١٠/٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٥/١٦ .

(٤) وهي قوله تعالى : ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخَرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ ١٠١ ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [سورة مريم الآيتان ٩٠-٩١] .

(٥) كذا في الأصل ، ولم أتبين معناها ، ولم أجد هذا القول في ما لدي من كتب المعاني .

وقال قتادة : يتفطرن من جلال الله وعظمته ^(١) ، قال أبو علي الفارسي : هذا يكون كقوله : ﴿لَوْ أَرْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] ، وكنحو هذا مما يراده به تعظيم الأمر ^(٢) ، وذلك أن جميع المخلوقات تخاف عظمة الله وسلطانه ، والسموات تكاد تنشق هيبة له واستعظاماً ، وهذا معنى ما ذكره الزَّجَّاج ^(٣) .

قال مقاتل : يعني يتشققن ^(٤) من عظمة الرب الذي فوقهن .

وقال عكرمة عن ابن عباس : يتفطرن من فوقهن ^(٥) ، وهذا قول لا يوافقه اللفظ ؛ لأن قوله من فوقهن لا يفهم منه من فوقهن ، ووجه هذا القول على مخالفته اللفظ ما ذكرنا أنها تتشقق من عظمة من فوقهن بالاقتدار والقهر ، كما قال : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] .

قوله تعالى : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ؛ أي يصلون الله بالحمد له ومذهب كثير من المفسرين أن كل تسبيح في القرآن صلاة . وقال عطاء عن ابن عباس : يتعجبون من جرأة الملحنين والمكذبين على الله ، والتسبيح يذكر في موضع التعجب كثيراً ^(٦) .

وقال أبو إسحاق : يعظمون الله وينزهونه عن السوء ^(٧) .

(١) انظر : جامع البيان للطبري ١٣/٧ ، والحجة لأبي علي ٦/١٢٨ .

(٢) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦/١٢٨ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعراجه للزَّجَّاج : ٤/٣٩٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/٧٦٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعراجه للزَّجَّاج ٤/٣٩٤ ، وقال : وقرئت (عن فوقهن) . ونسب الماوردي

١٩٢/٥ هذا القول لابن عباس . انظر : تفسير ابن عطية ١٤/٢٠٣ .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦/٤ ، ولم ينسبه .

(٧) انظر : معاني القرآن وإعراجه للزَّجَّاج ٤/٣٩٤ .

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس : يستغفرون للمصدقين بالله وبرسوله^(١) ، وقال مقاتل : يستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين ، وقد بين ذلك في حم المؤمن في قوله^(٢) : ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧] ، وهذا من العموم الذي أريد به الخصوص ، وقال قتادة : لمن في الأرض ؛ أي للمؤمنين منهم^(٣) ، وقال السدي : أي يسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الأرض من أهل الإيمان^(٤) .

قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ قال ابن عباس : يريد لأوليائه وأهل طاعته^(٥) .

٦ . قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ قال مقاتل : يعني كفار مكة اتخذوا آلهة يعبدونها من دون الله^(٦) ﴿اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس : شاهد عليهم .

وقال الكلبي : حافظ على أعمالهم ليجازيهم بها^(٧) .

قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ قال يقول : لم نوكلك بهم يا محمد لتؤخذ بهم ، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال^(٨) .

(١) انظر : ذكر ذلك في الوسيط : عن ابن عباس . انظر : ٤٣ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٣ / ٣ .

(٣) ذكر ذلك في الوسيط عن قتادة . انظر : ٤٣ / ٤ .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ١٩٣ / ٥ ، وغرائب التفسير عجائب التأويل للكرماني ١٠٤٨ / ٢ ، وزاد المسير ، وقد نسبة لقتادة والسدي ، انظر : ٢٧٢ / ٧ .

(٥) ذكر ذلك في الوسيط ولم ينسبه ، انظر : ٤٣ / ٤ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٤ / ٣ .

(٧) قال في تنوير المقباس شهيد عليهم وعلى أعمالهم ٤٨٣ .

(٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٦ / ١٦ .

٧. قوله : ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ؛ أي ومثل ذلك ما ذكرنا ، وقال بعض المفسرين : وهكذا وهو مذهب مقاتل في كذلك في جميع القرآن .

وقوله : ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ قال مقاتل : ليفهموا ما فيه ^(١) ﴿لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ قال أبو إسحاق : لتنذر أهل أم القرى ؛ لأن البلد لا يعقل ^(٢) ، كقوله : ﴿وَسَلِّ الْقُرَيْةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف : ٨٢] ، قال الكلبي : أم القرى وأصل القرى يعني مكة سميت : أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها ^(٣) ، ونحو هذا قال مقاتل ^(٤) .

قال الكلبي : ويقال أم القرى : عظمة القرى ^(٥) .

قال المبرّد ^(٦) : وكانت العرب تسمي مكة أم القرى .

قوله : ﴿وَمَنْ حَوَّلَا﴾ قال مقاتل : يعني قرى الأرض كلها ^(٧) ، وقال المبرّد : ومن يطيف به ﴿وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ قال ابن قتيبة : وتنذرهم يوم الجمع وهو يوم القيامة كما قال : ﴿لِنُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف : ٢] ؛ أي ببأس ^(٨) ، وقد حذف من الكلام المفعول الأول والجار كما يقال : يخوف أولياءه ؛ أي يخوفكم بأولياءه .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٤ / ٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن الكريم للزجاج ٣٩٤ / ٤ .

(٣) ذكر ذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢ ولم ينسبه ، وكذلك ذكره المؤلف في الوسيط ٤٣ / ٤ ولم ينسبه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٤ / ٣ .

(٥) لم أقف عليه ، وقال النحاس : إنما قيل لها أم القرى لأنها أول ما عظم من خلق الله عز وجل ، أو لأنها أول ما وضع . انظر : معاني القرآن للنحاس ٢٩٥ / ٦ .

(٦) لم أقف على قول المبرّد .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٤ / ٣ .

(٨) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩١ .

قال ابن عباس : يريد اليوم المشهود وهو يوم القيامة^(١) .

قال مقاتل : يعني جمع أهل السموات وجمع أهل الأرض^(٢) .

قوله تعالى : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قال أبو إسحاق : أي يبعث الناس جميعاً^(٣) ، وهذا معنى قول مقاتل ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لاشك فيه في الجمع أنه كائن ثم بعد الجمع يتفرون^(٤) ، وهو قوله : ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ثم لا يجتمعون أبداً ، والمعنى : فريق منهم في الجنة وفريق منهم في السعير ، كقولك : رأيت في الناس شقي وسعيد ، فيستأنف ويرفع ، هذا قول الفراء^(٥) ، قال ابن عباس : فريق في الجنة يتمتعون وينعمون ، وفريق في السعير يعذبون^(٦) .

٨. ثم ذكر سبب افتراقهم ، فقال : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فقال ابن عباس : على دين واحد^(٧) ، قال مقاتل على ملة الإسلام وحدها^(٨) ، وهذا كقوله : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام : ٣٥] فبين أنهم افترقوا بالمشيئة الأزلية ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : في دينه الإسلام^(٩) ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ يمنعهم من النار .

(١) لم أقف عليه منسوباً لابن عباس . انظر : تفسير الوسيط ٤/ ٤٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٦ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٩٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢ .

(٦) ذكر ذلك في الوسيط عن ابن عباس . انظر : ٤/ ٤٣ ، ٤٤ .

(٧) ذكر ذلك في الوسيط عن ابن عباس . انظر : ٤/ ٤٣ ، ٤٤ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٤ .

(٩) انظر : جامع البيان للطبري ١٣/ ١٠ ، وتفسير مقاتل ٣/ ٧٦٤ .

قال أبو إسحاق : ارتفع الظالمون بالابتداء وانتصب في قوله : يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم ؛ لأن بعده فعلاً فينصب الظالمين بفعل مضمر يفسره ما ظهر المعنى وأوعد الظالمين أعد لهم عذاباً أليماً^(١) .

٩ . قوله تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾ قال ابن عباس : يريد وليك يا محمد وولي من اتبعك^(٢) ، والمعنى : بل اتخذ الكفار من دون الله أولياء ، والله وليكم ؛ أي الذي يلي نصركم .

١٠ . قوله : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ قال ابن عباس : يريد ما غاب عنك علمه فكله إلى الله ، وعلى هذا التفسير هذا الخطاب للنبي ﷺ ؛ لأنه إذا غاب عنه علم شيء وكله إلى الله فيأتيه البيان من عند الله^(٣) .

وقال الكلبي : وما اختلفتم فيه من شيء من الدين فحكمه إلى الله يقضي فيه^(٤) .

قال مقاتل : إن أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن وآمن به بعضهم ، فقال الله إن الذي اختلفتم فيني أرد قضاءه إلي وأنا أحكم فيه^(٥) ، وعلى هذا التفسير المعنى : أنه يحكم بهذا فإن الحق معه ، وأنه يجب به الحمد والثواب ، وعلى الآخر بأنه على الباطل الذي يجب بمثله الذم والعقاب ، وهذا الحكم بين في كتاب الله وهو مدح أوليائه وبيان ثوابهم وذم أعدائه وبيان عقابهم ، وقيل : على هذا التفسير إن هذا الحكم الذي يحكم الله به في ما اختلف فيه العباد هو الفصل الذي يزيل الريب

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٩٥ / ٤ .

(٢) انظر : الكشف ٣٩٨ / ٣ ، والجامع للقرطبي ٧ / ١٦ ، وتفسير الوسيط ٤٤ / ٤ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٧ / ١٦ .

(٤) انظر : جامع البيان للطبري ١٣ / ١٠ ، ١١ ، تفسير الوسيط ٤٥ / ٤ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٥ / ٣ ، ولفظ : (إن الذي اختلفتم فيه فيني .) .

ويبطل الاختلاف^(١)، وهذا يكون يوم القيامة وهو عام في كل ما اختلف فيه العباد.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾ فيه إضمار القول؛ أي قل لهم ذلكم الله الذي يحيي ويميت ويحكم بين المختلفين هو ربي^(٢).

١١. قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ قال الكلبي: جعل لكم من مثل خلقكم نساء ومن الأنعام أزواجاً أصنافاً ذكوراً وإناثاً^(٣)، ونحو هذا قال مقاتل^(٤).

قال أبو إسحاق: أي جعل الذكر والأنثى من الحيوان كله^(٥).

قوله تعالى: ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ قال الكلبي: يكثركم في هذا التزويج^(٦)، ولولا هذا التزويج لم يكثر النسل، والمعنى: يخلقكم في هذا الوجه الذي ذكر من جعله لكم أزواجاً، وذلك أن سبب خلقنا وخلق غيرنا الأزواج، فالكناية في قوله تعود إلى الجعل المراد بقوله: جعل لكم، واختار الفراء هذا القول، ولكنه جعل (في) بمعنى: (الباء)، فقال: معنى قوله ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾: به يقول جعل لكل شيء من الأنعام أزواجاً ليكثروا ولتكثروا^(٧).

(١) ذكر ذلك في تفسير الوسيط ٤ / ٤٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٧ / ١٦.

(٣) انظر: تنوير المقياس ٤٨٤.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٣ / ٧٦٥.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤ / ٣٩٥.

(٦) انظر: تنوير المقياس ٤٨٤.

(٧) انظر: معاني القرآن للفراء ٣ / ٢٢.

وقال أبو إسحاق : المعنى : يذروكم به ؛ أي يكثركم يجعله منكم ومن الأنعام أزواجاً^(١) ، وهذا هو قول الفرّاء واستدل لمن جعل في بمعنى الباء .

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيْطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنِّي عَنْ سُئُسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

معناه : أَرغب بها عنهم^(٢) ، ومعنى الذرء : الخلق وإنما فسر هاهنا بالتكثير لأنه هو المراد ، ودلّ عليه ذكر خلق الذكور والإناث ، وذلك سبب الكثرة والنماء ، وهذا معنى قول مجاهد في هذه الآية : نسل بعد نسل من الناس والأنعام^(٣) .

وقال عبد الله بن مسلم : أي يخلقكم في الرحم^(٤) ، وعلى هذا الكناية عن غير مذكور وليس هذا بالمرضي الجيد .

قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ قال ابن عباس : يريد ليس له نظير^(٥) ، واختلف العلماء في معنى الجمع بين حرفي التشبيه هاهنا والواحد منهما في نفي التشبيه ، وهو أن يقال ليس كهو أو ليس مثله شيء ، فقال أبو إسحاق : هذه الكاف مؤكدة المعنى : ليس مثله شيء^(٦) .

وشرح أبو الفتح الموصلي فقال : الكاف التي هي حرف جر قد تكون زائدة مؤكدة بمنزلة الباء في خبر ليس ، وذلك نحو قوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تقديره والله أعلم : ليس مثله شيء ولا بد من زيادة الكاف ليصح المعنى ؛ لأنك إن لم تعتقد ذلك أثبت له عز اسمه مثلاً وزعمت أنه ليس كالذي هو مثله شيء ، فيفسد هذا من وجهين :

- (١) انظر : معاني القرآن وإعراجه للزجاج ٣٩٥ / ٤ .
- (٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري ١٥ / ٣٨٣ ، واللسان (ذراً) ١ / ٧٩ ، ولم أقف على قائله .
- (٣) انظر : تفسير الماوردي ٥ / ١٩٤ ، وتفسير مجاهد ٥٨٨ .
- (٤) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩١ .
- (٥) ذكر ذلك في الوسيط ٤ / ٤٥ عن ابن عباس ، ونسبه البغوي ٧ / ١٨٦ لابن عباس .
- (٦) انظر : معاني القرآن وإعراجه للزجاج ٣٩٥ / ٤ .

أحدهما : ما فيه من إثبات المثل له تعالى عن ذلك وعلا علواً عظيماً ، والآخر : أن الشيء إذا أثبت له مثلاً فهو مثل مثله ، لأن الشيء إذا ماثلته شيء فهو أيضاً مماثل لما ماثلته ، ولو كان ذلك كذلك على فساد اعتقاد معتقده لما جاز أن يقال : ليس كمثله شيء ؛ لأنه - تعالى - مثل لمثله وهو شيء ؛ لأنه - تعالى - قد سمى نفسه شيئاً ، يقول : ﴿ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلِ اللَّهُ ﴾ [الأنعام : ١٩] ، وهذا كلمة ^(١) تؤكد أن في الكاف كمثله لا بد أن تكون زائدة ، ومن ذلك أيضاً قول رؤبة :

لواحق الأقرباب فيها كالمفق ^(٢)

المفق الطول ، ولا يقال في الشيء كالطول إنما يقال فيه طول ^(٣) ، وذكر أصحابنا أجوبة في هذه الآية ؛ أحدها : أن المثل هاهنا صلة والمعنى : ليس كهو ، والمثل قد يكون صلة في الكلام كما يقال : مثلي لا يفعل ذلك يريد أنا ، وعلى هذا ينشد :

مثلي لا يقبلُ من مثلكا

أي أنا لا أقبل منك .

(١) كذا في الأصل وفي سر صناعة الإعراب (فهذا كله يؤكد عندك أن الكاف في كمثله ٢٩١ / ١ .

(٢) لرؤبة بن العجاج وصدده قوله :

قب من التعداء حقب في سرق

ومعنى لواحق الأقرباب : خصائص البطون . والمفق : الطول . الديوان ١٠٦ ، واللسان (مثل)

٦١٠ / ١١ ، ومعاني الحروف للرومي ٥٠ ، والمسائل العضديات لأبي علي الفارسي ٢١٩ .

(٣) انظر : المسائل العضديات لأبي علي ٢١٩ ، وسر صناعة الإعراب ٢٩١ / ١ .

والثاني : أن التشبيه يحصل في كلام العرب بحرفين الكاف والمثل ، فجمع الله - تعالى - في هذا اللفظ بين حرفي التشبيه ، ونفى بهما عن نفسه التشبيه على جهة التأكيد والتحقيق ، وهذه عادة العرب ^(١) ، قال :

سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ إِذَا أَبْصَرْتَ فَضْلَهُمْ

مَا إِنْ كَمِثْلِهِمْ فِي النَّاسِ مِنْ أَحَدٍ ^(٢)

قوله : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ قال ابن عباس : السميع لما يقال البصير لأعمال الخلق ^(٣) .

وقال أهل المعاني : لما نفى أن يكون له شبه على وجه من الوجوه بين أنه مع ذلك سميع بصير كيلا يتوهم نفي هاتين الصفتين له .

١٢ . قوله تعالى : ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس : يريد مفاتيح [الأرض] ^(٤) في السماوات والأرض .

قال الكلبي : مقاليد السماوات خزائن المطر ، وخزائن الأرض النبات ^(٥) .

قال ابن قتيبة : مقاليدها مفاتيحها ومالك المفاتيح مالك الخزائن ^(٦) .

(١) انظر : معاني الحروف للرماني ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، وحروف المعاني للزجاج ٣ ، والجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، وتفسير الطبري ١٣ / ١٢ ، وتفسير ابن عطية ١٤ / ٢٠٧ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩١ .

(٢) لم أقف على قائل هذا البيت ، وقد ورد عند الطبري في تفسيره ١٣ / ١٣ ، وذكره المرادي في الجنى الداني ٨٩ ، وفي تفسير ابن عطية ١٤ / ٢٠٧ ، وفتح القدير ٤ / ٥٢٨ .

(٣) ذكر ذلك في الوسيط : ولم ينسبه . انظر : ٤ / ٤٥ .

(٤) كذا في الأصل وفي تفسير الوسيط : (مفاتيح الرزق) . انظر : الوسيط ٤ / ٤٥ عن ابن عباس .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٤٨٤ .

(٦) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩١ .

والمعنى : أنه يقدر على فتحها ليس أن هناك مقاليد ولكن هذا كما يقال :
مفتاح هذا الأمر بيد فلان هو يملك فتحه في المقاليد .

قوله تعالى : ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ؛ لأن مفتاح الرزق بيده ﴿إِنَّهُ
يَكُلُّ شَيْءًا﴾ من البسط والقدر ﴿عَلِيمٌ﴾ قاله الكلبي^(١) .

١٣ . قوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ ؛ أي نهج وبين وأوضح ، قال
ابن الأعرابي : شرع أي أظهر . قال : وقوله : ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا
لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى : ٢١] قال : أظهروا لهم .

وقال ابن السكيت : مصدر شرعت الإهاب إذا شققت بين الرجلين
وسلخته ، فمعنى شرع بين وأوضح مأخوذ من شرع الإهاب إذا شق ولم يُزقق^(٢)
ولم يُرجل^(٣) ، وهذا مما تقدم بيانه ، والمفسرون قالوا سن ونهج^(٤) .

قوله : ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ قال ابن عباس : يريد التوحيد والإسلام والبراءة
من الشرك^(٥) .

(١) انظر : تنوير المقياس ٤٨٤ .

(٢) انظر قول ابن الأعرابي وابن السكيت في : تهذيب اللغة للأزهري (شرع) ١ / ٤٢٥ اللسان (شرع)
١٧٦ / ٨ .

(٣) قال اللحياني : كبش مَزْقُوق ومَزْقُوق للذي يسلخ من رأسه إلى رجله ، فإذا سلخ من رجله إلى رأسه فهو
مَرْجُول ، وقال أبو عبيد عن الفراء : الجلد المرجل الذي يسلخ من رجل واحدة والمزق الذي يسلخ
من قبل رأسه ونحو ذلك ، انظر : تهذيب اللغة (زق) ٨ / ٢٦٢ .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ٥ / ١٩٦ ، والبغوي ٧ / ١٨٦ ، والقرطبي ١٦ / ١٠ .

(٥) ذكر ذلك البغوي ٧ / ١٨٧ ، وابن الجوزي ٧ / ٢٧٦ من غير نسبة أيضاً .

وقوله : ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي وشرع الذي أوحينا إليك (و) شرع لكم ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ قال مقاتل : فيها تقديم^(١) وتأخير يعني أن ذكر إبراهيم مقدم في المعنى على قوله والذي أوحينا إليك .

ثم فسر ما وصى به هؤلاء ، فقال : ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ قال أبو إسحاق : موضع (أن) يجوز أن يكون رفعاً على معنى ، هو : أن أقيموا الدين ، ويجوز أن يكون نصباً على معنى : شرع لكم ولمن قبلكم إقامة الدين وترك الفرقة ، ويجوز أن يكون خبراً على البدل من الباء في قوله : ما وصى به كأنه قيل بأن أقيموا الدين^(٢) ، قال مقاتل : يعني التوحيد^(٣) ﴿وَلَا تُنْفِرُوا فِيهِ﴾ يقول : لا تختلفوا في التوحيد .

وقال مجاهد : يعني شرع لكم ولمن قبلكم من الأنبياء ديناً واحداً وهو التوحيد^(٤) ، وهذا هو الصحيح في تفسير الآية .

وذكر قوم من المفسرين أن الآية شاملة للإيمان وفروعه من الطاعات .
وقال قتادة : الحلال والحرام^(٥) .

وقال الحكم^(٦) : يعني تحريم الأمهات والبنات والأخوات ونوح كان أولى ممن جاء بهذا ، وقال الكلبي : إن الله لم يبعث رسولاً إلا أوصاه بإقامة الصلاة

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٦٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤ / ٣٩٦ ، وتفسير ابن عطية ١٤ / ٢٠٩ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٦٥ .

(٤) انظر : تفسير مجاهد ٥٨٨ ، وتفسير الطبري ١٣ / ١٥ ، وتفسير البغوي ٧ / ١٨٦ ، والدر المنثور ٣٣٩ / ٧ .

(٥) انظر قول قتادة في انظر : تفسير الماوردي ٥ / ١٩٦ ، وتفسير البغوي ٧ / ١٨٧ ، والجامع ١٦ / ١١ .

(٦) الحكم بن عمرو بن مجد الغفاري ، صحابي له رواية ، وحديثه في البخاري وغيره ، صحب النبي ﷺ إلى أن مات ، وانتقل إلى البصرة في أيام معاوية ، وتوفي سنة ٤٥ هـ ، وقيل ٥٠ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ٢ / ٤٣٦ ، والإصابة ٢ / ٢٩ ، وانظر : قوله هذا في : الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١١ .

وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة^(١) في كل شيء ، والاختيار : القول الأول لقوله : ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ قال ابن عباس : يريد توحيد الله والإخلاص له وحده لا شريك له^(٢) ، وقال مقاتل : عظم على المشركين ما تدعوهم إليه من التوحيد لقولهم : ﴿ أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥٠].^(٣)

ثم خص أوليائه فقال قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ قال ابن عباس : يصطفي من عباده^(٤) ، وقال مقاتل : يستخلص لدينه من يشاء ﴿ وَيَهْدِي ﴾ لدينه ﴿ مَنْ يُنِيبْ ﴾ يعني من يرجع التوبة ، وقال السدي : من يقبل إلى طاعة الله^(٥) ، وقال عطاء : من اتبع دينه^(٦) .

١٤ . ثم ذكر تفريقهم بعد الإيصاء بترك الفرقة فقال : ﴿ وَمَا نَفَرَوْا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ بِالْعِلْمِ ﴾ قال ابن عباس : يعني المشركين واليهود والنصارى^(٧) كان المشركون يتمنون أن يبعث إليهم نبي كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٤٢] ، وكانت اليهود يستفتحون بمحمد ﷺ لأنهم علموا ببعثته وصفته وصدقه وأمانته^(٨) ،

(١) أورد ذلك البغوي : في تفسيره ١٨٧/٧ ، والقرطبي في الجامع ١١/١٦ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٤٨٤ ، وتفسير الوسيط ٤٦/٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/٧٦٥ ، ٧٦٦ .

(٤) ذكر ذلك البغوي ١٨٧/٧ ولم ينسبه ، وذكره ابن الجوزي ٢٧٧/٧ ولم ينسبه .

(٥) أخرج ذلك الطبري ١٦/١٣ عن مجاهد والسدي ، ونسبه لها الماوردي ١٩٧/٥ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٦/١٣ ، وتفسير الماوردي ١٩٧/٥ .

(٧) ذكر البغوي ١٨٧/٧ عن ابن عباس بلفظ : أهل الأديان ، وكذا ذكره بهذا اللفظ ابن الجوزي في زاد المسير ٢٧٧/٧ . وقال القرطبي في الجامع ١٢/١٦ : فالمشركون قالوا : لم يخص بالنبوة ، واليهود حسدوه لما بعث ، وكذا النصارى .

(٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٢/١٦ .

وقال الرَّجَّاجُ : وما تفرقوا إلا عن علم أن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك للبغي^(١) .

قوله تعالى : ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ قال : يريد بغياً بينهم على محمد ﷺ قوله عز وجل : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ في تأخير المكذبين من هذه الأمة ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني يوم يقضي بينهم بين من آمن وبين من كفر يعني : لنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا ﴿وَلِنَّ الَّذِينَ أَوْرِثُوا الْكِتَابَ﴾ يعني : اليهود والنصارى^(٢) ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد الأنبياء ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ قال ابن عباس : لفي شك من محمد ﷺ^(٣) ﴿مُرِيبٍ﴾ .

١٥ . وقوله : ﴿فَلِذَلِكَ فَادَّعُ﴾ قال الفراء والرجَّاج : معناه فإلى ذلك التوحيد فادع ، كما تقول : دعوت إلى فلان ولفلان^(٤) .

قال ابن عباس : ادع إلى طاعة الله وتوحيده^(٥) .

وقال مقاتل : ادع إلى معرفة ربك التوحيد^(٦) ، وذلك إشارة إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد .

قوله تعالى : ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ قال ابن عباس : بالتوحيد^(٧) كما قال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت : ٣٠] ، والمعنى : استقم على الدين

(١) انظر : معاني القرآن للرجَّاج ٣٩٦/٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٧/١٣ ، وتفسير البغوي ١٨٧/٧ ، وزاد المسير ٢٧٨/٧ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ١٨٧/٧ ، وزاد المسير ٢٧٨/٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٢/٣ ، ومعاني القرآن وإعراجه : للرجَّاج ٣٩٦/٤ .

(٥) ذكر القرطبي ١٣/١٦ عن ابن عباس بلفظ (أي إلى القرآن فادع الخلق) .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٦/٣ .

(٧) ذكر ذلك مقاتل في تفسيره ٧٦٦/٣ ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير لمقاتل . انظر : ٢٧٨/٧ .

الذي أمرت به يدل على هذا قوله : ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ وقد قال في سورة هود :
﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ﴾ [هود: ١١٢] ، وقد مرَّ .

ومعنى (لا تتبع أهواءهم) قال ابن عباس : يريد أهواء أهل الكتاب^(١) .

قال مقاتل : وذلك حين دعوهم إلى دينهم^(٢) لهم ﴿ءَامَنْتُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ
كِتَابٍ﴾ ؛ أي آمنت بكتب الله كلها . قال ابن عباس : وهذا تعليم وأدب من
الله تعالى لرسوله^(٣) .

قال أبو إسحاق : وذلك أن الذين تفرقوا آمنوا ببعض الكتب وكفروا
ببعض^(٤) .

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ وهذا كقوله : ﴿وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ٧١] ، وقد
مر ، قال ابن عباس : أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم في
الأحكام إذا ترفعوا إليه لم يكذبهم شيئاً لا يلزمهم ، وذكر أيضاً عن ابن عباس أن
معنى هذا العدل بين أهل الكتاب أن تؤمن بأنبيائهم وكتبهم جميعاً ، وهذا معنى
قول أبي العالية^(٥) ، وقال مقاتل : عدله بينهم أن يدعوهم جميعاً إلى التوحيد وإلى
دين الله^(٦) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٦ ، وانظر : زاد المسير ذكر هذا المعنى ولم ينسبه ٧/ ٢٧٩ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٦ ، وبلغظ : وذلك حين دعاه أهل الكتاب إلى دينهم .

(٣) لم أفق عليه .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه : للزجاج ٤/ ٣٩٦

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ١٧ ، وتفسير البغوي ٧/ ١٨٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٣ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٧ .

وقوله : ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ الله وإن اختلفت أعمالنا فكل بما عمل ، وهو قوله : ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ ، وقال مقاتل : لنا ديننا ولكم دينكم ^(١) ، قال الكلبي : وهذا قبل الأمر بالقتال ^(٢) . ﴿لَا حُجَّةَ﴾ وقل ﴿يَنبَنَّا وَيَبْنِيكُمْ﴾ قال مقاتل : يعني : لا خصومة بيننا وبينكم في الدين نسختها آية القتال ^(٣) ، ونحو هذا قال مجاهد وابن زيد لا خصومة ، والمعنى : قد ظهر الحق فسقط الجدل ^(٤) .

وقال أهل المعاني : لا حجة بيننا وبينكم لظهور أمركم أنه على سبيل البغي والعداوة ^(٥) ، وعلى طريق الشبهة وليس ذلك على طريق جهة تحريم إقامة الحجة ؛ لأنه لا يلزم قبول الدعوة إلا بالحجة التي يظهر بها الحق من الباطل فإذا صار الإنسان إلى طريق البغي والعداوة سقط الحجاج بين أهل الحق والباطل ، وعلى قول المفسرين الحجة بمعنى الخصومة ^(٦) ، وذكرنا وجه ذلك عند قوله : ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة : ١٥٠] ، وإذا لم يؤمر النبي ﷺ بالقتال وأمر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجب خصومة ولا قتال ، وعلى ما ذكره أهل المعاني الحجة ليست بمعنى الخصومة ، وإنما هي التي يظهر بها الحق من الباطل ، ثم ذكر أن مصير الفريقين إلى الله فيجازي كلا بعمله وهو قوله : ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ .

١٦ . قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّوْنَ فِي اللَّهِ﴾ ؛ أي يخاصمون في دين نبيه ، قال قتادة : هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن

(١) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٧ / ٣ .

(٢) انظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس ٦١٤ / ٢ ، والإيضاح لمكي ٣٥٠ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٤٤٩ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٧ / ٣ .

(٤) انظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس ٦١٤ / ٢ ، والإيضاح لمكي ٣٥٠ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٤٤٩ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (حج) ٣ / ٣٩٠ ، واللسان (حجج) ٢ / ٢٢٨ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٨ / ١٣ ، وتفسير الماوردي ١٩٩ / ٥ ، وتفسير ابن عطية ١٤ / ٢١٢ .

خير منكم فهذه خصومتهم^(١)، وإنما قصدوا بذلك دفع ما أتى به محمد ﷺ .

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُ﴾ قال ابن عباس: بعدما وحدوا وشهدوا لله بالوحدانية^(٢).

وقال مقاتل: من بعد ما استجيب لله في الإيمان^(٣).

وقال مجاهد: بعد ما دخل الناس في الإيمان، قال: وطمع رجال فأرادوا أن يردوا من الجاهلية وظنوا أنها تعود^(٤)، فقال الله تعالى: ﴿مُجِّنُّهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال مقاتل: خصومتهم باطلة حين زعموا أن دينهم أفضل من الإسلام^(٥).

﴿وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ﴾ قال ابن عباس: يريد في الدنيا^(٦).

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة، والقول في الآية نزلت في اليهود^(٧).

(١) أخرجه الطبري ١٩/١٣ عن قتادة، ونسبه البغوي ١٨٨/٧ لقتادة.

(٢) قال الثعلبي في تفسيره: أي استجاب له الناس وأسلموا ودخلوا في دينه؛ لظهور معجزته وقيام حجته، ولم ينسبه. انظر: ٦٣/١٠ ب.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٧٦٧/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري ١٩/١٣، وفقد أخرج ذلك عن مجاهد، ونسبه القرطبي لمجاهد. انظر: الجامع ١٤/١٦.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٧٦٧/٣.

(٦) ذكر ذلك القرطبي ١٥/١٦ ولم ينسبه.

(٧) أخرج ذلك الطبري ١٩/١٣ عن ابن عباس. انظر: تفسير الثعلبي ٦٣٧/١٠ ب، وتفسير ابن عطية ٢١٢/١٤.

١٧. قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ قال ابن عباس: القرآن بالحق، قال يريد بالعدل^(١)، في ما بين خلقه والفرائض والأمر والنهي والحلال والحرام، وهذا كله حق من الله - تعالى - ضمن بيانه القرآن، والميزان. قال قتادة ومجاهد: العدل^(٢)، وعلى هذا سمي العدل ميزاناً؛ لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية بين الخلق، والدليل على أن المراد بالميزان هاهنا العدل والنصفة أن ابن عباس قال في تفسير الميزان هاهنا: أمر الله - تعالى - بالوفاء ونهى عن البخس^(٣).

وقال آخرون: ومعنى وأنزل الميزان: ألهم العباد العمل به^(٤)، وأمر بالعدل، فلما أمر بالعدل ألهمهم اتخاذ آلة وكان الميزان، فلما كان الأمر بالعدل مُنزلاً كان ما اتخذ له مُنزلاً أيضاً^(٥)؛ لأنه اتخذ الأمر المنزل بالعدل، وسنذكر لهذا زيادة شرح وبيان عند قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥] إن شاء الله.

قال مقاتل: وذكر النبي ﷺ الساعة عند قوم من المشركين فقالوا: متى تكون الساعة تكذيباً بها فأنزل الله^(٦): ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾، وذكرنا ما في هذا في آخر سورة الأحزاب [آية ٦٣].

(١) ذكر ذلك ابن الجوزي ونسبه لابن عباس، وقاتدة والجمهور. انظر: ٢٨٠/٧، ونسبه القرطبي لابن عباس، وأكثر المفسرين. انظر: ١٥/١٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢٠/١٣، وتفسير الماوردي ٢٠٠/٥، وتفسير ابن عطية ٢١٣/١٤.

(٣) انظر: تفسير البغوي ١٨٨/٧، والقرطبي ١٥/١٦، وتفسير الوسيط ٤٨/٤.

(٤) انظر: زاد المسير ٢٨٠/٧، والجامع لأحكام القرآن ١٥/١٦.

(٥) ذكر ذلك البغوي ١٨٨/٧، ونسبه لقاتدة ومقاتل. انظر: مجاز القرآن للعز ابن عبد السلام ٢١٣، ٣١١.

(٦) انظر: تفسير مقاتل ٧٦٧/٣، وتفسير البغوي ١٨٨/٧.

وقال أبو إسحاق : إنما جاز قريب ؛ لأن تأنيث الساعة غير حقيقي ، وهو بمعنى : لعل البعث قريب ، قال ويجوز أن يكون لعل مجيء الساعة قريب^(١) ، ونحو هذا قال الكسائي^(٢) .

١٨ . قوله تعالى : ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ ؛ أي الساعة ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ ؛ أي من يظن أنه غير مبعوث ، قال مقاتل : لأنهم لا يخافون ما فيها^(٣) .

وقال أهل المعاني : وجه استعجالهم بالساعة طلبهم المطالعة لقيامها على طريق التعجيز للإتيان بها ، وهذه طريقة الجاهل في كل ما يحدثونه من حقائق الأمور^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ قال مقاتل : لأنهم لا يدرون ما يهجمون منها^(٥) .

وقال أبو إسحاق : لأنهم يعلمون أنهم مبعوثون محاسبون^(٦) .

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ قال ابن عباس : أنها آتية لا ريب فيها^(٧) .

ثم ذكر الذين لا يؤمنون بها فقال : ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ قال ابن عباس : يكذبون بقيام الساعة^(٨) ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ قال أبو إسحاق : أي

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٩٦/٤ .

(٢) ذكر ذلك القرطبي في الجامع ونسبه للكسائي ، انظر : الجامع ١٥/١٦ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٨/٣ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٨/٣ ، ونص العبارة عند مقاتل : «لأنهم لا يدرون على ما يهجمون منها» .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٩٧/٤ .

(٧) ذكر ذلك البغوي : ولم ينسبه ، انظر : البغوي ١٨٨/٧ ، وذكره ابن الجوزي بلفظ : أي إنها كائنة لا محالة ، ولم ينسبه . انظر : ٢٨٠/٧ .

(٨) ذكر أكثر المفسرين أن المعنى : يخاصمون في قيام الساعة ولم ينسبه . انظر : تفسير الطبري ٢٠/١٣ ، وتفسير الثعلبي ٦٣/١٠ ب ، وتفسير البغوي ١٨٩/٧ ، وزاد المسير ٢٨٠/٧ .

الذين يدخلهم المرية والشك في الساعة فيأرون فيها ويححدون كونها^(١) ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ؛ لأنهم لو فكروا العلموا أن الذي أنشأهم وخلقهم من تراب ثم من نطفة إلى أن بلغوا مبالغهم ، قادر على إنشائهم وبعثهم^(٢) ، فهذا معنى ضلالهم .

١٩ . قوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ ذكرنا معنى اللطيف عند قوله : ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف : ١٠٠] ، قال ابن عباس وغيره : حفي بار رفيق بهم^(٣) . قال عطاء : يريد بأوليائه^(٤) .

وقال مقاتل : لطيف بالبر والفاجر لا يهلكهم جوعاً^(٥) ، يدل على هذا قوله : ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فكل من رزقه الله من مؤمن وكافر وذو روح ، فهو ممن شاء أن يرزقه ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ على ما أراد ﴿الْعَزِيزُ﴾ المنيع في ملكه ، ومعنى ذكر القوي العزيز هاهنا : أنه قوي على رزق كل من أراد رزقه ، العزيز فلا يغالب في ما لا يريد أن يعطي ويرزق .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ الحَرْث العمل للدنيا والآخرة ، ومنه قول ابن عمر : «احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واحرث لآخرتك كأنك تموت غداً»^(٦) ، معناه العمل

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٩٧/٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٩٧/٤ .

(٣) قال الثعلبي في تفسيره ٦٣/١٠ ب : قال ابن عباس : حفي بهم وقال عكرمة : بار بهم ، وقال السدي : رفيق بهم ، ونسبه إليهم أيضاً البغوي ١٨٩/٧ ، وكذلك نسبه القرطبي ١٦/١٦ لمن ذكر .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٨/٣ ، وتفسير البغوي ١٨٩/٧ ، والقرطبي ١٦/١٦ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (حرث) ٤٧٨/٤ ، والنهاية لابن الأثير (حرث) ٣٥٩/١ ، واللسان (حرث) ١٣٢/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/١٦ ، وأورده ابن قتيبة في غريب الحديث ونسبه لعبدالله بن عمرو ١٢٢/٢ ، ونسبه القرطبي لعبدالله بن عمر ، وأشار إليه ابن الجوزي في غريب الحديث ١٩٩/١ .

لها ، ومعنى الحرث في اللغة : الكسب ^(١) ، يقال هو : يحرث لعياله ويحترث ؛ أي يكتسب .

قال ابن عباس : من كان يريد العمل لله ما يحب الله ويرضيه ، نزل له في حرثه يقول أعينه على عبادتي وأسهل له ^(٢) . وعلى هذا القول معنى الآية : من كان يريد أن يعمل للآخرة ويسعى لها سهّلت ذلك عليه وأعانه ، فمعنى الزيادة للحرث هو التوفيق والتسهيل ^(٣) ، وقال آخرون : نزل له في حرثه بالتضعيف ^(٤) ، وهو قول مقاتل قال : يعني في عمله حين يضاعفه ^(٥) ، وعلى هذا قوله في حرثه مصدر أريد به المفعول ؛ لأنه إنما يضاعف له ما عمل .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ ؛ أي من كان يسعى لدنياه وآثرها على آخرته ، نؤته وما له في الآخرة يقول الله نؤته منها ، قال ابن عباس : يقول أبسط له الرزق في الدنيا ، وأوسع عليه ، وادفع عنه الأسقام ^(٦) ، وقال قتادة : نؤته منها بقدر ما يقسم له ^(٧) .

وقال مقاتل ^(٨) : هذا منسوخ بقوله : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾ [الإسراء : ١٨] يعني أن الكافر إذا سعى لدنياه ، وأعرض عن عمل

(١) انظر : تهذيب اللغة (حرث) ٤/ ٤٧٨ ، واللسان (حرث) ٢/ ١٣٤ ، ومفردات الراغب (حرث) : ١١٢ .

(٢) ذكر ذلك في تفسير الوسيط ٤/ ٤٩ عن ابن عباس .

(٣) انظر : زاد المسير ٧/ ٢٨١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٨ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢٠ ، وزاد المسير ٧/ ٢٨١ ، والجامع ١٦/ ١٨ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٨ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) ذكر ذلك البغوي ٧/ ١٨٩ ونسبه لقتادة ، ونسبه في الوسيط ٤/ ٤٩ لقتادة .

(٨) قال ابن الجوزي في زاد المسير : اتفق العلماء على أن أول هذه الآية إلى ﴿ حَرِّثُوهُ ﴾ محكم ، واختلفوا في باقيها على قولين ؛ أحدهما : أنه منسوخ بقوله : ﴿ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾ [الإسراء : ١٨] ، =

الآخرة لا يعطى كل ما يريد من الدنيا وإن كان قد قال في هذه الآية نؤته منها مطلقاً ؛ لأنه قيد في الآية التي في سورة بني إسرائيل فقال : ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ [الإسراء: ١٨] .

وقال الكلبي في قوله : ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ قال : لأنه عمل لغير الله ^(١) ، ويدخل في هذا المرائي الذي لا يخلص عمله لله ويرائي الناس بأعمال الآخرة فلا نصيب له في ثواب ما عمل مرائياً ويكون أمره مفوضاً إلى المشيئة ، والظاهر أنه يعني هذا الكافر ، وهو قول مقاتل يدل عليه قوله : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ قال مقاتل : يعني كفار مكة يقول ألهم آلهة ستؤا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ^(٢) .

قال ابن عباس : شرعوا لهم ديناً غير دين الإسلام ^(٣) .

وقال الكلبي : أظهروا لهم ما لم يأمر به ^(٤) الله .

٢١ . قوله تعالى : ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ قال ابن عباس : يريد حيث يفصل بين الخلائق أنه يعذب كفار هذه الأمة ^(٥) .

وهذا قول جماعة منهم مقاتل . والثاني : أن الآيتين محكمتان متفقتان في المعنى ؛ لأنه لم يقل في هذه الآية : نؤته مراده فعلم أنه إنما يؤتيه الله ما أراد ، وهذا موافق لقوله : ﴿لِمَنْ تُرِيدُ﴾ ، ويحقق هذا أن لفظ الآيتين لفظ الخبر ومعناهما معنى الخبر ، وذلك لا يدخله النسخ ، وهذا مذهب جماعة منهم قتادة . انظر : زاد المسير ٧/ ٢٨١ ، ٢٨٢ ، وعلى هذا أيضاً النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٦١٦ ، ومكي في الإيضاح ٣٥١ ، وانظر : تفسير مقاتل ٧٦٨/ ٣ .

(١) انظر : تنوير المقباس ٤٨٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٨/ ٣ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٧/ ١٩٠ ، وتفسير الوسيط : عن ابن عباس ٤/ ٤٩ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٤٨٥ .

(٥) لم أقف عليه .

وقال مجاهد : لولا كلمة الفصل أنهم أخرجوا إلى يوم القيامة^(١) ، وهو قول الكلبي ومقاتل^(٢) فالمعنى : أن الله تعالى حكم في كلمة الفصل بين الخلق أنه يعذب كفار هذه الأمة في الآخرة ، ولا يعذبهم في الدنيا بعذاب عام كما عذب من قبلهم كما قال : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [يونس : ١٩] .

٢٢ . قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ قال أبو علي : هذا من حذف المضاف تقديره : وجزاؤهم واقع بهم^(٣) .

٢٣ . وقوله : ﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ ﴾ يعني ما تقدم ذكره من روضات الجنات والعائد إلى الموصول محذوف والتقدير : يبشر الله به^(٤) قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا في ما بيني وبينكم قرابة^(٥) .

وقال عكرمة : إلا أن ترعوا ما بيني وبينكم^(٦) .

وروى ابن أبي نجيح^(٧) ، عن مجاهد : إلا أن تتبعوني وتصدقوني وتصلوا^(٨) رحمي .

(١) انظر : تفسير مجاهد ٥٨٩ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٤٨٥ ، وتفسير مقاتل ٧٦٨/٣ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير الوسيط ٥٠/٤ ، والدر المصون ٨٠/٦ .

(٥) أخرج ذلك البخاري عن طاوس . انظر : فتح الباري كتاب التفسير ، باب إلا المودة في القربى ٥٦٤/٨ . وأخرجه أيضاً الطبري ٢٣/١٣ ، وانظر : الصحيح المسند من أسباب النزول ١٢٣ .

(٦) انظر : تفسير البغوي ١٩١/٧ ، وتفسير الوسيط ٥٠/٤ .

(٧) عبدالله بن أبي نجيح المكي صاحب التفسير أخذ عن مجاهد وعطاء ، قال ابن المديني : أما الحديث ؛ فهو فيه ثقة ، وكان يرى الاعتزال . انظر : الكامل في التاريخ ٣٤٠/٤ ، وميزان الاعتدال ٥١٥/٢ .

(٨) أخرجه الطبري عن مجاهد . انظر : تفسيره ٢٤/١٣ ، وتفسير البغوي ١٩١/٧ .

وقال قتادة : قل لا أسألكم أجراً على هذا الذي جئكم به إلا أن توادوني بقرابتي ، قال : وكل قریش بينهم وبين رسول الله ﷺ قرابة ^(١) .

وقال مقاتل : قل لا أسألكم على الإيمان أجراً إلا أن تصلوا قرابتي وتمنعوني وتكفوا عني الأذى ^(٢) ، ونحو هذا قال ابن مالك والسدي وابن زيد وهو رواية عن عطاء عن ابن عباس ، قال : يريد إلا أن تؤدوه لقرابة نبيكم يعني محمداً ﷺ ^(٣) .

والقول الثاني : ما رواه الكلبي عن ابن عباس ، قال : أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس في يده سعة ؛ لذلك قالت الأنصار : إن هذا الرجل هداكم الله على يده ، وهو ابن أخيكم وجاركم في بلدكم ، فاجمعوا له طائفة من أموالكم ففعلوه ثم أتوه به ^(٤) ، فنزل : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ يقول على الإيمان جعلاً إلا المودة في القربى ، يقول : إلا أن تؤدوا قرابتي فحشم على ذوي قرابته .

وروى أبو مالك ^(٥) عن ابن عباس ، قال : إلا أن تحفظوني في قرابتي ^(٦) وهو قول عمرو بن شعيب .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٤ / ١٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٩ / ٣ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٤ / ١٣ ، ٢٤ ، وتفسير البغوي ١٩١ / ٧ ، والدر المنثور ٣٤٦ / ٧ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١٠ / ١٦٥ ، وأسباب النزول للواحدي ٣٩٥ ، والوسيط ٥٣ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤ / ١٦ .

(٥) هو غزوان الغفاري الكوفي .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٤ / ١٣ .

القول الثالث : ما ذكره الحسن إلا أن تؤدوا على الله طاعة في ما يقربكم إليه من التودد إليه بالعمل الصالح ، وهو رواية مجاهد عن ابن عباس قال : لا أسألكم على ما آتيكم من البينات والهدى أجراً إلا أن توادوا الله وأن تقربوا إليه بطاعته^(١) .

ومعنى هذا القول إلا أن توادوا ما يقربكم إليه من الطاعة والعمل الصالح ، والقربى على القول الأول القرابة التي هي خارج بمعنى الأقارب ، وعلى القول الثالث هي : فعلى من القرب والتقرب .

وادمى قوم النسخ في هذه الآية لقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهَوَ لَكُمْ ﴾ [سبأ: ٤٧] ولقوله : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص: ٨٦] ، قالوا : بطل الأجر في هاتين الآيتين ، وهذا قول مقاتل^(٢) والضحاك والسدي^(٣) ، وهذا وهم لا يحسن النسخ في هذه الآية على الأقوال الثلاثة^(٤) ، فلا يقال نسخ مودة النبي ﷺ فكيف الأذى عنه لأجل قرابته ولا مودة آله وأقاربه ولا التقرب إلى الله بالطاعة ، وإنما ذهبوا إلى أن^(٥) هذا لما رأوا من التنافي بين الآيتين اللتين ذكروا .

وقد ذكر أبو إسحاق الزجاج ما يزيل الإشكال ، فقال : قوله : إلا المودة استثناء ليس من الأول وليس المعنى أسألكم المودة في القربى لأن الأنبياء - صلوات الله عليهم - لا يسألون أجراً على تبليغ الرسالة ، والمعنى والله أعلم :

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٢ / ١٦ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٩ / ٣ .

(٣) أورد ذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٢ / ١٦ ، وذهب كثير من المحققين إلى أن الآية محكمة وليست منسوخة . انظر : تفسير الطبري ٢٦ / ١٣ ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٦٢٠ / ٢ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٤٥١ ، ٤٥٢ ، وتفسير البغوي ١٩٢ / ٧ .

(٤) انظر : تفسير الوسيط ٥٣ / ٤ ، وتفسير البغوي ١٩٢ / ٧ .

(٥) كذا رسمها في الأصل ، ولعل الصواب (إلى هذا) أو (إلى أن ترد هذا هو المراد) .

ولكنني أذكركم المودة في القربى والأمر على ما ذكره أبو إسحاق^(١)، وتم الكلام عند قوله: (أجراً) ثم^(٢) قال: إلا المودة في القربى؛ أي لكن أذكركم قرابتي منكم فكأنه في اللفظ أجر وليس بأجر، ونحو هذا قال الأخفش: إلا المودة استثناء خارج يريد إلا أي أذكر مودة^(٣).

قوله: ﴿وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً﴾؛ أي يعمل ويكتسب، قال أبو إسحاق: من يعمل^(٤). وقال المبرد: الاقتراف الاعتمال والاكتساب^(٥).

قال مقاتل: يكتسب حسنة واحدة نزلت فيها حسناً، يقول: نضاعف الحسنة الواحدة عشرة فصاعداً^(٦).

قال ابن عباس: ومن يقترف يريد من المؤمنين، نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(٧).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾؛ أي لذنوب هؤلاء ﴿شَكُورٌ﴾ لمحاسنهم القليلة حين يضاعفها، قاله مقاتل^(٨).

٢٤. وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ يعني كفار مكة ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ حين زعم أن القرآن من عند الله.

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٩٨/٤.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٨٠/٤، والمكتفى للداني ٥٠٣.

(٣) في معاني القرآن للأخفش ٦٨٦/٢، وبلطف: (إلا أي أذكر مودة قرابتي).

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٩٨/٤، ونصها: (من يعمل حسنة نضاعفها له).

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٨٠/٤، ولم ينسبه، وذكر هذا المعنى أيضاً القرطبي ولم ينسبه ٢٤/١٦.

(٦) انظر: تفسير مقاتل ٧٦٩/٣.

(٧) ذكر ذلك الألوسي في تفسيره. انظر: ٣٣/٢٥.

(٨) انظر: تفسير مقاتل ٧٦٩/٣.

قوله تعالى : ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخَيِّمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ قال مجاهد : يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يشق عليك^(١) .

وقال مقاتل : يربط عليك فلا يدخل قلبك المشقة من قولهم : إن محمداً كذاب مفتر^(٢) ، وتم الكلام هاهنا^(٣) .

ثم أخبر أنه يذهب ما يقولونه باطلاً ، فقال : ﴿وَمَعَ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ ؛ أي الشرك ، وقولهم لمحمد ﷺ : كذاب والقرآن مفترى ﴿وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ ؛ أي الإسلام فيبينه ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾ بما أنزله من كتابه على لسان نبيه ، وقد فعل ذلك فأزهق باطلهم وأعلى كلمة الإسلام ، وليس قوله : ويمح الله الباطل عطفاً على المجزوم الذي قبله وإن حذفت الواو في الخط وهو كقوله : ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَنُ﴾ [الإسراء: ١١] ، ﴿سَدْعُ الزَّبَانَةِ﴾ [العلق: ١٨] حذفت الواو منهما في الخط ؛ لأنها تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين وهو مراد ، قاله الكسائي والفراء والزجاج^(٤) .

قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ قال ابن عباس : يريد ما في [قلوب خلقه]^(٥) .

وقال مقاتل يعلم ما في قلب محمد من الحزن من قولهم وتكذيبهم إياه^(٦) .

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٦٩/١٠ ب ، وتفسير البغوي ١٩٢/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥/١٦ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٦٩/٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٣/٣ ، وكتاب القطع والانتناف للنحاس ٦٤١ ، والمكتفى للداني ٥٠٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٧/١٣ ، ومعاني القرآن للفراء ٢٣/٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٩٩/٤ .

(٥) في الأصل (قلوبهم خلفه) ، وأثبتنا ما في تفسير الوسيط ٥٣/٤ ، وقال ابن جرير الطبري : إن الله ذو علم بما في صدور خلقه ، ولم ينسبه . انظر : ٢٧/١٣ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٠/٣ .

٢٥. قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ قال ابن عباس : يريد أوليائه وأهل طاعته^(١) ، قال : وكل شيء في كتاب الله يا عبادي ومن عباده فهو يريد بذلك أوليائه وأهل طاعته ، (ويعفو عن السيئات) قال : يريد يعفو عن أوليائه ما كانوا عليه من الشرك وما نسخه .

﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ من خير وشر وقرىء بالتاء ، قال أبو عبيد والأخفش الياء لأنه من خبرين ؛ أحدهما : قبله وهو قوله : عن عباده ، والآخر : بعده ، وهو قوله : ويزيدهم من فضله ، وحجة التاء أن التاء تعم المخاطبين والغيب^(٢) ، وتفسير ابن عباس يدل على التاء ؛ لأنه قال يريد يا معشر المشركين وكأنه عاد إلى مخاطبة المشركين بالتهديد^(٣) .

٢٦. قوله تعالى : ﴿ وَسَتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ قال الفراء : يكون الذين في موضع نصب المعنى : ويحيب الله الذين آمنوا إلا أنك إذا قلت استجاب أدخلت اللام في المفعول به كقوله : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] ، وإذا قلت : أجاب حذف اللام قال ، ويكون استجابهم بمعنى : استجاب لهم كما قال : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ ﴾ [المطففين : ٣] ، ويكون الذين في موضع رفع بأن يجعل الفعل لهم ؛ أي الذين آمنوا يستجيبون لله ويزيدهم الله على إجابتهم وتصدقهم من

(١) ذكر ذلك البغوي ١٩٣/٧ ، والقرطبي ٢٦/١٦ ، والمؤلف في الوسيط ٥٣/٤ ونسبه لابن عباس .

(٢) انظر : الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارس ١٢٨/٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٦/١٦ ، ولم أقف عليه في معاني القرآن للأخفش ، قرأ حفص وحمة والكسائي ﴿ تَفْعَلُونَ ﴾ بالتاء ، وقرأ الباقر بالياء . انظر : كتاب التبصرة في القراءات السبع لمكي ٦٦٧ ، والنشر في القراءات العشر ٣٦٧/٢ .

(٣) انظر : تفسير الوسيط ٥٣/٤ .

فضله^(١)، هذا كلامه والظاهر القول الأول ؛ لأن ما قبله وما بعده من الأفعال مسند إلى الله فلذلك يستجيب ، وعليه دلّ كلام المفسرين^(٢) .

روي أن معاذ بن جبل خطب بالشام ، فقال : إني لأرجو أن يدخل الجنة من تسبون من فارس والروم ؛ وذلك أن أحدهم إذا عمل لأحد العمل قال : أحسنت يرحمك الله ، أحسنت بارك الله فيك ، والله - عز وجل - يقول : ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٣) . فيجعل الاستجابة بمعنى الإبانة^(٤) ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال : يزيدهم برأسوى ثواب أعمالهم تفضلاً منه عليهم ، وروى أبو صالح عنه : يشفعهم في إخوانهم^(٥) ، ويزيدهم من فضله قال : في إخوان إخوانهم^(٦) ، فالاستجابة على هذا إجابتهم إلى ما يشفعون فيه في الآخرة .

-
- (١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٤ / ٣ ، وبلغظ : (إجابتهم والتصديق من فضله) .
- (٢) انظر : تفسير الطبري ٢٩ / ١٣ ، وإعراب القرآن : للنحاس ٨٢ / ٤ ، وتفسير ابن عطية ٢٢١ / ١٤ .
- (٣) أخرج ذلك الطبري ٢٩ / ١٣ عن معاذ . انظر : الدر المنثور ٣٥١ / ٧ .
- (٤) كذا في الأصل ، وهو تصحيف ، ولعل المراد (الإجابة) ، قال ابن عطية : (ويستجيب) قال الزجاج وغيره معناه : يجيب ، والعرب تقول : أجب واستجاب بمعنى : ومنه قول الشاعر :
وَدَاعٍ دَعَايَا مَنْ يُجِيبُ النِّدَا
فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبُ
انظر : تفسير ابن عطية ٢٢١ / ١٤ .
- (٥) أخرج ذلك الطبري ٢٩ / ١٣ ، ونسبه البغوي ١٩٤ / ٧ لأبي صالح .
- (٦) انظر : تفسير البغوي ١٩٤ / ٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٦ / ١٦ .

٢٧. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية؛ وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة^(١) والنضير فتمنينها، فأنزل الله هذه الآية^(٢).

قال مقاتل: يقول لو أوسع الله الرزق لعباده، وقال غيره: يعني لو رزقهم من غير كسب لبغوا في الأرض. قال مقاتل: لعصوا^(٣).

وقال الكلبي عن ابن عباس: بغىهم في ذلك أن يرتفعوا من منزلة إلى منزلة ومن مركب إلى مركب ومن ملبس إلى ملبس^(٤).

وقال أهل المعاني: معنى البغي ييسر الرزق بغير النعمة والمنافسة حتى يطلب المنافس ما في يد غيره، وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس: لبغى بعضهم على بعض^(٥)، ومعنى البغي في اللغة: طلب ما ليس لك طلبه^(٦)، ومن وسع ذات

(١) بنو قريظة: حي من اليهود كانوا يسكنون المدينة وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوه، وحكم فيهم رسول الله ﷺ سعد بن معاذ رضي الله عنه، فحكم أن يقتل الرجال، وتقسم الأموال وتسي النساء والذرية. انظر: سيرة ابن هشام ٢٤٧/٣.

النضير: حي من اليهود يسكنون المدينة أرادوا قتل النبي ﷺ حينما خرج إليهم يستعينهم في دية قتيلين، فأجابوه ثم هموا بقتله، فجاءه الخبر من السماء بما أراد القوم، فحاربهم ﷺ وأجلاهم عن المدينة. انظر: سيرة ابن هشام ١٩٠/٣.

(٢) ذكر سبب النزول هذا عن خباب بن الأرت بهذا اللفظ الواحد في أسباب النزول ٣٩٦، ورواه الطبري ١٣/٣٠ من رواية عمرو بن حريث وغيره. قال: يقولون نزلت في أهل الصفة، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٥٢/٧.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٧٧٠/٣.

(٤) انظر: تفسير الثعلبي عن ابن عباس ٧١/١٠، وتفسير البغوي نسبه لابن عباس ١٩٤/٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٧/١٦ عن ابن عباس.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٧/١٦.

(٦) انظر: اللسان (بغى) ٧٦/١٤، ومفردات الراغب (بغى) ٥٥.

يده لم يسلم من طلب ما هو ممنوع عنه وورد ما لا يحل له ، وقوله في الأرض يجوز أن يكون ظرفاً [للعباد] ^(١) ، ويجوز أن يكون ظرفاً للبغي .

قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ يُزَلُّ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ ينزل بقدر ما يشاء بقدر ، قال ابن عباس : مطرا منه لأوليائه وأهل طاعته ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ يُعَادِي خَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ قال الكلبي : بصير بهم أن لو أعطاهم لبغوا ^(٣) .

٢٨ . قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِلُّ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ قال ابن عباس : المطر ^(٤) من بعد ما قنطوا من بعد ما أيس الناس من المطر .

قال أهل المعاني : وإنزاله بعد القنوط أدعى إلى شكر الآتي به ^(٥) ، وتعظيمه والمعرفة بموقع إحسانه ، وكذلك الشدائد التي تمر بالإنسان ويأتي الله بالفرج بعدها .

قال مقاتل : نزلت حين حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ، ثم أنزل الله المطر فذكرهم النعمة ^(٦) . ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ قال ابن عباس : يوسع عليهم رزقه ^(٧) ، وقال مقاتل : يبسط مطره ^(٨) .

(١) كذا رسمها في الأصل ، ولعل الصواب (لعباده) أو (للعباد) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ولم ينسبه . انظر : ٧٢ / ١٠ ب ، وذكره السمرقندي ولم ينسبه ١٩٦ / ٣ .

(٥) انظر : تفسير البغوي ١٩٥ / ٧ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٠ / ٣ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٠ / ٣ .

﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ يلي المطر ﴿الْحَمِيدُ﴾ عند خلقه وإنزال الغيث عليهم ، وقال ابن عباس : الولي لأهل طاعته الحميد عندهم في جميع خلقه ^(١) .

٢٩ . قوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ إلى قوله : ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ قال ابن عباس : ما دب فهو دابة يعني : الناس وغيرهم ^(٢) .

وقال مجاهد : يعني الناس والملائكة ^(٣) .

وقال مقاتل : يعني الملائكة في السموات والخلائق في الأرض خاصة دون السماء ^(٤) ، وذكر الفراء هذا القول ، فقال : أراد وما بث في الأرض دون السماء ومثله مما ثني ومعناه واحد وهو قوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الْوُثُوءُ وَالْمَرْجَاتُ﴾ [الرحمن : ٢٢] ، وإنما يخرج من الملح دون العذب ^(٥) هذا كلامه ، وأبو علي الفارسي يجعل ما كان من هذا النحو من باب حذف المضاف ويكون التقدير عنده : وما بث في أحدهما ثم حذف المضاف وكذلك قوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ ؛ أي من أحدهما ^(٦) .

قوله تعالى : ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ قال ابن عباس : يريد يوم القيامة ^(٧) .

وقال مقاتل : وهو على جمعهم في الآخرة إذا شاء قدير ^(٨) .

(١) ذكر ذلك البغوي : في تفسيره ولم ينسبه ١٩٥ / ٧ .

(٢) ذكر ذلك الشوكاني في فتح القدير ولم ينسبه . انظر : ٥٣٨ / ٤ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٣١ / ١٣ ، وفقد أخرجه عن مجاهد ، ونسبه القرطبي لمجاهد . انظر : ٢٩ / ١٦ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٠ / ٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٤ / ٣ .

(٦) انظر : الحجة ٢٤٧ / ٦ .

(٧) ذكر ذلك البغوي : ولم ينسبه . انظر : تفسيره ١٩٥ / ٧ ، وكذلك ذكره القرطبي ٢٩ / ١٦ ولم ينسبه ،

وكذلك ذكره الشوكاني ولم ينسبه . انظر : فتح القدير ٥٣٨ / ٤ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٠ / ٣ .

٣٠. قوله تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ روى الحسن أن النبي ﷺ قال : «ما خدش^(١) عود ولا عثرت قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله أكثر» ، ثم قرأ : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٢) .

ونحو هذا قال المفسرون : إن المراد بالمصيبة كل ما يلحق المؤمن مما يكره .

قال مقاتل : ما أصاب المؤمن بلاء في الدنيا من نكبة حجر أو عثرة قدم فصاعداً إلا بذنب ، وذلك قوله فيما كسبت أيديكم ؛ أي من المعاصي^(٣) ، ونحو هذا قال قتادة وغيره^(٤) .

قوله : ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ويتجاوز عن كثير من الذنوب فلا يعاقب بها قاله مقاتل^(٥) .

(١) نص الحديث عند وكيع : «ما من عثرة قدم ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر» ٣١٧/١ .

(٢) أخرج ذلك الثعلبي : في تفسيره ٧٢/١٠ ب ، وأخرجه أيضاً وكيع في كتاب : الزهد عن الحسن ، وقد حكم محقق كتاب : الزهد عليه بالضعف . انظر : كتاب : الزهد للإمام وكيع بن الجراح ٣١٧/١ ، وكما أخرجه الإمام هناد بن السري في كتاب : الزهد ، وأشار المحقق إلى ضعفه ٢٤٩/١ ، وانظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي ٤٩٢/٥ ، وانظر : ضعيف الجامع الصغير للألباني ١٢٣/٥ ، وقد حكم عليه بالوضع ، انظر : تفسير الحسن البصري ٢٧١ ، وتفسير سفيان الثوري ٢٦٨ ، ونسبه أبو القاسم الزجاجي لقتادة . انظر : أمالي الزجاجي ١١٢ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٠/٣ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٠/٣ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٣٢/١٣ ، والماوردي ٢٠٤/٥ ، والقرطبي ٣١/١٦ .

وقال ابن عباس : يريد لا يؤخذكم بكثير من أعمالكم وما عفا عنه في الدنيا ؛
فالله أعز وأكرم من أن يعود في عفوه ، وما عاقب عليه في الدنيا فالله أكرم من أن
يعيد العذاب عليه في الآخرة^(١) .

روي ذلك مرفوعاً وهو ما روى أبو إسحاق^(٢) عن علي بن أبي طالب أن
النبي ﷺ قرأ هذه الآية وفسرها له كما ذكر ابن عباس ، كذلك فهذه أرجى آية
في كتاب الله ؛ لأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين : صنف كفره عنهم
بالمصائب في الدنيا ، وصنف عفا عنهم في الدنيا وهو كريم لا يعود في عفوه ،
وهذا سنة الله مع المؤمنين ، وأما الكافر فلائنه لا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي
يوم القيامة .

وفي مصاحف المدينة والشام (بما كسبت) بغير فاء وكذلك يقرءون ، والقول
في ذلك : أصاب يجوز أن يكون صلة (ما) ، ويجوز أن يكون شرطاً في موضع
جزم ، فمن قدره شرطاً لم يجز حذف الفاء من جوابه على قول سيبويه^(٣) .

(١) هذا معنى حديث أخرجه الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب ٨٥ / ١ ، والحاكم ٣٨٨ / ٤ ، وأورده
الهيتمي ١٠٤ / ٧ ، وقال : فيه أزهر بن راشد وهو ضعيف . ونصه عند الإمام أحمد : قال علي رضي
الله عنه : ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ
مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ وسأفسرها لك يا علي : ما أصابكم من مرض أو
عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم والله تعالى أكرم من أن يشي عليهم العقوبة في الآخرة ، وما
عفا الله تعالى عنه في الدنيا ؛ فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه . وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٣٥٢ / ١
عن علي ، وقال محقق المسند : فيه أزهر بن راشد وهو ضعيف .

(٢) نقل المؤلف هذا الكلام من الحجة للقراء السبعة ١٢٩ / ٦ ، وانظر : الكشف عن وجود القراءات لمكي
٢٥١ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٠ / ٣ .

وقد تأول أبو الحسن^(١) بعض الآي على حذف الفاء في جواب الشرط ، وأجاز ذلك أيضاً بعض البغداديين ، واحتج بقوله : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١] ، وإذا كان صلة فالإثبات والحذف جائزان على معنيين مختلفين ، فإن أثبتت كان في ذلك دليل على أن الثاني وجب بالأول كقوله : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْئِيلِ وَالْتِهَارِ ﴾ [البقرة: ٢٧٤] ، ثم قال : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ فإثبات الفاء يدل على أن وجوب الأجر إنما هو من أجل الإنفاق^(٢) وإذا كان جزاء غير جازم أن تثبت الفاء كقوله : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٧٩] ، ومعنى هذه الآية كقوله : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الروم: ٤١] الآية هذا كلام أبي علي^(٣) .

وقال أبو إسحاق : إثبات الفاء في العربية أجود ؛ لأن الفاء مجازاة جواب الشرط^(٤) ، ومن حذف الفاء فعلى أن (ما) في معنى (الذي) والمعنى : الذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم .

٣١ . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ يقول : وما أنتم يا معشر المشركين بمعجزين ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ لا تعجزونني حيث ما كنتم لا تسبقونني هرباً في الأرض .

(١) هو : سعيد بن مسعدة الأخفش . وليس ذلك في معاني القرآن ، وقد نقله المؤلف من الحجة لأبي علي انظر : ١٢٩ / ٦ .

(٢) في الحجة : (والأولى إذا كان جزاء . .) .

(٣) انظر : الحجة : للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ١٢٩ / ٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٩٩ / ٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٨٣ / ٤ .

٣٢-٣٣. وقوله تعالى: ﴿كَأَلَّغُلْمٍ﴾ قال المفسرون^(١) وأهل اللغة^(٢): كالجبال، والعلم الجبل الطويل، قال مقاتل: شبه السفن في البحار كالجبال في البر^(٣).

وقوله: ﴿رَوَاكِدٍ﴾؛ أي قوائم ثابتات لا تجري ولا تبرح، قاله المفسرون^(٤)، والركود في اللغة: السكون يقال: ركد الماء وركدت الريح^(٥)، وقوله: ﴿لَا يَتَّيَّنُ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ مفسر في سورة [سبأ: ١٩].

٣٤. قوله تعالى: ﴿أَوْ يُؤَيِّقُهَا﴾ قال ابن عباس: يريد أو يغرقهن^(٦)، وقال مقاتل: يقول أو إن شاء يهلكهن^(٧)، يقال: أوبقه؛ أي أهلكه، ويقال للمجرم: أوبقته ذنوبه؛ أي أهلكته، وأنشد أبو عبيدة:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَعْمَالِي الَّتِي سَلَفَتْ مِنْ عَشْرَةٍ إِنْ يُعَاقِبْنِي بِهَا أَبْقِ^(٨)

ومضى الكلام في هذا عند قوله: ﴿مَوْجًا﴾ [الكهف: ٥٢] قال ابن قتيبة: أراد أهل السفن يعني أن المراد بالاهلاك أهل السفن لا السفن^(٩)، فيكون على

(١) انظر: تفسير الطبري ٣٣/١٣، والماوردي ٢٠٥/٥، وابن عطية ٢٢٦/١٤.

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (علم) ٤١٨/٢، واللسان (علم) ٤١٩/١٢.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٧٧١/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٣٤/١٣، والثعلبي ١٧٤/١٠، والبغوي ١٩٦/٧.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (ركد) ١١٥/١٠، واللسان (ركد) ١٨٤/٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري ٣٥/١٣.

(٧) انظر: تفسير مقاتل ٧٧١/٣.

(٨) البيت لأعشى همدان وهو في ديوانه الذي ألحق في ديوان أعشى ميمون ٣٣٧، وانظر: مجاز القرآن

٢/٢٠٠، والزاهر لابن الأنباري ٢٩٧/١، والشاهد: قوله: أبقي؛ أي أهلك.

(٩) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩٣.

تقدير حذف المضاف كأنه أو يوبق أهلهم يدل على هذا قوله : ﴿يَمَّا كَسَبُوا﴾
ابن عباس : بما أشركوا واقتربوا من الذنوب^(١) .

وقوله : ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ قال مقاتل : ويتجاوز عن كثير من الذنوب
فينجيهم من الهلكة فلا يغرقهم^(٢) .

وقرأ العامة ﴿وَيَعْفُ﴾ بالجزم عطف على ما قبله ووجهه من المعنى غير بين ؛
لأن معنى الآية : إن يشأ يسكن تلك السفن حتى تبقى راكدة لا تجري ، أو يهلكها
بذنوب أهلها فلا يحسن عطف ﴿وَيَعْفُ﴾ على هذا ؛ لأنه يُصَيِّرُ المعنى : إن يشأ
يعف وليس المعنى على ذلك ، وإنما الإخبار عن العفو من غير شرط المشيئة ، وعلى
هذا يجب أن يكون : ويعفو مرفوعاً مستأنفاً وكأنه روعي اللفظ ، فعطف على
المجزوم ظاهراً وإن لم يكن على ذلك ، والأولى قراءة من قرأ بالرفع وإن شذ^(٣) .

٣٥ . قوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ قرىء :
(ويعلم) رفعاً ونصباً^(٤) ، قال المبرد : من رفع [محيّد^(٥)] بالغ بقطعه
من الأول ويجعلها جملة معطوفة على جملة كأنه قال : والذين يجادلون
في آياتنا يعلمون ما لهم من محيص ؛ أي هذه حالهم كقوله : إن تأتيني
أتيك وينطلق عبد الله يوم الجمعة وأنا أتيك غداً ، عطف حديثك بعضه
على بعض ، وكل نوع منه على حياله ، وقد اجتمع في آتك صحت كل
حديثك بالواو فهذا معنى عطف الجملة على الجملة ، وكذلك كل كلام

(١) انظر : تفسير الماوردي ٢٠٥/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٣/١٦ ، وفقد ذكرنا نحو هذا المعنى من غير نسبة .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/٧٧١ ، ٧٧٢ .

(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٨٤/٤ ، والدر المصون ٨٣/٦ ، وذكر ذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٣/١٦ ، والشوكاني في تفسيره ٥٣٩/٤ .

(٤) انظر : الحجة للقراء السبعة ١٣٠/٦ ، وكتاب : التيسير في القراءات السبع للداني ١٩٥ .

(٥) كذا في (أ) و(ب) ، والصواب (محيص) ، ولم أقف على قول المبرد .

لم يتعلق بما قبله خبراً كان أو استفهاماً ، وأما من نصب فقال الفراء :
(ويعلم الذين) مردود على الجزم ، إلا أنه صرف عنه ^(١) معطوفة نصب
كما قال الشاعر ^(٢) :

فإن يَهْلِكُ أبا قابُوسَ يَهْلِكُ ربيعُ النَّاسِ والبلدُ الحَرَامُ
ونمِسِكَ بعده بِذَنابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظُّهْرَ ليس له سَنَامُ
قال : ولو جزم ﴿وَيَعْلَمُ﴾ كان جائزاً فيقرأ ويعلم الذين يجادلون .

وقال أبو إسحاق : النصب على إضمار أن ؛ لأن قبلها جزاء ، تقول : ما تصنع
أصنع مثله وأكرمك ، وإن شئت قلت : وأكرمك جزماً ^(٣) ، وهذا كقول الفراء ^(٤)
سواء .

قال المبرّد وأبو علي : النصب في هذا بإضمار أن على أن لا يجعل الأول في
تقدير المصدر كأنه قيل : ويكون منه عفو وإن لم يعلم فلما حمّله على الاسم أضمر
أن لا اجتماعهما على أنهما مصدران كما تقول إن تأتيني وتعطيني أكرمك ، فت نصب
تعطيني وتقديره إن يكون إتيان منك وأن تعطيني ^(٥) ، وهذا القول الذي ذكرناه
تلفيق من حيث النحو ، وليس المعنى على هذا ، وقراءة من قرأه بالنصب ضعيف

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٤ / ٣ ، وبلغظ : (إلا أنه صرف ، والجزم إذا صرف عنه معطوفة
نصب . . .) .

(٢) الشاعر : النابغة الذبياني يذكر في هذه الأبيات مرض النعمان بن المنذر وأنه إن هلك صار الناس بعده
إلى شر حال . انظر : ديوان النابغة ١١٠ ، ومعاني الفراء ٢٤ / ٣ ، والبيت الأخير في تهذيب اللغة
(ذاب) ٤٣٩ / ١٤ ، وانظر : الكتاب لسيبويه ١٩٦ / ١ ، وتفسير الطبري ٣٥ / ١٣ ، وشرح أبيات
سيبويه للنحاس ٦٠ ، ٦٢ ، ورد البيت الأخير في المقتضب للمبرّد ١٧٧ / ٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٩٩ / ٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٥ / ٣ .

(٥) انظر : الحجة للفراء السبعة لأبي علي الفارسي ١٣٠ / ٦ ، وبلغظ : (إن يكن منك إتيان وإعطاء
أكرمك) ، الدر المصون ٨٤ / ٦ .

لا وجه له من حيث قالاً ، والذي يختار^(١) سيبويه في ما عطف على جواب الجزاء أن يكون مجزوماً ويقراً ويعلم الذين ، قال : والذي ينصب بعد المجزوم في الخبر أشبه بقول من قال في الضرورة :

والحق بالحجاز فأستريحاً^(٢)

فأضمر في غير موضع إضمار لأنها خبران ، قال سيبويه^(٣) : إلا أن النصب في الجزاء مثل قليلاً لأنه في الجزاء ليس يوقع فعلاً إلا بأن يكون من غير فعل فصار بمنزلة غير الواجب فمن ثم كان إضمار (أن) أمثل لمضارعتة ما ليس بواجب ، وأنشد للأعشى^(٤) في نصب ما عطف على الجزاء ، فقال :

وَمَنْ يَغْتَرِبُ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجْرَأً وَمَسْحَبًا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسَىءُ يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا

(١) انظر : الكتاب لسيبويه فقد نقل منه المؤلف إلى نهاية البيتين بتصرف يسير : ٩٢ / ٣ ، وذكر ذلك أبو علي الفارسي في الحجة للقراء السبعة ١٣٠ / ٦ .

(٢) هذا عجز بيت للمغيرة بن حبياء ، وصدده :

سأترك منزلي لبني تميم

انظر : المحتسب ١٧٩ / ١ ، والكتاب ٣٩ / ٣ ، والحجة لأبي علي ١٣١ / ٦ ، والدر المصون ٨٤ / ٦ ، وشرح أبيات سيبويه ١٦١ ، والمقتضب ٢٢ / ٢ .

(٣) نص العبارة عند سيبويه فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه ، إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلاً ، لأنه ليس بواجب أنه يفعل إلا أن يكون من الأول فعل ، فلما ضارع الذي لا يوجه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه ، وإن كان معناه كمعنى ما قبله إذا قال وأعطيك . وإنما هو في المعنى كقوله أفعل إن شاء الله يوجب بالاستثناء ، قال الأعشى في ما جاز من النصب . انظر : الكتاب ٩٢ / ٣ .

(٤) البيتان للأعشى في ديوانه ٨٨ ، والشاهد فيه : نصب تدفن على إضمار أن ، انظر : الكتاب ٩٢ / ٣ ، واللسان (ككب) ١ / ٦٩٧ ، والحجة ١٣١ / ٦ ، والمقتضب ٢ / ٢١ ، وككب : اسم جبل بمكة والنار في رأس الجبل أظهر وأشهر ؛ أي من اغترب عن قومه جرى عليه الظلم فاحتمله لعدم ناصره ، وأخفى الناس حسناته ، وأظهروا سيئاته . انظر : الكتاب ٩٣ / ٣ .

فهذا حجة لمن قرأ ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ﴾ بالنصب هذا كلامها في توجيه القراءة ، وهو توجيه من حيث اللفظ وليس يصح في المعنى عطف قوله : ويعلم^(١) على المجزوم كالتي في آل عمران : ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٤٢] قال المبرد : وليس النصب في هذه الآية مثل النصب في تلك ؛ لأن العطف في تلك الآية متفق نصب أو جزم ، وهو في هذا مختلف ؛ لأن المعنى هناك : ولم يعلم الله الذين جاهدوا ولم يعلم الصابرين ؛ أي لم يجتمع هذا وهذا وفي هذه الآية قوله : ويعلم الذين يجادلون على حياله وليس يجتمع مع الأولى حتى يحسن العطف عليه^(٢) ، قال ابن عباس : ويعلم الذين يكذبون بآياتنا ما لهم من مهرب^(٣) يأتون إليه ، يريد مصيرهم إليّ ، والمعنى : أن الكفار إذا صاروا إلى الله بعد البعث علموا أن لا مهرب لهم من عذاب الله ، وهذا التفسير إنما يصح على قراءة من قرأ بالرفع ، وهو الوجه ؛ أي سيعلمون^(٤) ذلك .

٣٦ . قوله تعالى : ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ مفسر في سورة القصص [آية : ٦٠] إلى قوله : ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، وهو بيان أن ما عند الله إنما هو خير للمؤمنين لا للكافرين ؛ فقد استوى الفريقان في أن ما أعطوا للدنيا متاع يتمتعون به ثم يزول ، فإذا صاروا إلى الآخرة كان ما عند الله خير للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، قال ابن عباس : [ماله يسمعون وينفون]^(٥) .

(١) قال الزمخشري : فإن قلت فسا وجوه القراءات الثلاث في : ويعلم . قلت : أما الجزم فعلى ظاهر العطف ، وأما الرفع فعلى الاستئناف ، وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره : ليتنقم منهم ويعلم الذين يجادلون . انظر : الكشف للزمخشري ٤٠٦ / ٣ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير الماوردي ٢٠٥ / ٥ ، وتفسير البغوي ١٩٧ / ٧ .

(٤) انظر : الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٣١٩ ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢٥١ / ٢ ، وكتاب إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر للقلانسي ٥٤٣ .

(٥) كذا رسمها في الأصل ولم أتبين معناها ، ولم أقف على هذا القول .

٣٧. ثم وصفهم فقال : ﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِبِيرَ الْإِثْمِ﴾ قال مقاتل : يعني كل ذنب ختم بنار^(١) ، والكلام في الكبائر قد تقدم في سورة النساء [آية : ٣١] ، قرأ حمزة (كبير الإثم) وهو كقراءة من قرأ بالجمع ؛ لأنه يجوز أن يراد بالواحد الجمع عند الإضافة كقوله : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾^(٢) [إبراهيم : ٣٤ ، النحل : ١٨] وفي الحديث : «منعت العراق درهمها وقفيزها»^(٣)^(٤) ، ويجوز أن يكون قد ذهب إلى ما روي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال : يريد الشرك فوحد إرادة الشرك^(٥) .

قوله تعالى : ﴿وَالْفَوَاحِشُ﴾ قال ابن عباس : يريد الزنا^(٦) ، وقال مقاتل : ما تقام فيه الحدود في الدنيا^(٧) .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَعْفِرُونَ﴾ قال : يتجاوزون فيكظمون الغيظ ويعفون ، نزلت في عمر بن الخطاب حين شتم بمكة^(٨) .

قال ابن عباس : يعفون عمن ظلمهم يطلبون بذلك ثواب الله وعفوه^(٩) .

-
- (١) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٢ / ٣ .
 (٢) انظر : الحجة للقراء السبعة ١٣٢ / ٦ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢٥٣ / ٢ .
 (٣) أخرج الحديث بهذا اللفظ مسلم ٢٢٠ / ٣ ، وكتاب الفتن ، باب ٨ ، والإمام أحمد في المسند ٢٦٢ / ٢ ، وأخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء .
 (٤) القفيز : من المكاييل ، معروف ، وهو ثمانية مكايك عند أهل العراق ، وهو من الأرض قدر مائة وأربعة وأربعين ذراعاً ، وقيل : هو مكيال تتواضع الناس عليه والجمع أقفزة ، وقفزان . انظر : اللسان (قفز) ٣٩٥ / ٥ .
 (٥) انظر : تفسير الطبري ٣٦ / ١٣ ، وتفسير ابن عطية ٢٢٨ / ١٤ .
 (٦) أخرج ذلك الطبري ٣٦ / ١٣ عن السدي . وكذلك نسبة البغوي ١٩٧ / ٧ للسدي ، ونسبه القرطبي ٣٥ / ١٦ لابن عباس والسدي .
 (٧) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٢ / ٣ ، والثعلبي ٧٤ / ١٠ ب ، والبغوي ١٩٧ / ٧ .
 (٨) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٢ / ٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٥ / ١٦ .
 (٩) ذكر نحو ذلك القرطبي ٣٦ / ١٦ ولم ينسبه .

وقال الكلبي عن ابن عباس : يعفون عمن ظلمهم . أقبل رجل من المشركين يشتم أبا بكر ويقع فيه ، فلم يرد عليه أبو بكر شيئاً ، فنزلت هذه الآية ^(١) ، وما بعدها من قوله : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ﴾ قال ابن عباس : أجابوا النبي ﷺ إلى ما دعاهم إليه من عبادة الله وتوحيده ^(٢) .

٣٨ . قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ الشورى فعلى من المشاورة والأمر الذي يتشاور فيه ، فقال قوم : شورى مثل نجوى وأمر شورى ، يقال : صار هذا الشيء شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه .

قال ابن عباس : يريد يتشاورون في الأمر يطلبون رضا الله يكرهون أن يعجلوا في الأمر فيأثموا ^(٣) .

وقال الحسن في هذه الآية : والله ما تشاور قوم إلا هدهم الله لأفضل ما يحضر بهم ^(٤) ، وفي الآية حث على المشاورة في الأمر حين أثنى على هؤلاء بأنهم يتشاورون .

٣٩ . قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : يعني المؤمنين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنتهم

(١) انظر : غرائب التفسير للكرماني ٢/ ١٠٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٦ ، وتنوير المقباس ٤٨٧ .

(٢) ذكر ذلك الطبري ١٣/ ٣٧ ولم ينسبه ، وقال الماوردي ٥/ ٢٠٦ : قال عبدالرحمن ابن زيد : هم الأنصار بالمدينة استجابوا إلى الإيمان بالرسول حين أنفذ إليهم اثني عشر نقيباً منهم قبل الهجرة . اهـ . وكذلك ذكره القرطبي ١٦/ ٣٦ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ٥/ ٢٠٦ ، وتفسير الوسيط ٤/ ٥٧ ، وتفسير الحسن ٢/ ٢٧٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٦ .

الله في الأرض حين نصرُوا ممن ظلمهم^(١)، وقال في رواية الكلبي :
نزلت في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - شتمه رجل بحضرة رسول
الله ﷺ ، فسكت عنه فلما طال شتمه إياه انتصر منه^(٢) .

وقال ابن زيد : جعل المؤمنين صنفين : صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ
بذكرهم وهو قوله : ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ ، وصنف ينتصرون من ظلمهم
وهم الذين ذكروا في هذه الآية^(٣) .

وقال السدي : هذا عام في كل باغ وكل منتصر .

وقال مقاتل : هذا في اقتصاص المجروح من الجارح^(٤) .

قال أبو إسحاق : فإن قيل : هم محمودون على انتصارهم ؟ قيل : نعم لأن من
انتصر فأخذ بحقه ولم يجاوز في ذلك ما أمر الله به ولم يسرف إن كان ولي دم ، فهو
مطيع لله - عز وجل - وكل مطيع محمود^(٥) ، وقيل : إنما مدحهم بالانتصار لأنهم
كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فتجترأ عليهم الفساق^(٦) ، وهذا معنى قوله :
أمرهم .

(١) ذكر ذلك البغوي ١٩٧/٧ عن عطاء ، ونسبه ابن الجوزي لعطاء انظر : ٢٩١/٧ ، ونسبه
القرطبي : ٣٨/١٦ لابن عباس ، تفسير الوسيط ٥٨/٤ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٤٣٦/٢ ، وأورده الفراء في معاني القرآن ٢٥/٣ .

(٣) أخرج ذلك الطبري ٣٧/١٣ عن ابن زيد ، ونسبه البغوي لابن زيد ١٩٧/٧ ، وهكذا في زاد المسير
٢٩١/٧ .

(٤) انظر : زاد المسير ٢٩٣/٧ ، وتفسير مقاتل ٧٧٢/٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٠١/٤ .

(٦) انظر : تفسير البغوي ١٩٧/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٩/١٦ .

٤٠. قوله تعالى : ﴿ وَحَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا ﴾ قال مقاتل : جزاء الجارح أن يجرح فيقتص منه ^(١) .

وقال مجاهد والسدي : هو إجابة قائل الكلمة القبيحة إذا قال أخزاه الله من غير أن يعتدي ، وأما القذف الموجب للحد فليس جزاؤه القذف ؛ جزاؤه أن يحد كما أمر الله ^(٢) .

قال أبو إسحاق : والمجازاة بالسيئة غير سيئة توجب ذنباً وإنما سميت سيئة ؛ لأنها مجازاة لسوء ، وقد ذكرنا هذا عند قوله ^(٣) : ﴿ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٤] .

ثم ذكر العفو ، فقال : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ ﴾ قال ابن عباس : يريد بعد القدرة عفا عمن ظلمه بيده ولسانه وأصلح ؛ أي أصلح ما بينه وبين ظالمه بالعفو ^(٤) ، وقال مقاتل : أصلح العمل بالعفو والعفو من الأعمال الصالحة ^(٥) ﴿ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ ضمن الله له أجره بالعفو : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ قال مقاتل : يعني من بدأ بالظلم .

قال أهل المعاني : لما حث على العفو عن الظالم أخبر أنه لا يجب ^(٦) .

وقيل : إنه لا يجب الظالم الذي يتعدى في القصاص إلى ما ليس له ^(٧) ، فيكون في هذا زجر عن التعدي في القصاص .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٢ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١٠/ ١٧٥ ، وزاد المسير ٧/ ٢٩٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٤٠ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٠١ .

(٤) نسب القرطبي ذلك لابن عباس . انظر : الجامع ١٦/ ٤٠ ، وذكر نحوه الشوكاني ولم ينسبه ، انظر : تفسيره ٤/ ٥٤١ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٣ ، وتفسير الثعلبي ١٠/ ٧٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٤٠ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) ذكر ذلك القرطبي في الجامع ١٦/ ٤١ ونسبه لابن عيسى .

٤١. ثم ذكر المنتصر ، فقال : ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ ؛ أي بعد ظلم الظالم إياه ، والمصدر هاهنا مضاف إلى المفعول ^(١) كقوله : ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [فصلت : ٤٩] و ﴿سُؤَالِ نَجَاتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ [ص : ٢٤] ، ﴿فَاُولَئِكَ﴾ يعني المنتصرين ﴿مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ بعقوبة مؤاخذه لأنهم أتوا ما أبيح لهم من الانتصار .

٤٢. ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ قال ابن عباس : يبادرون بالظلم ^(٢) ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ؛ قال مقاتل : يعملون فيها بالمعاصي ^(٣) .

٤٣. ﴿وَلَمَنِ صَبَرَ وَعَفَرَ﴾ وتجاوز ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ من حق الأمور التي أمر التنبيه بها قاله مقاتل ^(٤) وقال ابن كيسان : عزم الأمور هو : التيقن بالخلف والثواب ^(٥) .

وقال أبو إسحاق : الصابر يؤتى بصره ثواباً والرغبة في الثواب أتم عزم ^(٦) .

وقال الأخفش : إن ذلك منه لمن عزم الأمور كما تقول : مررت بدار الذراع بدرهم ؛ أي الذراع منها بدرهم ^(٧) .

(١) انظر : تفسير الكشاف ٤٠٧/٣ ، والبحر المحيط ٥٢٣/٧ .

(٢) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ولم ينسبه . انظر : ٧٥/١٠ ب ، وكذلك ذكره الثعلبي ولم ينسبه . انظر : ١٩٨/٧ ، وأيضاً ذكره ابن الجوزي ولم ينسبه . انظر : زاد المسير ٢٩٣/٧ ، ونسبه في الوسيط : لابن عباس ، انظر : ٥٩/٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٣/٣ ، وتفسير البغوي ١٩٨/٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٣/٣ ، وتفسير البغوي ١٩٨/٧ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٠٢/٤ .

(٧) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٨٧/٢ .

٤٤ . قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس : من أضله الله فلا هادي له غيره ^(١) ، وقال مقاتل : ومن يضلل الله عن الهدى فما له من ولي يعني قريباً يهديه ^(٢) ؛ أي بعد إضلال الله إياه ، وهذا صريح في جواز الإضلال من الله وفي أن الهداية ليست في مقدور أحد سوى الله تعالى ^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ﴾ قال : يعني المشركين يسألون الله الرجعة إلى الدنيا إذا رأوا العذاب في الآخرة .

٤٥ . قوله تعالى : ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ قال يونس : من هاهنا بمنزلة الباء يعني بطرف ^(٤) .

وقال الأخفش : جعل الطرف العين كأنه قال نظرهم من عين ضعيفة ^(٥) .

قال مجاهد : ﴿خَفِيٍّ﴾ ؛ أي ذليل ^(٦) ، والمعنى : يخفون النظر من الذل الذي

٣٣٠

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٣ / ٣ .

(٣) قال ابن جرير : من خذله الله عن الرشاد فليس له من ولي يليه فيهديه لسبيل الصواب ، ويسدده من بعد إضلال الله إياه ، انظر : تفسير الطبري ٤٠ / ١٣ .

(٤) انظر : حروف المعاني للزجاجي ٧٦ ، والجنى الداني للمرازي ٣١٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٨٧ / ٢ .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٥٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٥ / ١٦ .

وقال مقاتل : يستخفون بالنظر إليها^(١) ، وهو معنى قول قتادة والحسن : ينظرون إليها مسارقة^(٢) ، وقال الكلبي : هذا قبل دخولهم النار يعرضون على النار فرأوها بقلوبهم فهو الطرف الخفي ، ولم يروها بأعينهم لأنهم يبعثون عمياً^(٣) .

٤٧ . قوله تعالى : ﴿ اَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : أجبوا داعي ربكم يعني محمداً ﷺ في التوحيد^(٤) ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ ﴾ لا يقدر أحد على دفعه ورده وهو يوم القيامة ، ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ ﴾ تلجأون إليه وحرز يحرزكم ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ ؛ أي من إنكار وتغيير للعذاب .

وقال أبو إسحاق : أي ليس لكم مخلص من العذاب ، ولا تقدروا أن تنكروا ما توقفون عليه من ذنوبكم ولا ما ينزل بكم من العذاب^(٥) .

٤٨ . قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحِجَّ بِهَا ﴾ قال ابن عباس : يريد الغنى والصحة^(٦) .

-
- (١) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٣ / ٣ .
 (٢) ذكر ذلك البغوي ١٩٩ / ٧ ولم ينسبه ، ونسبه ابن الجوزي ٢٩٤ / ٧ لقتادة والسدي ، ونسبه القرطبي ٤٥ / ١٦ لقتادة والسدي والقرطبي وسعيد ابن جبير .
 (٣) ذكر هذه الأقوال جميعها الطبري : في تفسيره ٤٢ / ١٣ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٤٥ / ١٦ ، ٤٦ ، والسيوطي في الدر المنثور ٣٦١ / ٧ .
 (٤) ذكر ذلك البغوي ١٩٩ / ٧ ولم ينسبه ، والمؤلف في الوسيط ٦٠ / ٤ ، ولم ينسبه ، انظر : تفسير مقاتل ٧٧٣ / ٣ .
 (٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٠٢ / ٤ .
 (٦) ذكر ذلك البغوي : في تفسيره عن ابن عباس . انظر : ٢٠٠ / ٧ ، ونسبه في الوسيط : لابن عباس ٦٠ / ٤ .

وقال مقاتل : نزلت في كفار مكة ، ويريد بالرحمة المطر ، والمراد بالإنسان هاهنا : الجمع يدل عليه قراءة عبدالله : وإنا إذا أذقنا الناس منارحة^(١) ، ويدل عليه قوله : ﴿ وَإِنْ نُصِيبْهُمْ سَيْئَةً ﴾ قال الفراء : والهاء والميم على التأويل ومثله قوله : ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨] وهو في معنى جمع ، وكذلك جاز منه الاستثناء وهو موحد في اللفظ ، كما قال : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِيْ خُسْرٍ ۖ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ [العصر: ٢، ٣]^(٢) قال مقاتل : سيئة يعني قحط المطر^(٣) : ﴿ يَمَّا قَدَمْتْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ من الكفر ﴿ فَإِنَّ الْإِنْسَنَ كَفُورٌ ﴾ ؛ أي لما تقدم من نعمة الله عليه يعدد المصائب ويحمد النعم .

٤٩ . قوله تعالى : ﴿ يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا ﴾ يعني : البنات ليس فيهن ذكر ﴿ وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴾ يعني البنين ليس معهم أنثى ، وهذا قول ابن عباس^(٤) ، في رواية سعيد بن جبير ومقاتل والمفسرين^(٥) ، وعرف الذكور لأجل الفاصلة ؛ لأنها لو نكرت لكانت ذكوراً فكان يوقف عليها بالألف فتختلف الفواصل . وقال ابن عباس في رواية عطاء : يهب لمن يشاء إناثاً : يريد لوطاً لم يولد له إلا بنات^(٦) ، ﴿ وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴾ يريد إبراهيم - عليه السلام - لم يولد له إلا ذكور^(٧) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٧٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ٢٦ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٧٣ .

(٤) لم أقف عليه ، وقد أخرجه الطبري : في تفسيره ١٣ / ٤٤ عن السدي .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٧٥ ، والدر المنثور ٧ / ٣٦٢ .

(٦) ذكر ذلك ولم ينسبه : البغوي ٧ / ٢٠٠ ، وابن الجوزي ٧ / ٢٩٦ ، والقرطبي ١٦ / ٤٩ .

(٧) انظر : تفسير البغوي ٧ / ٢٠٠ والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٤٩ .

٥٠. قوله تعالى ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْسَانًا﴾ يريد محمداً ﷺ^(١)، كان له أربعة بنين: القاسم والطاهر وعبدالله وإبراهيم، وأربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة^(٢).

﴿وَيَجْعَلُ مِنْ بَشَرَةٍ مَشَاءً عَاقِبَةً﴾ يريد عيسى ويحيى عليهما السلام، ونحو هذا قال أبو إسحاق ابن بشر^(٣)، وهذا يجب أن يكون تمثيلاً لا تخصيصاً لأن اللفظ عام وهذه الأقسام موجودة في غير الأنبياء وهي من حكم الله تعالى في الخلق كلهم قال مقاتل في قوله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ الآية قال: يولد له بنون وبنات فيجمعهم له^(٤)، وهو قول عامة المفسرين إلا ما ذكر عن ابن الحنفية أنه قال هذا في [التام]^(٥) والظاهر قول العامة^(٦).

(١) انظر: تفسير الثعلبي ١٠/٧٧، وزاد المسير ٧/٢٩٦، وتفسير البغوي ٧/٢٠٠، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٤٩، وتفسير الوسيط ٤/٦٠.

(٢) أما أولاده ﷺ فأتوا وهم أطفال أما بناته: فزينب أكبر بناته، وأول من تزوج منهن ولدت قبل البعثة بمدة قيل إنها عشر سنين، وتزوجها ابن خالتها أبو العاص ابن الربيع، وتوفيت في أول سنة ثمان من الهجرة. انظر: الإصابة ٤/٣١٢.

وأما رقية: فكانت أولاً عند عتبة بن أبي لهب، فلما بعث النبي ﷺ أمر أبو لهب ابنه بطلاقها، فتزوجها عثمان. الإصابة ٤/٣٠٤.

أما فاطمة؛ فهي أصغرهن سناً وقد تزوجها علي، وقيل انقطع نسل رسول الله ﷺ إلا من فاطمة. الإصابة ٤/٣٧٧.

وأما أم كلثوم: فقد اختلف هل هي أصغر أو فاطمة، وتزوجها عثمان بعد موت أختها رقية عنده. انظر: الإصابة ٤/٤٨٩.

(٣) أخرج هذا الثعلبي ١٠/٧٦. عن إسحاق بن بشر فلعل لفظ: (أبو) زيادة من الناسخ.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٣/٧٧٥.

(٥) كذا رسمها في الأصل (التام)، والصحيح (التوأم) كما في الدر المنثور ٧/٣٦٢.

(٦) انظر: زاد المسير ٧/٢٩٦، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٤٨، وانظر: قول ابن الحنفية في الدر ٧/٣٦٢.

قال أبو إسحاق : ويجعل ما يهبه من الولد : ﴿ذَكَرْنَا وَإِنثَا﴾ ، فمعنى
يزوجهم يقرنهم وكل شيء يقترن أحدهما بالآخر فهما زوجان وكل واحد منهما
يقال له زوج^(١) ، والكناية يزوجهم تعود على الإناث والذكور التي في الآية
الأولى ، والمعنى يقرن الإناث والذكور فيجعلهم أزواجاً وهو أن يولد للرجل
ذكور وإناث .

قال أبو عبيدة^(٢) في هذه الآية : يجعلهم ذكوراً وإناثاً^(٣) .

وقال الحسن : يجمع لهم الإناث والذكور^(٤) ، وقال مجاهد : يخلط بينهم وهو
أن تلد المرأة غلاماً ثم تلد جارية ثم تلد غلاماً ثم تلد جارية^(٥) .

قوله تعالى : [. . من يشاء عقيماً]^(٦) قالوا لا يولد له ، والعقيم يكون من
الرجال ومن النساء يقال : رجل عقيم لا يولد له وامرأة عقيم لا تلد ، روى عمرو
قال : يقال عُقِمَتِ الْمَرْأَةُ تُعَقِّمُ عَقْماً وَعَقِمَتْ تَعَقِّمُ عَقْماً كُلُّهَا إِذَا لَمْ تَحْمِلْ ، وأصل
العقم القطع ومنه قيل : الملك عقيم لأنه يقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق^(٧) .

قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ قال ابن عباس : عليم بما خلق قدير على ما
يشاء ، أن يخلقه^(٨) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٠٢ .

(٢) في الأصل (عبيدة) وقد سقط لفظ (أبو) .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٠١ .

(٤) ذكر ذلك البغوي ٧ / ٢٠٠ ولم ينسبه ، وذكره في الوسيط ٤ / ٦٠ عن الحسن .

(٥) انظر : زاد المسير ٧ / ٢٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٤٨ ، وتفسير مجاهد ٥٩١ .

(٦) كذا في الأصل وقد سقط من الآية لفظ (ويجعل) .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (عقم) ١ / ٢٨٨ ، واللسان (عقم) ١٢ / ٤١٢ .

(٨) لم أقف عليه .

٥١. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ روي في التفسير أن اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا نكلم الله وننظر إليه كما كلمه موسى، ونظر إليه فقال رسول الله ﷺ: «لم ينظر موسى إلى الله» وأنزل الله - عز وجل - هذه الآية^(١): ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾، قال: يريد الوحي في المنام والإلهام كما كان للأنبياء ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ كما كلم الله موسى، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ جبريل أو غيره من الملائكة، ﴿فَيُوحِي﴾ ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ﴿مَا يَشَاءُ﴾ الله، قال أبو إسحاق: والتفسير أن كلام الله للبشر إما أن يكون بإلهام يلهمهم أو كما كلم موسى - عليه السلام - أو برسالة ملك إليهم، واختلفوا في قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي﴾ يقرأ بالنصب والرفع والرفع قاله سيبويه، وسألت الخليل^(٢) عن قوله: أو يرسل رسولاً بالنصب فقال: يرسل محمول على أن يوحى هذه التي في قوله أن يكلمه الله إلا بأن يوحى أو أن يرسل ومثله قول الشاعر^(٣):

ولولا رجال من رزام أعزة
وأل سبيع أو أسوءك علقماً

(١) ذكر ذلك الثعلبي: من دون سند، انظر: تفسيره ١٧٧/١٠، كما أورده الواحدي في أسباب النزول من دون سند ٣٩٦، وأورده الماوردي: في تفسيره من غير إسناد ٢١٢/٥، وكذلك البغوي: من غير إسناد ٢٠٠/٧، وقال ابن حجر في الكافي الشاف لم أجده ١٤٦، وكذلك ذكره القرطبي في الجامع ٥٣/١٦.

(٢) الذي في معاني القرآن للزجاج قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: ... ٤٠٣/٤، وانظر: الكتاب ٥٠/٣.

(٣) البيت: للحصين بن الحزام بن ربيعة المري الذبياني، شاعر جاهلي مات قبل الإسلام في شعره حكمة، وهو ممن نبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، انظر: الكتاب لسيبويه ٤٩/٣، والمحاسب لابن جني ٣٢٦/١، واللسان (رزم) ٢٤٠/١٢، وشرح أبيات سيبويه ١٦٣، ومعنى البيت: رزام هو ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن مرو بن تميم. أعزة: جمع عزيز، وسبيع: هو ابن عمرو بن فتيه. وعلقمة: هو علقمة بن عبيد بن عبد بن فتيه. انظر: الكتاب ٥٠/٣.

وذلك أنه امتنع أن يحمل الفعل على لولا فأضمر (أن) كأنه قال : لولا ذاك أو لولا أن أسوءك ، قال ويجوز الرفع في يرسل على معنى الحال ، ويكون المعنى : ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو مرسلًا رسولاً ، وذلك كلامه إياهم كما تقول العرب : تحيتك [اضرب]^(١) وعتابك السيف وكلامك القتل ، وكما قال الشاعر^(٢) :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٌ تحيةً بينهم ضربٌ وجيعٌ
وقد يجوز أن يرفع أو يرسل على أو هو يرسل^(٣) ، كما قال :

إن تركبوا فرُكوبُ الخيلِ عادتُنا أو تنزلون فإننا معشرٌ نُزلُ^(٤)

قال يونس : رفعه على الابتداء كأنه قال : أو أنتم تنزلون^(٥) ، وعلى هذا الوجه الرفع في الآية كأنه قال : أو هو يرسل هذا كلامه الذي ذكرنا حكاياه المبرّد والزّجاج^(٦) .

وشرح أبو علي الفارسي هذه الحكاية ، فقال : لا يجوز أن يكون أو يرسل في قول من نصب محمولاً على أنه يكلمه ؛ لأنك إن حملته عليها كان المعنى : ما كان لبشر أن يكلمه الله أو أن يرسل ، وليس يخلو قوله أو يرسل رسولاً من أن يكون المراد به أو يرسله رسولاً ، أو يكون أو يرسل إليه رسولاً ، ولا يصح واحد من التقديرين ؛ لأنه يصير المعنى : ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو يرسله رسولاً

(١) كذا رسمها في الأصل (اضرب) ، والصحيح : الضرب .

(٢) عمرو بن معدى كرب . انظر : كتاب سيبويه ٢/ ٣٢٣ ، وشرح المفصل ٢/ ٨٠ ، وخزانة الأدب ٤/ ٥٣ ، وشرح أبيات سيبويه ١٦٣ .

(٣) إلى هنا انتهى ما نقله عن الزّجاج في معاني القرآن ٤/ ٤٠٣ .

(٤) البيت للأعشى . انظر : ديوانه ٤٨ ، وكتاب سيبويه ٣/ ٥١ ، وخزانة الأدب ٣/ ٦١٢ .

(٥) انظر : الكتاب ٣/ ٥١ .

(٦) انظر : المقتضب للمبرّد ٢/ ٣٣ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٤/ ٤٠٣ .

أو يرسل إليه رسولاً ، والتقدير ان جميعاً فاسدان ؛ لأن كثيراً من البشر قد أرسل رسولاً ، وكثير منهم قد أرسل إليهم رسولاً ، فإذا لم يصح هذا علمت أن المعنى ليس عليه ، والتقدير على غيره وهو ما ذهب [إليه^(١)] من أن يحمل رسولاً على أن أخرى [غير هذه ، وهي التي دل عليها قوله وحياً ؛ لأن^(٢)] يوحى ، والوحي [قد يكون^(٣)] بمعنى : فيصير التقدير : ما كان لبشر ليكلمه الله إلا أن يوحى وحياً أو يرسل رسولاً ، وقوله : إلا وحياً استثناء منقطع ، وإذا كان كذلك لم يجوز أن يتعلق (من) في قوله : ﴿ مِنْ وَرَائِي حِجَابٌ ﴾ بقوله : ﴿ وَيَكَلِّمُهُ ﴾ ؛ لأن ما قبل الاستثناء لا يعمل في ما بعده ، وذلك لأن حروف الاستثناء في معنى حرف النفي ، ألا ترى أنك إذا قلت : قام القوم إلا زيداً^(٤) وكما لا يعمل ما قبل حرف النفي في ما بعده كذلك لا يعمل ما قبل الاستثناء إذا كان كلاماً تاماً في ما بعده ، فإذا لم يجوز حمله على يكلم ولم يكن بد من تعليق الجار بشيء أضمرت فعلاً مراداً في المعنى محذوفاً لله للدلالة عليه ، فيكون التقدير ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى إليه أو يكلمه من وراء حجاب ، وحذف يكلمه لأن ذكره قد جرى .

وأما من رفع ﴿ يُرْسِلُ ﴾ فجعله حالاً ، فيكون قوله : إلا وحياً مصدراً وقع موقع الحال كقولك جئتكم ركضاً أو أتيتكم عدواً ، ويكون [من]^(٥) مع ما انجر به في موضع الحال كقوله : ﴿ وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران ٤٦] بعد قوله : ﴿ وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ ، فكما أن (من) هاهنا في موضع الحال كذلك في قوله : ﴿ أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٌ ﴾ ، ومعنى ﴿ أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٌ ﴾ في القراءتين والتقديرين في

(١) في كتاب : الحجة : زيادة لفظ (الخليل) وبعدها : (من أن يحمل (يرسل) في من نصب على أن أخرى ١٣٣ / ٦ .

(٢) في كتاب : الحجة : بلفظ : (لأن أن يوحى) .

(٣) كذا في الأصل ، وفي كتاب : الحجة : (قد يكونان) .

(٤) بعدها في كتاب الحجة : (فالمنعنى : قام القوم لا زيداً) ١٣٤ / ٦ .

(٥) في كتاب الحجة : (في أنه) ١٣٦ / ٦ .

قوله : إلا وحيًا ، يكلمهم غير مجاهر لهم بكلامه يريد أن كلامه يسمع ، ويحدث من حيث لا يرى كما يرى سائر المتكلمين ليس أن ثم حجاباً يفصل موضعاً من موضع فيدل ذلك على تحديد المحجوب ؛ فهو بمنزلة من يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم ، ومن رفع يرسل كان يرسل في موضع نصب بالحال ، ومعنى الآية : هذا [كلامهم إياه]^(١) كما تقول تحيتك الضرب ، وعتابك السيف^(٢) ، ليس أن إرسال الرسول كلامه ولكنه جعل من أقسام الكلام حيث وضع بدله كما جعل السيف العتاب ؛ حيث جعل السيف بدلاً من العتاب .

وقال النحاس : الوقف على قوله حجاب ليس بكاف على قول سيبويه وعلى قول يونس الوقف كاف ؛ لأنه جعل ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ ابتداء على قول من رفع ، وأنشد النحاس احتجاجاً لمن نصب :

لَلْبُسِّ عِبَاءَةٌ وَتَقَرُّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ^(٣)
والتقدير : لأن البس وتقر عيني .

٥٢ . قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ قال أبو إسحاق : أي فعلنا في الوحي إليك كما فعلنا بالرسول من قبلك وموضع (كذلك) نصب (بأوحينا)^(٤) .

(١) كذا في الأصل والصحيح (كلامه إياهم) . انظر : الحجة ١٣٦ / ٦ .

(٢) إلى هنا انتهى ما نقله عن أبي علي الفارسي من الحجة .

(٣) انظر : قول النحاس في كتاب القطع والائتناف ٦٤٤ . والبيت : لميسون بنت بحدل زوج معاوية بن أبي سفيان ، وكانت بدوية فضاعت نفسها لما تسري عليها ، فعذلها على ذلك وقال أنت في ملك عظيم وما تدرين قدره وكنت قبل اليوم في العباءة ، فقالت هذا الشعر . انظر : الكتاب ٤٥ / ٣ ، والخزانة ٥٩٢ / ٣ ، وشرح شواهد المغني ٢٢٤ ، والمحاسب ٣٢٦ / ١ ، وسر صناعة الإعراب ٢٧٣ / ١ ، وكتاب الجمل في النحو للزجاجي ١٨٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٠٣ / ٤ .

وقوله : ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ . قال مقاتل : يعني : الوحي بأمرنا ، وهو قول السدي^(١) ، وابن عباس في رواية عطاء ، ومعناه : القرآن ؛ لأنه يهتدى به ففيه حياة من موت الكفر^(٢) .

قوله تعالى : ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ قبل الوحي : ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ اختلفوا في هذا مع إجماع أرباب الأصول على أنه لا يجوز على الرسل قبل الوحي أن لا يكونوا مؤمنين ، فذهب كثير من أهل العلم إلى أن المراد بالإيمان هاهنا شرائعه ومعامله ، وهي كلما يجوز أن يسمى إيماناً ، واختار إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة^(٣) هذا القول ، وخصه بالصلاة محتجاً من باب حذف المضاف ، فجعل التقدير : ولا دعوة الإيمان لأنه كان قبل الوحي ما كان يقدر ما الكتاب ولا أهل الإيمان يعني : من الذي يؤمن ومن الذي لا يؤمن .

وهذا اختيار الحسين بن الفضل .

وجعل أبو العالية التقدير : ولا دعوة الإيمان^(٤) ؛ لأنه كان قبل الوحي ما كان يقدر أن يدعو إلى الإيمان بالله ، وذهب بعض أهل المعاني إلى التخصيص بالوقف فقال : المعنى ولا ما الإيمان قبل البلوغ^(٥) ، وهذا المذهب هو اختيار شيخنا أبي إسحاق الإسفراييني رحمه الله ؛ فقد حكى بعض أصحابنا الكبار أنه سأله عن هذه

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٦ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٤٥ .

(٢) انظر : تفسير الماوردي ٥/ ٢١٢ ، وتفسير البغوي ٧/ ٢٠١ .

(٣) محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي أبو بكر ، إمام نيسابور في عصره ، كان فقيهاً مجتهداً عالماً بالحديث ، لقبه السبكي بإمام الأئمة ، له ما يقارب ١٤٠ مصنفًا ، مات سنة ٣١١ هـ . انظر : البداية والنهاية ١١/ ١٤٩ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢٠ .

انظر : صحيح ابن خزيمة ١/ ١٥٨ باب الدليل على أن إقام الصلاة من الإيمان .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١٠/ ٧٧ ، فقد نقل عنه اختيار ابن خزيمة والحسين بن الفضل وأبو العالية ، انظر : تفسير الوسيط ٤/ ٦١ .

(٥) انظر : غرائب التفسير للكرماني ٢/ ١٠٥٧ ، وقال : قبل الاحتلام .

الآية ، فقال : يعني حين كان في المهد ، وقالوا : إن محمداً ﷺ قبل الوحي كان يعبد الله على دين عيسى ، والصحيح أنه كان يعبد الله على دين إبراهيم ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ ﴾ قال مقاتل : يعني القرآن ^(٢) ﴿ نُورًا ﴾ ضياء قال أبو إسحاق : ولم يقل جعلناهما ؛ لأن المعنى ولكن جعلنا الكتاب نوراً ، وهو دليل الإيمان ^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ قال ابن عباس ومقاتل وقتادة : وإنك لتدعوا إلى دين مستقيم ^(٤) ، والهدى هدى دعوة وبيان .

وقال مجاهد : الصراط المستقيم : كتاب الله ^(٥) .

قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ قال مقاتل : يعني أمور الخلائق في الآخرة ^(٦) .

* * *

(١) انظر : تفسير الوسيط ٦١ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٧٦ / ٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن للرجّاج ٤٠٤ / ٤ .

(٤) قال الثعلبي في تفسيره : وإنك لتهدي : لترشد وتدعو إلى صراط مستقيم ، انظر : ٧٨ / ١٠ ، والوسيط ٦٢ / ٤ ، وقال القرطبي ٦٠ / ١٦ : وإنك لتهدي ؛ أي تدعو وترشد ، ولم ينسبه ، انظر : تفسير مقاتل ٧٧٦ / ٣ .

(٥) قال ابن جرير الطبري ٢٧ / ١٣ : الصراط المستقيم هو الإسلام ، والصراط الثاني ترجمة عن الصراط الأول .

(٦) إلى هنا انتهى الجزء الرابع من المخطوط ، وأول الجزء الخامس سورة الزخرف .